


ماهر فرغلي

# الخروج من بوابات الجحيم

## الجماعة الإسلامية في مصر من العنف إلى المراجعات

(مشاهدات من الداخل)

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة
مجلة الابتسامة

مركز الدين والسياسة للدراسات




www.ibtesama.com

# الخروج من بوابات الجحيم

## الجماعة الإسلامية في مصر من العنف إلى المراجعات

## (مشاهدات من الداخل)

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

ماهر فرغلي







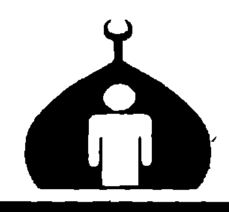
www.ibtesama.com

## ماهر فرغلي

# الخروج من بوابات الجحيم

## الجماعة الإسلامية في مصر من العنف إلى المراجعات

### (مشاهدات من الداخل)




** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة



الرياض - المملكة العربية السعودية
الدور 18 - برج الفيصلية
طريق الملك فهد - منطقة العليا
ص.ب 241686 - الرياض 11322




ص.ب: 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت - لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-280-9

الطبعة الأولى 2012


www.ibtesama.com

# الفهرس



www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

# إهداء

إلى بناتي إسراء وأميرة وعلياء. . .

إلى ابني حسام. .

كي يدركوا يومًا أن أباهم ليس لديه ما يخجلون منه.

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# تقديم

لا يستطيع الباحث والدارس للحركة الإسلامية المعاصرة أن يتجاهل بحال من الأحوال «الجماعة الإسلامية» في مصر تلك الحركة الإسلامية التي أطلقت بتحالفها مع جماعة الجهاد المصرية أواخر الثمانينات ومطلع التسعينيات هجين ماعرف لاحقًا بالسلفية الجهادية، فكانت السباقة إلى ترسيخ منهج التغيير بالقوة والعنف وهو الذي التقطته جماعات أخرى في أقطار عديدة في الوقت الذي دخلت فيه دوامة الصراع المسلح مع الحكومة في التسعينيات الميلادية لينتهي الحال بمعظم عناصرها وقادتها التاريخيين إلى خلف القضبان لعقود في حال كان الفرار إلى الخارج من نصيب جزء يسير منهم.

خلف تلك القضبان البائسة وسنوات العمر الطويلة تتساقط في زنازين العزلة تاركة معها ربيع العمر، كانت المفاجأة التي أذهلت البعض وأثارت الكثير من الشكوك والتساؤلات لدى آخرين في ظل ما عرف (بالمراجعات) وهي حالة جديدة انطلقت من السجون المصرية وتمددت إلى بلدان أخرى فيما بعد حيث حذت حركات وشخصيات اخرى حذو الجماعة الإسلامية في قراءاتها الجديدة للواقع ومراجعاتها لأصولها وقواعدها ومنطلقاتها الفقهية في التغيير، وهو ما أهلها للخروج إلى فضاء الحرية بعد تلك السنين الطويلة وإن بقى التضييق والمنع.

من داخل إحدى تلك الزنازين كانت السطور الأولى لهذا الكتاب الذي عمل مؤلفه على إيضاح خريطة الجماعة وبنيتها من الداخل محاولًا الجمع بين أسلوبين هما الجانب الروائي والتوثيقي والأكاديمي متناولًا بدايات الانتماء إلى هذه الجماعة مرورًا بنشاطه فيها طوال 20 عامًا أمضى معظمها في السجون وانتهاءً بتلك العوامل التي جعلتهم يمارسون العنف، ثم أخيرًا تاريخ الجماعة من عين إحدى قواعدها وأحد الذين عاصروا مبادرة وقف العنف، وكان شاهدًا على التحولات برمتها.

**المشرف العام على مركز الدين والسياسة للدراسات**

**خالد عبدالله المشوح**

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

# مقدمة

حسام تمام

كان من المفترض أن يقوم الكاتب الكبير والباحث القدير والصديق العزيز حسام تمام رحمه الله بكتابة مقدمة هذا الكتاب من على فراش مرضه متحاملًا على آلامه لكن قدر الله كان أسبق فوافته المنية. . رحمه الله وأسكنه فسيح جناته. . وإنا لله وإنا إليه راجعون.

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

# مقدمة الكاتب

كنت قد عقدت العزم على كتابة هذا الكتاب، وأنا في إحدي زنازين الوادي الجديد، ولكنني لم أكن أتصور أنني سأمكث كل هذه الفترة دون نشره، وهو الكتاب الهام الذي يعطي خريطة للجماعة واضحة ومحايدة وموضوعية من إحدى قواعد الجماعة بعد أن سمع وقرأ الجميع للقادة.

حقيقة الكتابة وأنت بين الجدران واختلافها تمامًا عن الكتابة وأنت تتمتع بالحرية أخرتني حيث رغائب النفس والعوامل النفسية التي تتأثر بالقيد وفقدان الحرية التي تجعلك تفضل التريث، كما كانت في هذه الفترة أمور كثيرة تخفى علينا وأمور أخرى تجري بعيدًا عن أعيننا وكان الزمن كفيلًا أن يوضح لنا ماخفي علينا ويبين لنا فائدة وقف العنف وتصحيح المفاهيم، وكان من الخطورة الكبرى أن أنشر هذا الكتاب دون حساب في هذه الفترة الحساسة من عمر الوطن، ونحن سيحاسبنا الله أولًا ثم التاريخ والوطن عن كل كلمة وهذا سبب آخر، وهو السبب الرئيسي لتأخير كتابة أسطر هذا الكتاب.

وعندما قدر الله تعالى أن نعيش أيام الحرية اقترح عليّ الزميل الصحفي عصام نبوي أن نبدأ معًا كتابة الكتاب، وحالت ظروفه دون أن يبدأ معي ما اتفقْنا بشأنه، رغم أنني كنت في حاجة إلى قلمه، غير أنني كنت أدرك أن كل ما أكتبه إنما يمثل قناعات وأفكارًا نشترك فيها معًا أنا وهو وكل الرفاق الذين يقفون ورائي بدعمهم وعاطفتهم، وعلى رأسهم الكاتب الكبير حسام تمام، والصديق أحمد الشوربجي.

سيبين هذا الكتاب مدى التكلفة السياسية التي كان سببًا فيها ممارسة العنف دون حساب سياسي مع سيطرة العقلية الثورية على هذه الجماعة ويوضح أنه لا يوجد كتالوج للأسعار في عالم السياسة.

كما أنه سيبين خريطة الجماعة من الداخل بصورة روائية كما أردت، وبصورة أكاديمية كما يحب آخرون حيث جعلت هذا الكتاب شاملًا لكل من الأسلوبين معًا كي أخاطب الجميع وأوصل الرسالة التي أردتها من توضيح الظروف المحيطة بنا في بدايات

www.ibtesama.com

الانتماء إلى هذه الجماعة وانتهاءً بتلك العوامل التي جعلتنا نمارس العنف، ثم أخيرًا تاريخ الجماعة من عين إحدى قواعدها وأحد الذين عاصروا مبادرة وقف العنف، وكان شاهدًا على التحولات برمتها.

كتبت بعض صفحات الكتاب بلون الجدران السميكة للزنازين والمواقف الخاطئة التي دفعنا ثمنها، وبعشرين عامًا من الجهد المتواصل، وأخيرًا بالفهم النقي الوسطي للدين الذي اقتنعت به.

سيتهمني البعض أنني أخطأت الكتابة أو اختيار الزمن أو تقدير المواقف أو أنني نسيت الأحداث، بل سيصل الأمر بالبعض بأن يقول إنه لا يعرفني وإنني لا أمثل الجماعة حاليًا، لكنه لن يستطيع أن ينكر عشرين عامًا من عمري مع هذه الجماعة، وإنني حين كتبت أسطر هذا الكتاب كتبته بعين أحد الذين كانوا في مؤخرة الجماعة وليس بعين قائد في الأمام من قواد الجماعة.

وأحب أن أوضح أنني حين بدأت ثم انتهيت من كتابة هذا الكتاب كان ذلك قبل أيام ثورة 25 يناير، وذلك يعتبر أمرًا هامًا كي تتبين للقارئ، تلك الروح التي كتبت الكتاب وهي بين ضغوط ديكتاتورية في كل الواقع المحيط بها.

فكرت في مثل هذه الأمور وأردت أن أجعل بعض الوثائق والصور تحكي معي وتشرح مالم تشرحه الأسطر، وقد بلغ بي الجهد مبلغًا للحصول على هذه الصور والوثائق النادرة، بعد أن تخلصنا من أغلبها أيام العنف بين النظام السابق لمبارك والجماعة، ولكن في النهاية كان ذلك من أجل الموضوعية التي أردت أن أبينها للقارئ، وكل من سيطرق الموضوع من جانب معين.

أرجو من الله أن يكون قد وفقني لعرض التجربة، وأن يكون الكتاب موضوعيًا عادلًا ولا يكون لنفسي فيه جانب، والله أسأل أن يجعل ذلك في موازين المؤمنين ولله العزة ولرسوله.

القاهرة 2011

ماهر فرغلي

www.ibtesama.com

# (1)

## من هنا بدأنا

**إن قوة الفكرة ليست في الذين يعتقونها**
**ولكن في صحتها سياسيًا ومسايرتها لمجرى التاريخ**

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

## المفاجأة

أُخرِجت أسماء بعينها من الزنازين كنت أحدها، وظنت إدارة السجن أن هذه الأسماء هي التي لها انتماءات هامة إلى الجماعة وأنها من العناصر المؤثرة كأمراء السجن، وكانت أغلب توقعاتها لهذه الأسماء صحيحة.

أخرجونا من العنابر وأدخلونا المستشفى لنفاجأ بوجود مشايخ الجماعة وعلى رأسهم الشيخ كرم زهدي يلبسون لباس المحكوم عليهم وهو اللباس الأزرق، ولكننا عرفنا بعد ذلك أنهم جاءوا في أوتوبيسات سوبر جيت مكيفة بدون حراسات كثيفة غير بعض الضباط المرافقين.

المشايخ من أمامنا وضباط السجن من ورائنا، ونحن في الوسط دون المائة. . . كأن مشايخ الجماعة خرجوا من جوف الأرض أو من قلاع زمن سحيق لم يدر أحد عنه شيئًا، وأقصد بذلك أن كل السجن لم يعرف شيئًا عن وصول المشايخ أو عن مبادرة وقف العنف فلم يكن يظن أحد في لحظة أن المشايخ سيعترفون بأخطائهم وأنهم سيجيئون ليعترفوا بذلك أمامنا.

بعد دقائق معدودة بدأ الشيخ كرم كلماته بعد أن حمد الله وأثنى عليه قائلًا:

**«أقسم بالله العلي العظيم إني أقول هذا الكلام ليس رهبة ولاخوفًا من هؤلاء» وأشار إلى الضباط، «لكنه اتقاء مرضاة الله سبحانه. . . إن ما فعلناه كان خطأً وماحدث كان فتنة».**

هذه هي الصدمة التي عدنا إلى الزنازين وحملناها معنا، وشخصيًا لم يكن ما حدث يمثل لي صدمة ولبعض القليلين الآخرين، ولكنه كان للعموم الذين لم يتوقعوا ما نحكيه، وتوقعوا أن أقوالنا إنما تمثل قناعاتنا الشخصية فثاروا وقالوا:

**«اتقوا الله حرام عليكم في الجماعة»**

قلت:

**«اللهم اجعلنا من المتقين الرجاعين الأوابين قولوا آمين»**

www.ibtesama.com

منهم من قالها ومنهم من لم ينطقها ومنهم من قالها بعدما استمع إلى المشايخ بنفسه!!

إلى صلاة عصر اليوم التالي كان السجن مغلقًا كالعادة، وكانت الأمور تجري بشكل طبيعي، ولكن جموع المعتقلين تنتظر الشيء الذي عدنا إلى الزنازين به.

في أكبر سجن وهو الوادي الجديد الذي بدأ ندوات المبادرة، التي استمرت عشرة شهور انتهت بسجن دمنهور... أخرجنا عنبرًا عنبرًا، وكانت الأنباء بدأت تتوالى عن وصول المشايخ إلى الساحة المواجهة لمستشفى السجن، ودخل المشايخ إلى التريضات التي نقف فيها ننتظر وصولهم.

رفع الشيخ كرم يده وعرّف الواقفين باسمه وقال: أخوكم كرم زهدي، فصاح العنبر وسلم عليه، ثم أشار إلى المشايخ ليعرّف الواقفين بأسمائهم فأغلب المعتقلين لم يقابلوا هؤلاء يومًا ما، ولكنهم كانوا يسمعون عنهم ويجلونهم حتى وصل ذلك عند البعض إلى حد القداسة لأنهم كتّاب أبحاث الجماعة وهم الذين يحركون الأحداث من حولنا!!

نحن نسلم بحرارة والشيخ كرم يشير إلى أحدهم ويقول: هذا هو الشيخ فلان، فيرفع يده ويسلم علينا ولا ينسى أن يسلم على أحد الإخوة الواقفين إذا كان يعرفه.

الشيخ ناجح وهو يسلم علينا لم ينس أن يشير إلى الضباط ويقول:

**«الباشوات هيريحوكم الأيام الجاية في السجون».**

مر بعض الإخوة بالمشايخ فاحتضنوهم ومنهم من قبل رؤوسهم وأيديهم... أحدنا هوى على قدم الشيخ ناجح ليقبلها فصرخ المأمور:

**«إيه إلى بيحصل دا... يا ناس حرام عليكم هو دا اللي ضيعكم»**

أُخرجنا بعد ذلك مباشرة غرفة غرفة وعنبرًا وراء عنبر بالترتيب إلى ساحة واسعة أمام مستشفى السجن وهذه الساحة والطرقات بين العنابر تتسع لأكثر من أربعة آلاف معتقل.

كيف نثبت أننا أهل للنظام وأن لدينا القدرة على النظام واحترام إدارة السجن لو أخرجونا في التريضات والفسح الداخلية للسجن؟

هذه هي المعادلة التي أراد الجميع أن يثبتها دون تنبيه أو ما شابهه.

التقينا لأول مرة وتخيل أنك لم تر أخاك أو قريبك أو صديقك منذ أكثر من عشرة أعوام، بل تخيل أنك لم تر من بجوارك في الغرف المجاورة كذلك، ولذا كان جل اهتمامنا مصبوبًا على النظر بعضنا إلى بعض وعلى السلامات الهامسة.

www.ibtesama.com

لم تبدأ الندوة الأولى لعموم السجن إلا بعد صلاة المغرب التي صلاها بنا الأخ محمود شعيب حيث استعاد بالإخوة أيام معسكرات مسجد أبي بكر الصديق والرحمة بأسيوط وتلك الأيام الخوالي.

بعد الصلاة بحوالى ثلث ساعة خرج من بوابة المستشفى الشيخ كرم يتقدم طابور المشايخ الذي لم يكن حوله أحد من الضباط.

كنا ندقق في الشيخ كرم الذي كان يتمتم بشفتيه وتقريبًا بالدعاء والذكر... الشيخ ناجح كان يبدو على وجهه الثبات وحالة من الرضا... شعرنا أن المشايخ في شبه حالة من الوجل، وتوقعت أنهم خائفون أن نعترض على ماجاءوا بشأنه.

حل علينا الصمت... المشايخ يجلسون على المنصة ومشايخ الصف الثاني كصفوت عبد الغني وممدوح علي يوسف في الصف الأول لنا.

وبدأ الشيخ كرم:

**«لقد جئنا إليكم يسبقنا الشوق إلى لقائكم، وكم هذه اللحظات جميلة ومؤثرة أن التقيناكم ونحن نعرف أننا لسنا في نزهة خلوية لنتسامر معًا، ولكننا جئنا هنا لنصحح أوضاعًا كانت خاطئة... كان الأمر صعبًا علينا ونحن نعرف أنه صعب عليكم، ولكن لا بد من خوضه، ولم يكن ثمة خيار، ولكن لا بد من إيصال الحق مهما كان مرًا، ونحن نعرف أنكم ستقولون للحق سمعًا فلله دركم جميعًا... إننا جئنا إلى هنا لتعظيم حرمات الله، وإنهاء مسلسل البكاء والعويل ووقف نزف الدماء... ما أردنا إلا الحق فالحق بغيتنا ومرادنا ولم تعد الدنيا تمثل عندنا شيئًا بعد أن قضينا في السجون اثنين وعشرين عامًا، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط».**

قدم الشيخ كرم باقي المشايخ

الشيخ ناجح قال:

**«أطلقنا المبادرة حقنًا لدمائكم والدماء عمومًا في مصر... أطلقناها حفاظًا على الأنفس أن تهلك في غير ميدان أو أن تقتل دون مصلحة شرعية صحيحة أو هدف شرعي... أطلقنا المبادرة صونًا لحرمات البيوت أن تنتهك وحماية للبيوت والأسر المسلمة أن تهدم ولوقف مسلسل اليتم والترمل والطلاق، فالمبادرة جاءت من أجل مئات اليتامى من الفريقين، ومن أجل مئات الأرامل... أطلقنا المبادرة لأننا رأيناها الأقرب إلى الحق وهي الأهدى سبيلًا، أطلقناها لأننا عشنا مع قول النبي ﷺ [والذي نفسي بيده**

www.ibtesama.com

لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها] ونحن نقول لا يسألنا أحد طريقة أو سبيلًا أو آلية تحقن فيها الدماء ويمنع بها اقتتال أبناء البلد الواحد وتمنع بها المفاسد العظيمة التي لحقت بالإسلام وأهله في مصر إلا أجبناه إليها دون قيد أو شرط.

قال تعالى (والصلح خير) خير للفريقين... لكل الناس... خير للأهالي... خير لنا وللجميع، والصلح يحتاج إلى رجال شجعان مثل الحسن بن علي، وهؤلاء الأفذاذ هم الذين يتحملون لوم اللائمين ومزايدة الزائدين، لقد قال بعض الشيعة للحسن يا مذل المؤمنين فكان يقول لست بمذل المؤمنين، ولكن جماجم العرب كانت بيدي فكرهت أن أقتلكم على الملك، وكانوا يقولون له يا عار المؤمنين فكان يرد عار خير من النار.

الصلح هو أعظم آلية شرعها الإسلام لرأب الصدع ولم الشمل، وهو أعظم الآليات لإنهاء الأزمات بين المسلمين، ولولا وجود هذه الآلية لكان أي نزاع مسلح بين طائفتين مسلمتين يستمر إلى النهاية أو يستمر حتى يفنى الفريقان.

إن الصلح باب عظيم من أبواب الخير شرعه الله لتحقن به الدماء وتعصم به الأرواح... إن هذه المبادرة التاريخية وهذه المصالحة الوطنية هي واجب يفرضه علينا الشرع ويدعونا إليه الواقع وتلزمنا به الحكمة ويهدينا إليه العقل السليم، ونحن على استعداد لتحمل تبعات هذه المبادرة العظيمة، وهذه المصالحة المباركة نتحملها بالصبر الجميل والحلم الكبير فكل صلح لا يحل حرامًا، ولا يحرم حلالًا بل يحقن الدماء ويحمي بلادنا من التمزق هو واجب شرعي ينبغي لنا الالتزام به والعمل به وله».

انتبه الإخوة أثناء كلمته إلى عساكر الأمن المركزي الذين يطوقون المكان ويقفون بجوار أسوار السجن فأوقف الدكتور ناجح كلمته وقال:

«يا ريت تنتبهوا للكلمة ولا تنتبهوا للعساكر»

وأكمل

«إن هذه المصالحة الوطنية التي حدثت مع هذه المبادرة ليست بجائزة فحسب ولكنها واجبة، فهي التي توحد المسلمين وتنهي مأساة، ولكنني أريد أن أقول إن كل صلح حدث في الأرض حتى في مجال الأسرة لا بد أن يكون فيه طرف قد هضم حقه وتنازل عن بعض حقوقه، ولولا ذلك ما تم الصلح على أكمل وجه، وإننا نجد ذلك في صلح الحسن مع معاوية فقد تنازل الحسن عن معظم حقوقه ورغم هذا قال عنه النبي (إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين).

www.ibtesama.com

**ونحن نقول لكل من تحمل مسؤولية الصلح والإصلاح بين المسلمين يجب عليك أن تكون بعيد النظر مستشرفًا للمستقبل متحملًا للصعاب حليمًا عند التكبر عليك ولتنتظر من قبل، ومن بعد جوائز السماء التي سينعم الله بها عليك جزاء صبرك وتحملك».**

وأكمل الشيخ عصام دربالة قائلًا:

**«تحية لكم أيها الصابرون... تحية لكم أيها الراضون عن الله... تحية لكم من كل قلوبنا... لكم جميعًا كل حب وود وكل دعاء بالخير والعافية**

| | |
|---|---|
| **أناديكم أناديكم** | **أشد على أياديكم** |
| **أبوس الأرض تحت نعالكم** | **وأقول أفديكم** |
| **وأهديكم ضيا عيني** | **ودفء القلب أعطيكم** |
| **فمأساتي التي أحيا** | **نصيبي من مآسيكم** |
| **وآمالي التي أرجو** | **إشراقة أمانيكم** |

وأذكر أن الشيخ عصام دربالة قال:

**«إن كل ما كنا نفعله ليس شرًا بل فيه الخير الكثير، نعم خير كثير مثل الأعمال الاجتماعية ومساعدة الفقراء والمساكين».**

كما قال:

**«إن الجهاد شرع لرد العدوان الخارجي على أمة الإسلام ودولته، ولتحطيم عناد المحاربين لأمة الإسلام وشرعت الحسبة لحماية المجتمع من عدو داخلي هو الشيطان الذي يريد إفساد المسلم بإخراجه من الطاعة إلى المعصية، وشرعت الدعوة إلى الله لنشر الدين الصحيح وتوسيع رقعة الإسلام، واستنقاذ الناس من ربقة الضلال والشرك إلى رحابة الإسلام الفسيح.**

**إن المبادرة هي إعمال للشرع وليست إهمالًا له، وهي إعمال للكتاب والسنة وليست تركًا لهما، وهي درء للفتنة وليست الوقوع فيها، وهي عودة إلى صحيح الدين ودعوته الصافية النقية.**

**المبادرة لا تعني إهدارًا لفضل الصالحين من أبناء الجماعة الإسلامية، ولكن حفظًا لفضلهم وصونًا لعطائهم، وهي لا تعني الإساءة إلى أحد من أبنائنا فلكل الإخوة أحياءً وأمواتًا، كل حب وود وكل دعاء بالخير والعافية، فما جئنا إلى هنا لنسيء إلى أحد ولكن لنبدأ صفحة جديدة بيضاء نقية مع الجميع.**

www.ibtesama.com

**القتال الذي حدث في التسعينيات كان لرفع بعض المظالم التي حدثت وللإفراج عن المعتقلين من أبناء الجماعة، ولوقف الممارسات العنيفة في السجون والمعتقلات، وإطلاق حرية الدعوة إلى الله تعالى، فماذا كانت النتيجة؟! زاد عدد المعتقلين من ألفين إلى عشرين ألفًا، وحكم على عشرات بالإعدام، وتحولت المحاكمات إلى محاكمات عسكرية، ونالت الحركة الإسلامية من الضعف والهوان، ونحن بهذه المبادرة منعنا القتال الذي لم يحقق سوى مصلحة أعداء الإسلام والمسلمين».**

وأما الشيخ فؤاد الدواليبي فلم يقدم شيئًا سوى رسالة شكر للذين ساهموا مساهمة كبيرة في وقف العنف في مصر، وساهموا في إنجاح المبادرة وإخراجها إلى النور رغم كل المعوقات والعقبات التي اعترضتها، مثل حادث الأقصر الذي كاد يقتل المبادرة إلى الأبد.

وتكلم عاصم عبد الماجد ولم يختلف ما قاله عما قاله المشايخ الذين سبقوه.

بعد انتهاء الكلمات وصلاة العشاء أمسك مأمور السجن الميكروفون ونادى العنابر عنبرًا عنبرًا وأدخلنا بالترتيب إلى عنابرنا وزنازيننا.

لم يعلق أحد على ما يجري وما حدث في الندوة الأولى... الغالبية أعطت ظهرها إلى الآخرين يتعمقون في التفكير... على كل حال كانت كل الوجوه مفروشة ببسمة أظنها بسمة الأمل في قرب انتهاء الأزمة، ولكنني كنت تائهًا في شيء آخر... لقد كنت في وقت مستقطع مع نفسي بحجم الأيام التي قضيتها مع الجماعة... أتذكر ما جرى بالضبط ولا أنسى منه شيئًا... ذهبت إلى هناك... إلى مسجدنا الصغير على الترعة الإبراهيمية في مدينة ملّوي.

***

## في المسجد

الليلة التي قتل فيها الشيخ الذهبي اشترى أبي جريدة الأخبار وكان لا يقرأ في الجريدة سوى أخبار الحوادث!!، ولأن أبي العامل البسيط في مدرسة التجارة الثانوية بنين لم يكمل تعليمه الابتدائي، وكل ثقافته نابعة من خوضه لحرب اليمن أيام عبدالناصر، فهو لا يقرأ سوى الحوادث داخل الجريدة، ويقرأ والدي بصوت مرتفع... جماعة التكفير والهجرة قتلت الشيخ الذهبي... لم أعرف يومئذ لماذا قتلوه؟! ولكن ظل

www.ibtesama.com

هذا الحادث عالقًا بذاكرتي. . . كيف قتلوا شيخًا من مشايخ الأزهر وعلمائه. . . صورة شكري مصطفى زعيم التكفير وصورة عينيه الحادتين تقتحمني. . . ظلت صورة هؤلاء الناس تستفز فضولي كلما راح أو جاء أحد منهم أمامي.

تمر السنون وأسمع الناس يتحدثون عن هؤلاء الذين قتلوا السادات. . . إنهم من بلدتنا نفسها. . . يقول البعض إنهم يعرفونهم جيدًا. . . إنهم من عائلات كبيرة. . . لم يطلقوا لحاهم في يوم ما. . . إلا عبد الحميد عبد السلام!!. . . قال الناس إنهم تبع التنظيمات السرية للجماعات. . . نحن وزملاء المدرسة كنا نمر من أمام بيوت قتلة السادات ونحكي هذه الحكايات.

لم نكن نفرق بين جماعة التبليغ والدعوة وبين الجمعية الشرعية ورجالها وبين هؤلاء. . . كلهم كانوا صورة واحدة لشكري مصطفي ولكنها على أي حال كانت تثير فضولنا.

والآن أرى أن رياح القدر قد حملتني في مغامرةٍ طويلةٍ منذ ذهبت إلى مصلى صغير يقع على الترعة الإبراهيمية في مدينتي ملوي، لا تتجاوز مساحته الثلاثين مترًا، ذهبت لأن إعلانًا وضع في مكان حيوي لا بد أن أمر به في طريق ذهابي وعودتي من المدرسة.

كان الإعلان عن صلاة العيد في الخلاء، والآخر عن فصول التقوية، وبالطبع من سيذهب سوى أمثالنا من أبناء الطبقة الفقيرة والمهمشة الذين لا يملكون أجرًا وثمنًا للدروس الخصوصية الباهظة التكاليف، أول شيء سيلفت انتباهي باب حديدي مرسوم عليه مصحف وسيف خلفهما شعاع الشمس ومن ورائهما آية قرآنية هي ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾(1) كنت أعرف أن ذلك كله شعار لجماعةٍ إسلاميةٍ تملأ إعلاناتها شوارع المدينة.

كان التعارف بيننا سريعًا لأنهم لا يختلفون عنا كثيرًا فهم من جيل الطلبة والشباب الذين نشأوا في مجتمعاتٍ تعاني التفكك والبطالة والاهتزاز، وتشكو من فقد الكثير من إرادتها المستقلة، مجتمعات محكومة بتناقضاتها الشديدة في مستويات اللغة وطرائق التفكير، إنها المجتمعات التي ساهمت بشكلٍ كبيرٍ وواضح في تحويل أفكارنا بعد ذلك إلى واقع صنعناه بأنفسنا لكي ننسى واقعنا المعيش بمحركاتٍ من جيل الصحابة الأوائل.

حين دخلت المسجد رأيت وجوهًا سأحفظها بعد ذلك فهي دائمة التردد إلى المسجد

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 39.

www.ibtesama.com

بل القعود فيه، قالوا لي نحن فرغنا وقتنا للعمل للدين، ملابسهم تكاد تتشابه لقصرها والسويتر الموضوع فوقها ليكون ميزةً لهم عن غيرهم.

«ألا يوجد لهم أعمال أخرى؟!»

تساءلت وأنا أرمقهم من بعيد، وتساءلت كذلك عن مصيرنا بعد الشهادة والتخرج، وعن الوظائف الخالية، وتساءلت عن هؤلاء الذين جاءوا ليحضروا فصول التقوية!!

إن ذهابهم إلى فصول التقوية لم يجعلهم يخلصون إلى لوم ذواتهم، بل إلى لوم آبائهم لأنهم فقراء، ولوم المجتمع، ولوم النظام التعليمي والمدارس التي لا يستفيدون من التعليم فيها، بل لوم النظام السياسي بأسره، مثلهم مثل باقي الناس الذين يقيسون حجم ثروتهم بحجم ثروة الآخرين، وحجم اقتسامهم للسلطة أمام سلطة الآخرين، وهذا ما غذى في قلوبهم الحقد على أعدائهم.

طال قعودي وانتظاري في المسجد وأصبحت من رواد مسجد الجماعة الإسلامية، وهو مصلى صغير يقع على الترعة الإبراهيمية في أول المدينة، ومارست هوايتي في هذا المسجد من عمل مجلات الحائط، وكتابة الكلمات التي تملأ المصلى الصغير كي تشد انتباهك بسبب جرأتها السياسية، إذا كنت من عموم الشباب الذين يستعيرون جريدةً لا يقرأون فيها إلا صفحة التلفاز كي يعرفوا ميعاد مباراة الأهلي والزمالك أو مباراة الفريق القومي.

وبنظرة سريعة على طريقة التجنيد التي كانت تعتمد عليها الجماعة فسنجد أنها كانت تعتمد على المجهود الفردي لبعض الأفراد النشيطين في ضم أصحابهم أو أصدقائهم أو الذهاب إلى القرى المجاورة وإعطاء المواعظ الدينية دون إذن في المساجد التابعة إلى الأوقاف أو المساجد التي لا تضمها الأوقاف، وقد كانت طريقتنا هذه تستهوي بعض الأفراد في هذه القرى فيتعرفون علينا أو يقلدوننا ثم يبدأون بالاتصال بنا، وقد كان لجهلنا طريقة الدعوة الصحيحة أن جعلنل أول الدروس التي نعطيها لهم هي التحذير من جماعة الإخوان واعتبارها خطرًا على الإسلام ومفهوم الجهاد في سبيل الله، كما كنا نعطيهم بعض الدروس التي تعرفهم بمشايخ الجماعة وقادتها، وفي مسجدنا سيرون ما لم يشاهدوه في قريتهم.

أنا شخصيًا سمعتهم في البداية يقولون: إن المسؤول سينظم مواعيد الدروس في الأيام المقبلة، فقلت:

www.ibtesama.com

**«المسؤول؟!»**

قالوا لي:

**«نعم أمير الجماعة وهو الآن مشغول في حل مشاكل بعض المسلمين».**

**«ياه وتحلون كمان المشاكل... وإمتى هيوصل؟! وإيه اللي يختلف بينه وبين المحافظ؟»**

رد أحدهم:

**«الفرق أنه يدعو إلى الإسلام ويحل مشاكل الناس»**

وحين كان ذلك يدور بيننا ناولني أحدهم كتيبًا صغيرًا التقفته منه باهتمام، وأنا أتساءل هل أنتظر حتى أقابل الأخ الأمير أم أقرأ الكتيب؟!

**من نحن وماذا نريد؟**

هو عنوان الكتيب الصغير المصور بآلة تصوير والذي يوزع مجانًا، ما الذي كان يشدنا ناحية هذا الكتيب؟! إننا تناولناه بشغف وسعادة، هل لأن الكتيب مرسوم عليه شعارات وأهداف أم لأننا أخذناه مجانًا أم هي النفس التي تهوى كل جديد وغريب؟!

إن الحقيقة أن هذا الكتيب كان هو آلية الارتباط والتواصل التي ستكشف لنا كل المحتجب والمتواري عن جماعةٍ إسلامية نلمح أفرادها وهم يمشون مصممين أن تكون جلابيبهم قصيرة ولحاهم تملأ وجوههم، ونرى من بعيد ملصقات باسمها تملأ الميادين الفسيحة.

هكذا ظننت أن الكتيب هو كل شيء عن هذه الجماعة، ولكنه كان مجرد تعميمات لا تختلف كثيرًا عما يعتقده أي مسلم.

يبدأ الكتيب بسؤال هو: وتسألني من أنتم؟

وتكون الإجابة إننا الذين نبتغي رضا المولى سبحانه الذي هو أسمى من كل شيء، وإننا الذين نفهم الإسلام فهمًا شاملًا بأنه سيف ومصحف، صلاة وجهاد، علم وعبادة، وأن المسلمين الآن قد قصروا في حق الدين والشرع الذي غيب عن حكم الناس، ولذا فلابد أن يكون الهدف الأسمى هو تعبيد الناس لربهم وإقامة خلافة إسلامية على نهج النبوة، والطريق إلى ذلك لا يكون إلا من خلال جماعة ملتزمة بالشرع الحنيف تأبى المداهنة والركون وتستوعب ما سبقها من تجارب، وتكون وسائلها في ذلك هي الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

www.ibtesama.com

ونتصفح ونتصفح وتصبح الكلمات كوقع الزلزال في أعماقنا.

**«إلى كل من يعرف عنا شيئًا ويجهل أشياء..**

**وإلى كل من لا يعرف عنا إلا ما يردده الآخرون..**

**نهدي هذه الكلمات..**

**من نحن؟! وماذا نريد؟!**

لعلك تريد أن تسألنا مثلما سألنا قبلك كثيرون... ومثلما سيسألنا بعدك كثيرون من أنتم؟ وماذا تريدون؟!

لعلك تريد أن تسألنا بعدما سمعت من الآخرين عنا... وتابعت حديث الإعلام بما فيه من خبر وتحليل... فتكون لديك صورة تريد أن تعرف حقيقتها..

هل هي صورة مشوهة ممسوخة... تجافي الحقيقة وتغايرها؟

أم أنها معبرة بصدق عن حقيقتنا وطبيعتنا؟

لعلك تسأل... وكثير مثلك يتساءلون... كلما رأيتم شابًا في زهرة شبابه ينتزع نفسه من بين براثن المعاصي والشهوات... وكلما رأيتم فتاة تختار لنفسها العفة والطهارة وتستر على الناس جسدها... وتنأى عن الشبهات بنفسها.

وكلما رأيتم ثلة من الشباب جمعهم الإيمان فتعارفوا... تآلفوا تعاونوا... واتحدوا دون رابط من حسب أو نسب أو مصلحة دنيوية... سارعتم إلى التساؤل متعجبين: من أنتم؟!! وماذا تريدون؟!!

ستسأل مع السائلين كلما سمعت برجال أدخلوا غياهب السجن شبابًا... وأخرجوا منها كهولًا فرضوا بقضاء الله... ورضوا عن الله... وصبروا بالله ولله... فأحبوا الحق وقبضوا عليه أكثر... وأقبلوا على صحيح الدين أكثر وأكثر... وعبدوا الله أكثر وأكثر وأكثر... فما لانت عريكتهم... وما وهنت عزيمتهم... ولا ضعفت في الحق همتهم..

من أنتم؟!! وماذا تريدون؟!!

فإليك أخي الكريم... وإلى هؤلاء جميعًا... نهدي بطاقة تعارف... نفتحها معًا لنرى على صفحاتها..

من نحن؟! وماذا نريد؟!

نحن أيها الحبيب... ثلة من أبناء الإسلام... انتبهنا على حين غفلة من أمتنا على

www.ibtesama.com

نداء ربنا الكريم: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[1] فعلمنا أن الدنيا إلى زوال... وأن الآخرة هي المآل... وأننا غدًا مسؤولون عن الكثير والقليل والنقير والقطمير... فرحنا نبحث عن طريق النجاة وسبيل الخلاص... فوجدنا في نداء الرحمن: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾[2]... وعرفنا أنْ لا سبيل إلى محبة الرحمن... والنجاة من الخزي والخذلان إلا بالاستجابة لأمره والخضوع لحكمه... وعلمنا أن أول الطريق... معرفة الله بتوحيده... والاستسلام لأمره... والانقياد لشرعه... فقلنا مع نبينا ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]. أقبلنا نمضي في طريق الله تعالى... نعد الزاد للقائه سبحانه... راغبين عن هذه الدنيا الفانية... مؤثرين لما عند الله تعالى... ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[4].

تجاذبتنا الدنيا بشهواتها وزخرفها... فأعلناها لله: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[5]... علمنا أن السعادة كل السعادة في الفوز برضوان الله تعالى الذي هو أعظم من كل نعيم حتى نعيم الجنة: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[6] فعزمنا على السعي في سبيل رضاه بتجريد الإخلاص له سبحانه ومتابعة نبيه ﷺ.

تجريد الإخلاص له سبحانه فلا نشرك معه أحدًا في ظاهر ولا باطن... في شريعة ولا شعيرة... فهو الذي قال في الحديث القدسي: (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك).

وتحقيق المتابعة لنبينا محمد ﷺ في القليل والكثير... فخير الهدى هدي رسول الله ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[7]... فالطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر محمد صلى الله عليه وسلم، فإن أبواب الخير كلها مفتوحة عليه... مشرعة تجاهه... ولا غرور... فهو القائل: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد) - أي مردود عليه -، وقال: (ألا ليزادن رجال عن حوضي... أقول: ألا هلم... فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك... فأقول: سحقًا سحقًا).

(1) سورة التوبة، الآية: 38.
(2) سورة الشورى، الآية: 47.
(3) سورة الأنعام، الآية: 162.
(4) سورة آل عمران، الآية: 198.
(5) سورة الأعلى، الآية: 17.
(6) سورة التوبة، الآية: 72.
(7) سورة الحشر، الآية: 7.

www.ibtesama.com

ومضينا في طريق الله... بعقيدة أصحاب رسول الله ﷺ... تلك العقيدة التي صنعت الجيل الأول من هذه الأمة... فجعلتهم سادة الدنيا والآخرة... تلك العقيدة التي صنعت أبا بكر وعمر... وعثمان وعليًا... وخبابًا وبلالًا... وعمارًا وياسرًا... تلك العقيدة التي صنعت خديجة وعائشة... وسمية وأم عمارة... عقيدة تأخذ بلباب القلوب إلى ربها... مخلصة له الدين... تعلن له التوحيد في الربوبية... والتوحيد في الألوهية... والتفرد في أسمائه الحسنى وصفاته العُلى... عقيدة صمدت أربعة عشر قرنًا من الزمان... رغم غزوات الكافرين... وتشكيك المنافقين... وتحريف المبتدعين... بقيت رغم تقصير الكثيرين من أهل هذا الدين تجاهها... وتهاونهم في حقها... عقيدة ترسخ لنا القاعدة التي ننطلق منها نحو غايتنا... موقنين بأن الله تعالى - وحده - هو المعبود بحق... لأنه المالك وله كل صفات الكمال... فالله غايتنا التي لا غاية لنا وراءها... عقيدة ترد الأمة عند التنازع لله ولرسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1]. وهي بذلك توحد الفهم... وتقضي على مادة الفرقة والاختلاف... وتعضد الصف... توضح الغاية وتحدد الهدف وترسم الطريق... وتجمع المؤمنين على درب واحد وصراط مستقيم... عقيدة ترى أصحابها مهما تباعدت ديارهم ونأت أوطانهم واختلفت أجناسهم وتباينت ألوانهم تراهم رغم كل هذا يسعون لغاية واحدة... ويعملون لهدف واحد... ويلتزمون منهجًا واحدًا... ويسيرون على درب واحد... عقيدة تحدد الولاء وتوجهه لله ولرسوله وللمؤمنين... عقيدة تجعل المستمسك بها عزيزًا... فالمؤمن لا يعرف ذلًا ولا مهانة ولا استكانة... يتقلب حاله بين العسر واليسر... بين الضيق والسعة... دون أن ينال ذلك من عزته واستعلائه بإيمانه... لأنه يستمد هذا الاستعلاء من ربه العزيز ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]... عقيدة تجعل الفرد رقيبًا على نفسه في الدنيا... لعلمه أنه سيقال له غدًا: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[3]... فتغرس في قلبه ما يمنعه من الخروج عن أمر ربه وشرعه وحكمه... وتغرس في قلبه ما يرده إلى الرشاد إذا ما أبق يومًا أو شرد... عقيدة تكون هي المحرك الداخلي للعبد ليمضي قدمًا إلى

(1) سورة النساء، الآية: 59.

(2) سورة آل عمران، الآية: 139.

(3) سورة الإسراء، الآية: 14.

www.ibtesama.com

الأمام... يعمل بطاعة الله ويسارع إلى ما فيه مرضاته... عقيدة تجعل صاحبها موقنًا بأن الله يسمع ويرى... ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور... ويعلم السر وأخفى... وأنه سبحانه سيبعثه يوم القيامة ليحاسبه ويجازيه... روى الإمام أحمد بسنده عن صعصعة بن معاوية أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾[1]... قال: (حسبي... لا أبالي أن لا أسمع غيرها). عقيدة تخرج صاحبها من ضيق الدنيا وحقارتها إلى سعة الآخرة وعظمتها... فترى أصحابها يسيرون فوق الأرض وقلوبهم في السماء... لا يعملون لدنيا فانية زائلة... وإنما يتزودون من الدنيا للآخرة... ولا يريدون منها إلا ما يعينهم على سفرهم إلى الله والدار الآخرة. يملكون الدنيا في أيديهم ولا تلتفت إليها قلوبهم... يسخرون الدنيا للآخرة... فكل ما معهم لله وفي الله وفي سبيل الله... ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[2]. عقيدة تزرع في قلوب أصحابها الشوق إلى لقاء الله... فيستعذبون في سبيل الله كل صعب... ويركبون كل وعر... فعقيدتنا... هي عقيدة السلف الصالح جملة وتفصيلًا... في عقيدتنا... لا نكفر مسلمًا حاكمًا أو محكومًا بذنب أو معصية ما لم يستحلها... فالإيمان حقيقة متفاوتة يزيد وينقص في قلوب المؤمنين... يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[3].

## تساءلت

بعدما قرأت صفحات الكتيب كيف نعيش للإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقًا وسلوكًا؟ وكيف نعيش للإسلام ومن أجل الدين ومن أجل أن نعمل له ونرفع من سلطانه وشأنه؟ فأنت لا بد أن تدرك الغاية الحقيقية من الحياة وتدرك قيمة الدنيا وقيمة الآخرة وأن تدعو دائمًا إلى الإسلام من أجل إيجاد الشخصية التي تمثل الدين وتدعو له.

ومهما تكن درجة الاستحالة ينبثق السؤال على الفور كيف يمكن أن نغير العالم ونغير ماحولنا ونمشي في ظلال دولة إسلامية عادلة؟

كأنه تفكير موروث ينتقل من جيل إلى جيل ويتأسس في علاقة منتجة للقوة، ومهما

(1) سورة الزلزلة، الآيتان: 7، 8.

(2) سورة الأنعام، الآية: 32.

(3) من الكتيب غير المطبوع (من نحن وماذا نريد؟)، من إصدار الجماعة الإسلامية مصر.

www.ibtesama.com

تنوعت خصائصنا وصفاتنا أصبحنا وفقًا لهذا المقياس وفي ظله تغيرت خريطة حياتنا وأصبحنا مهزومين لقناعتنا ولا نملك حسابًا لقيم وقناعات أخرى، وفقدنا الإحساس بالعلم وكل الأشياء حولنا وكانت مساحة الضوء حولنا تفصيلات هذا الكتيب.

هناك أيضًا كتيب صغير عنوانه رسالة ترحيب وهو يسير في الاتجاه ذاته وله المعاني والكلمات نفسها.

لم تكن الدعوة تعتمد على الكتيبات والدروس وغيرها ولكنها كما قلت كانت تعتمد على جهد فردي يقوم به بعض الأفراد مثل صديقي (محروس توفيق) الذي يعد المؤسس الحقيقي للجماعة في مركز ملوي... كان يصحبنا معه فنجوب القرى أو نزور طلبة الثانوية العامة الذين يسكنون فترة الدراسة في المدينة.

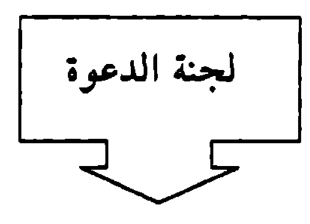
لم تكن للدعوة خطوات واضحة نقوم بها بعكس السياسة المكتوبة لها التي أتيت بها من مشايخنا في محافظة المنيا والتي أعطاني إياها الأخ ضياء فاروق الذي خرج في العام نفسه من سجن ليمان طرة بعد أن قضى خمس سنوات على ذمة قضية تنظيم الجهاد وقتل السادات.

وتعتمد هذه الخطة على وجود مسؤول للدعوة يرأس لجنة كبيرة تضم مجموعات دعوية للفئات والطلبة... ألخ.

لقد كان العمل الجماهيري يتطلب هذه اللجنة الهامة التي تتوزع مهمات أفرادها بين مجموعة الدعوة الفردية التي تعتمد على فردية الدعوة وتحديد العنصر الذي يجب ضمه واختياره وبالطبع هذه المهمة كان من المفترض أن يقوم بها الجميع ولكن تم إسناد مهمة الدعوة الفردية التي تعتمد على الإقناع والترغيب إلى أفراد يتصفون بحسن الأسلوب وروعة المنظر، وبلاغة الكلام، وقد كانوا في الجماعة يعدون على أصابع اليد الواحدة.

وأما دعوة الفئات فالمقصود بها فئة الدكاترة ومن على شاكلتهم، ورغم أن 90% من الجماعة كانوا من هذه الفئات ومن أصحاب المؤهلات العليا، إلا أن نجاحنا كان بطيئًا في هذه الخاصية من الدعوة، وأذكر أننا قمنا بإعداد إفطار جماعي لفئات من مدينة ملوي ودعونا إليه عددًا لا بأس به ولكن قلة قليلة فقط هي التي استجابت لنا!!

www.ibtesama.com




| | | | |
|---|---|---|---|
| مجموعة الدعوة الفردية | مجموعة دعوة الفئات | إعداد الشؤون الدعوية | الإشراف على المساجد |

كان إعداد شؤون الدعوة هو إعداد المؤتمرات واللقاءات وتوزيع الخطباء على مساجد الجماعة وتحديد المواعظ والعناوين التي تقال. . . الإشراف على المساجد يعني الإشراف على إقامة الشعائر في المساجد التابعة إلى الجماعة وتنظيف المساجد وتنظيم الحلقات الدعوية للتابعين إلى الجماعة في هذه المساجد، وقد كان لكل مسجد للجماعة أمير ومسؤول عن المسجد ومعه مجموعة من الأفراد كانوا يتنافسون مع المساجد الأخرى في الدعوة أو تغيير المنكر أو في جمع التبرعات، وستتوسع هذه المساجد بعد ذلك حتى يصبح أمير المسجد أميرًا للمنطقة التي يقع فيها المسجد بعد أن أصبح للجماعة غير مسجد في المنطقة الواحدة وعدد كبير من الأفراد.

كنت أميرًا لهذه اللجنة بالإضافة إلى لجنة إعلام الجماعة، وكانت هذه اللجنة أشبه بوزارة الأوقاف، ولكنها وزارة نجحت سنوات طويلة في القيام بالنشاط الأغلب للجماعة هي واللجنة الاجتماعية التي تشرف على جمع التبرعات وتوزيعها على الفقراء.

والشهادة الحقيقية أن هذه اللجنة لم تؤد كل العمل المطلوب منها، إما بدافع جهلنا نحن بأصول الدعوة إلى الله التي تتطلب حكمة ولينًا وإما بسبب الصدامات المستمرة مع الأمن نتيجة تغيير المنكرات والخطب الحماسية واللقاءات السياسية.

كنا نختلف عن جماعة الإخوان التي كانت تعتمد اعتمادًا كليًا على مجموعاتها في الدعوة الفردية أو ما يسمى عندهم بالأسر، ولكنهم كانوا يتميزون عنا بأنهم لا يضمون إلى هذه الأسر سوى المنتمي الحقيقي إلى جماعة الإخوان، وكان نشاط هذه الأسر في الأغلب يتم داخل المنازل بما يشبه التنظيم السري والعسكري الذي كان للجماعة بعد ذلك.

حوّلنا المساجد إلى ما يشبه المراكز للجماعة واعتبرنا أن هناك مسجدًا رئيسيًا للجماعة أو هو المركز الأم الذي تعقد فيه اللقاءات والمؤتمرات والمعسكرات والأيام الإسلامية. . . هذا المسجد الذي توزع فيه التبرعات والذي يقضى فيه في مشاكل الناس أو في قضايا تغيير المنكر، والذي يعقد فيه مجلس شورى الجماعة اجتماعه.

www.ibtesama.com

لم نكن نتصور قط اليوم الذي نتخلى فيه عن مساجدنا، وقد كانت هذه المساجد خطًا أحمر للجماعة وقد أطلق شعار في الآونة الأخيرة عنوانه مساجدنا معاقلنا أي ما يعني أنها حصوننا وحربنا وموتنا وجهادنا.

وتعرف الجماعات الإسلامية بعضها بعضًا فكانت تحدث المعارك بيننا على أماكن النفوذ كالمساجد، وأذكر أن أكثر من معركة حدثت بيننا وبين جماعة الإخوان على المساجد فكنا نقتحم مساجدهم ويقتحمون مساجدنا من أجل السيطرة عليها حتى يتدخل العقلاء من البلدة من أجل فض الاشتباك وحل الأزمة قبل أن تصل إلى المعارك بالسلاح، فيتفقون على تقسيم المساجد بيننا وبينهم ووضع اتفاقية في ذلك، في وقت كانت تغيب وزارة الأوقاف عن المشهد تمامًا حتى لو أرادت العودة إلى مساجدها فكنا لن نقبل أبدًا، ولن يقبل الأهالي الذين تعودوا منا الخطب الحماسية التي يفرغون فيها غضبهم على الحكومة أو على تبرعاتنا من الملابس والأدوية والفول المدمس التي نجمعها من الأغنياء فنوزعها في مساجدنا رؤية العين أمام الأهالي من باب إظهار كيان الجماعة في مساجدها المنتشرة بطول المدينة وعرضها.

* * *

## وانتهينا إلى المواجهة

تكشف كتابات كثيرة على أن سقوط الخلافة العثمانية وحالة الانهيار العامة التي سببها وجود الاستعمار تسببا بتوسع الإسلاميين وانتشار تنظيماتهم وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين التي كانت تعتبر نفسها جماعة دعوية هدفها هداية الناس إلى صحيح الدين، غير أن مؤسسها حسن البنا أضاف إلى اختصاص الجماعة بعد أن نقل نشاطها من الإسماعيلية إلى القاهرة في عام 1932 العمل بالسياسة دون أن تصبح حزبًا يلتزم بأصول اللعبة السياسية، واعتبر جماعته فكرة جامعة أي جماعة دعوة وعمل كما قال في المؤتمر الخامس عام 1938، وهكذا نقل الجماعة من الدعوة الخاصة إلى الدعوة العامة ومن الكلام إلى الأفعال والنضال فانحرفت الجماعة من هذا المنزلق إلى الجناح العسكري الذي كان يشرف عليه المرشد بنفسه حتى انتهى به ذلك إلى قتله.

وتكشف كتابات عبد الرحمن سندي وعلي عشماوي وأحمد رائف وغيرهم التاريخ الدامي والأحداث العنيفة التي ذهب ضحيتها آلاف الشباب ليموتوا أو يقضوا بقية أعمارهم في السجون.

www.ibtesama.com

وفي الأثناء التي كان الإخوان في السجون هزم الفكر القومي في حزيران 1967، ونجحت خطوة مهمة من خطوات المشروع اليهودي وهي كسب الأراضي، وكرد فعل على ذلك هبت رياح التدين والرجوع إلى الإسلام بقوة وسط أمواج التيارات الشيوعية والاشتراكية والدعاوى القومية، وخرجت التظاهرات التي تطالب بالحرب وكانت حرب الاستنزاف ثم حرب أكتوبر وما تبعها من تجربة الانفتاح الاقتصادي والإفراج عن جماعة الإخوان المسلمين وفتح القنوات لهم لكي يعملوا بحرية، ثم كان الحدث الأهم وهو مبادرة السلام والتسوية مع إسرائيل.

هكذا تصاعدت العوامل التي أدت إلى بروز تيارات إسلامية جديدة هي أعنف من جماعة الإخوان كجماعة الفنية العسكرية والتكفير والهجرة ثم تنظيم الجماعة الإسلامية والجهاد الذي قتل السادات نفسه.

وبعض التفسيرات التي تقول إن تجربة الانفتاح الاقتصادي تواكبت مع تعرض النظام السياسي للضغوط الأجنبية فظهر تهديد آخر فكري وسياسي بشكل أكثر حدة من السابق وأصبح بدوره عاملًا أساسيًا في صعود هذه الجماعات، أو إن الذي يحدد إذا كان الأفراد سيخلصون إلى لوم ذواتهم أو إلى لوم النظام السياسي هو توزيع الثروة وأن يقوم الفرد بمقارنة ما يحصل عليه بما يحصل عليه غيره من المجتمع، فالعدالة الاجتماعية تساوي حجم استثماراتي المادية والمعنوية أمام حجم استثمارات الآخر المادية والمعنوية ونصيبي من الثروة والسلطة مقابل نصيب غيري من الثروة والسلطة، وهذا كله يؤدي إلى السخط الذي بدوره يؤدي إلى التطرف.

أما تفسيرنا يومئذ فكان أن الله تعالى هيأ للأمة رجالًا وجماعات من أهل الصلاح والتقى حاولوا أن يجددوا لهذه الأمة دينها وأن يحيوا يقينها وأن يهدوها بكتاب ربها للتي هي أقوم وكان من ثمار هذه الجهود هذه الصحوة المباركة التي عمّ نورها المشرق والمغرب.

أصبح هناك بون شاسع بين كلمتي التطرف والصحوة، المهم أن نعرف أن هناك القواسم المشتركة بين فصائل الحركة الإسلامية في ممارسة المواجهة مع الأنظمة جمعت بينهم في بناء فكري متميز عن جماعة الإخوان التي أعلنت أنها انتهجت نهجًا سلميًا مبنيًا على المشاركة ومحاولة الوصول إلى السلطة عبر مشروعية قانونية، وهذه الجماعات ومنها الجماعة الإسلامية قد اعتقدت أن جهود الإخوان المسلمين قد باءت بالإخفاق لذا فإن الجهاد سيكون ضروريًا بتأسيس الدولة الإسلامية في وقت ظلت الجماعة صامتة

www.ibtesama.com

بشكل كبير عن إعطاء تصور بشأن الشكل الذي يجب أن تكون عليه هذه الدولة وبدلًا من ذلك أخذت تطرح تعميمًا بشأن قواعد السلوك الشخصي والضوابط الأخلاقية للمسلمين جميعًا، وكان طبيعيًا أن يكون للجماعة الجديدة جماهيرية كبيرة، ولكنها كانت بطريقة عشوائية، وكان طبيعيًا كذلك أن يكون جيل قادتها الأوائل من الطلبة الذين حاولوا أن يوظفوا أعدادًا كبيرة للتوازن مع القوى القومية والاشتراكية الأخرى مما أسفر عن واقع مضطرب ومتقلب ومتناقض انتهى بقتل السادات برصاصات الإسلامبولي التي جاءت بسرعة ردًا على خطوات التسوية وقرارات التحفظ.

كنا نجلس معًا ونتناول هذه الظواهر التي تؤكد أن الجماعة الإسلامية في تصاعد وأنها ستشكل دورًا كبيرًا في المستقبل، لقد رأينا تلك الأعداد الكبيرة التي استطاعت الجماعة أن توظفها ببراعة واستطاعت أن تتوازن مع جميع القوى الموجودة على الساحة وأسفر ذلك عن واقع متقلب ومضطرب كما قلت.

في معسكر الجماعة بمسجد أبي بكر الصديق (الجمعية الشرعية) يقول صلاح هاشم مؤسس الجماعة الإسلامية في الصعيد:

- كنت في فترة الجامعة أعمل بالجمعية الشرعية وأنصار السنة والتقيت بعض الأساتذة أصحاب الميول الدينية، أذكر منهم الأستاذ الدكتور محمد محروس والدكتور إبراهيم السوقي حيث كانت لهما ندوة دينية كل أسبوع بصالة الجمانزيوم وهناك التقيت الدكتور عبد المتعال عبد الواحد وهو أستاذ بكلية الهندسة وهذا الرجل قد سبق اعتقاله مع جماعة الإخوان وقد حذرني من الإخوان كثيرًا.

وكنا نجلس ونتحاور حول ما يقال ونتناقش حول مفهوم الالتزام بدين الله، وقد قررنا أن نبدأ العمل في الجامعة التي يسيطر عليها الشيوعيون في هذا الوقت وكان معنا الدكتور أحمد عبد الفتاح والدكتور جمال عطا الله وغيرهما.

وهناك شخصية لن أنساها وهي الشيخ محمود عبد المجيد الذي التزم على يديه عدد كبير كان أهمهم الشيخ أسامة حافظ والشيخ كرم زهدي.

أغلب هؤلاء الإخوة جاءوا إلى أسيوط لنعمل معًا في خدمة الدين، وبدأنا نقوم بتنظيم المعسكرات الإسلامية في الإجازة الصيفية بمسجد عمر مكرم بمساعدة اتحاد الطلبة وليس بمساعدة السادات كما يتهمنا أعداؤنا ويقولون إن السادات هو الذي كان يمدنا ويساعدنا، المهم يا إخواني أننا في عام 75 غيرنا اسم الجماعة من الجماعة الدينية

www.ibtesama.com

إلى الجماعة الإسلامية وكان عامًا مباركًا فقد انضم أغلب قادة الجماعة الحاليين إلى الجماعة.

وانتشرت الدعوة رغم أن الشيوعيين والناصريين كان لهم نشاط واضح ولكنهم بدأوا يفقدون نفوذهم بسبب وجودنا حتى أنهم في يوم 18 و19 يناير لم يجدوا لهم استجابة عندنا في أسيوط.

طبعًا في هذه الفترة كنا نعمل نحن والإخوان معًا، كنا كفريق واحد، واخترنا في الفترة نفسها الأخ أسامة سيد عبد الحميد أميرًا للجماعة ولكن في بداية العام الدراسي 78 قام الشيوعيون بتعليق بعض من مجلات الحائط التي تهاجم تطبيق الشريعة الإسلامية، واجتمعنا مع الأخ أسامة وقلنا له لا بد أن نتخذ موقفًا شديدًا، ولكنه رفض بشدة ولم يعجبنا ذلك فقمنا بتمزيق المجلات وحدثت مشادة عنيفة بيننا وبينه، وبسببها قام الإخوة بعزل الأخ أسامة وتعيين الأخ ناجح إبراهيم الذي كان منضمًا إلى الجماعة في العام نفسه تقريبًا، ولكنه كان داعية بحق واستطاع أن ينقل الدعوة إلى خارج أسيوط، ونسيت أن أقول إن الشيخين عاصم عبد الماجد وعصام درباله قد انضما في العام نفسه أيضًا.

ويمكن أن تكون الظروف قد بدأت تضطرب بيننا وبين السادات الذي ذهب إلى إسرائيل في عقر دارها يعرض عليها السلام ولم يفعل ذلك فحسب ولكنه كان يجاهر بمعارضته للثورة الإسلامية في إيران واستقباله للشاه في مصر، حتى أننا قمنا بتنظيم تظاهرة تندد بذلك في ميدان المجدوب بأسيوط قتل فيها الأخ عنتر وهو أول شهيد للجماعة، واختنقت العلاقة بيننا وبينه تمامًا وانتهت بقرارات التحفظ واغتياله بعد ذلك على يد خالد الإسلامبولي أحد أبنائنا وأخي الأخ محمد شوقي أحد الأجيال المؤسسة الأولى.

إلى هنا تناول الشيخ جرعة ماء ثم ختم محاضرته وهذا ما سمعناه يومئذ[1].

حاولت جماعة الإخوان احتواء الجماعة الإسلامية التي تأسست على يد مجموعة من الشباب منهم أسامة حافظ وصلاح هاشم وناجح إبراهيم وكرم زهدي ووفق رواية أسامة حافظ لنا في أحد اللقاءات أنه استأذن إخوانه للذهاب إلى جماعة الإخوان والتأكد

(1) صلاح هاشم، محاضرة مسجلة عنوانها تاريخ الجماعة الإسلامية، معسكر الجماعة بمسجد أبي بكر الصديق بأسيوط عام 86.

www.ibtesama.com

من نياتهم وأنه عاد ليؤكد لإخوانه على أن الانفصال عن الإخوان هو الأولى.

تحديدًا في عام 78 شكل حادث فندق القرنة في أسيوط حدثًا هامًا حيث قام كرم زهدي ومجموعة من إخوانه باقتحام هذا الفندق وتغيير المنكر وفق روايتهم وقد أصيب يومئذ ناجح إبراهيم وكان هذا الحدث الرمزي يؤكد على حقيقة التوجه الجديد لهذه الجماعة.

في الفترة ذاتها كانت الجماعة تصدر بيانات تهاجم فيها النظام المصري وجماعة الإخوان التي ترى الجماعة أنها تهادن النظام الساداتي، وقد قامت الجماعة في هذة الفترة بتنظيم بعض التظاهرات ضد مبادرة السلام وإيواء شاه إيران في مصر.

كان العائق أمام مؤسسي الجماعة هو صغر سنهم والنظرة التي ينظرها إليهم سواهم من الجماعات الأخرى، فأخذوا يبحثون عن رموز تقودهم أمام الناس وتصبح صورة لهم فذهب كرم زهدي إلى أحد المشايخ في أسيوط ولم يتفقا نظرًا لأن الرجل عرف أنه سيصبح صورة لا يحل ولا يربط مع اندفاع شباب الجماعة وحماستهم، وأخيرًا وجد كرم بغيته في الشيخ عمر عبد الرحمن الذي كان لا يقل حماسة عنهم بالإضافة إلى أنه من علماء الأزهر وكان الرجل كفيف البصر، وهذا معناه أن القيادة الفعلية والتنفيذية ستصبح في أيدي القادة الفعليين للجماعة، وأن دور الشيخ عمر هو التوجيه والفتاوى والصورة فقط.

ومنذ انشقاق الجماعة عن الإخوان والجماعة تحاول أن تستقطب أعدادًا كبيرة لكي تتوازن مع جميع القوى الموجودة على الساحة فقامت بتنظيم عدة تظاهرات ومؤتمرات مثل تظاهرة الشاه في ميدان المجدوب بأسيوط اعتراضًا على استقبال شاه إيران في مصر بعد ثورة الخميني والمعسكرات المتوالية في المساجد، ولكنها لم تصبح أكثر فعالية إلا بعد حادث اغتيال السادات الذي لجأت إليه الجماعة وتنظيم الجهاد الذي كان يتزعمه محمد عبد السلام فرج بعد قرارات التحفظ، وكانت الجماعة قد لعبت دورًا كبيرًا في هذا الحادث حيث تشكل مجلس الشورى الذي رأسه الشيخ عمر عبد الرحمن وكان أهم الأعضاء عبود الزمر وكرم زهدي وناجح إبراهيم وعصام دربالة الذي كان يرى هو وعبود الانتظار لسنوات مقبلة وعدم القيام باغتيال السادات أو قلب نظام الحكم في هذه الفترة، ولكن قرار التحفظ في سبتمبر دفعهم للتعجيل باغتيال السادات وأحداث أسيوط، وهو من أهم الأحداث التي وقعت بعد اغتيال السادات إذ كان مقررًا مع توقيت اغتيال السادات أن تقوم مجموعة باقتحام مبنى الإذاعة والتلفزيون وإصدار بيانات عن الثورة

www.ibtesama.com

الإسلامية عن طريق أحد أعضاء التنظيم الذين كانوا يعملون في الإذاعة ولكن فشلت هذه العملية بالقبض على مجموعة الإذاعة وانقطع خط الاتصال بين القاهرة والصعيد وكان عبود الزمر هاربًا، وهنا قررت الجماعة في الصعيد ضرب معسكرات الأمن في أسيوط حيث مقر القيادة، وبعد صلاة العيد انطلق التنظيم باقتحام مديرية الأمن في أسيوط وضرب بعض القوات بجوار مسجد ناصر.

فشلت الجماعة والتنظيم الذي أسسه محمد عبد السلام فرج والذي كان يعمل بشكل سري في خطتهم وتم القبض عليهم والحكم على بعضهم بالإعدام ومنهم عبد السلام فرج، وحكم على الباقين بالسجن المؤبد وأغلبهم مجلس شورى الجماعة.

بعد أحداث 81 اعتمدت الجماعة على الصف الثاني الذي كان معظمه من خريجي السجون وتربيتهم تمت على أيدي المشايخ في ليمان طرة ومنهم صفوت عبد الغني وضياء فاروق وطلعت ياسين.. ألخ.

أصبحت الجماعة الإسلامية منذ ذاك التاريخ ذات طابع سلفي متشدد وكانت تعتبر كتب التراث هي المعين الواسع لفكرها بالإضافة إلى تنظيم الجماعة الهيراركي الذي اعتمد المركزية في إدارته.

ومنذ اغتيال السادات أصبح العنف هو السمة البارزة واختنقت العلاقة بين الحركة الإسلامية والأنظمة الحاكمة ومن ثم فرّ شباب كثيرون إلى أفغانستان التي كانت انتصاراتها المتوالية هي والثورة الإيرانية مثلًا لكل الفصائل الإسلامية التي حاولت أن تكرر التجربة مرة أخرى!!

وبرزت الجماعة الإسلامية بشكل خطير يهدد كل مشاريع الدعوة السلمية، وتبين في أدبياتها أنها لا تحض سوى على القتال والمواجهة مثل حتمية المواجهة وقتال الطائفة... الخ.

ويمكن أن نقول إننا والجماعة كنا نبحث عن حيز للوجود وطريق للهوية ولذا فإننا افتقدنا رؤية واضحة لمشروع متكامل لمراجعة الأفكار والتنبؤ بالمستقبل فوقفنا (محلك سر) لا نتقدم خطوة إلى الأمام إلا لنتراجع خطوات، لأننا كنا أسرى لفكر غير ناضج ومكتمل يحتاج إلى مراجعة وتقويم، وهكذا مرت السنوات الطوال، وضاعت فرصة إجراء حوارات ومصالحات تاريخية لأننا لم نمتلك الشجاعة على الاعتراف بالخطأ، فإذا نظرنا إلى المناخ الذي كان يلفنا في هذه اللحظات رأينا أزمة حادة في الفكر والسياسة

www.ibtesama.com

لأننا لم نراجع أنفسنا، ولأننا كنا مأسورين لأبحاث الجماعة بسبب قلة علمنا وكانت تمثل لنا هذه الأبحاث قيمة كبيرة حيث كنا نرى فيها أقوالًا من التراث ومصادر ومراجع لم نكن نسمع عنها من قبل وعلى الخصوص كتب ابن تيمية وابن القيم، ومن منا كان سيقرأ فتاوى ابن تيمية أو يستطيع أن يدقق أو يراجع تلك الأقوال والأفكار التي يعتنقها والتي لم نكن نسمع عنها من قبل؟!!

لقد ظلت تلك الأسئلة عن هذه الأفكار فترة طويلة تقتحمني بعد لقائي قادة الفنية العسكرية والتكفير والهجرة وكان لا بد أن أبحث عن حل وأجيب عن أسئلة كثيرة، وبحثت عن إنسان يجيب عن هذه الأسئلة وكان الجواب الذي يتكرر دائمًا هو أن علينا أن نقرأ أبحاث الجماعة، وقرأت الأبحاث وظللت أقرأ الأبحاث حتى دخلت السجن وعرفت الحقيقة.

وفي المعسكر ذاته ومعسكرات الجماعة الأخرى كان التركيز على تدريس هذه الأبحاث... والحقيقة الهامة أن قادة الجماعة مع تلاميذهم بعد ذلك قد اعتمدوا على التثقيف الذاتي والتعلم الشخصي وهذا ما سبب أخطاءً فادحة في استنباط الأدلة والفهم الخاطئ للواقع والظروف المحيطة واستخدام الأدلة الشرعية.

كان ابن تيمية وتلميذه ابن القيم يحتلان أهمية خاصة، وأصبحت شخصية ابن تيمية مع سيد قطب محورًا لجميع الأفكار خصوصًا في اللقاءات وخطب الجمعة حول الانفصال عن الحضارة الغربية والنزعة الثورية وجاهلية المجتمع ومفهوم الحاكمية.

ويمثل كتاب **الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام فرج** الأيدلوجية الحقيقية للجماعة قبل أن تصبح لها أبحاث ومؤلفات، والحقيقة أننا لم نر هذا الكتاب مطلقًا ولكننا كنا نسمع أن عبد السلام تكلم فيه عن مبدأ إغفال الجهاد بالرغم من أهميته القصوى وخطورته العظمى على مستقبل الأمة والدين، ويصوغ فرج الأفكار ويحدد موقعه من الواقع وهو الدار ويقول إن مصر دار كفر استرشادًا بفتوى لابن تيمية في الفتاوى الكبرى، ويقول بالخروج على الطائفة التي امتنعت عن الشريعة الإسلامية، والإستراتيجية تتحدد وفق ذلك بمعيارين هما تحديد العدو القريب والعدو البعيد وبأن القتال فرض، يقول فرج **[بأن هناك من يقول بأن ميدان الجهاد اليوم هو تحرير القدس كأرض مقدسة والحقيقة أن تحرير الأراضي المقدسة أمر شرعي واجب على كل مسلم ولكن يجب توضيح أن قتال العدو القريب أولى من قتال العدو البعيد]** وهو يقصد بالطبع بالعدو القريب حكام المسلمين.

www.ibtesama.com

لقد كان كتاب الفريضة الغائبة وكتابات سيد قطب هما الأساس للتبرير الفقهي لكل الأعمال التي قامت بها الجماعة بعد ذلك.

أبحاث الجماعة وأفكارها مكتوبة بخط إليد في سجن ليمان طرة حيث استمرت محاكمة قيادات الجماعة ثلاث سنوات كاملة ثم صدرت الأحكام بالأشغال الشاقة المؤبدة على معظم قيادات الجماعة البارزة مثل كرم زهدي وعاصم عبد الماجد وعصام دربالة وعلي الشريف.

يقول عصام دربالة في أحد لقاءاته بنا في السجون إنهم كانوا يتوقعون الحكم بالإعدام ولذا كانوا حينما يذهبون إلى نيابة أمن الدولة في أثناء التحقيقات كانوا يملون على كاتب النيابة كتاب ميثاق العمل الإسلامي في ردهم على السؤال حول أهم أفكارهم وكان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لكتابة هذا الكتاب في هذا الوقت.

وتقدمت الجماعة بعد الحكم على قيادتها بالسجن بعدة أبحاث أهمها:

*** ميثاق العمل الإسلامي.**

*** أصناف الحكام وأحكامهم.**

*** بحث قتال الطائفة الممتنعة عن شرائع الإسلام.**

*** حتمية المواجهة.**

*** مرافعة الدكتور عمر في المحكمة التي نشرت في كتاب كلمة حق.**

ويتناول كتاب ميثاق العمل الإسلامي بنود الجماعة التسعة وهي الغاية والهدف والطريق والعقيدة والفهم والزاد والعداء والولاء والاجتماع وهذا الكتاب يلخص أفكار الجماعة وأهدافها وأسلوب حركتها ويعطي صورة عن ملامحها.

ويناقش أصناف الحكام قضية الحاكمية ويقسم الحكام إلى حاكم مسلم وهو الذي يحكم بالشريعة وحاكم ظالم فاسق وآخر كافر كفر أصلي وحاكم مستبدل وهو حاكم مسلم طرأ عليه الكفر لاستبداله أحكام الشريعة بالقوانين الوضعية.

وأما بحث الطائفة فهو البحث الأهم الذي يناقش حكم الجهاد ويوجب قتال أي طائفة تمتنع بالقوة عن منع شريعة واحدة كالصلاة والزكاة والحدود مثلًا من شرائع الإسلام وهو مبحث مبني على كلام ابن تيمية ويدور حول إثبات أن الطائفة الحاكمة في مصر طائفة ممتنعة عن الشريعة ووجوب الخروج عليها.

www.ibtesama.com

وتوالت أبحاث الجماعة وكان أهمها بحث وجوب العمل الجماعي الذي يقوم على القاعدة الشرعية التي تقول إن ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب وإن الدعوة لا تتم بالعمل الفردي على أكمل وجه ومن هنا وجب العمل الجماعي الذي لا بد منه لقتال الطائفة والخروج على الحكام.

ولأن الدعوة واجبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وقتال الطائفة واجب والخروج على الحكام واجب فإن الجماعة واجبة لأن هذه الأعمال لن تتم إلا من خلال جماعة، ولكن الوجوب لا يتم على جماعة معينة بل على الإنسان أن يختار الجماعة القريبة للحق.

وهناك رسالة كبيرة من تأليف عصام دربالة وهي الحركة الإسلامية والعمل الحزبي وهذه الرسالة تحرم سلوك الحركة الإسلامية التي تنتهج العمل الحزبي ودخول الانتخابات وسيلة للوصول إلى الحكم وتطبيق الشريعة وتستعرض الرسالة تجربة الأحزاب المصرية وسمات الوضع السياسي المصري ودراسة الحركة الإسلامية مع التجارب البرلمانية في تركيا وأندونيسيا وغيرهما ثم ينتهي إلى الحكم الشرعي وهو التحريم مؤسسًا على أمرين هما:

*** أن المشاركة في المجالس النيابية نوع من الشرك لأن حق التشريع لله وحده.**

*** أن دخول هذه القنوات فيه إهدار لمفاهيم إسلامية عظيمة (الحاكمية والموالاة والجهاد) وفيه إضفاء صفة إسلامية على وضع غير شرعي.**

وهناك الرسالة الهامة وهي العذر بالجهل ورسالة الموالاة وهي رد على جماعة التكفير والهجرة حيث منعت الرسالة الأولى تكفير المسلم بارتكابه الكفر لاحتمال أن يكون جاهلًا ومن ثم لا يحكم بكفره إلا بعد قيام الحجة التي يكفر جاحدها وتمثل هذه القاعدة قيدًا كبيرًا على عملية التكفير.

وأما الرسالة الثانية التي سميت الرسالة الليمانية في الموالاة نسبة إلى ليمان طرة الذي خرجت منه الرسالة وتقليدًا لرسائل ابن تيمية وابن القيم فقد قسمت الموالاة للكافرين إلى ظاهرة ولايخرج صاحبها من الإسلام وباطنة تخرج صاحبها من الإسلام... وهذا التقسيم يمنع إطلاق الكفر على الموالين للكفار بمجرد عمل ظاهر، إذ لا بد من إثبات الجانب القلبي فالرجل الذي يتجسس على المسلمين للكفار وهو يبغض الكفار لايكفر لأنها موالاة ظاهرية.

www.ibtesama.com

ويمثل الكتيب الصغير (حتمية المواجهة) فعالية كبيرة لدى أفكارنا في هذه الفترة وهو الكتيب الذي قام بجمعه كرم زهدي كما يقال، غير أنه من المعروف أن في الجماعة لجنة شرعية تقوم بإقرار الكتب والأبحاث التي تعبر عن أيدلوجية الجماعة وغالبًا ما تكون هذه الكتيبات من تأليف وجمع قادتها في ليمان طرة وشذ عن هذه القاعدة عبد الآخر حماد عضو مجلس شورى الجماعة بأسيوط وإمام مسجد السلام وطلعت ياسين صاحب بحث التربية والبناء.

وقد قامت الجماعة بتوزيع أربعة آلاف نسخة من حتمية المواجهة وفي هذا دليل دامغ على أنها كانت تؤكد على أنها ستواجه النظام وعلى فلسفتها في المواجهة وقد قامت جماعة الجهاد بنشر رسالة مشابهة تقريبًا عنوانها فلسفة المواجهة.

وتعتبر هذه الكتيبات والأبحاث أهم المؤلفات والأفكار التي صاغت تصرفاتنا وطريقنا نحن مع الجماعة.

كنا نعلن دائمًا أننا من يبتغون رضا المولى سبحانه الذي هو أسمى من كل شيء، وأننا الذين يفهمون الإسلام فهمًا شاملًا بأنه سيف ومصحف، صلاة وجهاد، علم وعبادة وأن المسلمين الآن قد قصروا في حق الدين والشرع الذي غيب عن حكم الناس ولذا فلا بد أن يكون الهدف الأسمى هو تعبيد الناس لربهم وإقامة خلافة إسلامية على نهج النبوة والطريق إلى ذلك لا يكون إلا من خلال جماعة ملتزمة بالشرع الحنيف تأبى المداهنة والركون وتستوعب ماسبقها من تجارب وتكون وسائلها في ذلك هي الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

وهكذا أنتجت الجماعة شبابًا لا يخشون شيئًا ولا يريدون سوى الموت وهم يغيرون المنكرات أو يجاهدون في سبيل تطبيق الشريعة الغائبة.

وتبين هذا الخطر أمام الغرب الذي رآنا كبديل مرعب يهدد الحضارة الغربية كما تبين خطر الجماعة أمام النظام المصري تحديدًا! حيث كانت هناك أفكار تختمر شيئًا فشيئًا بحيث لا تصبح مصر هي الهدف الوحيد أمامنا على وجه الخصوص بل تتسع دائرة الأعداء لتشمل عدوًا تقليديًا، ونؤجل المواجهة معه حتى نفرغ من العدو القريب وهو النظام الحاكم في مصر ويتمثل العدو البعيد في الولايات المتحدة والغرب أو أي قوة عظمى ستناهض الإسلام.

ورأى النظام المصري أن الحل الأمني هو السبيل الوحيد لعلاج تلك الحالة وفي

www.ibtesama.com

المقابل رأت فصائل الحركة الجهادية وأهمها الجماعة أن المواجهة والقتال هما الطريق الوحيد لتحقيق الهدف المنشود، وصارت هناك حالة دائمة من سوء التقدير، انقلاب حيث تجب الحكمة وانبطاح حيث الحركة فخبا الهدف بين الضجيج وذاب الطريق تحت الزحام في الوقت الذي دانت فيه الخريطة الدولية لأمريكا وزاد السخط على سياسات القوى العظمى وكان هناك أمل في ترويض النظام العالمي الدولي ولكنّنا اخترنا المواجهة.

بالفعل وصلت تلك المواجهات إلى منتهاها فترة الثمانينيات والتسعينيات وكنا نحن في مدينتا الصغيرة وقود هذه المواجهات.

*** 

## ميثاق العمل الإسلامي

هو الأسس والأصول الشرعية التي ما غابت عن الجماعة في السنين الأولى وهذه الأسس ليست مستحدثة ولامبتدعة بل هي مسلمات ثابتة لا يسع أي مسلم تجاهلها ولذا فهي تعميمات كثيرة كانت تحتاج إلى شروح فبعضها شرح والبعض الآخر لم يشرح.

أنا أعتبر هذا الكتاب هو نصيحة لأبناء الجماعة فترة التسعينيات وتوضيحًا لمعالم الطريق وتحديدًا لغايته وبيانًا لكيفية السير على دربه وتنبيهًا لمحاولة الالتقاء في تجمعٍ واحد ولكنه كان يحتاج إلى مراجعات كثيرة يمكن أن تأتي فيما بعد.

يقول مؤلفو الكتاب في مقدمته:

**- كان من فضل الله علينا أننا عشنا الصحوة الإسلامية المباركة التي قادها الشباب في السبعينيات... عشناها لحظة بلحظة وخطوة بخطوة... عشنا مع الشباب المسلم الطاهر هذه الفترة بأكملها... عشنا معه في جهاده ودعوته.**

كان من فضل الله علينا أننا خضنا مع الطليعة المقاتلة المواجهة التي تمت بين الصحوة الإسلامية والمارد الجاهلي... رأينا السوط يزيد الحق رسوخًا في النفس المؤمنة... رأينا القيد المضروب على الذي يمنح القلب عزمًا من حديد.

عشنا كل هذه الأيام حتى صارت الصحوة الإسلامية جزءًا من نبضنا فأردنا أن نسجل لهذه الصحوة الإسلامية كلمات لنذكر هذا الجيل بعهده وبطريقه حتى لا ينسى

www.ibtesama.com

يومًا ، فكانت بنود الميثاق التي نوقشت مع الدكتور عمر حتى استقرت على الصورة التي عليها الآن ثم كلفنا فضيلة الشيخ بالإسراع في إخراج شرحٍ لها على أن ننتهي منه قبل الجلسة الأخيرة للمحكمة التي كنا نتوقع أن نذهب بعدها حيث ذهب خالد ورفاقه[1].

بالفعل تم الانتهاء من كتابة الشرح قبل الجلسة الأخيرة بيوم واحد وبالفعل أثناء عملية النسخ والنقل حدث كثير من الأخطاء الشديدة، وكان هذا الميثاق هو خلاصة التجربة التي عاشها قادة الجماعة وفي ضوء المواجهة التي خاضوا غمارها في أكتوبر عام 81، ولك أن تتصور القلم حينما يكتب وهو ينتظر المقصلة أو حكم الإعدام.

## كيف ستكون الأسطر؟!

في الباب الأول غايتنا وهي رضا المولى بتجريد الإخلاص له وتحقيق المتابع لنبيه قال الميثاق إن رضا الله أسمى من أي غاية حتى الجنة وغاية تتضافر بل تتلاشى كل الغايات وأمام رضا الله لا تستوي أي غاية وعلى هذا لا يطيق المسلم أن يخرج عن أوامر ربه ولكن مسلمة اليوم ضل أكثرهم في اختيار غايته.

الساعي لرضا الله يلزمه الإخلاص لله بتجريد القصد ومتابعة النبي وهذه الغاية التي ينبغي لأتباع الجماعة ألا يدخروا وسعًا في العمل لها حتى لو أصبحوا غرباء في الدنيا فأنى لغريب أو عابر سبيل أن يلتفت قلبه إلى غير موطنه وداره وهي جنات عدن.

عقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح جملة وتفصيلًا فإلحاح العمل الصالح على الاقتران بالإيمان في القرآن وملازمته له يشير بوضوح إلى أن العمل الصالح لا بد أن يقترن بالعقيدة والعقيدة يقين يستقر في القلب استقرار الجبال وللعقيدة أثر مادي لا بد من ظهوره على صاحبه ليبرهن على صدق الإيمان، ويتحدث الميثاق عن رهبان الليل وفرسان النهار ونور الطاعة وصدق التوبة وبيع النفس والمال والمسلمين يوم بدر ووقفات الصحابة مع الرسول في جهاده وهذه هي صفحة الماضي وإنه ليشق أن نتركها ونطويها كما يقول الميثاق، ونعود إلى الواقع المرير حيث نحيا مع حكام موالين موالاة صريحة للشرق والغرب، وفي المقابل تعود الخوارج وهم جماعات التكفير للظهور والعلمانية ذاك الدين الجديد وهذه هي صفحة الحاضر بظلامها وأما عقيدتنا الخالدة فهي التي تجعل

(1) من مقدمة الميثاق الذي كتبه ناجح ابراهيم، عصام دربالة، عاصم عبد الماجد عام 85، غير مطبوع.

www.ibtesama.com

الأمر كله لله وترد التنازع لله ورسوله وتوحد الفهم وتقضي على التعصب. . . إنها عقيدة تزرع في قلوب أصحابها الشوق إلى الله فيستعذبون في سبيل ذلك كل صعب، ويركبون كل وعر.

يقول كتَاب الميثاق في البند الثالث: فهمنا الإسلام بشموله كما فهمه علماء الأمة الثقات المتبعون لسنة النبي وسنة خلفائه أجمعين وكنا نود أن يكون إطلاق وصف مسلم كافيًا في حد ذاته على كيفية فهم صاحب دين لدينه ولكننا وجدنا أنفسنا مضطرين لإفراد بند في الميثاق للحديث عن فهمنا، وما ألجأنا أن الناس في هذا الزمان تغير فهمهم للإسلام مما يجبرك على تحديد أي إسلام هذا الذي تتحدث عنه فلقد صار من الطبيعي أن تسمع عن مسلم اشتراكي وآخر رأسمالي ومسلم تقدمي. . . إلخ، وضاعت صبغة الإسلام التي أرادها الله وسط زحام الأباطيل والحرب الفكرية التي بدأتها قريش يوم قالت عن النبي ساحر أو مجنون.

يكمل الميثاق ناقدًا كل الجماعات الإسلامية على الساحة فهذا لا يرى الدين إلا عبادات وشعائر وآخر لا يحدثك إلا عن تنقية الاعتقاد، وثالث لا يراه إلا تمسكًا بالهدي الظاهر للنبي، وأما هديه في القتال فإن بينه وبينه بعد المشرقين وخامس لا يعرف عن الإسلام إلا القتال متناسيًا إعداد الرجال الذين يصلحون.

والإسلام مصحف وسيف وعلم وعبادة وعقيدة وشريعة وأمر بمعروف ودعوة وجهاد للنفس والكافرين ونحن في حاجة إلى هذا كله مرة واحدة فليعرف الجميع أن الإسلام ليس نظرية جامدة لا إدراك لها للواقع الذي يحيط به بل هو دين يعرف جيدًا ما يفعله، وكيف يدير معركته مع الجاهلية، أما من ارتضى غير ذلك فقد ضل سواء السبيل.

وأما في هدفنا فكتبوا في الميثاق يقولون:

**- وإقامة الدين تمتد لتشمل الحياة كلها ولن تتحقق إقامة الدين بهذا المعنى الواسع الشامل إلا إذا تحقق أمران وهما تعبيد الناس لربهم وإقامة خلافة إسلامية.**

يقولون إن هدفنا هو أن نعيد هذه الفلول الآبقة الشاردة إلى الدين وحيث إن تحقيق ذلك يقتضي أن يكون النظام السياسي الحاكم المهيمن نظامًا معبدًا هو الآخر لله وحيث أن ترك الناس يحيون في ظل نظام غير إسلامي يعني أنهم لن يتحاكموا إلى هذا الدين ولن يستطيعوا إقامة دينهم إقامة تامة فعلينا أن نسعى بكل السبل التي جاءت بها شرعتنا لنحقق أهدافنا.

www.ibtesama.com

العلمانية دين جديد أريد به أن يحل محل الإسلام، حيث صورت لنا الدولة على أنها مقاسمة للدين تأخذ هي الحكم والقيادة ويقبع هو في المحراب[1].

يقول المؤلفون في الميثاق إن حكم هذه الأنظمة والحكومات واضح وصريح أنها كافرة وجاهلية ساقطة الشرعية لا يجوز لها أن توجد فضلًا على أن تستمر وهذا هو هدفنا الذي علينا أن نقوم لأجله[2].

ويكمل المؤلفون أما عن الخلافة فلا مجال لمقارنتها بأي نظام آخر فالمشرع هو الله وحق التشريع غير ممنوح لأحد بل هو خالص لله وأما الاجتهاد لمعرفة حكم الله في ما يعرض من وقائع فهذا موكول إلى العلماء وخلافتنا الشورى من سماتها وتقيم الإسلام في رعاياها والعدل من صفاتها وهو شرط من شروط الخليفة مثل شرط العلم كي يتمكن من الاجتهاد بالنظر في الأدلة.

وطرق الخلافة تنعقد بثلاثة وهي الاستخلاف بأن يستخلف الخليفة رجلًا بعده أو يستخلف جماعة وبيعة أهل الحل والعقد والاستيلاء أو ما يسمى بإمارة المتغلب، وتفصيل ذلك مبسوط مثل شروط الخليفة السبعة التي ذكرها الماوردي.

وخلافتنا هي الحل لكل مشكلاتنا ولكل ما يعانيه العالم من متناقضات وسوف لا يصدقنا أحد إن قلنا إنها ستعود ولا شك في ذلك، وصدق رسول الله حينما قال ونحن نردد معه (ثم تكون خلافة على منهاج النبوة).

طريقنا هو الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من خلال جماعة منضبطة حركتها بالشرع الحنيف تأبى المداهنة والركون وتستوعب ما سبقها من تجارب.

هذا الطريق هو الذي يجب أن تسلكه الحركة من خلال تعاملها مع الواقع ومن خلال سعينا في ذلك سنجد أن هناك من هو متفق معنا عقيدة وفهمًا وغاية وهدفًا فسنسارع لنمد له يدنا لنعمل معًا في جماعة واحدة كما سنجد من قصروا في معرفة هذا الدين أو بعض شرائعه فتكون الدعوة هي حقهم وسنجد من يترك المعروف أو يأتي المنكر فيكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبًا علينا لرده إلى الصواب، كما أننا سنواجه المعاندين بشتى صنوفهم وعلى اختلاف دياناتهم ومذاهبهم وسيكون الجهاد هو سبيلنا معهم.

---

(1) ناجح إبراهيم، عصام دربالة، عاصم عبد الماجد، **ميثاق العمل الإسلامي**، ص 90، غير منشور.

(2) سنرى أن المؤلفين في الميثاق كانوا متأثرين بكتابات سيد قطب وكانوا يصفون المجتمع دائمًا بالجاهلية مثله بل كانوا يأخذون جملًا كاملة من سيد قطب ويضعونها في كتاباتهم.

www.ibtesama.com

والقضية الهامة التي يذكرها الميثاق في هذا الصدد هي أنه يرفض وبإصرار كل الوسائل الأخرى عدا الوسائل الثلاث السابقة التي تطرحها الجاهلية كما يقولون كأساليب عمل وأدوات تغيير، ويشيرون إلى الانتخابات مثلًا.

زادنا تقوى وعلم... يقين وتوكل... شكر وصبر وإيثار للآخرة وكل تلك هي أمور تربوية يطلب الميثاق من أتباع الحركة العمل بها فهي الزاد الذي سيبلغ الحركة غايتها في سعيها الحثيث إلى الخلافة وحربها مع الجاهلية.

ولاؤنا لله ورسوله وللمؤمنين وعداؤنا للظالمين كما يقول مؤلفو الميثاق إن الله أسقط جميع الولاءات إلا ولاء الله وحده وتساقطت كل الروابط وزالت كل الوشائج وبقي الإيمان هو الذي يجمع هؤلاء أي المؤمنين[1].

أما العداء فهو للظالمين وموالاتهم محرمة وهو مذهب أهل السنة وهذا ينقلنا إلى النقطة الأخيرة وهي أن اجتماعنا لغاية واحدة بعقيدة واحدة تحت راية وحدة فكرية واحدة فالعمل الجماعي واجب ولكن ليس كل اجتماع صالحًا لتحقيق أسباب القوة وعلينا أن نكون أمة وسطًا فهناك اجتماع محمود وآخر مذموم والمحمود هو الذي يكون بين قوم غايتهم واحدة وتحت فهم واحد وعقيدة واحدة وصف يحوي متناقضات سيعجز حتمًا عن التقدم ولو خطوة واحدة ولكن يمكن لنا بالاستعانة بمن خالفنا وفرق بين الاستعانة والاجتماع!!

هذا هو تلخيص لميثاق العمل الإسلامي الذي يقع في 258 صفحة كبيرة كان يمثل الأسس الفكرية والضوابط الشرعية للجماعة الإسلامية وحين قرأت الكتاب أخيرًا بعد مبادرة وقف العنف تيقنت أن القرأة تختلف تمامًا حينما اختلفت النافذة والثقافة... لقد كان يوجد في الميثاق مآخذ جمة ولم يكن تعميمات فقط أصبح لها شرح في أبحاث متعددة بل كان في كل سطر قنبلة متفجرة.

* * *

(1) المصدر السابق ص 243.

www.ibtesama.com

## من أحداث مدينة أسيوط إلى قتل المحجوب

لقد عمل الشباب المؤسسون للجماعة من خلال نشاطاتهم في الأجواء المسموحة على نشر دعوتهم والقضاء على التيار الشيوعي، ومع تعاظم نفوذ «الجماعة الإسلامية الطلابية» تقدمت الخطى نحو السعي إلى تغيير المنكر في أروقة الجامعات والمدن الجامعية، وارتضى رؤساء الجامعات قرارات الجماعة الإسلامية فصل الطلبة عن الطالبات في المدرجات وقاعات المحاضرات وحظر اختلاطهم حتى في الأماكن العامة بالجامعات.

وفي سبيل توسيع دائرة النفوذ أقيمت المعسكرات الإسلامية في العطلات والإجازات الموسمية التي يحاضر فيها نخبة من الدعاة والعلماء تفد من خارج الجامعة، وأصبح شائعًا ومسموحًا حظر إقامة الحفلات الغنائية أو الموسيقية أو عرض الأفلام السينمائية داخل الحرم الجامعي في جميع جامعات الوجه القبلي تحديدًا، وألهبت خطب كرم زهدي التي كان يلقيها في مساجد المنيا أو زوايا الكليات هناك حماسة الطلاب، والتف من حوله قيادات الجماعة الإسلامية وتأثروا به تأثرًا بالغًا.

وبينما تكشفت مساعي «الإخوان المسلمين» للسيطرة على زعماء الحركة الطلابية داخل الجماعة الإسلامية بجامعات مصر بادر زهدي إلى تكريس قيادته عليها في الوجه القبلي، مستعينًا بأفراد من الوجه البحري كان في صدارتهم المهندس محمد عبد السلام فرج صاحب كتاب «الفريضة الغائبة» والمقدم - مخابرات عبود الزمر، وكانت أبرز ملامح اختلاف تيار «الجماعة الإسلامية» بالوجه القبلي عن تلك التي سيطر عليها الإخوان في الوجه البحري هي الثورية ومواجهة الأنظمة بالعنف والقوة.

لم يجد زهدي وإخوانه صعوبة في الحصول على الموافقة على تكوين التنظيم الجديد في الصعيد مستقلًا عن تيار الإخوان المسلمين، واستقى التنظيم فكره من كتب كثيرة أهمها تفسير ابن كثير والعقيدة الطحاوية ومعارج القبول لحافظ بن الحكمي ونيل الأوطار للشوكاني ورياض الصالحين للنووي، وأفكار سيد قطب التي تتمرد على النظام الحاكم في مصر وتسمه بالجاهلية، بالإضافة إلى كتاب «الفريضة الغائبة» لعبد السلام فرج.

أفرز ذلك أهم ملامح ذلك الفكر الذي قامت عليه «الجماعة الإسلامية» في صعيد مصر والتحامها بقيادات الجهاد، إذ قامت على تكفير أنور السادات معتبرة إياه «لا يحكم بما أنزل الله» باعتبار أنه مرتكب للكفر الأكبر وفق تمييزهم بين الكفر والظلم والفسق الأكبر

www.ibtesama.com

الذي يخرج مقترفه من ملة الإسلام، في حين لا يصل إلى ذلك الكفر والظلم والفسق الأصغر الذي يعني ارتكاب المعاصي والآثام بما لا يخرج صاحبه من الملة، كما اعتبرت دعوة فصل الدين عن السياسة تجريدًا للإسلام من روحه ليحوله صورة باهتة بلا حياة.

ولجأ التنظيم الجديد آنذاك لاستمرارية نشاطه إلى كسب الأعضاء الجدد، كما لجأ إلى طرق مختلفة أخرى للتمويل مثل إقامة أسواق خيرية لبيع السلع وبيع الكتب الدراسية والدينية والزي الإسلامي للطالبات.

تطورت الحاجة إلى التمويل، وبناء على فتاوى استحلال أموال النصارى المحاربين، وكانت أولى العمليات القتالية للتنظيم بالاستيلاء على المشغولات الذهبية ببعض محال بيع الذهب التي يملكها نصارى بمدينة نجع حمادي في صعيد مصر والاستيلاء أيضًا على إيراداتها المالية.

وقاد تلك العملية علي الشريف حيث جرى اقتحام محلين للذهب ذات يوم جمعة من العام 1980، وبعد قتل من قتل ونجاة من نجا كانت أول غنيمة غنمتها الجماعة أربعة آلاف جنيه مصري وخمسة كيلوات ونصف كيلو من الذهب.

قاد نبيل المغربي صاحب الفكر الجهادي المشهور وأحد أفراد وجه بحري عملية مماثلة في اقتحام محل ذهب لمالك نصراني في منطقة شبرا الخيمة بالقليوبية.

وفي ضوء تصاعد وتيرة الخلاف بين السادات والتيار الإسلامي في عمومه وإصداره قرارات التحفظ على العديد من قيادات وأعضاء هذا التنظيم جاءت عملية اغتيال السادات في السادس من أكتوبر/تشرين الأول 1981 منطلقًا من تلك القناعات أو المعتقدات السالف بيانها، ورغم أن خالد الإسلامبولي اتخذ قرار التخلص من السادات منفردًا بعد اعتقال شقيقه محمد شوقي فقد عرض قراره على محمد عبد السلام فرج الذي كانت تربطه به علاقة والذي دعا على الفور مجلس الشورى لبحث الأمر.

في منزل «عبد الحميد عبد السلام» بضاحية عين شمس شرق القاهرة بسط الإسلامبولي خطته وطالبهم بتوفير الأفراد المعاونين له لإتمام خطته، وتعهد فرج بتوفيرهم، كما طالب مجموعة قبلي بزعامة زهدي إمداده بقنابل أربع كانت في حوزتهم إلا أنهم لم يرسلوها إليه ولكن الذي أحضر طلقات الرصاص التي قتل بها السادات كان أسامة حافظ وفقًا لتصريحه لنا ونحن في فرق أمن الوادي الجديد في إحدى الإفراجات القضائية.

وبعد نجاح خالد وإخوانه عبد الحميد عبد السلام وعطا طايل حميدة وحسين عباس ومن ورائهم عبد السلام فرج مخططًا ومعاونًا ومعدًا في اغتيال السادات، اجتمع على

www.ibtesama.com

النفور في أحد أحياء أسيوط مجلس شورى الوجه القبلي بزعامة كرم زهدي، حيث اتفقوا على مواصلة العمل الجهادي الرامي إلى قلب نظام الحكم باستهداف خمسة أهداف للأمن في أسيوط هي مديرية الأمن هناك وقسم ثان والدورية اللاسلكية ومباحث أمن الدولة والمباحث الجنائية ونقطة شرطة إبراهيم، ثم الزحف بعد ذلك إلى محافظات الوجه البحري وتثوير الجماهير.

وكانت ساعة الصفر حيث قاد العملية علي الشريف وعاصم عبد الماجد، وتم اقتحام مديرية الأمن وقتل فيها عدد كبير من الضباط والجنود وتم فتح النار أيضًا على بعض سيارات الأمن المركزي التي كانت تحمل الجنود في الميادين والشوارع العامة بأسيوط، كما تم اقتحام نقطة شرطة إبراهيم، فأصيب عصام دربالة لأنه كان يمسك في يده قنبلة يدوية فرأى بعض إخوانه أمامه وبعض الناس في النواحي الأخرى ففدى الجميع وظل ممسكًا بها مما أدى إلى بتر يده اليمنى، وأما علي الشريف فأصيب في بطنه إصابات شديدة أدت إلى فشل المخطط والقبض عليهم أحياء ومعهم كرم زهدي الذي كان مصابًا أصلًا في هذه الأثناء بكسر في إحدى رجليه وتم ترحيلهم في طائرة خاصة إلى القاهرة بصحبة وزير الداخلية آنذاك اللواء النبوي إسماعيل.

وقد بدأت أحداث مدينة أسيوط في حوالى الساعة 3 صباحًا يوم 8/ 10/ 1981 حيث كانت دورية مرور ليلية تقوم بعملها المعتاد بمدينة أسيوط في عيد الأضحى وقد ضبطت هذه الدورية ثلاثة رجال كانوا ضمن مجموعة تركب سيارة ربع نقل حيث اشتبهت الدورية بأنهم من أتباع الجماعات الإسلامية واقتيد هؤلاء الرجال الثلاثة إلى قسم ثان أسيوط وأودع الثلاثة حجز القسم بدون مناقشتهم ومعرفة هويتهم أو حتى بدون معرفة أسمائهم وبعد حوالى ساعة قام أحدهم بالطرق بشدة على باب غرفة الحجز من الداخل يصرخ بصوت عال ليحاول أن يبلغ عما سيحدث ولكن أحدًا لم يستمع إليه.

قبل موعد الصلاة بنصف ساعة انتشرت قوات الأمن وتفرقت على مساجد أسيوط لتحرسها بلا سلاح، حتى لا تستفز المصلين، وخلت مديرية الأمن من ضباطها وجنودها وفي الساعة السادسة صباحًا وقفت سيارة بيجو - 404 لونها الأصلي أبيض تم طليها طليًا رديئًا باللون الأزرق ورقم لوحتها 12600 ملاكي القاهرة مكتوبة باليد، وسيارة أخرى فيات - 125 جديدة تحمل الرقم 1172 - ملاكي سوهاج أمام مبنى مديرية الأمن ونزل من السيارتين ثمانية أفراد مسلحين وفتحوا نيران أسلحتهم الآلية على جنود الحراسة ولم تتح لهم الرد بإطلاق النار من المفاجأة وسقط الملازم أول أحمد وحيد عند مدخل

www.ibtesama.com

المديرية ووجدوا العميد شكري رياض مساعد المدير مرتديًا بيجامة في استراحة المديرية فأردوه والرائد حسن الكردي و16 سائقًا و32 خدمة مسلحين بالرشاشات، واتخذ شباب الجماعة المسلحون مواقع فوق سطح المبنى أو استولوا على 30 بندقية سلاح ومدفعين من طراز «برن» - وأخذوا مواقع على سطح المبنى، وفي لحظة الهجوم نفسها كانت هناك سيارت تجوب شوارع المدينة تحمل مجموعات مسلحة وتطلق النار على جنود الحراسة وعلى عجلات وسيارات رجال الشرطة، وفي الوقت نفسه اتجهت مجموعة إلى مبنى مركز شرطة قسم ثان في شرق أسيوط لاحتلاله، كان فيه 174 جنديًا و30 ضابطًا ومجموعة أخرى اتجهت إلى مركز شرطة قسم أول في غرب أسيوط لاحتلاله وكان فيه 112جنديًا، و4 ضباط - وقسم مباحث التموين كان فيه 114 جنديًا و3 ضباط، وبعد أن انتهت مهمتهم هناك انطلقوا إلى مبنى المديرية حيث أصيب عاصم عبدالماجد بثلاثة أعيرة نارية بركبته اليسرى والساق اليمنى فعجز عن الحركة - وتولى القيادة من بعده علي الشريف الذي أصيب بدوره أيضًا بثلاث رصاصات نفذت اثنتان منهما بالجانب الأيسر، وعندما عجز عن الحركة تمامًا تولى القيادة من بعده فؤاد حنفي الذي رأى خطورة الموقف فانسحب من مبنى المديرية وهرب واستولى على سيارة لوري شرطة وتمكن من نقل زملائه المصابين بداخلها.

في التوقيت نفسه خرجت مجموعة أخرى بقيادة ناجح عبدالله مكونة من تسعة أفراد توجهوا مترجلين إلى مباحث التموين وأطلقوا النيران على من في المبنى ثم توجهوا إلى قسم أول أسيوط واستولوا على ما فيه من ذخائر وهناك أصيب عبد الله وبعض زملائه وعندما رأى ناجح أنهم لا يستطيعون المقاومة هرب بواسطة دراجة بخارية أحضرها له أحمد السيد رجب، وفي التوقيت نفسه استقل كرم زهدي وعصام دربالة وغيرهما سيارة فيات 125 وكان السائق خالد حنفي ثم توجهوا إلى منطقة الجمعية الشرعية وانضموا إلى زملائهم، وحاول عصام درباله إلقاء قنبلة فانفجرت به وتناثرت شظاياها في جسده فنقل إلى السيارة وتوجهوا إلى طريق الغنايم قاصدين إلى الجبل وشعرت الشرطة هناك بوجودهم فقبض النقيب أحمد جابر مكارم على كرم زهدي وعصام دربالة.

جرى الانفصال بين الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد في داخل السجن في غضون العام 1983 ولكن الجماعة استمرت في موقفها المتشدد من نظام الحكم في مصر، ففي رسالة نشرتها مجلة المرابطون الناطقة بلسان الجماعة عدد يوليو/تموز 1990 للدكتور

www.ibtesama.com

ناجح إبراهيم «**طالب خلالها بضرورة كشف وتعرية النظام العلماني الحاكم وبيان عدائه للإسلام ومحاربته لأهله وتوضيح أن القنوات الدستورية والسبل القانونية التي تم العمل بها على بعض السذج ليست إلا سرابًا ووهمًا وخداعًا**».

وختم رسالته بأنه لن يرتدع الطغاة عن فتنة المسلمين ولن تتم إزاحتهم عن كراسي الحكم إلا بالقتال، وكان اغتيال الدكتور علاء محيي الدين الناطق الرسمي للجماعة عام1990 دافعًا للجماعة إلى استمرار عمليات الثأر والانتقام ضد رموز النظام المصري.

فبادرت إلى اغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب آنذاك، وقال ممدوح علي يوسف أحد أبرز قيادات الجماعة والمتهم الأول في قضية اغتيال المحجوب في كلمة له بقاعة المحكمة في أولى جلساتها في يونيو/حزيران 1991: «**إن الممارسات الإرهابية لنظام الحكم لن تثني حملة لواء الدعوة الإسلامية عن المضي في طريقهم**».

ودخلت كوادر الجماعة المسلحة في الداخل وقياداتها في الخارج في مواجهة عنيفة بينها وبين الحكومة المصرية في الفترة من العام 1992 حتى العام 1997 حيث أعلن شيوخ الجماعة في الخامس من يوليو/تموز 1997 مبادرتهم السلمية من جانب واحد وبدون قيد أو شرط وقف كل الأعمال المسلحة داخل مصر وخارجها.

* * *

## مخبرون وحرامية ومدّعٍ للنبوة

أعود إلى صلاح هاشم وحكاية تأسيس الجماعة التي رواها في معسكر أسيوط حيث لم يتكلم هاشم عن قتل السادات والأسباب التي دفعتهم لقتله؟! وعن أحداث مدينة أسيوط وعن فشل خطتهم في الوصول إلى الحكم وماهم عازمون عليه في الأيام المقبلة؟! وعن شرعية تلك الأحداث؟

كان لا يهمني كثيرًا في بادئ الأمر الإجابة عن السؤال الأخير ولم أكن أشغل بالي به!!

وكنت أتمنى لو استطعت أن أجلس مع الرجل ليحكي لي عن كل هذا، وكذلك عن بناء الجماعة الذي تميز عن جماعة الإخوان التي أعلنت رسميًا أنها تخلت عن العنف واتخاذه وسيلة للوصول إلى الحكم... فكيف يصل الإخوانيون إذن؟!

www.ibtesama.com

لقد حاولت جماعة الإخوان احتواء الجماعة الإسلامية التي تأسست على يد مجموعة من الشباب منهم أسامة حافظ وصلاح هاشم وناجح إبراهيم وكرم زهدي ووفق رواية أسامة حافظ لنا في أحد اللقاءات أنه استأذن إخوانه للذهاب إلى جماعة الإخوان والتأكد من نياتهم، وأنه عاد ليؤكد لإخوانه على أن الانفصال عن الإخوان هو الأولى.

أصبحت الجماعة الإسلامية منذ ذاك التاريخ ذات طابع سلفي متشدد وكانت تعتبر كتب التراث هي المعين لواسع لفكرها بالإضافة إلى تنظيم الجماعة الهيراركي الذي اعتمد المركزية في إدارته.

**وتتمثل قيادة الجماعة في داخل السجن من:**

**كرم زهدي - ناجح إبراهيم - عبود الزمر - عاصم عبد الماجد - عصام دربالة - فؤاد الدواليبي - علي الشريف.**

**وفي خارج السجن:**

**طلعت فؤاد قاسم - رفاعي طه - طلعت يس - صفوت عبد الغني - محمد مختار - على الديناري - أحمد عبده سليم - عبد الآخر حماد - حسني محمود - أحمد عبد الرحمن وكان يغيب في هذا الوقت صلاح هاشم لعمله في السعودية.**

مجلس شورى الجماعة في المحافظات يتكون من الأمير العام - وأمير لجنة الدعوة - أمير لجنة التربية - أمير المدينة - أمير لجنة الإعلام.

ولجنة الدعوة هي اللجنة المكلفة مهمة الدعوة وإن كان هذا هو الكلام الرسمي، وليس الفعلي الذي كان يحدث على أرض الواقع وهذه اللجنة تتشكل من لجنة مكلفة دعوة الفئات وأخرى بمهمة الإعداد للحفلات واللقاءات وصلاة الجمعة والأعياد ومجموعة أخرى للدعوة الفردية للشباب.

أما لجنة التربية فكان لا يقوم بها غالبًا سوى فرد تراه الجماعة مؤهلًا لمهمة تربية أفراد الجماعة ويقوم بالتربية الإيمانية ومراقبة الإخوة على أداء النوافل وقيام الليل وإعداد الأفراد بالمنهج الإيماني الجهادي.

وأما أمير المدينة فكان هو المشرف على كل مايقام من أعمال داخل المدينة وتتبعه بالطبع المجموعات الإعلامية والدعوية التابعة لمسؤولي اللجان الإداريين كما تتبعه اللجنة الاجتماعية التي تقوم بجمع التبرعات وحل مشاكل الجماهير وهي اللجنة الهامة

www.ibtesama.com

التي قامت بأعمال كبيرة بعد فترة الثمانينيات والأهم هو مسؤول المدارس الثانوية الذي يقوم بأعمال الدعوة في المدارس ويشرف عليه مسؤول المدينة.

أما لجنة الإعلام فهي التي تقوم بعمل المعارض والمجلات والإعداد للحفلات والأفراح والمؤتمرات والمنشورات.

بعد المحاضرة كانت المفاجأة لي هي طابور المعسكر الذي سار في شارع المدارس بجوار المسجد يضرب الأرض بقوة ويشرخها.

**جند الإسلام الله أكبر أقسمنا يمينًا لن نقهر**

**وكتاب الله بأيدينا نقتحم اليابس والأخضر**

توجهت الناس في الشوارع بحواسها كلها ناحيتنا وطافت ببصرها تتوغل في هذا الطابور الذي يمسك أفراده العصي والسيوف الخشبية ويضعون شارات فلسطين فوق رؤوسهم.

من الوهلة الأولى كنا نمتلئ نحن إعجابًا بهذه الحماسة والقوة حتى نسينا فصول التقوية والدروس والأعمال الاجتماعية.

وأخيرًا توقف الطابور أمام باب المسجد وراح شاب يهتف بنا قائلًا:

**«جماعة إسلامية صفه».**

فيجيب الطابور بصوت واحد

**«إسلام»**

فيهتف

**«جماعة إسلامية انتباه»**

فنقول

**«قوة»**

لم يبق لطابور عسكري أن يكتمل سوى ملابس عسكرية بدلًا من الملابس المختلفة والمتنوعة كاختلاف الأجساد والوجوه.

بعد الطابور كان برنامج المعسكر كالتالي:

- الساعة التاسعة إفطار جماعي.
- التاسعة والنصف حلقة علمية عن أصناف الحكام وأحكامهم.

www.ibtesama.com

**- الحادية عشرة شرح بحث العذر بالجهل.**

**- الثانية عشرة إلا ربعًا الاستعداد للصلاة.**

**- بعد الصلاة مجموعة من الأحاديث النبوية.**

**- الساعة الواحدة قيلولة إجبارية إلى صلاة العصر.**

**- الرابعة والنصف بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

**- الخامسة والنصف أذكار المساء وصلاة المغرب.**

**- بعد الصلاة وجبة العشاء.**

**- السابعة والنصف روضة ترفيهية.**

**- العاشرة نوم إجباري حتى قيام الليل وصلاة الفجر.**

كانت أغلب حلقات المعسكر تلخيصًا لأبحاث الجماعة ولكنني أعتقد أن موضوعًا واحدًا لم يستكمل شرحه بل كانت دروسًا تثير في نفسي عدة تساؤلات لا أجد لها إجابة سوى في أبحاث غير مطبوعة لا يتم الحصول عليها بسهولة.

كل شيء في المعسكر يبدو منظمًا من الوهلة الأولى ويوحي الشاب الذي كان يقود الطابور أنه هو الأمير لأننا رأيناه يعاقب أحد المشايخ ويجعله يقوم ويقعد أكثر من عشر مرات. . . المسجد كله يلتف ليشاهد المنظر ويمتلئ إعجابًا، أتعرفون لماذا؟ لأن الذي يعاقب هو أمير الجماعة بأسيوط أحمد عبده سليم والشاب الآخر إنما هو أحد الأفراد المسؤولين عن المعسكر ولكنه نظام الإسلام.

لم ننس هذه الصورة وهكذا بدت الجماعة جذابة رائقة في عيوننا والمهم أن هذا هو الشيء الذي تغشانا يومئذ.

في الإفطار الجماعي كان الطعام لا يغني ولا يسمن من جوع وكان عبارة عن نصف طبق من الفول وقطعة من الجبن لخمسة عشر فردًا قال لنا أحدهم إنها التربية الجهادية، وقام آخر بتقطيع أرغفة العيش لقيمات صغيرة وقال إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو جمعوا طعام عيالهم ثم قسموه بينهم بالسوية.

قال الشاب:

**- كبروا كبروا**

- الله أكبر

www.ibtesama.com

- **لا يا أخي كبروا أي إن كبيرنا هو الذي يبدأ بالأكل فهذا من السنة.**

كانت الحلقة التي في آخر اليوم والتي تسمى الروضة تنسينا أي شيء... لها برنامج خاص يكون فيه النكات والمواقف الطريفة والأناشيد الحماسية والشعر، وكان الموجودون يطلبون دائمًا نشيد الملحمة وهو نشيد من تأليف أحد المشايخ المحكوم عليهم في قضية اغتيال السادات، يقول النشيد:

**قلنا قوموا نطهر بينا الفساد اضـــرب يـــا زهـــدي اضـــرب**

يهتف المسجد كله:

**«اضرب»**

كنا نهتف ولا نعرف من هو زهدي فقالوا لنا:

**«إنه أحد مشايخ الليمان وأحد الذين خططوا لقتل السادات، إنه من مواليد المنيا، كان يمر من شارع الحسيني فتغلق محال الخمور أبوابها».**

**«ناظر المفتي وصوفي أبو طالب رئيس مجلس الشعب في موضوع تطبيق الشريعة وأقام الحجة عليهم وكمان ناظر الشيخ كشك».**

**«وناقش الشيخ كشك ليه؟!»**

**«لأنه بيجيب أحاديث ضعيفة في الخطب والدروس».**

اهتز الشارع من حولنا ليس من النشيد، ولكن من قوات الأمن التي وصلت وأطفأت الأنوار، وجاء قائد القوات ووقف على الباب ليطلب منا الخروج بهدوء ويقول:

**«كفاية بقى الناس اشتكت من صوتكم».**

لا أعرف السبب الذي جعلني أمقت قوات الأمن... لا أستطيع أن أصف كيف ملأني ذلك بالحقد عليهم، وكيف ملأني بالإحساس بالذات... نابليون هو وحده الذي اقتحم الأزهر وهم الآن أيضًا يقتحمون المساجد ويحاصرونها!!

وهتف أمير المعسكر وسلمنا عصيًا وجنازير وألقى بالحجارة أمام المسجد، وأنا أجزم أنه لا يعرفني بعد، وامتلأت الشوارع بالناس الذين يرقبون ما يجري ونحن نقف أمام القوات بتحدٍ واضح ولم نخرج من المسجد.

**ماذا يراودنا؟ وأين سيذهب الشيخ الكبير والشاب المشلول؟** لقد خطر لي ذلك وخطر لي أن ماحدث كان أداة أخرى لتعبئتنا ضد الحكومة ونحن نهرب من الباب الخلفي.

www.ibtesama.com

هل كانت الحكومة مخططئة وهي تواجه عروض الجماعة العسكرية في شوارع المدينة؟!!

لقد كان ما نفعله يمثل استفزازًا كبيرًا حيث كان اهتمامنا الكبير قد انصب على الشكل التعبوي وهذا الصراع بيننا وبين الأجهزة الأمنية التي تبحث عنا بسبب المعسكر وما جرى فيه.

لقد غرقنا في أحلام البطولة وفي أننا لم نفعل شيئًا نحاسب عليه بل إننا نفعل كل ما هو مناط بنا، وكل ما تطلبه الدعوة الإسلامية منا رغم أن ما جرى أوقف الدعوة أيامًا طويلة، ولكننا كنا مقتنعين بأن النتائج على الله، فقد قتل أصحاب الأخدود وبقي الدين وظهر بسبب تضحيتهم، ولم نكن نستطيع أن نتوقف لحظات مع أنفسنا لكي ننظر خلفنا وإلى الجوانب الروحية التي تربينا على معاني الفضيلة وكذلك الاستزادة من العلم لكي يكون لنا نبراسًا يوقفنا بعيدًا عن الزلل.

أصبح كل ما في داخلنا أن هؤلاء الشباب لم يفعلوا شيئًا يستحق أن يحاصر مسجدهم بسببه وأننا أصبحنا منهم شيئًا واحدًا لأننا كنا معهم.

تعودنا من ليلة المعسكر أن نبيت خارج بيوتنا والسبب أنه أوحي لنا أننا من أول يوم دخلنا مسجد الجماعة أصبحنا معروفين لدى أمن الدولة وأننا سيقبض علينا ونعتقل بسهولة وكان الكثير من الشباب يبيتون معنا ومن هنا بدأ ارتباطنا القوي، الكثير منا لم يتعد العشرين عامًا... وجد نفسه غريبًا بإرادته هاربًا يبيت خارج البيت فيعيش ليله في مكان ونهاره يعود إلى البيت... الحياة أشبه بمغامرة لذيذة فيها مفردات الحذر والقلق والريبة... نسير في شوارع بلدنا ننظر خلفنا خوفًا من سيارة شرطة أو مخبر يستوقفنا، لاشك أنها حياة خاصة وحالة فريدة مليئة بالإثارة حتى أننا كنا ننكر على شباب جماعة الإخوان أنهم يبيتون في بيوتهم!!

أصبحنا أمام جيراننا أبطالًا، فشاب صغير يهتم بأمره العشرات من الجنود والضباط ويطارد ويسأل عنه يوميًا، وعندما نعود في الصباح يحكي لنا أهلنا وجيراننا أن الشارع كان مليئًا بالجنود ليلًا وكان أشبه بثكنة عسكرية.

لقد أضفى علينا ما يحدث مسحة من إجلال وتقدير واحترام حتى أن الشباب الذين يكبروننا سنًا كانوا يشعرون أننا نختلف عنهم في شيء أكبر من حجمهم فأصبحوا لا ينادوننا إلا بكلمة شيخ أو مولانا.

www.ibtesama.com

تداخلنا هيبة وضخامة واستعلاء بأننا نفعل أشياء لا يستطيع أن يفعلها غيرنا والذين ينظرون إلينا هكذا ليسوا مخطئين، إن كل ذلك أعطانا أشياءً تلبي رغباتنا الداخلية من التميز والانفراد وفعل الغريب القوي المثير حتى أصبحت هذه الثقة لا يحدها حدود وأصبحت كلمات الكبار نصوصًا وآيات لا تحتمل الخطأ ولا تراجع أو تناقش.

لا نعرف من الذي أرشد عن مكاننا حتى فوجئنا بالقوات تحاصر المكان، ولا نعرف كذلك كيف قفزنا من الدور الثاني وكنا حوالى سبعة أفراد، جرينا من الشوارع المجاورة الملتوية، مخبر واحد ما زلت أذكر ملامحه هو الوحيد الذي صمم أن يتبعنا ويواصل الجري وراءنا، كادت قدماه تلاصقان أقدامنا، لم يبق في مواجهتنا سوى حارة ضيقة، دخلناها وكانت الحارة مسدودة فأدركنا أن لا محالة سيتم القبض أقلُّه على أحدنا، نظر إلينا المخبر قائلًا:

**«والله يا بني نقدر نمسككم ولكن هنسيبكم علشان أهلكم... يابني سيبكم من اللي بتعملوه وخلوا بالكم من مذاكرتكم».**

بعد يوم أو يومين كان لقاء «الثلاثاء» بالمنيا وكان لقاءً أسبوعيًا يحاضر فيه أحد الدعاة من الجماعة، ذهبنا قبل صلاة المغرب ووقفنا أمام المسجد... كان كل شيء تحت أعين الأجهزة الأمنية التي ترقب المخارج والمداخل، فوجئنا بشاب من مدينة دمياط (م. ب) عرفته جيدًا بعد ذلك وكان طالبًا في جامعة المنيا يجري ويستغيث من المخبرين الذين يجرون وراءه وينادي:

**«الحقني يا شيخ علي عبد الفتاح»**

هب البعض لنجدته... عاد المخبرون أدراجهم إلى الوراء... لحق الإخوة بأحدهم... إنه المخبر نفسه... لم يتركوه حتى يخلصوا الأخ... ضربه أحدهم بمطواة قرن غزال ولم يترك الرجل حتى أخذ ينزف دمًا.

قال صفوت عبد الغني:

**«لازم هيحاصروا المسجد الليلة بسبب المخبر».**

إنه صفوت عبد الغني أحد المتهمين في قضية اغتيال رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب بعد ذلك، وفعلًا جاءت القوات ولم تتأخر... الناس من الأهالي يتعاطفون معنا ويبدون سخطهم على الحكومة كالعادة لكنهم لا يعرفون ما جرى.

ألقيت القنابل المسيلة للدموع وجرى من جرى وهرب من هرب... في هذا اليوم

www.ibtesama.com

لم أنج من القبض عليّ، وفي عربة الترحيلات كان الكل يسأل عن المخبر هل هو مات أم لا؟! ولم يعرف أحد جوابًا حتى ذهبت إلى سجن مزرعة طرة!!

***

الزنزانة في مزرعة طره تتسع لأكثر من خمسة وعشرين فردًا، وكان عجيبًا أن يدخلونا لنسكن مع ثلاثة عشر شيوعيًا وآخر ناصريًا، واثنين من منظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ومدع للنبوة وخمسة من أتباعه والشاب الذي تحول من الإسلام إلى المسيحية.

كنا نحسب أننا وحدنا في هذا الكون وأننا فقط أصحاب القضية وممارسو السياسة ومناضلو مصر... إنها خطوط معقدة من الأفكار تحتاج إلى البحث والتدقيق والتعمق... ما حدث إنما هو صدمة حقيقية لصعيدي يعيش في عالم مغلق بين عادات وتقاليد راسخة.

الشيوعيون منظمون جدًا ومثقفون أيضًا لا يكفون عن الكلام في السياسة وانتقاد الحكومة والرأسمالية وتحليل الأخبار التي يسمعونها من الراديو.

كنا نحن نشغل أنفسنا بمدعي النبوة حسين عشري وأتباعه الذين يحيطون به طوال اليوم ويقدسونه كأنما يقدسون نبيًا فعلًا، فإذا قال لأحدهم: «أريد كوبًا من ماء» تنافسوا جميعًا في تقديمه له ويقولون له: خذ يا بابا. فيتناول البابا الكوب من أحدهم ويقول له: «هات يا بلال أو يا عمر أو يا أبو بكر»، فهو يلقب كلًا منهم باسم صحابي اعتقادًا منه بتناسخ الأرواح وحلول أرواح الصحابة في أجساد أتباعه.

معنا عادل عوض شحتو وهو الشخص الذي كان سيفجر جنازة السادات وحكم عليه بثلاثة أعوام وخرج بعدها ليعود معتقلًا فقلت له:

«كيف كنت هتفجر الجنازة؟!».

«وضعت المتفجرات في قدمي وكنت أريد أن أقوم بعملية فدائية أقتل فيها مناحم بيجن وكارتر والشخصيات الهامة في الجنازة».

«يا رجل موش كفاية قتلتم الرجل»

«اسكت... كان نفسي أطول الكلاب دول».

تركني وذهب إلى مدعي النبوة وقال:

www.ibtesama.com

**«سيبني أشوف الرجل المخبول دا».**

ذهبت معه إلى ركن الزنزانة الآخر الذي يقعد فيه مدعي النبوة، قال شحتو لمدعي النبوة

**«إزاي يكون هناك نبي ومحمد هو خاتم الأنبياء؟!»**

قال له:

**«كل إنسان له ثلاث دورات في الحياة، والدورة الأخيرة هي قبل قيام الساعة، حيث تجتمع كل الدورات».**

قلت أنا له:

**«يعني أبو جهل هيرجع تاني؟!!»**

**«يابني كله رجع والدليل على كده زيادة السكان في العالم والأيام الجايه هيشوف الجميع الساعة، أي المهدي المنتظر، يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾[1] أي المهدي** الذي هو الدورة الأخيرة لمحمد النبي، ألم يقل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾[2] أي عودة».

قال له شحتو:

**«عودة للحياة الآخرة وموش للحياة الدنيا مرة تاني»**

**«أنت هتودي نفسك للهلاك والله هتروح في داهية».**

**«أكتر من اللي أنا فيها».**

ولكن أي داهية واحنا هنا عايشين أحسن عيشة..

كان حسين عشري ذا أسلوب جذاب حلو يضحك على ضعاف القلوب وعوام الناس، وكان متشددًا لا يكف عن الدعوة لما هو محبوس بسببه، واستطاع بحنكته أن يضحك على مصباح، وهو شاب بورسعيدي مشهور بالفتونة، متحفظ عليه لمدة عام حين قال له:

**«القطة دي هي الدابة اللي هتخرج قبل قيام الساعة».**

كان مصباح يجري وراءها ويقول لها: «موش أنت الدابة كلميني!!»

(1) سورة الأعراف، الآية: 187.

(2) سورة القصص، الآية: 85.

www.ibtesama.com

تتساقط علينا هذه الصور كأشعة الشمس، وكانت الحقيقة التي تطرح نفسها أننا لسنا وحدنا في هذا العالم.

وتلاشت كل الأفكار وذابت في بوتقة واحدة هي بوتقة التعايش والاحترام المتبادل رغم أننا كنا نتضايق من هؤلاء الذين يقبلون يد نبيهم أو الذين يبولون وهم واقفون ويحضرون معنا دروس النحو التي يعطيها لنا عم أحمد، أو أبو بكر الصديق الرجل الثاني والذراع اليمنى لمدعي النبوة، فإذا جاء تطبيق القواعد النحوية على القرآن الكريم قاموا وتركونا، قال لي أحدهم يومًا:

**«إزاي تكونوا مشايخ ومتعرفوش النحو؟!!»**

لم أسأل نفسي هذا السؤال ولم أنتظر الإجابة من أحد لأني مقتنع أن الدعوة لا تحتاج إلى علم وكان هذا خطأً كبيرًا.

وكذلك هذا الناصري الذي يغني وينشد كل يوم أغنية لخالد الإسلامبولي... **«شيء غريب وهو ماله ومال خالد علشان قتل لهم السادات عدو الناصريين... حاجات غريبة!!»**

كنت أقول ذلك، وأما الشاب الطبيب عبد الرحمن الذي تحول إلى المسيحية، فكان هو أكبر إنسان في العالم يمكن أن ننزل عليه سخطنا، كان يرى أن له حقًا في اختيار الدين الذي يراه مناسبًا، ونزل إلى القاهرة قادمًا من سويسرا محملًا بكتبٍ كثيرةٍ للمسيحية، وقال لهم في المطار: إني أريد أن أدخل الكلية الإكليريكية لأصبح قسيسًا، وكانت النتيجة أنه معنا في السجن.

كانت أكبر تصوراتنا أن هذا الشاب ترك دينه من أجل الأكل والشرب ومن أجل دولارات الغرب، هكذا قال لنا حسن السحيمي أحد قادة الفنية العسكرية:

**«إنهم ضحكوا عليه في أوربا وممكن يكونوا جندوه في إحدي المنظمات الماسونية».**

أحد الشيوعيين يمسك في يده كشكولًا عن تاريخ الجماعات الإسلامية، كنت أتمنى أن أقرأه، ولكنني خشيت أن أتهم بالجهل بمعلومات لا بد أن أكون أنا أول من يحفظها قال لي:

**«إن حق كل إنسان في الحياة هو اعتناق الدين الذي يراه صحيحًا، وكذلك التعبير عن رأيه وأنت لا بد أن تعلم وتعرف لتعبر عن رأيك».**

www.ibtesama.com

سطعت تلك الحقيقة في عقلي وأخذت تنخر جسدي، وكيف أرد عليها؟!

كنت أرى الخلاص من كل هذه الأفكار هو بإغلاق ذهني بالتحدي والإرادة والغلبة وكنت مقتنعًا تمامًا أن ما يقوله الشيوعيون إنما هو شعارات براقة فقط المهم أن ما جرى سأحكيه الآن.

قامت أحداث الأمن المركزي وأقيل وزير الداخلية أحمد رشدي وتولى وزير الداخلية زكي بدر فأصدر لنا أول قرارات اعتقال وبقينا لنشاهد هؤلاء المجندين وهم عراة من معسكراتهم إلى السجن أو اقتيادهم من الشوارع إلى الزنازين ليبقوا يومين كاملين بلا طعام غير الذي نهربه لهم في الليل من الشبابيك بالحبال، وكان معنا الدكتور محمود يوسف من مدينة الزقازيق وأحد العاملين الأوائل والمؤسسين في السبعينات والثمانينات، فكان يقول لنا إن من الواجب علينا أن ندعو هؤلاء الجند وأن نستفيد من هذه الفرصة وهي سخطهم على الحكومة وما جرى لهم، وكان يعطيهم درسًا يوميًا بعد صلاة العصر وبعد الدرس قال لي أنشد لهم نشيد القدس:

**لبيك ياقدس الحبيبة كلنا نحمي الحما لبيك تفديك الرقاب بالألوف المسلمة**

**لبيك لبيك لبيك**

**أنا عائد ياقدس عائد رغم آلاف السدود أنا حامل روحي بكفي أبتغي أجر الشهيد**

**يا قدس لن أنسى فجدي خالد بن الوليد**

**لبيك لبيك لبيك**

هتفوا جميعًا معنا لبيك لبيك، وارتج السجن، وجاء المأمور والضباط وقائد العنبر واقتادوا الدكتور وباقي الإخوة إلى عنبر التأديب وبقيت أنا بمفردي في الزنزانة مع مدعي النبوة والشيوعيين، وما إن مشوا إلى هناك حتى عقد الشيوعيون ندوة لمناقشة الأفكار الموجودة بالزنزانة، وطرحها للنقاش بحرية!! فلماذا لم يعقدوها والإخوة موجودون، أكيد هم خائفون منهم ومن الأدلة التي معهم على بطلان أفكارهم؟! هذا ما طرأ على ذهني يومئذ.

كنت مضطرًا إلى الحديث باسم الإسلاميين وأنا لا أعرف شيئًا سوى أنني ذهبت إلى مسجد صغير أصلي فيه مع زميلي وصديقي محروس ولكني كصعيدي كيف أتراجع؟!

تكلم رمضان وأسامة عضوا منظمة الجبهة وانتقدا الشيوعيين نقدًا لاذعًا ولم يقاطعهما أحد، وأعجبتني هذه الأمور والحرية في طرح الأفكار، وتكلم مدعي النبوة

www.ibtesama.com

وكنت أعلم أن دوري سيجيء حتمًا بعده وكل الأفكار التي في الغرفة ستكون ضدي فأردت أن أفسد الندوة فقلت له:

**«دا كلام هبل وجنون»**

فقال:

**«يابني أنا حذرتك من قبل وقلت لك هتضيع نفسك»**

**«يعني هدخل جهنم... ليه أنت مصدق نفسك إنك نبي»**

**«طيب اسمع هاسألك سؤال لو جاوبت عليه يبقى أنت صح وأنا غلط»**

**«اسأل»**

**«فين سد يأجوج ومأجوج؟»**

**«حاجات في علم الغيب»**

**«أنا بقى عارف وأقدر أقولك»**

وكلمة من هنا وكلمة من هناك حدثت المشكلة، وانفضت الندوة ونجحت في عدم عرض فكر لم أقرأ عنه شيئًا، والشيوعيون ينظرون إلينا وهم يضحكون.

لا أنكر أنني تعلمت كيف أختلف، وكيف أتعايش وكيف أتعلم ثقافة الحوار التي هي مثل ثقافة الشجاعة والرفض، وتعلمت أن الأمور من حولنا خطوط معقدة من الأفكار التي تحتاج إلى البحث والتعمق.

أذّن الفجر وصليت أنا الإمام وإلا كيف أجعل مدعي نبوة يصلي بي، ونسيت الآيات ولم أجد أحدًا يذكرني بها حتى مدعي النبوة الذي يقول إن القرآن أنزل عليه، وبعد الصلاة جلست بجواره وهو يشعل سيجارة، وقلت له:

**«فين سد يأجوج ومأجوج؟»**

قال لي:

**«ودا سر لك أوعى تقوله... في مثلث برمودا»**

**«وفين مثلث برمودا ده؟!!... أنت هتخترع... يا أخي أحفظ لك آيتين أحسن».**

لم يكن ما رأيناه في السجن من اختلاف الأفكار وتنوع المفاهيم إلا حلقة من حلقات كثيرة وحقيقة الظرف التاريخي الذي كنا نمر به، حيث لم يخطر على بالنا يومًا كيف كانت هذه الأفكار، وكيف تكون العلاقة مع الآخر الذي يختلف عنا... لقد

www.ibtesama.com

صارت مشكلة الآخر مشكلة محيرة لنا نحن الإسلاميين أدت إلى أوضاع خطيرة، وملابسات كثيرة كانت تحتاج إلى مراجعة، ولكن الإلمام بها ومعرفتها وتصحيحها لا يتم أبدًا، ونحن لا توجد عندنا صياغة واضحة للآخر بل تجافت وتباينت مواقفنا نحو مفهوم الآخر.

نحن نرى أن هناك أسبابًا أدت إلى مفهومنا نحو الآخر مثل عامل التاريخ والحرب الشرسة التي واجهها الإسلام على مر التاريخ والتي ما زالت تشن عليه، بالإضافة إلى الفقه والنصوص وعدم التثبت منها والالتباس في فهمها ووضعها في إطار غير إطارها أو تأويلها وتحميلها غير ما تحتمل.

إن الإسلام لم يقف من الآخر سواء كان إسلاميًا أو غير إسلامي، موقف العداء ما دام لا يصطدم مع ثوابت العقيدة، وأما إذا كان يصطدم معنا فهنا أمرنا الله بالجدال والدعوة بصورة حسنى، والمسلم لا ينعزل عن الآخرين بل يستطيع أن يقتبس منهم ويستفيد من علاقته بالآخر الذي يتصف بأنه داعية للإسلام ويكرس وقته كله لخدمة دينه عليه أن يدع الانغلاق على الذات، وأن يخرج من القوقعة، ويعتبر أن الحوار وسيلة للتعايش فيخوض مع كل الأطراف المخالفة لجة الحوار الهادف الذي يجعل المتردد يقنع والخائف يطمئن والمتوتر يهدأ، فالإسلام لم يتجاهل الآخرين، ولم يضع الحواجز بين الناس ما دام الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة.

الآن لم يعد في وسع مجموعة من الناس أن تعيش بعقيدتها ومبادئها معزولة عن العالم من حولها، فإن ثورة الاتصالات الهائلة قربت ما بين أطراف هذه الكرة الأرضية التي نعيش عليها حتى غدت كأنها قرية كبرى.

إذا فتحنا صفحات القرآن الكريم سنجده يستفز الآخر المشرك لكي يعبر عن رأيه فيقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] وأما الآخرون الذين ينفون الناس ويمنعونهم من التعبير عن رأيهم ويمارسون معهم العنف هم الكفار الذين يقول عنهم المولى تعالى على لسانهم ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[2] وهكذا من الخطأ الشائع لنا في هذه الفترة أننا قسمنا الناس إلى علمانيين لا ينفع معهم حوار بل لا يجدي غير المناظرة، وكلمة مناظرة توحي دائمًا بالتحدي وإرادة الغلبة، والإسلام دين انفتاحي

(1) سورة البقرة، الآية: 111.
(2) سورة فصلت، الآية: 26.

www.ibtesama.com

يتمتع بقوة ولا يتوجس خيفة من عقيدة وشريعة أخرى، ومن المعاني الدقيقة للإسلام أنه لم يجعل الكفر لذاته على تناقض مع الدين مصدرًا لاستخدام القوة وإشعال الحروب إنما أهم المعاني الدقيقة أن يدعو إلى الحوار مع كل الطوائف والأديان والمذاهب، واعتبر أن هذا الاختلاف قدر كوني قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(1) وهكذا تعامل الإسلام بواقعية مع الاختلاف ويا ليتنا كنا عرفنا هذه المعاني من قبل.

* * *

## حسن السحيمي باي باي ياسعد

كان معنا حسن السحيمي أحد قادة تنظيم الفنية العسكرية وهو أول تنظيم قام بمحاولة انقلاب عسكري على خلفية جهادية يوم 19 أبريل عام 74.

لم ننس نحن هذا اليوم الذي قامت فيه هذه المجموعة من الشباب بمحاولة اقتحام كلية الفنية العسكرية حيث كان السادات وقيادات الدولة سيحضرون اجتماعًا للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وكانت الخطة تقضي بالسيطرة على الكلية وقتل قيادات الدولة ومن ثم محاصرة مبنى التلفزيون والسيطرة على الدولة، وتم القبض على أعضاء التنظيم وعلى زعيمهم الأردني الجنسية صالح سرية الذي حكم عليه بالإعدام هو والرجل الثاني كارم الأناضولي وحكم على طلال الأنصاري بالسجن المؤبد هو والقائد حسن السحيمي.

جماعة الفنية العسكرية هي جماعة شباب محمد... عرفت إعلاميًا باسم الفنية العسكرية بسبب قيامها في 74 بالهجوم على كلية الفنية العسكرية مما تسبب بمقتل 11 فردًا وجرح مايقرب من 27 شخصًا في أثناء اجتماع بعض القيادات السياسية المصرية للاستماع إلى خطبة يلقيها رئيس الجمهورية وقتئذ.

تعد جماعة الفنية العسكرية أول محاولة جماعية منظمة لتشكيل تنظيم يعتنق أفراده فكرة الجهاد ويهدف إلى قلب نظام الحكم، كما كانت هي أول جماعة تصطدم بالنظام الساداتي وكان الجهاد هو المحدد الأساسي لأيدلوجية هذه الجماعة.

---

(1) سورة يونس، الآية: 99.

www.ibtesama.com

تمثلت قيادة الجماعة في الدكتور صالح سرية الفلسطيني الأصل الذي لعب دورًا محوريًا في تشكيل أفكار هذا التنظيم من خلال رسالة الإيمان وهو كتيب يقع في 60 صفحة، ويعتبر الوثيقة الفكرية الأساسية للجماعة، ولقد أصبحت الفنية العسكرية هي الجماعة الأولى التي ترجمت فكرة الجهاد الإسلامي إلى رؤية سياسية وإستراتيجية حركية، وظلت هي الأساس الذي تولدت منه الجهاد الإسلامي بعد ذلك.

ومن خلال لقائنا مع أفراد هذا التنظيم في سجن مزرعة طرة وجدنا أنهم يعادون الغرب عداءً شديدًا، كما أنهم يكفرون النظم الحاكمة ويرفضون الفلسفة الاشتراكية والرأسمالية ويطرحون الإسلام بديلًا، ويجعلون القضية الفلسطينية هي القضية المحورية التي يدور حولها الصراع مع الأنظمة الحاكمة.

صالح سرية مؤسس التنظيم هو أحد أفراد الإخوان المسلمين بالعراق، وقد حاول هناك أن يقلب نظام الحكم ففشل وهرب إلى سوريا ومنها إلى الأردن حيث اقترب من حزب التحرير الإسلامي، ثم انتقل إلى مصر حيث ضم طلال الأنصاري واستطاع أن يشكل ثلاث مجموعات كان أحد قوادها حسن السحيمي الذي أصبح قائدًا لهم في سجن طرة بعد أن أعدم سرية وكارم الأناضولي وتحول طلال الأنصاري إلى فكر التكفير داخل المعتقل بعد أن خفف عليه حكم الإعدام.

السحيمي هو المأمور الحقيقي للسجن فقد كان يتمتع بحرية توصله إلى البوابة الرئيسية للسجن وكانت كلمته مسموعة لدى كل المسجونين، كان يقول:

**«أنا المسؤول الحقيقي عنكم في هذا السجن فقد قال لي صفوت عبد الغني خلي بالك من الإخوة الذين يعتقلون هنا».**

كان يقول ذلك بفخر نظرًا لأنه يعتبر نفسه الوالد الحقيقي لكل الحركات الجهادية.

ونحن نستند إلى ظهر جدار عنبر التحقيقات في المزرعة كان لي هذا الحوار معه:

**«قل لي يا مولانا إيه الحرية اللي أنت واخدها دي؟!»**

**«حرية إيه يا بني هو فيه أحلى من الحرية اللي بره، وبعدين ما هو لازم يعملوا معايا كدا»**

**«ليه؟!»**

**«أقولك ليه، أولًا لأني تأخرت قوي في السجن، وثانيًا لأنهم واثقين في قوي وعارفين إن حسن السحيمي راجل كويس، تصدق بالله أنا مرة كنت رايح امتحن وعربية**

www.ibtesama.com

الترحيلات عملت حادثة والضابط أصيب والباب انفتح عليّ، رحت أنا وقفت جنب الضابط واتصلنا مع بعض بالإسعاف».

«أنت من بيت السحيمي بتوع زمان؟»

«أنا من بيت السحيمي بتوع إسكندرية، وعائلتنا مشهورة جدًا، وإخوتي لهم اسم معروف هناك. . . بس تصدق إخوتي كتار جدًا وأنا دلوقت معرفش عددهم كام»

«هل التقيت بالشيخ صالح سرية؟»

«أمال التقيت بك؟!»

وضحك السحيمي وقال:

«التقيت به وكانت رسالة الإيمان من أول الأشياء اللي قرأتها»

«هل هي كتاب في العقيدة؟»

«ممكن نعتبرها رسالة في العقيدة أو الفكر فهي تتحدث عن الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله والموالاة»

«يعني إيه الموالاة؟!»

«يعني لا يجوز موالاة الطواغيت والظلمة»

«وبعدين»

«وبعدين النقطة الأهم هي أنه من مات دفاعًا عن دولة كافرة فهو كافر وأن كل القوانين كفرية طالما لا توافق الشريعة»

«وبعدين؟»

«وبعدين خلاص»

«يعني يا مولانا أقصد الحل إيه؟»

«إحنا كنا بنؤمن أن العمل الحزبي إذا كان سيوصلنا لحكم الدولة نقوله ماشي»

«الجماعة الإسلامية لا تؤمن بالعمل الحزبي»

«نتكلم على موضوع الجماعة في الآخر»

«ماشي يا مولانا»

«نرجع لموضوعنا إحنا كنا عاوزين نقتحم اجتماع اللجنة المركزية للاتحاد

www.ibtesama.com

الاشتراكي زي ما أنتم عارفين وموش عاوزين نحكي الكلام دا تاني، لكن إحنا ساعتها كانت المشكلة عندنا هي الضباط والعساكر فأخذنا نقيدهم ونربطهم واستطاع أحد الضباط أن يبلغ عنا ولو كنا نعرف ساعتها بحث الطائفة الممتنعة بتاع الجماعة الإسلامية الذي يجيز قتلهم لكنا فعلنا وحققنا مرادنا»

فابتسمت قائلًا له:

«يبقى الجماعة صح؟!»

«إحنا غلط والجماعة كمان غلط، فيه حاجات كثيرة تحتاج لمراجعات، وإحنا أرسلنا لقياداتها مجموعة من الشرائط المسجلة وتحاورنا معهم في قضايا كثيرة عن طريق الشرائط ولكن منفعش معاهم حاجة... يا راجل معقول ناس زي كدا يدخلوا الخباءات والخلوة الشرعية مع زوجاتهم ويضحكوا عليهم المخبرين والعساكر دا كلام!!»

«يا مولانا إيه اللي ينفع بالضبط؟»

«أنا أشعر أني زعلتكم، ولكن هي نصيحة وبراحتكم، الثورة والانقلابات والمواجهات لا تنفع يا إخواني، سعد زغلول عمل الثورة ولما نفوه الشعب قال له باي باي ياسعد»

«يعني إحنا غلط؟!!»

«باي باي ياسعد»(1)

* * *

## الشواكيش وشفيق جلال شيخ البلد

لا نعرف لماذا لم نفكر في كلام السحيمي أو نفكر في التجارب السابقة لنا؟! لا نعرف لماذا يظهر الإنسان سلوكًا غريبًا حينما يخرج من السجن؟!

كأن الإنسان أمسك بالحقيقة واقتنص الحق المطلق... إنه الشعور النرجسي الغريب بتمجيد النفس وكذلك الفكرة التي يعتنقها والثبات على المبدأ ولو كان خاطئًا.

لا تفكر أبدًا في أي شيء عرفته داخل السجن... ستنسى كل شيء... سترى للمشكلة وجهًا واحدًا ألا وهو نشر الدعوة والعودة بالناس إلى الإسلام، هذا المنظور لا

(1) توفي السحيمي إثر حادث سيارة وهو يسير في أحد شوارع بلدته الإسكندرية بعد الإفراج عنه بسنوات.

www.ibtesama.com

نراه منفصلًا عن الأزمة بيننا وبين الحكومة، إنها الطاقة التي تحكمنا، ولا تحكمنا وحدنا بقدر ما تحكم الكثير من الشباب، أو ليس القمع والإقصاء هما اللذان يولدان المعارضة؟

والأهم أننا كنا مأسورين لأبحاث الجماعة وبسبب قلة علمنا فقد كانت تمثل لنا الأبحاث قيمة كبيرة بسبب أننا كنا نرى فيها أقوالًا من التراث ومصادر ومراجع لم نكن نسمع عنها من قبل خصوصًا كتب ابن تيمية وابن القيم، ومن منا كان سيقرأ فتاوى ابن تيمية أو يستطيع أن يدقق أو يراجع تلك الأقوال والأفكار التي يعتنقها والتي لم يكن يسمع عنها من قبل؟

ليس أدل على ذلك من قضية تغيير المنكر. . . كانت تصوراتنا أن الدعوة إلى الله والحسبة والجهاد في سبيل الله كلُ ذلك سيكون معًا في وقت واحد، ولذا كان الداعية الذي يخطب ويعظ الناس هو ذاته الذي يغير المنكر ويستخدم القوة والعنف مع هؤلاء الذين يرتكبون المنكرات.

نركب سيارة ونذهب في تجمع ضخم لهؤلاء الذين يتحدون الجماعة أو يجاهرون بالمعاصي، وقد قررت الجماعة أن تقضي تمامًا على تجارة الخمور، ومشينا في تجمعنا لنقف أمام هذه المحال فقط وكان هذا في ليلة شم النسيم، وكان رد الفعل الطبيعي أن تغلق المحال أبوابها وأن يصر المسؤولون بعد ذلك على إغلاقها أو تحويلها عن هذه التجارة إلى الأبد خوفًا أن تكون سببًا في إشعال العنف في بلدتنا الهادئة!!

هل نستطيع أن ننكر أننا قدمنا خيرًا كثيرًا وأننا كنا فخورين بما كنا نفعله يومئذ؟ ولكن المشكلة الحقيقية هي في المفاسد التي كانت تتحقق من تغيير المنكرات وإنني أعتبرها من أهم الأشياء التي عجلت بالصدام مع الحكومة المصرية.

لقد كنا نتحدى أحيانًا ونعتبر أن تغييرنا للمنكر هو إظهار لقوة الجماعة وكيانها ويذهب بنا تغيير المنكر بعيدًا إلى أقصى الحدود.

أذكر أننا أيام الجامعة كنا نترقب الرحلات التي يقوم بها اتحاد الطلاب أو الأسر الخاصة بالكليات ويشرف عليها كبار الأساتذة.

أخذنا يومًا صفوت عبد الغني إلى الطريق الذي سيمر عليه أوتوبيس إحدى الرحلات فوضعنا أمامه عوائق كي لايستطيع أن يمر ثم قمنا باقتحام الأوتوبيس وأجبرنا من فيه على العودة.

كان نجاحنا في تغيير منكر يدفعنا إلى صناعة نجاحات أخرى في تغيير المنكرات،

www.ibtesama.com

والحقيقة التي لمسناها أن كتاب عبد الآخر حماد وأدبيات الجماعة ودروسها لم تعط دورًا مضاعفًا للحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر الدور الذي أعطاه لنا شواكيش المنيا الذين يحيطون بأمير الجماعة علي عبد الفتاح الرجل القوي، الضخم الجثة الذي نسجت الناس حول شجاعته الأساطير... الشيخ عليّ ضرب أحد المجرمين والشبيحة وهو مقبوض عليه في قلب مركز الشرطة... لقد علق جزارًا على عمود نور بجوار المسجد لأنه شتم أختًا مسلمة... الشيخ هرب من وسط جحافل العساكر والمخبرين وقال لقائد الحملة من أراد أن يرمل زوجته فليأت خلفي فتركوه ليمشي.

كنا نتلهف أن نسمع أي حكايات ونرى هذا الشيخ، بل تمنينا لو ضربنا بعض الصداقات مع شواكيشه الذين يحيطون به دائمًا ولا يتركونه.

بعد إفطار جماعي قال [ش - خ] لا بد أن يحضر الإخوة لقاء الثلاثاء في المنيا فهناك سيتعلمون أشياء كثيرة وكانت بالطبع له أغراض من ذلك فهناك في أرض المولد سنشاهد الشيخ وهو يجلس على حصير أمام المسجد يقضي بين الناس ويحل المشاكل ويرسل الشواكيش لكي يغيروا المنكرات.

ورأينا الرجل الذي كانت تخاف منه فتوات المنيا وتروى عنه الحكايات الحقيقية أو الخيالية... انظروا إلى إصبعه الغليظة وصدره ورهبته ومن يحيطون به... إنه الآن يقسم الميراث بين إحدى العائلات وبعد ذلك سيحل مشكلة بين رجل وزوجته.

**«وفين الحكومة؟!»**

**«إنهم هم الذين يرسلون له المشاكل حتى يحلها»**

**«مش معقول الكلام دا؟!!»**

بدت الصورة الرائعة تزداد روعة وجمالًا وزادها جمالًا هؤلاء الفصيل الآخر من الإخوة الذين يلبسون بنطلونات من الجينز وقمصانًا على الموضة ويضعون مطاوي قرن غزال في جيوبهم... وأحيانًا نراهم يلوحون بها في الهواء.

كم تمنيت أن أستطيع أن ألعب بالمطواة القرن غزال بهذه الطريقة فألوح بها في وجوه هؤلاء الذين يقفون ناحية حارتنا ويطرقعون باللبان في وجهي كلما رحت أو جئت.

وصودف في أثناء وجودي وأنا أتوضأ دخول الشيخ حجرة مجاورة في المسجد ورأيتهم وهم يقتادون رجلًا إلى داخل الحجرة وكان واضحًا أن الرجل مذنب وأنه ارتكب

www.ibtesama.com

جرمًا فادحًا على الأرجح. . . إنه سرق لأن الشيخ يهدده بأنه سيقيم عليه الحد والرجل يستغيث ويطلب الصفح والعفو.

نادى الشيخ:

**«هاتوا زيت»**

رأيت الزيت وقد وضعوه على النار أمام الرجل، والزيت بدأ يغلي ويفور والرجل ينهار ويبكي.

كان الشيخ علي يقول له:

**«بعد قطع يدك وإقامة الحد عليك سنضع يدك في الزيت المغلي حتى لا يحصل لك نزف»**

انهار الرجل تمامًا، ولا أعرف ماذا جرى، ولكنني رأيت الرجل يخرج من الحجرة بعد حوالى نصف ساعة ويبدو أنه اعترف لهم بشيء.

قلت للشيخ:

**- هل فعلًا كنتم ستقيمون عليه الحد؟**

**- يا عبيط هو إحنا حكومة، ولكن خليك فطن، الشعب المصري مينفعش معاه غير كدا.**

لقد مجدنا تغيير المنكرات واقتنعنا تمامًا أن الشواكيش يستطيعون قهر أي إنسان يقف في وجههم، وأصبح لدينا إحساس أن لنا حجمًا قويًا وكبيرًا، وأن الشواكيش سيقفون معنا في أي مشكلة حتى إذا شب خلاف بين أحدنا وأحد الناس كان التهديد يخرج بسرعة [**هنجيب لكم الشواكيش**].

لا أشك لحظة أن هناك شعورًا يجتاح قلب كل أخ أن يصبح شاكوشًا. . . لقد أصبحت نفوسنا معبأة بطاقة نقيضة للحكمة والاعتدال وكانت الأدوار جاهزة وهي الجهاد والحسبة والدعوة معًا في وقت واحد.

وهكذا ولد شواكيش ملوي من رحم شواكيش المنيا، ولن نكذب أبدًا إذا قلنا إننا كنا نقلدهم تحت سمع وبصر القادة والأمراء حتى أنهم كانوا يأمروننا أن نمشي معًا جماعات في الحارات والشوارع من باب إظهار قوة الجماعة.

وفي يوم خرجنا لكي نصلي الفجر فرأينا [ م. ح ] وكان شابًا فقيرًا يملك عربة كارو

www.ibtesama.com

صغيرة يعمل عليها شيالًا . . . نعرفه جيدًا فقد جاء إلى المسجد يومًا وكان يبكي منهارًا فسألنا عن السبب فقالوا لنا:

**«إن حماره غرق في الترعة الإبراهيمية وهو إنسان فقير وملتزم معنا من أيام قليلة»**

**«وهتعملوا إيه؟!»**

**«ستشتري له الجماعة حمارًا»**

المهم أننا رأيناه فقلنا له:

**«على فين؟»**

**«فيه منكر راح أغيره»**

**«ياعم [م] صلاة الفجر كدا هتضيع منك»**

**«لا موش هتضيع»**

تركناه لنصلي الفجر وعدنا لنراه بالقرب من سينما بالاس

**«أنت عملت إيه؟!»**

**«قطعت إعلان فوق السينما»**

**«أنت صليت الفجر»**

**«لأ»**

**«طب الحق صلي الفجر بسرعة»**

تركناه ومضينا ولا نعرف هل صلى الفجر أم ذهب ليغير منكرًا آخر، وقضينا النهار وجاء الليل لتأتي حملة أمنية ويقبض عليّ، وأقدم للنيابة بتهمة محاولة حرق السينما وأنا بريء تمامًا من هذه التهمة لأنني لم أكن صاحب الحمار الذي غير المنكرات.

لم أنس يوم كانت المدينة هادئة والناس يخرجون إلى عملهم والطلبة إلى مدارسهم والجماعة توزع بيانًا في الصباح تهدد فيه بأنها لن تسمح لشفيق جلال بإقامة حفله في سينما ملوي بالاس.

الأخ الذي أعطانا البيانات لنوزعها قال لي:

**«وزع هذه عند الضرائب»**

قلت:

www.ibtesama.com

**«أنا معرفش مكانها»**

قال:

**«طب وزعها عند التأمينات الاجتماعية»**

قلت:

**«والله معرفش مكانها»**

قال:

**«يبقى عند مركز الشرطة أظن ده معروف!!»**

أخذت البيانات والمنشورات وأنا لم أقرأ سطورها فقد كان لا يهمني كثيرًا ذلك بالقدر الذي سيجعلني شامخًا وسط الناس أظهر كيان الجماعة.

كانت الناس تلتقط البيان بوجل وارتياب... كان يبدو على وجوه الناس الخوف... هل لأنهم قريبون من مركز الشرطة... ولكن مركز الشرطة لا شيء؟ إنهم في وادٍ ونحن في وادٍ آخر، **فلماذا إذن؟!!**

أخيرًا قرأت السطر الأول والثاني فقط وعرفت الأمر... أدركت أن اليوم سيكون حافلًا بالأحداث.

اختفيت واختفينا جميعًا... ذهبت أنا إلى مسكن طلبة إحدى القرى، وافترقت أنا وأصحابي... أصبح علي عبء ثقيل... أولًا كيف أفلت من القبض علي أنا ورفاقي الذين لم أعد أعرف عنهم شيئًا، وثانيًا تلك الحفلة التي ستقام لأول مرة في بلدنا فلماذا الحفلات في هذه الأيام؟!

أسئلة كثيرة، حول ماذا ستفعل الجماعة لو صمموا على إقامتها رغمًا عن أنفنا؟

تطوع أحد الطلبة وجاء لي بالأخبار (**الأمن في كل مكان والقوات تقف على المخارج المؤدية إلى السينما**)

قلت له:

«مين هيغني في الحفلة؟!»

«شفيق جلال»

«بتاع شيخ البلد خلف ولد»

«أبوه»

www.ibtesama.com

**«الله يخرب بيته. . . أنا مش عارف الأخوة عاملين اهتمام ليه بالحفلة دي. . . ياريت يسيبوه هو ده مغني».**

لم يبق إلا ساعة أو ساعتان وتبدأ أغاني شفيق جلال. . . الناس كانت تتوافد بكثرة على السينما.

لا أعرف كيف وصل إلى مكاني (م - ت) قال لي:

**«إحنا هنسكت على كده؟!»**

**«يعني عاوزني أعمل إيه؟!. . . وبعدين قل لي هتعمل إيه في موضوع التربية الرياضية بعد فتوى الشيخ عمر»**

**«أنا قرفت موش هدخل كليات»**

وتذكر فقال لي:

**«خلينا في موضوعنا هنعمل إيه»**

**«يا عم مش فيه قيادات وأمراء وهم اللي هددوا يبقى أكيد هم قد التهديد»**

قال لي:

**«الناس اللي أنت قاعد معهم ممكن يعملوا حاجة»**

**«دول ناس يا عم حتى الصلاة ما بيصلوها. . . مجموعة من الطلبة الفاشلين وكمان دول موش تبع الجماعة»**

**«اسمعني هو دا الحل الوحيد».**

ونادى عليهم:

**«اقطعوا تذاكر السينما على حسابنا وهعطيكم علب ممتلئة بمب وأول ما يطفي النور اضربوه في الأرض»**

قلت له:

**«ومين هيقطع الكهرباء؟»**

قال:

**«هتصرف».**

حصل ما اتفقوا عليه وضرب البمب وصرخ الناس وتدافعوا قبل بدء الحفلة من الباب الوحيد للسينما.

www.ibtesama.com

وأشعلت النيران في السينما ولا أعرف من الذي أشعلها، ووقع من وقع وأصيب من أصيب. . . الأمن زاد الأمر هولًا بإطلاقه أعيرة نارية في الهواء، إما في السينما وإما عند الترعة الإبراهيمية ظنًا منهم أن الذين ضربوا البمب والمفرقعات قاعدون هناك.

حكى لي كل ذلك الشباب بعد أن نفذوها وصرخوا مثل من صرخ وهربوا مثل من هرب.

إن المعركة الحقيقية هي تغيير الأنفس وتصحيح التصور وهذا ما يجب أن نصرف له كل همة ونجهز لها كل عزيمة وهي مهمة الأنبياء التي دعا لها المولى سبحانه قائلًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1] إننا كنا في حاجة إلى غرس العقيدة في الناس وبناء الإنسان بناءً حقيقيًا وهذا ما يسمى التغيير بالإيمان.

إن تصحيح تصورنا وتقويم سلوكنا الخاطئ أولًا هو المقدم على ما كان يفعله صاحب الحمار الذي غرق، وهذه هي ثقافة المعارضة الحقيقية، وفي تراث الإسلام سنجد أحاديث كثيرة تربي المجتمع على المعارضة وعلى تغيير المنكر ولكن هذه الثقافة بريئة من إراقة الدماء والعنف والافتئات على المجتمع أيًا كان.

إن تغيير المنكرات لآحاد الرعية بهذا الشكل قد أعملنا عقلنا البشري في فهمه بطريقة معينة وهي التي تسمح لنا بمواجهة المنكرات بعنف وباليد دون إذن من السلطة الحاكمة، وفرق كبير بين المنهج الإسلامي الصحيح وبين الواقع الذي به مدخلات أخرى ستنتج لنا مخرجات جديدة.

أذكر أن أحد ضباط الأمن قد قال لي إننا في بلد مثل قرية وتغيير المنكرات بهذا الشكل سينتج مشاكل جمة لكل البلد والأهالي، ولكنني رددت بسرعة أن تغيير المنكر هو جزء من الميثاق ونحن لا نستطيع أن نغير الميثاق، وللعلم لم أكن قرأت الميثاق في هذه الفترة، وهو الذي كان أغلبنا يظن أنه لا يجوز تغييره!!

* * *

(1) سورة الرعد، الآية: 11.

## الصورة والأصل في تغيير المنكر

الأصل في تغيير المنكر أنه يتم وفق شروط معينة أهمها بالطبع هوالإخلاص وأن يكون المنكر معلومًا وأن لا يؤدي تغييره إلى مفسدة أكبر، ولكنني أجزم أن غالبية المنكرات التي كنا نقوم بتغييرها كانت تؤدي إلى مفاسد كبرى أقلها هو اعتقال من يقومون بتغيير المنكرات لأنهم افتأتوا على السلطة الحاكمة التي عرضت علينا في إحدى المرات أن نبلغها عن المنكرات حتى تقوم هي باللازم ولكننا كنا نعتبر تغيير المنكر من علامات إظهار قوة الجماعة وكيانها.

الصورة في تغيير المنكرات كانت تختلف عن الأصل الذي كان يقوم أولًا على مبدأ الستر حيث يقول النبي الكريم في أحد أحاديثه:

(من ستر مسلمًا في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة). وأي ستر ونحن نقوم بتغيير المنكر بعشرات الأتباع على مرأى ومسمع من الجميع كي نردع باقي البلدة، ونذهب إلى المرأة التي تفتح بيتها للزنى فنجدها تنام بين أولادها فنقوم بضربها ضربًا مبرحًا حتى تنقل على الفور إلى المستشفى وتفضح المرأة دون أن نجدها يومًا على منكر.

ونتجسس على من يتعاطون المخدرات ونقفز من فوق أسطح المنازل المجاورة عليهم ونقوم بضربهم ضربًا مبرحًا.

تمتلئ سيارتنا ونذهب لكي نقف أمام أحد الناس الذين اختلفوا مع أحد أتباعنا وكنا نرى هذا عيبًا كبيرًا وإضعافًا لهيبة الجماعة التي ردعت مجرمي مدينتنا، وتحدث المشكلة الكبيرة التي حلت من العقلاء قبل أن تحدث المذبحة بين العائلات.

ونرسل التهديد إلى قيادة الإخوان المسلمين أن توقف فرح أحد أتباعها لأن به أغاني إسلامية يضرب عليها بالدفوف وهم يردون أن الدفوف جائزة وأميرنا يقول لا لأنهم عقدوا الفرح في منطقة الجماعة!!!

فرح يقيمه أحد الأهالي وفرح آخر فلماذا نغير المنكر في هذا ونترك هذا؟!

كان هذا لأن الذي لا نغيره قد يكون لأحد الأغنياء أو ذوي العائلات الكبرى وقد تحدث مفسدة كبيرة، ونصعد على المسرح ونجبر الفرقة الغنائية على النزول ونقوم نحن بالإنشاد الديني حتى ينفض الفرح.

www.ibtesama.com

هل يضبط ذلك بالحكمة وبالمصلحة؟ ومن يقدر المصلحة؟

أنا وأنت قد يبدو لنا مصلحة عابرة ونؤثرها، ونغفل عن مصلحة أخرى، أو مفسدة كبيرة، لكنها ليست قريبة، بل تحدث بعد ذلك، ولذلك فلا ضابط لهذا الأمر إلا أن تربطه بأهل العلم والسلطة القائمة.

كنا نقول لا بد أن نوقف هذا الحفل، ونقوم بالقوة ونقتحم ونكسر!! فعلًا نجحنا في تأخير الحفل، ولكنه بدلًا من أن يقام اليوم، أقيم بعد أسبوع!! والمنكر ما زال قائمًا، لكن وقعت في مقابل ذلك مفاسد عظيمة من التضييق على أهل الخير، وسد أبواب الجماعة الأخرى من الأعمال الاجتماعية، وتشويه صورتها، وإيذاء أبنائها وسجنهم وتشريدهم.

أحيانًا قد نغير المنكر ويترتب عليه منكر أكبر وهو البلاء وليست المشكلة ضررًا على الإنسان نفسه؛ فقد كنا نقول نتحمل الضرر ولا نبالي، لكن الضرر كان يستهدف الصالحين والدعاة والعلماء والغيورين؟

الغريب في مسألة تغيير المنكر أن هناك سياسات مختلفة وعشوائية كانت في المراكز والقرى حيث تقوم مدينة بتغيير منكر فتؤثر في المدينة الأخرى التي تتوقف عن ذلك دون أن نسمع من يقوم بتغيير هذا المنهج الذي اعتبرناه تمييزًا لنا عن غيرنا حتى أوردنا إلى مفاسد ومهالك.

***

## الدكتور عمر عبد الرحمن «فليستقل شيخ الأزهر»

كنا ننتظر الدكتور عمر بفارغ الصبر حتى وصل في لحظة الصفر كما يقولون.

جاء الرجل من طرق ملتوية عبر الصحراء بعد أن لبس أحد الرفاق الكاكولا الأزهرية وضلل قوات الأمن التي تحاصر منزله وتمنعه من الخروج.

صور لهم شبيهه أنه هو الدكتور وخرج إلى السوق وظل طوال النهار يمشي من هنا وهناك في الوقت ذاته الذي كان الشيخ يعبر الرمال الممتدة بطول الطريق إلى بلدنا.

هل الأمن بهذه البلاهة التي سمعناها تتردد من أفواه الجميع حتى يضحك عليه أحدهم بهذه الطريقة؟!.

وإذا كانت الأمور تجري بهذه الطريقة فكيف إذن سيستطيعون أن يقفوا أمام السيل الهادر لشباب الجماعة؟!!

www.ibtesama.com

مهما وصفت فهذا هو ماكان من هوس بهذه الأفكار، فدعوني أصف اللقاء والهتافات التي قوبل بها الدكتور الضرير في مصلانا الصغير الذي يقع على الترعة الإبراهيمية في عام 87.

بدأ اللقاء بكلمة ترحيب بالشيخ... الأخ الأمير الذي قدم الشيخ لا علاقة له بالخطابة تمامًا ولكن الأمير العام لا بد أن يقدمه الأخ الأمير الذي رفع المجرور ونصب المرفوع والدكتور عمر يخلع عمامته ويطوح رأسه يمينًا وشمالًا ليفهم المسجد كله أنه لم يحرز الخطأ... طلبوا مني أن أهتف بين كل عشر كلمات «عمر يا عبد الرحمن يا مزلزل عرش الطغيان»... وهتاف آخر «وإن قتلوك يا عمر بن أحمد فإن الله يختار الشهيد».

كان هذا الهتاف يزلزل المسجد الذي يتعاطف مع الرجل الكفيف الذي تريد أن تقتله الحكومة... هذا الرجل العالم الذي قطع آلاف الأميال ليعطي مثلًا لنا في الصبر على الدعوة!!

تكلم الشيخ في تفسير سورة نون... كان يجتهد في إيصال ما يصبو إليه... لم أدرك مما قال شيئًا سوى كلمات حفظتها منه هي [**خفافيش الظلام الذين يأتون في الليل - الطواغيت والظلمة - الحاكم المستبدل الذي لا يحكم بما أنزل الله**] لأنني حرصت أن أرى الرجل الذي أفتى بقتل السادات ولم آت لأسمعه، قبل أن أعلم أنه لم يفت لا بقتل السادات ولا بغيره.

هتفت لأجعل من في المسجد يزداد حماسة وقوة

**في سبيل الله قمنا نبتغي رفع اللواء**
**لا لحزب قد عملنا نحن لله من فداء**
**فليعد للدين مجده أو ترق منا الدماء**

إن كل ما نفعله فقط هو أننا اعتقدنا أن الرجل هو الشخص الوحيد الذي يواجه الحكومة بين العلماء رغم أنه كفيف البصر... هو الذي أعطانا مثلا بينًا على عدم الركون والقعود... هذا هو الخطأ الفادح ألا وهو المقارنة بين علماء الأزهر وعالم اتخذ سبيلًا آخر.

لم يكن يشغلني شيء بقدر ما يشغلني موضوع صاحبنا (م - ت) فقد دخل كلية التربية الرياضية واجتاز الاختبارات ولكن عميد الكلية صمم على أنه لا بد أن يحلق اللحية كي تقبله الكلية.

www.ibtesama.com

أحاط الإخوة بعد اللقاء بالشيخ في دائرة حتى أركبوه السيارة... مرقنا إليه بأعجوبة... اقترب منه صديقي وحكى له عن الموضوع.

قال له الدكتور:

**«أتريدني أن أفتي بشيء حرمه الله»**

اختفت سيارته بين زحمة الرفاق... تجمدنا مكاننا وقلنا لصديقنا

**«إيه هتعمل؟!»**

قال:

**«لن أقدم على الكلية الرياضية»**

مشى الشيخ في السيارة مع بعض الإخوة ولحقنا به هناك حيث كان سيتناول وجبة العشاء ثم يستعد للانصراف إلى الفيوم مرة أخرى... تصورت أنني سأرى الشيخ ينظم الهيكلة لجماعتنا في ملوي أو يصدر الأوامر ويعاقب المقصرين... إلخ، ولكن خاب ظني فلقد مشى الشيخ بعدما تناول العشاء مباشرة وعلمت من يومها أن دور الشيخ ما هو إلا أنه الرمز الأزهري للجماعة وليس هو القائد التنظيمي، وأظن أن هذا هو دور الدكتور عمر فقط والدليل على ذلك أنه وبعد مرور السنوات الطوال قال لنا محمود شعيب أحد قادة الصف الثاني للجماعة في ندوات المبادرة في سجن الوادي الجديد إننا نحن قادة الصف الأول والثاني في الجماعة مخطئون لأن الدكتور عمر حينما قرأ بحث قتال الطائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام قال لنا اكتبوا في آخر صفحة أن هذا الكلام لا يطبق إلا بالنظر إلى فتوى الحال والواقع، ولكننا كتبنا تحته راجعه وأقره عمر عبد الرحمن دون أن نكتب كلامه الحقيقي وهذه شهادة جيدة في حق الرجل الذي ألصقت به تهم كثيرة هو منها براء.

انفردنا بأنفسنا نتجاذب أطراف الحديث... صاحبنا كان ذاهلًا أو مستغرقًا في التفكير... كان لا بد أن نرد الثقة إلى المشايخ الموجودين في بلدنا وفي مساجد الأوقاف حتى نستطيع أن نلتمس المخرج مما نحن فيه، ولكن كيف ذلك وأغلبهم إما مدخن للسجائر وإما حالق للحية، هذا ما كنا نراه ساعتئذ.

لم يكن لقاء الأربعاء هو آخر اللقاءات ولكننا التقينا الشيخ في أسيوط مرة أخرى في أحد معسكرات الجماعة، أذكر أن الشيخ تكلم يومئذ وأنكر على جماعة الإخوان دخولهم الانتخابات وقال:

www.ibtesama.com

«فالصراع قائم، والحركات التي تضرب لا يكون ذلك إجهاضًا لها، فالصراع وما يجره من ذيول سلبية ظاهرة على تلك الحركات؛ لا يعتبر كذلك، إن ذلك مرحلة تمحيص، ومرحلة بناء لقواعد التضحية والإخلاص.

وبمفهومي؛ فإن أي عمل إسلامي لا يمكن أن يجهض مطلقًا، استمر العمل أو توقف، لأن لكل مرحلة فوائدها وآثارها التي يحسها الجميع.

من يقول - مثلًا - إن إعدام سيد قطب قد أدى إلى إجهاض الحركة، لو بقي سيد على حياته لما عرفه الناس إلا قليلًا، ولكنه لما أوذي في الله؛ فدخل تاريخ الأمة المسلمة من أعرض الأبواب وانتشرت أفكاره وكتبه.

إن استشهاد الحسين؛ أعظم ألف مرة من بقائه على قيد الحياة، أما الشهادة فما دام الإسلام قد طالبنا بها؛ فهي أمر يجب أن نحرص عليه، سميناه غاية أم وسيلة.

ولا شك أن إعلاء كلمة الله هو الغاية، والجهاد وسيلة لذلك، ولن يتم ذلك إلا بالجهاد، كما حدده القرآن.

إننا مقصرون، وكان يجب أن يتضاعف جهدنا وعددنا، وليكن منا الضحايا والقتلى.

أعرف شيوعيًا سجن لشيوعيته 13 مرة، وهو يستقبل السجن بصدر رحب، رغم أنه يدافع عن عقيدة باطلة، فلماذا لا يدافع أهل الحق عن حقهم وإن سجنوا وقتلوا؟!

إن الدعوة إلى الحق تقتضي تكاليف ومتاعب، وهذا طريق الرسول عليه الصلاة والسلام والرسل من قبله الذين قتلوا في سبيل دعواتهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[1].

أنا أعتقد أن الاشتراك في المجالس النيابية يؤدي إلى مفاسد كثيرة، كما أنه يوقع الجماهير العريضة في الحيرة والتضليل... إن اشتراكهم في مجالسهم دلالة على شرعية الحكومة، وعلى أنها تؤدي أعمالها، وهذا يدفع الجماهير إلى الالتباس والشك، ولأنهم بعد ذلك يشتركون في مجالس تصدر قوانين وضعية، وهذا الخلط يسبب إحراجًا كبيرًا للناس.

أما الادعاء أنهم يستطيعون أن يبلغوا الإسلام عبر هذا المنبر؛ فإننا نقول إن هذا ادعاء يضمحل أمام المنكرات التي تمر أمامهم، وهم لا يستطيعون التحرك كما يجب.

(1) سورة البقرة، الآية: 87.

www.ibtesama.com

**وأمر آخير؛ إن وجود الإسلاميين في تلك المجالس وعشرات القوانين الوضعية تخرج بوجودهم؛ هو سبة وعار في جبين المعارضة الإسلامية، إذ لولاها لما تبجّح النظام بأنه ديمقراطي».**

هكذا كان يتكلم الدكتور عمر، وهكذا كان يصف الحالة الراهنة.

لقد كان الدكتور عمر عبد الرحمن قوة تحاول الضغط على الحكومة ولكنها كانت تدفع الدولة إلى تقديم تنازلات لمصلحة التيار الإخواني الذي يتنصل من الشيخ بمعنى أن هناك طرفًا يدفع وطرفًا آخر يقطف الثمرة، وكان الإخوان يؤدون دورهم بذكاء يحسدون عليه فنحن كنا ندفع ثمن مغامراتنا والإخوان يظهرون أنفسهم على أنهم الطرف الهادئ الذي لا يميل إلى العنف.

الدكتور عمر كان يملك الكلمة وكانت كلماته هي المشكلة الكبيرة التي جرت شبابًا كثيرين إلى ساحات القتل بعد ذلك، ولو أدرك الدكتور عمر خطورة كلماته لما فعل الكثير ولما ذهب إلى هذه اللقاءات والمعسكرات.

وأشهد على نفسي أنني لا أعرف المرتبة العلمية التي وصل إليها ولا أقصد الشهادة التي حصل عليها الرجل فهذا يعرفه علماء المسلمين الذين حازوا العلم ولكنني أشهد بفصاحة الرجل التي أعجبتنا.

الشيء الغريب والعجيب يومئذ أن الشيخ وهو يتكلم سقط فأر من سقف مسجد أبي بكر الصديق بأسيوط فصرخ أحد الحضور وظنه ثعبانًا وصرخ من بجواره وقام الحضور ظنًا منهم أن قوات الأمن ستقتحم المسجد وحدث الهرج والمرج وساد الصخب والهتافات ضد الحكومة إلى أن هدأ الأمر بأعجوبة!!

كانت كل كتيبات وأبحاث الجماعة في هذا الوقت مكتوب عليها تحت إشراف فضيلة الدكتور عمر عبد الرحمن وبعد المبادرة تبين لنا أن الرجل لم يكن موافقًا على كل ما كتب ولا كل ماقيل!!

في عام 89 اعتقل الشيخ الضرير بتهمة التظاهر في الفيوم ثم خرج وظل في حظرٍ أمني في منزله بالفيوم فترة طويلة حتى التقى وزير الداخلية عبد الحليم موسى في مكتبه وبعدها مباشرة في اليوم الأخير من شهر رمضان سنة 1410 أي في أواخر شهر أبريل من سنة 1990 سمحت الجهات الأمنية في مصر للشيخ عمر عبد الرحمن بالسفر لأداء العمرة، ولكنه حين وصل إلى مطار القاهرة كانت رؤية هلال شهر شوال قد ثبتت، ولذا

www.ibtesama.com

لم يسمح له بالسفر إلى الأراضي الحجازية لأن تأشيرة العمرة التي كان قد حصل عليها كانت محددة بانتهاء شهر رمضان، فقرر السفر إلى الخرطوم، ومنها حصل على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ورغم أن حصول الشيخ في تلك الفترة على تأشيرة دخول إلى أمريكا كان يعد أمرًا غير مستغرب، إلا أن البعض أطلق عدة إشاعات حول علاقته ببعض الأجهزة الأمريكية، وهذه الإشاعات ثبت زيفها وبطلانها، وكنا نحن القواعد من عامة الجماعة نرى أن سفر الدكتور عمر إلى أمريكا هو انتصار جديد للجماعة وانطلاق ناحية العالمية.

سافر الشيخ إلى أمريكا بعد أدائه فريضة الحج في تلك السنة 1410هـ، وفي شهر يوليو من عام 1990م وصل إلى الولايات المتحدة، ثم حصل على الإقامة الدائمة بصفته إمامًا وخطيبًا لأحد مساجد بروكلين.

في العام التالي 1411هـ أي في أوائل صيف عام 1990م سافر الشيخ إلى الأراضي الحجازية مرة أخرى للحج، ولدى عودته بدأت المضايقات الأمنية له حيث احتجز لعدة ساعات في مطار كينيدي، وسحبت منه بطاقة الإقامة بحجة أنه لم يذكر في طلب الإقامة أنه متزوج في مصر باثنتين، وهو ما يعد مخالفة لقوانين الهجرة والجنسية، ثم غيروا التهمة بعد ذلك إلى كونه وهو - الرجل الكفيف - يشكل خطرًا على الأمن القومي الأمريكي، مطالبين بترحيله إلى مصر، إلا أنه ظل لفترة مطلق السراح في انتظار قرار المحكمة في مسألة ترحيله، وفي أوائل يوليو 1993 أصدرت وزيرة العدل الأمريكية قرارًا باعتقال الشيخ إلى حين البت في قضية الهجرة مستندة إلى بند استثنائي في القانون الأمريكي يسمح لها بذلك، ولما تفاوضت محامية الشيخ مع السلطات الأمريكية على السماح للشيخ بمغادرة الولايات المتحدة إلى بلد غير مصر، أبدت تلك السلطات موافقة مبدئية على ذلك شرط أن تعلن دولة ثالثة استعدادها لقبول الشيخ، ولم يتردد حكمتيار في التجاوب مع هذه الدعوة، بل بادر إلى إعلان قبول الشيخ في أفغانستان إذا طلب اللجوء السياسي إليه.

ولكن أعلن الادعاء الأمريكي بعد يوم واحد من إعلان حكمتيار - أي في الخامس والعشرين من أغسطس 1993 - توجيه عدة تهم إلى الدكتور عمر عبد الرحمن منها التحريض على ارتكاب جرائم العنف والاغتيال، والتحريض على نسف المنشآت العسكرية الأمريكية، والتآمر لنسف وتدمير بعض المباني الهامة في نيويورك، والتآمر والتحريض على اغتيال الرئيس حسني مبارك أثناء زيارة كانت مقررة له إلى نيويورك في تلك الفترة.

www.ibtesama.com

وقد ظهر في أثناء محاكمة الشيخ أن تلك التهم كانت مبنية على أقوال صدرت عن الشيخ ردًا على استفتاءات كان يصوغها بعناية وإلحاح عميل مصري يدعى عماد سالم دسه عليه جهاز المباحث الفيدرالية الأمريكية.

في بداية عام 1995م بدأت محاكمة الشيخ وفي اليوم الثاني من أكتوبر من عام 1995 أصدرت المحكمة حكمها على الشيخ بالسجن مدى الحياة بالإضافة إلى 65 سنة أخرى.

عرضنا في مسجدنا أكثر من عشرة أفلام فيديو للشيخ عمر وهو يخطب في أفغانستان وهو يجيب عن أسئلة المستمعين في إذاعة البي بي سي... إلخ.

المهم أن الدكتور عمر عبد الرحمن كان يجيب عن الأسئلة بشجاعته المعروفة وكنا نلتقط بالطبع هذه الإجابات دون نظر إلى واقع ودون وعي، وحين اعتقل الدكتور عمر في أمريكا ورأى مجلس شورى الجماعة أن يرد على ما حدث فقمنا بعرض كتابه أمام المسجد وهو (الله أكبر فليستقل شيخ الأزهر).

*** 

## عالم الحيوانات

يمثل لنا الدكتور عمر أسطورة كالخميني، وكنا نحاول أن نجعله يبدو أمام الناس بهذه الصورة على الرغم من الخلاف الجوهري بين الشخصيتين والظروف المتباينة بين البلدين مصر وإيران.

كانت تعجبنا الصورة التي تدلل لنا وللناس أننا قرب مواقع الحكم بخطوات قليلة ولم نكن نخدع أنفسنا بل هو ما كنا نعتنقه في قلوبنا بالفعل.

قال لنا محمد جمال أحد أعضاء مجلس شورى المنيا في اجتماع في مسجد الجهاد بأرض سلطان بالمنيا إن الثورة الإيرانية قامت بشرائط الخميني وإننا نستطيع أن نفعل الكثير، كما أننا لا بد أن ندرك أننا وقود الثورة القادمة في مصر ولذا علينا أن ندرك أننا سنضحي بالكثير من وقتنا ومالنا.

لا أستطيع أن أصف كيف كان شغفي بالثورة الإيرانية وبيوم الجمعة الدامي في طهران وكيف أننا عن قريب سنستطيع أن نفعل مثلما فعل هؤلاء الشباب الشيعة الذين احتلوا السفارة الأمريكية هناك.

www.ibtesama.com

حاولت بصفتي أمير لجنة الإعلام في بلدي أن أنشر شرائط مشايخ الجماعة وقادتها بين الناس ولكن مجهودي بلا جدوى ولا فائدة. . . لم يكن يسمع هذه الشرائط سواي أو عدد محدود من الرفاق والإخوة الذين يعدون على أصابع اليد الواحدة، ولما اعتقلت في تظاهرات جامعة المنيا في أواخرعام 89 كان معنا الدكتور ناجح إبراهيم عبد الله والشيخ أسامة حافظ مفتي الجماعة.

ورغم أنهما كانا قادمين من ليمان طرة الذي هرب منه خميس مسلم ومحمد الأسواني وعصام القمري وكانوا في حالة زرية من الحرمان والضغوط بعد هذه الحادثة من الهروب إلا أنهم سمحوا لهم بكل شيء في سجن المنيا وكانت تأتيهم الوفود من محافظات الجمهورية لتسلم عليهم وتستمع إلى نصائحهم داخل السجن حتى أنهم قاموا بإعداد جدول للوفود كيوم المدرسين ويوم الأطباء. . . إلخ.

وفي إحدى تلك الجلسات أمروني أن أنشد فقمت بإنشاد قصيدة شاعر الأقصى يوسف العظم:

ذبحوني من وريد لوريد — وسقوني المر في كل صعيدِ
مزقوا زوجي فلم أعبأ بهم — ومضوا نحو صغيري ووحيدي
غرسوا الحربة في أحشائه — فغدا التكبير أصداء نشيدي
دمروا بيتي وهل بيتي هنا — إن بيتي خلف هاتيك الحدود
وتلفت فلم أعثر على — غير أبناء الأفاعي والقرود
ولوائي فوق هامات الورى — يتحدى في العلى كل البنود

اللحن والأداء الحزين جعلا الدمع ينسال على وجه البعض وقام أسامة حافظ من نومه حين طلب مني البعض أن أنشده مرة أخرى وقال لي في الصباح إنني متعود النوم باكرًا ولكن هذا النشيد أضاع من عيني النوم.

إنه المسجد الأقصى وفلسطين المحتلة التي كانت وقودًا لنا دائمًا ونحن في صراعنا مع الحكومة.

أعود إلى الجلسة التي سألنا فيها ناجح إبراهيم عبد الله عن شرائط الجماعة فلم يجد منا من سمعها سوى العبد الفقير واثنين أو ثلاثة من الجلوس.

**شريط الخلافة الإسلامية - الشهيد محمد قطب - الطائفة الممتنعة - التعذيب.**

www.ibtesama.com

هذه أهم الشرائط التي خرجت من سجن ليمان طرة رغم الحصار المفروض والأسوار. . . كان يقدم الشرائط غالبًا طلعت فؤاد قاسم ولا يتكلم فيها سوى أعضاء مجلس الشورى الذين كانت كلماتهم حصرًا لأدلة الأبحاث والكتب والأفكار للجماعة.

بان على وجه ناجح إبراهيم الأسى والحزن فقد كان يظن أن شرائطه قد انتشرت في المجتمع المصري فلم يجد حتى أتباعه قد سمعوها!!

كان يؤرقني أن نعتقل اعتقالات طويلة مثل اعتقالات الإخوان أيام عبد الناصر فقلت للشيخ ناجح إبراهيم ونحن نقف معًا في مستشفى سجن المنيا العمومي:

- **قلي يامولانا لواعتقلونا اعتقالات طويلة الجماعة هتعمل إيه؟**

- **أكيد هيخرج خالد الإسلامبولي جديد علشان يعيد الأمور لمجاريها.**

فهمت ما ستفعله الجماعة من مواجهات وما ستقوم به من أعمال قتالية في المستقبل بعد استعارتها من نجاح التنظيم قبل ذلك في اغتيال السادات ومن خروج المتحفظ عليهم دون أن ينظر قادة الجماعة إلى شرعية ما سيحدث.

خرجت متحمسًا وقررت أن أعرض هذه الشرائط أمام المسجد وجلسنا أنا والرفاق في اللجنة الإعلامية وقررنا أن نفعل شيئًا فاتفقنا على أن نقوم بعمل ماكيت لقفص في محكمة والتقينا رسامًا يستطيع أن يرسم صورة مكبرة لوجه الدكتور عمر عبد الرحمن في زي أزهري حقيقي لنجعله خلف قضبان القفص كما رأينا أن نقوم بإعداد مجلة حائط كبيرة ومصورة عنوانها عالم الحيوانات كانت عن الوزراء في هذه الفترة في حوار كاريكاتيري بينهم وقد تعدينا جميع الحدود وجعلناهم على هيئة حيوانات ووضعنا رأس كل واحد منهم على حيوان معين.

وضعنا ماكيت الشيخ الضرير في عرض الشارع وكذلك مجلة الحائط المصورة. . . امتلأ الشارع عن آخره ووقفت الصفوف لتشاهد ما فعلناه.

قررت أن أنقل مجهوداتي إلى مسجد الجهاد بالمنيا، ورآني محمد جمال عضو مجلس الشورى فقال لي:

- **إيه إللي بتعمله ؟!**

- **مجلة عالم الحيوانات.**

فنظر بتعجب إلى المجلة قائلًا لي:

www.ibtesama.com

**- إيه اللي هتعلقه؟! دا هنا طلبة جامعة وناس متعلمين.**

**- مولانا دي الطوابير كانت بتسد الشارع عندنا في البلد وهي بتشوف الحاجات دي.**

**- يابن الناس اللي عندكم في ملوي بتفهم... دول واقفين يشوفوا إزاي دا رأس بني آدم وجسم حيوان... أنت تحسب إن فيه ثورة ممكن تقوم من عندكم من ملوي أو من الصعيد دول شوية صعايدة وكمان فلاحين.**

أية ثورة التي كنا نتحدث عنها؟! وأي وقود هذا الذي سيشعلها؟! وكيف وأين ولماذا؟!

أظنها أسئلة كانت تحتاج إلى إجابات وتوضيح طالما نحن شوية فلاحين وصعايدة!!

* * *

## أم خالد الإسلامبولي في قاعة المحكمة

مرت أيام فاعتقلت وكانت الجماعة وأحداثها فارقة في الحياة اليومية المصرية، كنت لا أفهم كثيرًا في السياسة ولكنني سأقف الآن وراء أسوار المحكمة في قضية سياسية بعد أن اعتقلونا وبعض الرفاق في قضية شفيق جلال.

إن الوقوف أمام المحكمة له طبيعة مشوبة بالقلق والهم رغم أننا في الليلة التي سنسلك فيها إلى قاعة المحكمة قالوا لنا إن سجننا لن يزيد على 45 يومًا!!

لا شك أننا كنا واثقين بأنفسنا وسعداء لأننا سنسجن في إحدى القضايا التي تخص الشريعة الإسلامية، وقضية الشريعة برمتها قضية عادلة وكبيرة تستحق الاهتمام وهذا ما جعلنا ننصرف إلى وضع تصورات لوسائل نصل بها إلى تحقيق هدفنا الأعظم مغضين الطرف عن مراجعة الأفكار أو تصويب الأخطاء.

لقد أصبحت معركتنا تعبرية عنيفة تمثل اتجاهًا عامًا وخطابًا إسلاميًا ينطلق من عدالة القضية والحق المطلق الذي لا يقبل مراجعة باعتبار أن الشريعة معنية بحكم الناس وأنها هي القانون السماوي الذي يفصل بينهم على الأرض وعلى هذا حدثت الإشكالية والأزمة التي وقفت أمام المراجعة في هذه الفترة لكوننا الفصيل الوحيد الذي يضحي ويدخل المعتقلات من أجل الشريعة رغم أن جماعات كثيرة مثلنا على الساحة، ولكننا اعتقدنا

www.ibtesama.com

أننا اقتنصنا الحق المطلق ومن اقتنص الحق المطلق فإنه يفكر في ما هو مطلق وينسى أنه ممكن أن يخطئ في بعض خطواته وبالأخص في الخروج على الحاكم وهو المعركة الأهم والطريق النهائي للوصول إلى حكم الشريعة.

وأحيانًا تصبح النظرة الذاتية والموضوعية إلى حقيقة الأشياء مؤلمة وتصبح النصوص هي الذريعة والملاذ وهي الأمور الجاهزة التي تدعو وتبرهن للمعركة وخلال هذه الأعوام التي أحكي عنها مر الكثير من المياه تحت الجسور وتحرك سيل المعارك في كل مكان وما بين فترة السبعينيات والتسعينيات كان مثالًا صارخًا لتلك المعارك وتغيير المنكرات بالقوة واليد وهذا هو الأساس الفكري والأصول المعرفية التي أدت إلى أكبر أزمة تواجهنا كأفراد وجماعة.

لاشك أن قضية الشريعة قضية كبيرة وعادلة وأنها تستحق النظر والاهتمام ولكن ذلك لا يعفينا من المسؤولية والنظر في طريقنا وأفكارنا.

ولم يكن مقنعًا لنا شيء سوى تطبيق الشريعة في مصر ولو على أرواحنا ودمائنا، ولم تكن الإشكالية في غياب الشريعة وحدها ولكن في كيفية الوصول والتطبيق الأمثل.

إن أكثرنا نحن قاعدة الجماعة لم يكن عندنا تصور لكيفية تطبيقها أو برنامج حقيقي لهذا التطبيق سوى أن عندنا صورة واضحة هي صورة الخلافة، وكان الأولى بنا في هذه الفترة أن نقف مع أنفسنا لتربيتها على العمل الصالح والعقيدة الراسخة والإيمان القويم وتصحيح الاتجاه في فصائل العمل الإسلامي، وترشيد مسيرته، وتصويب حركته حتى تسير في الطريق الصحيح إلى الهدف الصحيح، وهذا هو الهدف الأهم الذي شغلتنا عنه المعارك التي شوهت الدين بالكلية وبدلًا من أن تستهدف الأعداء أصبحت تستهدف صدور أتباع الإسلام، وتطحن جماجمهم.

طوال الطريق إلى محكمة جنوب القاهرة كنا نطل من شبابيك عربة الترحيلات وننظر إلى القاهرة المحروسة التي لم نتشرف بزيارتها إلا مرة واحدة ونحن أطفال صغار.

سمعت صوتًا داخل عربة الترحيلات يقول:

- إذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم ونحن اخترنا الأخ (ع. أ) ليكون أميرًا.

لا أعرف لماذا كان يصر هذا الأخ الأمير على أننا ونحن نطل من شبابيك عربة الترحيلات علينا أن نمسك المصاحف ونهتف هتافات عدائية ضد الدولة حتى لو لم يكن هناك تجمعات من الناس في الطريق.

www.ibtesama.com

إن مبدأ السمع والطاعة كان يجبرنا على أن ننفذ له ما يقول، حتى وصلنا إلى المحكمة فوجدنا صفوفًا متزاحمةً من عساكر الأمن المركزي وعدد غير قليل من الضباط.

**- علام كل هؤلاء الضباط والعساكر إذا كانت الحبسة 45 يومًا بس. . . دي قضية كبيرة وإحنا.**

**- محبوسين بحاجة اسمها حبس مطلق!!**

قلت لصاحبي ذلك.

**- يابني متخفش. . . حبس مطلق يعني 45 يومًا. . . محدش بيتحبس في مصر أكتر من كدا.**

ودخلنا قاعة المحكمة ووقفنا وراء القفص الحديدي. . . كانت القاعة مليئة بالناس والمحامين المتطوعين للدفاع عنا والكل ينتظر القاضي وهيئة المحكمة، ولكننا فوجئنا بأم خالد الإسلامبولي وهي تدخل قاعة المحكمة بحجابها الأبيض الطويل وبجوارها أختها وكان هذا هو اليوم الذي رأينا فيه أم قاتل السادات.

ازدادت حماسة المعتقلين وراء قفص المحكمة فأخذنا نترنم بأناشيد أنور عكاشة الحماسية عن القدس والأقصى والمحبة والغزل لأم الإسلامبولي وهو أحد المحكوم عليهم في قضية اغتيال السادات بالمؤبد.

**رويدك أم خالد علمينا ... إباء المجد ثمّ وخبرينا**
**وهزي في موات الذل إنا ... كرهنا الذل كأس الخاضعينا**
**رويدك أم خالد لاتراعي ... فخالد لايزال يصول فينا**
**ويهتف في ثبات النائمينا ... فما أحلى الجهاد الحر فينا**

قعدت أم خالد تنظر إلينا بإعجاب وتشير لنا بعلامات النصر وكأنها قررت أن تقهر القاضي وهيئة المحكمة والدولة التي سجنتنا وحكمت بالإعدام على ابنها، ولم تكف الأناشيد والهتافات حتى دخل القاضي فلما رأيناه أشار لنا أحد الإخوة أن نهتف في وجهه إن الحكم إلا لله.

رأيت القاضي ينظر إلينا بطرف عينه ثم يبتلع الكلام.

تكلم المحامون جميعًا محامٍ يلتقط الكلام من آخر. . . ما أسهل مهنة المحاماة عباءة سوداء وكلمتان أحفظهما واحدة مضمومة أفتحها وأخرى منصوبة أضمها وبعض

www.ibtesama.com

المعتقلين أتطوع للدفاع عنهم.

وصل الكلام في النهاية إلى المحامي المشهور الدكتور محمد مندور فقلت لماذا لم يسكت [م. ر] أو [م.ح] ويتركوا هذا الأستاذ يتكلم، لقد صال الرجل وجال حتى أثبت ببراعة أن قانون الطوارئ مخالف للدستور وأن اعتقالنا بهذا الشكل جريمة كبرى في حق القانون والدستور والشرائع السماوية ولكن الدكتور يومئذ لم يتكلم عن أعمالنا نحن وهل هي مخالفة للدستور أم لا، إن كلامه قد دفعني أن أقول يومئذ بصوت مرتفع:

**- يعني قوانين الدولة كلها غلط في غلط وكلام الجماعة الإسلامية صح؟!**

بعد مداولات بسيطة حكم القاضي بالإفراج عنا جميعًا فانطلقت التكبيرات ومرقت أم خالد إلينا فوقفت أمام القفص الحديدي فتكومنا جميعًا أمامها فتشجعت المرأة وأخذت ترفع يديها بالدعاء وتقول:

**- اللهم انتقم من الظالمين بالظالمين، وأخرج المجاهدين من بين أيديهم سالمين غانمين، اللهم انتقم ممن ظلمهم وسجنهم وآذاهم، وأحصهم عددًا واقتلهم بددًا اللهم آمين.**

كنا نصرخ بعدها آمين آمين.

تأثرت كثيرًا وقلت لاوجه للمقارنة بين أمي وهذه المرأة التي يقولون عنها إنها وزعت عجلًا على الفقراء والمساكين ابتهاجًا بعد إعدام ابنها، وفرحًا لشهادته في سبيل الله فأين أمي التي تقول لي ياولدي نحن فرع في شجرة مالنا ومال الحكومة، ياولدي ملكش دعوة بالسياسة، وهذه المرأة التي تذهب إلى المحاكم لترفع من روح المعتقلين وتشد من أزرهم.

وأفرج عنا وذهبت أنا وثلاثة من الرفاق والإخوة إلى بيت الإسلامبولي في ملوي، كنت ألقي نظرة على كل شيء في البيت الذي تربى فيه الإسلامبولي قاتل السادات وأخوه محمد أمير الجماعة بمصر... البيت يشي بأن أصحابه من ذوي المال والغنى ويشي بأن أهله على قدر من الحسب والنسب... كان يملأنا الشغف أن نرى والد خالد كما رأينا أمه.

دخل الرجل وجلس أمامنا بهدوء ثم أشعل سيجارًا فكلمناه في قضية أحد الرفاق المعتقلين، كانت الإضاءة خافتة وكنا مستعدين لتجاوز بوابة البيت العريضة بعد كلامنا بدقائق.

الحقيقة أننا كنا ننظر إلى هذه المسألة على هذا النحو رغم أن خالد أو أمه أو أباه

www.ibtesama.com

كانوا أشخاصًا عاديين جدًا ولكن حجم مافعله خالد هو الذي أعطانا الزخم وأعطى أهله أهمية.

لم أذهب إلى هناك مرة أخرى بعدها غير أنني ذهبت كثيرًا إلى بيت ابن خالة قاتل السادات وهو قريب من البيت الأول. . . التقيت هناك الشيخ طه السماوي الذي جاء ليعقد جلسة مع بعض الأفراد من قرية الريرمون من أجل ضمهم إليه. . . هؤلاء الأفراد كانوا في بداية انضمامهم إلى الجماعة الإسلامية وعلى هذا ذهبت إلى هناك لأقول ذلك للشيخ عبد الله السماوي.

كان الرجل يجلس على أريكته ويتكلم العربية الفصحى بطلاقة يحسد عليها. . . يأكل بعض تمرات من التمر وضعت أمامه. . . يمسك التمرة باليمنى ويضع نواتها بين السبابة والوسطى باليد اليسرى ثم يلقيها خلف ظهره ويقول لنا هذا من سنة النبي المصطفى عليه السلام !!

أعجبني ما يفعله الشيخ وطريقته في أكل التمر التي لم أعرفها من قبل والتي بلاشك ستلفت الانتباه، ولكنني أغضبته حين كان يتكلم على وجوب العمل الجماعي ووجوب البيعة لأمير الجماعة فقلت له إن هؤلاء الأفراد الذين تريدهم أن يبايعوك يتبعون الجماعة الإسلامية مما جعله يرد علي بغضب قائلًا:

**- كرم زهدي تلميذي وناجح تلميذي وخالد الإسلامبولي تلميذي كلهم خرجوا من تحت يدي.**

فعلًا كان الرجل الأب الحقيقي لكل الجماعات الشبابية الجهادية التي ظهرت على الساحة بكل قياداتها التي مرت بين يديه فقد كان الرجل جذابًا في أسلوبه وشكله وطلاقته، وإن كان منعه السجن والاعتقالات المتوالية من الحصول على العلم الكافي وإكمال تعليمه حيث اعتقل أيام عبد الناصر بعد أن ألقى قصيدة فيه وحكم مع الإخوان لمدة خمس سنوات وشهر واحد وكان من أصغر معتقلي الإخوان هو وشكري أحمد مصطفى مؤسس جماعة التكفير والهجرة وقد تأثر بشكري فخرج ليكفر ويقول بجاهلية المجتمع ويحرم التعليم.

وقد عاصرت من تركوا التعليم بسبب الشيخ السماوي حيث كان يملك الحجة القوية في الإقناع بأي فكرة يؤمن بها حتى أنه استطاع أن يقنع بعض أفراد ممن بايعوه قبل مقتل

www.ibtesama.com

السادات بالذهاب إلى أرض الصالحية واستصلاحها واعتبارها المركز الذي سينطلق منه جند الإسلام لتحرير مصر كلها من الجاهليين!!

كان أتباعه يبايعونه يدًا بيد ومن تركه كان يعتبره ناقضًا للبيعة وكان ذلك في أول الأمر قبل أن يكبر الشيخ وتزداد خبرته وثقافته فيبدأ بالعمل الحزبي الذي كان يعتبره وثنًا يعبد من دون الله ويقول إن هناك حزبين، حزب الله وحزب الشيطان، كما كنا نقول نحن حين بدأنا عملنا الإسلامي.

اعتمد السماوي في تمويل تنظيمه على ما يسمى البذل وهو جزء بسيط يدفعه المنتمي إليه ولكن الغريب أن السماوي وأفراد تنظيمه كانوا لا يهتمون بإقامة تنظيم هيراركي كالجماعة الإسلامية أو لجان أو ماشابه فقد كان ينقصهم الكثير من ذلك فكان السماوي يكتب أسماء من يبذل إليه المال في كشكول حتى عرف من كان معه وقبض على غالبيتهم.

اعتقل السماوي في عام 86 بتهمة التحريض على حرق أندية الفيديو وخرج بعدها وحاول أن يلم تنظيمه مرة أخرى.

فشلت طريقة السماوي في لم شمل تنظيمه المنفرط وفي جمع عدد من الأفراد يلتفون حوله حيث أعجبتنا وأعجبت هؤلاء الأفراد من قرية الريرمون أو غيرها من القرى الأخرى حكاية تغيير المنكرات وإظهار كيان الجماعة وتكفير الحاكم.

* * *

## الناجون من النار والهجوم على الأزهر

في الأثناء التي عاد فيها السماوي إلى القاهرة أصدرت الجماعة بيانًا تؤيد فيه العملية التي قام بها تنظيم التوقف والتبين والمعروف إعلاميًا باسم الناجون من النار الذي حاول اغتيال النبوي إسماعيل ومكرم محمد أحمد والوزير السابق أبو باشا.

كتب هذا البيان في مجلة الجماعة غير الدورية والمخطوطة صوت الأزهر وقد صدر من هذه المجلة عددان فقط وقد كان هدفها إسقاط علماء الأزهر في أعيننا لأننا من نقرأ هذه المجلات فقط والهدف الآخر توضيح صورة علماء الجماعة مثل الدكتور عمر والشيخ المحلاوي وغيرهما.

ثاني أعدادها الذي صدر فيه هذا البيان والذي كان يحوي مقالات حول محاكمة

www.ibtesama.com

وزير الداخلية زكي بدر والمقال الافتتاحي متى تعلو كلمة الحق منبر الأزهر؟

كنا نهاجم الأزهر وعلماءه على المستوى العام وكانت تحوي أدبيات الجماعة ذلك، يقول المقال الافتتاحي (**واهًا لك يا أزهر واهًا وقد علاك من باع دينه بدنيا غيره. . . ألم ترهم أنت يا أزهر وهم يلهثون في مجلس الشعب؟ ألم ترهم وهم يلهثون إلى القصر الجمهوري ثم وراء الميكروفونات وعلى صفحات الجرائد؟**

**ما أخزاكم أيها المسخاء والشائهو الكيان. . ألم يؤخذ عليكم ميثاق الكتاب ألم تقولوا على الله إلا الحق؟!)**[1]

تعرض المجلة على صفحاتها صفحة من تاريخ الأزهر وهي ثورته على الفرنسيين ومقالًا حول الرد على من قال بنسخ آية السيف وقد اجتهد كاتبه لمحاولة إثبات ذلك ومقالًا هامًا حول عرض كتاب أصناف الحكام وأحكامهم للدكتور عمر عبد الرحمن.

يقول البيان: (لاشك أن الرصاص الذي انطلق يوم الخميس 5/ 5/ 1987 على حسن أبو باشا أمام منزله بالعجوزة ثم ذلك الذي انهمر على مكرم محمد أحمد يوم الأربعاء 3/ 6/ 87 والآخر الذي انطلق على النبوي إسماعيل يوم الخميس 9/ 7/ 1987 ثم ذلك الذي انهمر في موقعة الخرقانية يوم السبت 11/ 7/ 1987 وبعده في سنتريس يوم الجمعة 24/ 7/ 1987 نقول لاشك إن أثر هذه الرصاصات لم يقف عند الإصابات التي أحدثتها وإنما أيقظت نيامًا طال رقادهم ونبهت غافلين لم ينتبهوا بعد.

لقد فضحت هذه الرصاصات قاعدين رضوا بالقعود مع الخوالف وأذهبت غيظ قلوب الآلاف من المستضعفين في الأرض، شباب أنت جدران السجون والمعتقلات مع أنينهم، أمهات احترقت قلوبهن على فلذات الأكباد، أطفال وزوجات طال فراقهم وزاد حنينهم.

لقد خلعت تلكم الرصاصات قلوب طغاة متجبرين وقالت في لغة واضحة إن القوة هي الحل الوحيد).

مع انطلاق علماء الأزهر من الشمال البعيد إلى الجنوب القصي ومن الشرق النازح إلى الغرب المتباعد بحسب قول الجماعة في مجلة صوت الأزهر يحاورون شباب الجماعات الإسلامية، صدرت مجلة صوت الأزهر وصدر عددها الثاني الذي كان فيه

---

(1) لا يجوز كتابة باقي المقال لفظاظته وأسلوبه غير المؤدب مع العلماء ولكنني أردت أن أعطي فكرة بسيطة عنه وماذا كنا نقول عن علماء الأزهر.

www.ibtesama.com

البيان الذي يؤيد عمليات جماعة التوقف والتبين (الناجون من النار) وهي إحدى جماعات التكفير والهجرة التي قامت بمحاولة اغتيال أبو باشا والنبوي إسماعيل ومكرم محمد أحمد في عمليات غير مسبوقة ومواجهات دامية كانت إحداها بين محمد كاظم أحد أفراد هذا التنظيم في الخرقانية.

كنت أجلس في إحدى شقق عزبة شاهين بالمنيا مع الأمير علي عبد الفتاح أمير الجماعة بالمنيا الذي هاجر إلى أفغانستان لينضم إلى العرب الأفغان فقال:

**- أتمنى لو في الجماعة عشرة من محمد كاظم والله لكنت وصلت للحكم.**

كانت التصورات تجري بهذا الشكل وكانت البيانات والمنشورات تصدر في هذا التوقيت دون حساب حتى لو على حساب الذين يتوقفون ويتبينون وهم أولئك النفر من بقايا التكفير والهجرة الذين أخرجوا لنا بدعة جديدة وهي أنهم لا بد أن يتوقفوا في الحكم على أحد ثم أن يتبينوا هل هو مسلم أم لا ؟!! هل هو كافر بالطاغوت أم لا؟!!

* * *

## ندوات سيادة الوزير الفاشلة

كيف يُكتب في صوت الأزهر بيان حول علماء السلاطين ويأتي العلماء الذين نقول عنهم ذلك ليحاورونا؟!!

لقد حاولت الدولة أن تجد حلًا بالحوار والنقاش وطرح الأفكار في مائدة النقد وإعادة البناء فبدأت الحملة بالحوار بين علماء الأزهر وقيادة الجماعة في مسجد آدم بعين شمس والجمعية الشرعية بأسيوط ومسجد الرحمن بالمنيا لكونه المسجد الرئيسي للجماعة هناك، ولكن المفتي الشيخ طنطاوي رفض دخول المسجد لأنه مسجد ضرار فكانت الندوة في مسجد الجمعية الشرعية بالمنيا.

الرمال ممتدة على جانبي الطريق الصحرواي ونحن في صندوق سيارة الترحيلات المقفلة لا نعلم بخطة الدولة الجديدة.. عائدون من المحكمة إلى السجن، كان السجن على غير عادته، أمرًا غريبًا نشعر به ولا نراه.

فتحت الزنازين في الصباح الباكر على غير العادة ولأول مرة يداهمنا رئيس مصلحة السجون، حسبنا أن تفتيشًا سوف يجري ولكننا أخطأنا في تقديرنا فحين أخرجونا من البوابة وجدنا أتوبيسات سوبر جيت معدة لحملنا مرة أخرى ولكننا هذه المرة مقتادون إلى

www.ibtesama.com

مكان لا نعرفه.

هجس في صدري أنه لا داعي للهتافات اليوم من الشبابيك وهذا ما حدث بالفعل فلم يخطر على بال أحد أن يهتف أي هتاف وهو يجلس على كراسي الأوتوبيس المريحة ويصوب نظراته إلى الناس والحياة والدنيا.

اتضح المكان من بعيد إنه (مبنى دار الإفتاء المصرية).

الآن عرفنا لماذا أتينا إلى هنا ولكنهم لا يعرفون أن أميرنا قال لنا:

**- قولوا لهم لن نتحاور مع أحد، الحوار مع مشايخنا وليس معنا، قولوا لهم نحن لا نريد أن نخرج من السجن.**

هل كلامه يعتبر صحيحًا بأن الحوار إملاء بهذا الشكل وليس حوارًا لتصحيح المفاهيم وأننا سنستشعر عدم مشروعية بعض أفعالنا ونحن نرى أنفسنا وراء القضبان، إن الطاقة التي تحكمنا والفكرة هما نشر الدعوة واستجابتنا لأقوال أمرائنا لا تتم منعزلة أو منفصلة عن حبنا لهذا الجانب وعن اقتناعنا أن الحكومة تعترض سبيلنا وأن علماء الأزهر إنما هم عملاء يصورون للحكام سبل الغواية وإلا فما الداعي لفتاوى دار الإفتاء عن جواز بيع الخمور للسياح؟

ولماذا الحوار في السجن أليس القمع والإقصاء يولدان المعارضة وعدم قبول الآخر؟!

إذا فكرنا بهذه الطريقة سنفكر في جانب واحد فقط ولكني أؤكد أننا كنا لا نقبل حتى هذه الفترة أي دعوة إلى الحوار، وتحديدًا من علماء الأزهر.

دخل فضيلة المفتي الشيخ محمد سيد طنطاوي وفضيلة وزير الأوقاف محمد علي محجوب وجلسا على المنصة وباقي المشايخ جلسوا في الصف الأول فأخذنا نهتف:

**يــا عــلــمــاء اتــقــوا الله لا حــوار مــع الإكــراه**

الهتافات ساخنة ملتهبة.. أشار لنا الأمير فأعطينا ظهورنا للمنصة فانفجر الشيخ طنطاوي قائلًا:

**- دى قلة أدب.**

وقام ماشيًا وجميع المشايخ وراءه فوقف أمامنا ضابط علمنا بعد ذلك أنه من مديري مباحث أمن الدولة بالإدارة العامة، قائلًا لنا:

**- لا نافع معكم حوار ولا نافع معكم علماء وموش عارفين نعمل معكم إيه الله**

www.ibtesama.com

يخرب بيوتكم.

وبعد أن كان من المقرر لنا أن يفرج عنا أحضروا لنا عربات ترحيلات واقتادونا إلى سجن الاستقبال.. الفرق الواضح بين عربات الترحيلات وسيارات السوبر جيت كان واضحًا على وجوهنا، وعلى وجوه الذين أرادوا أن نستمع إلى المشايخ سواء اقتنعنا بما قالوه أو لم نقتنع.. المهم أن يفرج عنا.

توقعنا أن نعامل في السجن معاملة سيئة كأن يمنعوا عنا الفسح وخلافه ولكن ماجرى خالف كل التوقعات حيث وجدنا في استقبالنا ضباطًا آخرين من مصلحة السجون استقبلونا بحفاوة بالغة وكلما دخل واحد منا من البوابة الرئيسية أعطوه مصحفًا ومجموعة من كتب الأزهر وعلبة حلويات من دمياط وقالوا له هذه هدية من وزارة الأوقاف بمناسبة المولد النبوي.

ماذا أقول عن شعورنا يومئذ لا أعرف كيف أصف.. تباينت المشاعر ولكن هناك من اختزلوا ماجرى في أنهم أعطونا الهدايا إما إغراءًا لنا وإما لكي يسرقوا من الهدايا ويبيعوها في السوق السوداء والغريب أن صوت هؤلاء كان عاليًا جدًا.

قضينا أيامًا أخرى في السجن ننتظر ماذا تعد لنا وزارة الأوقاف بعد هداياها التي أرسلتها ثم أعلن عن ندوة للمشايخ داخل السجن.

كان المسؤول وأميرنا في السجن يومئذ هو الأخ علاء محيي الدين المتحدث الرسمي باسم الجماعة الذي اغتيل بعدها بسنوات وكنت أعرف هذا الأخ من يوم المعسكر الأول لنا حيث كان يدرسنا بحث العذر بالجهل.

وحدث بالطبع ما يحدث في كل مرة من رفض الحوار مع المشايخ، وأصدر الأمير أوامره بمنع حضور الندوة إلا إذا اقتادونا بالقوة، وأما من خرج بإرادته فسيعد مخالفًا لأوامر الجماعة.

لم يفكر أي إنسان في زنزانتنا في الخروج إلى الندوة التي ستجري في الصباح الباكر غير بلدياتنا [ج. ك] الذي أخذ يستغيث منا ويصرخ في وجه الدكتور [م. ع] أمير الغرفة المعين من قبل علاء محيي الدين ويقول له:

- **منك لله أنا عاوز أروح لابني.. ليه بتعملوا كدا؟!**

قال له الدكتور:

- **أنا عاوز أروح زيك ولكن أنت عاوزهم يقولوا إن زنزانة من زنازين مركز ملوي**

www.ibtesama.com

**فيها واحد خرج للندوة من دون مراكز الجمهورية، حرام عليك تخليهم يضحكوا علينا.**

**- يعني العملية عصبيات مش عملية فكر.**

**- أسكت.**

كان يخيل إلي يومئذ أن هذا الكلام من باب فض مجالس لاغير.

في الصباح خرج ثلاثون وأما باقي العنبر الذي يزيد عن ألف فقعدوا في زنازينهم حتى أتى المشايخ الذين أذكر منهم الدكتور محمد علي محجوب وزير الأوقاف الذي دار على الزنازين ليقنع الناس بالخروج حتى وصل إلى غرفتنا. . كنا قاعدين في أماكننا، ولما رأيناه قمنا له فأشار لنا أمير الغرفة أن نقعد مكاننا وكان هذا الأمير الدكتور مضطجعًا بطريقة هي أقرب إلى النوم فكلم الوزير قائلًا له:

**- موش هنخرج.**

قال له الوزير:

**- يابنى أخرجوا علشان تروحوا.**

**- موش عاوزين نروح.**

قال الوزير للضابط:

**- أقفل الباب ياحضرة الضابط.**

ووقف بلدياتنا [ج. ك] يصرخ على باب الغرفة وينادي الضباط أن يخرجوه إلى الندوة ولكنهم لم يردوا عليه بعد أن أغلقوا الباب وكم كان هذا الأخ ناقمًا طوال اليوم علينا وعلى أمير الغرفة وكم كان هذا الأمير بلدياتنا سعيدًا أن كلم الوزير وهو نائم وكم تحدث هو والرفاق طوال اليوم في ذلك ولم يعبأ بنقمة أحد عليه مهما كان.

حتى اليوم التالي قرروا أن يفرجوا عن الثلاثين الذين كانوا سيخرجون إلى الندوة.

وبعد الإفراج عن الثلاثين أعلنت إدارة السجن ندوة أخرى وأرسل إلينا الأمراء تحذيرًا من حضور الندوة الجديدة وإلا سيعتبر انتصارًا للحكومة ولكن المسجونين في هذه المرة اختلفوا بعد أن تحققوا أن الحكومة جادة في الإفراج عمن يحضر الندوات

قال صاحبنا [ج ]:

**- أنا موش قلت لكم دا من قبل كدا.**

الكل سكت في غرفتنا وقرر الخروج إلى الندوة حتى الدكتور الأمير ولو انتظرت

www.ibtesama.com

الحكومة قليلًا لخرج أغلب السجن ولكنهم لم ينتظروا وقرروا إخراج الإخوة إلى ضباط أمن الدولة للحوار معهم وإلغاء الندوة الجديدة، فأخرجوا أغلب السجن وتركوا العناصر القيادية.

ضابط فرعنا نحن لم ينتظرنا حتى نذهب إليه ولكنه جاءنا إلى الغرفة وقال:

**- إيه أخباركم، إحنا هنروحكم، موش محتاجين حاجة؟**

قال له الدكتور:

**- أنا عاوز إيزالوا للناموس.**

وقال له بلدياتنا [ج]:

**- أنا عاوز عشرة جنيهات سلف.**

قال لنا:

**- طلباتكم مجابة ولكن لما تروحوا تعالوا لي في المكتب، ونصيحة بلاش اللي بتعملوه وخلوا بالكم من مصلحتكم وأهلكم.**

أفرج عنا من بوابة السجن وعدت لأرى ما حصل في ندوة الحوار في مسجد الجمعية الشرعية.

لم نكن نتوقع أن يجيء إلينا وزير الأوقاف ومفتي الجمهورية، فقد أعلن عن ندوة للنقاش بين المفتي ومشايخ الجماعة في محافظة المنيا.

أخذنا الإحساس بالزهو حيث شعرنا أن التدافع الفكري وصل مع الحكومة إلى أن وضعنا رأسنا برأس مشايخهم.

هذا الإحساس كان في داخل الجميع الذين توافدوا في مجموعات كبيرة من جميع قرى المحافظة ليشاهدوا لأول مرة سيادة الوزير ومفتي الجمهورية.

كان الشيخ (م - ج) يقف أمام المسجد ليقول للناس إن مكان الندوة تغير بدلًا من مسجد الرحمن ليصبح في مسجد الجمعية الشرعية.

سألت أحد الإخوة فقال لي لقد رفض الشيخ سيد طنطاوي أن يقيم الندوة في مسجدنا وقال إنه مسجد ضرار.

يعني إن هذا المسجد يصد عن سبيل الله ويفرق المسلمين.. أخذت نفسًا إلى داخلي ولم يعجبني أن أكون أحد الخوارج.

بدأت الندوة بعد صلاة المغرب مباشرة وكانت قادرة أن تشتت انتباهي إلى أمور لم

www.ibtesama.com

ـ نها إلا سببًا واحدًا في يوم من الأيام..

المسجد ممتلئ عن آخره ليس من الجماعة فحسب بل من كل الجماعات.. أغلب من في المسجد ضد علماء الأزهر..

افتتح أمير الجماعة علي عبد الفتاح الندوة بالترحيب بالمشايخ وكان صفوت عبد الغني وراءه جالسًا مع (م - ع) يرتبان المجلدات ويرصانها ويضعان علامات على الصفحات التي سينقل منها صفوت الأدلة على جواز تغيير المنكر باليد لآحاد الرعية.

يعجبني أن صفوت شاب سنه 27 عامًا وإنه سيناقش علماء كبارًا.. كيف ذلك؟!

هل يوجد الآن شيء مؤكد أكبر من شاب سيناقش أكبر العلماء ويتحداهم.. إننا على الحق الأوحد.. هذه هي النتيجة العكسية لندوات علماء الأزهر معنا.. إذًا فلسنا نحن من الخوارج.

رددت هذا الكلام بداخلي.. العلماء لا يفعلون شيئًا سوى أنهم يدينون أفعالنا، وضوضاء لا تسمعنا شيئًا!!

أمسك الشيخ طنطاوي أثناء النقاش وإلقاء كلمته منديلًا حريريًا وقال:

- **يابني أنت دا منكر مين منكم يستطيع أن يغيره.**

فخطفه أحد الحاضرين منه على حين غرة.

قال وزير الأوقاف تغيير المنكر حسب الاستطاعة وتغيير المنكر باليد للحاكم

وانفجر قائلًا:

- **الحكومة هي الحكومة والدولة هي الدولة وكل إنسان له حدود.**

هتف أحد الحضور حسبنا الله ونعم الوكيل.

أصبحت الهتافات كالإيقاع المجنون، الكل هتف وراءه، صعد شريف عبد الماجد إلى المنبر ليهدئ الناس حتى تستمر الندوة!!

محافظ المنيا عبد الحميد بدوي أمسك الميكرفون وأقام صلاة العشاء ليعلن انتهاء الندوة.

مشيت بعد الندوة من مسجد الجمعية الشرعية واقتربت أنا وأحد الرفاق من باب مسجد الرحمن حيث كان يجلس علي عبد الفتاح.. سمعته ينادي أحد الناس الماشين قائلًا:

www.ibtesama.com

- مين اللي غلب في الندوة إحنا ولا الحكومة.

- أنتم طبعًا يا عم الشيخ.

ابتسمت أنا وصاحبي ومضينا عائدين.

لقد كان أكبر خطأ أننا تصورنا أن هذه الحوارات كانت بين غالب ومغلوب، والغريب أن هذا الاعتقاد كان من أمراء المحافظات والمراكز مثل أبي اليسر علي عبد الفتاح الذي قتل في أفغانستان بجلال آباد بعد ذلك.

عقدت ندوة أخرى في أسيوط شارك فيها عبد الآخر حماد وأحمد عبده سليم وطلعت ياسين وطرفها الآخر المفتي ووزير الأوقاف (كان ذلك في أوائل العام 1408هـ) بينت الندوة بعض القضايا الشرعية التي كان من أهمها قضية تغيير المنكر باليد لآحاد الرعية حيث في تلك الفترة كثُر اللغط حول هذه القضية، وصار كل من هب ودب يتكلم فيها، وصار أمرًا عاديًا أن تتناقل وسائل الإعلام الحكومية كل يوم تقريبًا تصريحات للمفتي ووزير الأوقاف حول هذا الموضوع، ولعله من تمام القول في ذلك أن أذكر أنه عُقد فيما بعد (فى جمادى الثانية 1409هـ) مؤتمر في الجامع الأزهر تحدث فيه كل من الشيخ/ متولي الشعراوي والشيخ/ محمد الغزالي والشيخ/ الطيب النجار، وفي نهاية المؤتمر ألقى الشيخ الشعراوي بيانًا قالت الصحف يومئذ إنه قد وقّعه كل من الشيخ الشعراوي والشيخ الغزالي والدكتور يوسف القرضاوي، وقد كان في بعض سطور البيان «... ونحن نعتقد في إيمان المسئولين في مصر، وأنهم لا يردون على الله حكمًا ولا ينكرون للإسلام مبدأ، وأنهم يعملون على أن تبلغ الدعوة الإسلامية مداها تحقيقًا وتطبيقًا»[1].

إنني أرى أن الحكومة لم تخطئ وهي تحاورنا في المساجد ولكنها أخطأت فقط في أنها تصورت أن المشايخ مهما كان قدرهم قادرين على إقناعنا وهذا خطأ فادح لأنه لم يكن عندنا قناعة في هذا الوقت بمشايخ هم أقرب إلى الحكومة التي كنا ساخطين عليها بالإضافة إلا أننا توسعنا في مفهوم الانتماء إلى الجماعة لدرجة أنه جعلنا نمتلئ بمشاعر الاستعلاء والتعصب حتى على العلماء وملأنا إحساسًا باقتناص الحق المطلق واحتكار الحقيقة المطلقة وهذا ماجعل أولي البصائر يرون أن الحركة بمعناها الواسع قد اختفت

(1) جريدة الأخبار عدد 2/ 1/ 1989.

www.ibtesama.com

فيها النظرية النقدية وتضخمت فيها المصالح الحزبية بل غاب النقد الذاتي فيها فترات طويلة ولذا أصبحت مراجعات العلماء لنا شحيحة وتقويماتهم فاشلة.

انتابنا نحن الأفراد وقيادتنا التنظيمية الهاجس من كل رؤية نقدية من علماء الأزهر وكنا نقبل فتاوى علماء السعودية الفقهية فقط ولا نقبل فتاواهم التي تخص السياسة والحكام وهذا نابع من قداسة القادة عندنا وجعلهم في مصاف الملائكة وجعل العلماء في مقام علماء السلطان الذين يحللون ويحرمون لهم.

ليس الانتماء إلى جماعة هو نهاية المطاف أو المحور الأساسي الذي تقوم عليه الدعوة الإسلامية حتى أننا نوسع الهوة ونهمل الشخصيات الأخرى العاملة للإسلام.

وهكذا لمن الخطأ الفادح أن نظن أن ندوات الحوار والمناقشة التي كانت تجري بيننا وبين العلماء إنما هي مباريات بين فائز ومهزوم ولذا فالجماعات الإسلامية تحتاج إلى تأسيس بنية تنظيمية تؤمن بالتعددية وتؤمن بالحوار وتعترف بالآخر وفق شورى حقيقية ومتوازنة مهما كانت جاذبية القائد وتاريخه، وهذا يحتاج إلى تربية لكل الأفراد على مراجعة أنفسهم بدلًا من الطاعة العمياء، وإغلاق نوافذ التفكير.

* * *

## نحن والإخوان

لم يصل العداء بيننا وبين الحكومة كما وصل بيننا وبين الإخوان.. كان لكل منا إرادة حقيقية لاستئصال الآخر، وكانت عنده عزيمة للتناحر والقتال لأنه يرى أنه هو من يمثل الجماعة الأقرب إلى الحق.

كانوا يحكون لنا عن أشياء كثيرة حدثت قبل عام 81 مثل معارك على صلاة العيد ومواطن النفوذ وصلت إلى حد الضرب والقتال.

لقد كان قادة الإخوان يرون أنفسهم الجماعة الأم، وأن على جميع الناس أن ينضووا إلى لوائهم وإلا فإنهم سيؤخرون الدعوة عشرات السنين.

قال لنا ذلك الأستاذ [ع. ك] أحد قيادات الإخوان في ملوي وكنا ساعتئذ في مهمة كلفتنا بها الجماعة لإغاظة جماعة الإخوان بأن نذهب إلى الساحة المواجهة لمسجد الحق الذي يصلي فيه الإخوانيون ونقوم بإعلان ميعاد لقاء الجماعة ودروسها.

www.ibtesama.com

وعلمتنا الجماعة أن نرد عليهم بقول الأخ عاصم عبد الماجد إنهم إذا كانوا الجماعة الأم فنحن الجماعة الأب والرجال قوامون على النساء.

في أحيان كثيرة كان للإخوان آراء صائبة وعلى الخصوص في عدم مواجهة الحكومة ولكنهم لم يبذلوا الجهد الكافي لإقناعنا بخطأ أفعالنا وإلا فلماذا لم ينصحوا أيًا منا بخطأ أفعاله وكل ما يفعلونه دائمًا هو الذهاب إلى أهلنا وآبائنا ليحرضوهم علينا فقط، وكان هذا يملأنا مقتًا وبغضًا لهم.. إنهم لم يكونوا مقنعين لنا بالشكل الكافي فقد كنا نراهم رجالًا مرفهين بشكل غير عادي يركبون سيارات فارهة ويلبسون بذلات على الموضة ويحلقون لحاهم ويلعبون الشطرنج ويضربون الدفوف ويستمعون إلى الموسيقى والأمر الأهم أنهم يداهنون الحكومة وفي الوقت ذاته يعلنون في المجالس الخاصة أنهم يحاربون الحكومة مثلنا.

كانت تلك عبارات نسمعها دائمًا من [م. ش] بأسيوط أو [ع. ا] بمغاغة ومن باقي الخطباء المتخصصين في جماعة الإخوان الذين يطوفون المدن والقرى لإقامة اللقاءات الدينية.

لقد كان هناك تقليد دائم بأن يكون جزء من الخطبة على الإخوان والباقي على الحكومة وإذا لم يتكلم أحد عن الإخوان أو الحكومة فهو ليس من الجماعة أقصد أنه غير متعصب للجماعة!!

أول مرة رأينا احتدام الصراع بيننا وبينهم كان قبل صلاة عيد الفطر ونحن نضع ملصقات لدعوة الناس لصلاة العيد في الخلاء ففوجئنا أنهم ينتزعون هذه الملصقات ويضعون إعلاناتهم بدلًا منها وكان الرد سريعًا بالمثل وهكذا دواليك بيننا وبينهم ولم ينته الأمر إلا بجلسة اتفاق وصلح.

ورأينا كذلك صراعًا حقيقيًا كنا شاهدين عليه بمسجد الري بشرق المحطة وهو مسجد مركزي يقع بين مجمع للمدارس الثانوية الفنية والأزهرية وبالطبع هذا مهم لأي جماعة تريد أن يكون لها حضور في قطاعات الطلبة والمدرسين ولكن هذا المسجد لم يكن تابعًا لأي منهما.

ذهبنا إلى المسجد منذ الصباح الباكر وقبل صلاة الظهر وصل الإخوانيون ومعهم العصي والجنازير والمطاوي القرن غزال فأحاطوا بنا بهدوء.

قال أميرهم [م. ض] بصوت خشن:

- **اسمع يابني أنت وهو أنا اعتقلت أيام عبد الناصر سبع سنين..**

www.ibtesama.com

همس أحدنا لنا :

**- دا كان مرشد في السجن.**

وأكمل كبير الإخوان :

**- بصوا لرجلي شايفين دا من التعذيب . . بصوا لدماغي دا من الضرب في زنازين ناصر . . ساعتها كنا في سنكم وكنا بنعمل أكتر منكم ولكنكم لما توصلوا لسننا هتهدوا زينا . . يعني إحنا موش بنداهن الحكومة . . صدقوني هييجي اليوم اللي هنحارب فيه الحكومة . . يالله بقى اطلعوا من الجامع وسيبوه لنا .**

كان الظهر يؤذن وكلمة من هنا وكلمة من هناك اشتعلت المعركة وكاد الإخوان يسحقوننا لأنهم كانوا مستعدين لنا في هذا اليوم.

وتدخل أحد عقلاء المنطقة وأهل الحي فأقام الصلاة فهدأنا جميعًا حتى انتهى من إقامة الصلاة وبدأ النزاع حول الإمامة حيث تقدم أميرهم الصناديقي فسحبه أميرنا وتقدم فسحبه الإخوان ودفعوه إلى الخلف والناس المساكين ينتظرون أن تنتهي المعركة المهزلة حتى تقدم آخر من أهل الحي للإمامة ولم يكن تابعًا لأحد الفريقين وبعد ركعتين سلم وقال :

**- أنا متأسف لأني مكنتش متوضئ ولكن أنا تقدمت للإمامة علشان أحل المشكلة . . حرام عليكم والله اللي بتعملوه . . أنتم ضيعتم الدين.**

شتمه واحد لا نعرف أهو من الإخوان أم من الجماعة وقامت المعركة مرة أخرى فصاح واحد منا وهو الأخ [ج . ع ]:

**- الحكومة وصلت . . الحكومة وصلت.**

قفز الإخوانيون على الفور من شبابيك المسجد وتركونا فقال الأخ نفسه :

**- أنا موش قلت لكم قبل كدا انهم شوية جبناء . . خافوا من كلمة الحكومة . . موش عارف هيجاهدوا إزاي دول؟!!**

لم تكف المشاكل بيننا حتى تدخل كبار من بلدنا وأطراف وسيطة لنتفق على صورة وسطية للعلاقة بيننا وأخيرًا تم الاتفاق على أن القرى التي ينتشر فيها الإخوان تبقى تابعة للإخوان، ولا تدخلها الجماعة والعكس وكذلك المساجد يجري عليها الاتفاق ذاته، وأما المساجد التي لم تكن تابعة لأي منا فيحسم أمرها أهل الحي، وأما صلاة العيد التي تحدث بسببها المشاكل دائمًا فيتم الاتفاق على شيخ مقبول لدى الطرفين وهو الشيخ

www.ibtesama.com

محمود الزعم ليكون خطيبًا لها بالإضافة إلى شيء مهم ألا وهو عدم وضع أية إعلانات لأي من الجماعتين أو أشياء دعائية.

نسي هذا الاتفاق الحكومة تمامًا، وكانت كل جماعة تلف وتدور وتريد أن تتحايل على هذا الاتفاق وقبل صلاة العيد بأيام خطط أمراء الجماعة أن يلبس صغارهم فانلات صفراء عليها شعار الجماعة ولا يظهروا بها إلا بعد أن تبدأ شعائر الصلاة ثم يلتفوا حول المصلين في الاستاد الرياضي.

تم ما خطط له، وخلع الصغار ملابسهم، وأظهروا فانلاتهم الصفراء وكأن الجماعة وحدها هي القائمة على أمر الصلاة فالإخوانيون أصحاب البذلات والكارفتة كيف يلبسون فانلات رديئة!!

وحتى يغيظ الإخوان الجماعة قال كبيرهم [م. ض]:

**- صيغة التكبير التي يقولها الأخ بتاع الجماعة خاطئة والصيغة الصحيحة هي الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله.. الله اكبر ولله الحمد.**

وكان التقليد يقضي بأن يكون لكل جماعة مندوب يكبر بالناس حتى جماعة التبليغ، والجمعية الشرعية.

وكادت تحدث المعركة لولا أن كل فريق أمسك نفسه!!

قام الإخوان بعقد مؤتمر جماهيري لم يحضره سواهم في شارع الشيخ إبراهيم، بدأته فرقتهم الخاصة بالأناشيد.. فرقة فجر الإسلام بنشيد:

**يا معشر الإخوان لاترددوا عن دربكم حيث النبي محمد**

قال لنا [ج. ع]:

**- لازم نلخبط المؤتمر لهم.**

**- طب ليه يامولانا هم عملوا لنا حاجة.**

قال:

**- أصل هم هيظهروا كيان جماعتهم في منطقتنا.**

**- وإيه يعني ما إحنا أخذنا صلاة العيد منهم.**

**- يابني دول أول ما نمسك الدولة هنحطهم في السجن مع رجالة الدولة.**

وذهب وساقنا وراءه لافتعال مشكلة وإنهاء مؤتمرهم.

www.ibtesama.com

قال واحد منا لا أذكره:

**- الله اكبر ولله الحمد قدرنا نخليهم ينهوا المؤتمر.**

قال له الأخ القائد:

**- كلمة الله أكبر ولله الحمد يستخدمها الإخوان في شعارهم فياريت تبقى تقول أي كلمة أخرى مشابهة.**

هل تصدقون أن هذا كان يحدث.. والله كان يحدث وأكثر من ذلك.

نشرت الجماعة الإسلامية ممثلة في قياداتها رسالة نحن والإخوان لتحاول الجماعة أن تبين مدى التميز بينها وبين جماعة الإخوان، ويقدم هذا الكتيب بوضوح وتفصيل كأنه مقرر دراسي أو كتاب تعليمي مواقع الاختلاف بين الجماعة والإخوان المسلمين أو مواطن الخلل والانحراف لدى الإخوان برأي قادة الجماعة الذين اجتهدوا في ذلك، والكتاب يصلح ليبين أن ثمة فرقًا أساسيًا وكبيرًا بين الإخوان والجماعات الإسلامية، وأن ثمة فروقًا كبيرة بين الحركات الإسلامية المختلفة، وأن العلاقة بينها كانت ظرفية ولم تكن موضوعية.

يحدد الكتاب مواطن الخلل والانحراف لدى الإخوان في مفهوم الحكم والحاكمية والموقف من الحكومات والأنظمة السياسية القائمة في العالم الإسلامي، والديمقراطية والتعامل مع الانتخابات النيابية والمنافسة السلمية في تداول السلطة والمشاركة فيها وفق قواعد الأنظمة الديمقراطية ومبادئها، والحكام والأحزاب والمنظمات السياسية التي لا تعد إسلامية كالعلمانية والليبرالية والقومية والوطنية وغيرها من الاتجاهات والأفكار القائمة في العالم الإسلامي، ويعرض ذلك في أبواب هي نحن والإخوان والحكام، نحن والإخوان والمجالس النيابية، ونحن والإخوان واللحية.. إلخ، وفي جولة مضنية وطويلة من الأمثلة والشواهد حول سياسة الإخوان في التجميع أي في تجميعهم للأفراد من جميع الأفكار والعقائد تحت القاعدة التي كان يعمل بها الإخوان وهي المسماة القاعدة الذهبية للشيخ البنا، التي تقول نعمل في ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا في ما اختلفنا فيه.

يتكلم الكتاب عن مسائل الحكم بغير ما أنزل الله، والديمقراطية والموالاة والمعاداة، ولا يوضح المعنى المحدد المقصود بالحكم في اللغة والاصطلاح واحتمالات معانيه وأحكامه الكثيرة المختلفة جدًا بعضها عن بعض، فالحكم يشمل العلم والقيادة السياسية والإدارية والقضاء والتشريع.

www.ibtesama.com

ثم كيف وبأي فهم أو لغة أو حق يجب أن ينصرف معنى الحكم في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1] إلى الحكم أم الدول بمعناها العصري الذي تشكل مع قيام الدولة الحديثة أو بمعنى قيادة الدول فقط؟ فهل الحكم هو نفسه في الآيات المتعددة من القرآن الكريم؟ مثل: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[2] أو ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[3] فهل الحكم الذي وهبه الله ليوسف والأنبياء أم الحكم الذي يعني قيادة دولة أو قبيلة أو محكمة أو مؤسسة أو ولاية هو الذي اختص الله به نفسه دون غيره في قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾[4] أو ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[5] وكذا السؤال في قوله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾[6] أو قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[7] و﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾[8] و﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[9] وإذا كان الحكم المقصود بقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[10] يعني كل حكم أو ملك فهو مما لا يجوز أن يكون لغير الله حتى لو كان حكمًا بما أنزل الله ولا يجوز لبشر أي حكم.

وهل يكون كل حكم بغير ما أنزل الله يتساوى في الكفر والخطأ إن كان مثلًا خطأً في القضاء كما في قصة داود وسليمان: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[11] فثمة حكمان، حكم سليمان وداود، فهل كان حكم داود بغير ما أنزل الله؟ وإذا كان كذلك فهل هو كفر ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[12] وكذلك الأمر في تصحيح ورقة امتحان أو حكم قضائي أو في احتساب هدف في مباراة كرة قدم أو في الاقتصاد والخلاف والقرارات اليومية كبيرها وصغيرها.

هذه الأسئلة التي كان يجب أن يجيب عنها الكتاب، وكل كتاب لأي جماعة تقول بتكفير الحاكم على أساس أنه لا يحكم بما أنزل الله.

ويرى الكتيب أن جماعة الإخوان لم تكتف بعدم تكفير الحكام بغير ما أنزل الله، بل تجاوزت هذا الاعتراف بأقوالها وأفعالها بشرعية هؤلاء الحكام وتركت هذا الفهم

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 57.
(2) سورة الشعراء، الآية: 83.
(3) سورة يوسف، الآية: 22.
(4) سورة الكهف، الآية: 26.
(5) سورة الأنعام، الآية: 57.
(6) سورة آل عمران، الآية: 79.
(7) سورة الرعد، الآية: 37.
(8) سورة الأنعام، الآية: 89.
(9) سورة الأنبياء، الآية: 79.
(10) سورة الأنعام، الآية: 57.
(11) سورة الأنبياء، الآيتان: 78، 79.
(12) سورة المائدة، الآية: 44.

www.ibtesama.com

يستشري في صفوفها، بل اعترفت الجماعة بشرعية المؤسسات الدستورية العلمانية والبرلمان والانتخابات والديمقراطية!!

وإذا كانت الجماعة بعد ذلك ستعود لتتبرأ من هذه الأقوال فإن أخطاء جماعة الإخوان الفادحة لم تجد أحدًا يتبرأ منها إلى الآن.

لقد كان أكبر خطأ لهم أنهم لم يبذلوا الجهد الكافي في إقناعنا بخطأ أفعالنا ولم يكن هذا فقط، بل إنهم بدوا أمامنا كسياسي دخل السياسة من أوسع أبوابها وبأكبر معاني السياسة من دناءة وخساسة ومداهنة الحكام، ثم اللعب بالسياسة من أجل الوصول إلى السلطة.

كنا نرى الإخوان كحزب سياسي من الأحزاب الموجودة في النظام السياسي المصري كديكور مكتوب على بابه الحرب على الجماعات الإسلامية!!

إن رجل الإخوان ما هو إلا رجل عصري دنيوي يتمسك بالدنيا وفي الوقت ذاته يقول إنه في جماعة تدعو إلى الإسلام.. لقد حكمنا على الإخوان وانتهى حكمنا عليهم، وكان حكمهم علينا مماثلًا بأننا الشباب المتهور الذي أرجع الدعوة الإسلامية عشرات السنين، وأن حربنا واجبة، ولذا فقد كانوا لايتورعون عن فعل أي شيء في سبيل إيقاف هذه الدعوة التي اكتسحت في عدة سنين أماكن الإخوان بين الجماهير فحدثت المعارك الشرسة التي استخدمت في بعضها الأسلحة اليدوية وانتهت في إحداها بقتل أحدنا في ديروط.

وفي أسيوط هجم الإخوان على أحد مساجد الجماعة وهجمت الجماعة على مسجد أولاد خشبة وأصدرت الجماعة بيانًا تحت عنوان (**إنهم يكرهون أن يخرج الإسلام إلا من حناجرهم**)، إن هذا القول هو للشيخ الشعراوي الذي قال عن الإخوان ذلك بأنهم يكرهون أن يخرج الإسلام إلا من حناجرهم هم فقط دون غيرهم من الناس أو العلماء.

كان كل الذي يحدث بسبب مفهوم الانتماء الذي توسعنا نحن والإخوان فيه وقدمناه، وجعلنا له الأولوية مما جعل مشاعر الاستعلاء والتعصب والإحساس باقتناص الحق المطلق تتضخم وتحول العمل الإسلامي إلى مباريات ومشاكل أدت إلى انقسامات وأحزاب وجماعات بعض منها يضع أوصافًا فكرية وعملية وخلقية يحدد بها حزب الحق وينزلها على جماعته فيصبح هو صاحب الحق محتكر الحقيقة، ومن يحتكر الحقيقة كيف يراجع نفسه ويعترف بخطئه؟

www.ibtesama.com

إن أصحاب البصائر رأوا أن هذا هو مأزق الحركة بمعناها الواسع التي اختفت فيها النظرية النقدية وتضخمت بعدها المصالح الحزبية وقصر النقد الذاتي بل غاب في أحيان كثيرة. هذا بالطبع لأن الانتماء إلى جماعة أصبح قيمة محورية لدينا وواجبة أساسية في واقعنا الحالي والمعاصر وتحولت التنظيمات إلى هدف في ذاته وصارت دعاوى المحافظة عليها هدفًا لتبرير الحرفية والجمود والالتفاف على دعوات التجديد والتطوير، ولهذا أصبحت قليلة تلك المراجعات وشحيحة تلك التقويمات التي انبعثت من قيادتنا أو منّا.

إن إفرازات التعصب واضحة والمنتمي إلى جماعة يحسبها أنها على الحق الأوحد فالانتماء إلى جماعة تدعي أنها تمثل الإسلام دون غيرها يجعلها تستبد بالمرجعية، ومستعصية على التجديد في القول والعمل طالما استطاعت حشد الجماهير وهذه هي إشكالية كبيرة.

كان الأولى لمن نصّب نفسه داعية إلى الإسلام هو تقريب المسافة بينه وبين الناس، وعدم قطع الصلة بالمجتمع الإسلامي، والأسمى من ذلك أن يكون عضوًا بناءً في جسد هذا المجتمع، وفي الحديث أن النبي ﷺ **قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»**[1]، **وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[2].

إن الإسلام بقيمه وشرائعه هو القيمة العليا التي يجب أن ينتمي إليها الإنسان ومن المهانة والضياع أن نقدم انتماءنا على الدين ونقدم مصلحة الحزب على مصلحة الإسلام العليا ومصلحة الوطن الكبرى فالإسلام ليس جسمًا ولكنه روح يسري في الأبدان وقوة الإسلام في قوة الولاء له لا لغيره أما حب الوطن فهو الحفاظ عليه والوقوف أمام الأحقاد التي طمعت فيه وتحاول أن توجه الضربات إلى كيانه.

والدعوة إلى الإسلام هي الهدف الأسمى الذي لا بد أن يقدم على الانتماءات الحزبية والمتأمل في فترة التسعينات يرى أن التشكيلات أصبحت غاية وهدفًا شغلنا العاملين للإسلام عن هذا الأمر المهم.

فلابد أن ننتبه إلى ذلك بأن تقديم الانتماءات قد عطل الدعوة سنوات كثيرة وشوه

---

(1) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى.
(2) رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.

www.ibtesama.com

صورة الإسلام في أحيان أخرى بسبب حركات العنف والمواجهات الدعوية، أو بسبب انقسام القوى الإسلامية إلى عصبيات انبثقت من الرؤى الإسلامية المختلفة، وأذكر أن هذه الحالة وصلت في أحيان كثيرة إلى القتال والعداوة والنزاع على السلطة، وأصبحت ظاهرة عامة من أجل تنازع مواطن النفوذ. هذا ما شاهدناه من اقتسام الخطابة في المساجد، وحق الجماعات في كسب المزيد من الأفراد، وقد حدث أمام عيني أن تنازعت الجماعة مع أبو السمح عبد الرحمن محمد لطفي ابن خالة خالد الإسلامبولي قاتل الرئيس السادات والموالي لجماعة الإخوان على الإمامة وخطبة الجمعة في مسجد التوبة فتقدم خطيب الجماعة فسحبه أبو السمح، وكان يرى أن هذا الخطيب قد نقض البيعة مع شيخه طه السماوي، وعلى هذا فلا تجوز إمامته، وفعل الشيء نفسه خطيب الجماعة معه، وتكرر هذا الأمر عدة مرات أمام الناس حتى قام أحد المصلين وألقى بغطاء رأسه وصرخ في الاثنين ولم تحل هذه المشكلة إلا بتدخل عقلاء البلد بعد ذلك.

لم تتورع جماعة الإخوان عن إلقاء الخطب ونشر الكتب والشرائط على الجماعة ولم نجد نحن ما نوزعه عليهم سوى كتاب وقفات مع الدعاة فقط ورسالة نحن والإخوان وظللنا نحن الاثنين في صراع دائم لم ينته إلا بدخولنا المعتقل ولا أعرف هل سيستمر بعد ذلك أم لا؟!!

* * *

## عجل في المذبح

**الجماعة الإسلامية تدعو المسلمين للتبرع في سبيل الله.**

**تبرعوا لبناء المسجد..**

**تبرعوا للمسلمين الفقراء..**

كان من أوجه الخلاف بيننا وبين الإخوان هذه الصيغ المختلفة لعملية جمع التبرعات.

شكلنا التقليدي دائمًا هو اثنان يمسكان بصندوقين صغيرين مكتوب عليهما الدعوة للتبرع في سبيل الله، ووراءهما عربة حنطور معلق بها ميكروفون، وبها أحد الإخوة يردد عبر مكبر الصوت العبارات نفسها.

www.ibtesama.com

والشكل الآخر هو تقسيم الإخوة إلى مجموعات تذهب إلى المنازل وتطرق الأبواب لتطلب من الناس التبرع.

هل كان التبرع من أجل فقراء المسلمين أم من أجل أمور أخرى؟

إن عمليات جمع التبرعات بهذه الطريقة كانت تمثل عملية التمويل الأولى للجماعة بالإضافة إلى معارض الملابس نصف السنوية ومكان الجزارة الذي نبيع فيه اللحوم للأهالي.

سوف نكون قد تجنينا تمامًا لو قلنا إن الجماعة في هذه الأثناء لم تقدم أشياء لفقراء المسلمين بل كانت تحديدًا في شهر رمضان توزع الدقيق والسمن والفول والأرز وتضع الفول المدمس أمام أبواب مساجدها وكانت الطوابير تقف خارج المسجد لتستلم الفول ببطاقات توزعها عليهم الجماعة حسب عدد أفراد الأسرة.

قد تتبدد وقد تتمزق وأنت ترى هؤلاء الناس في أمس الحاجة إلى حفنة من الدقيق ونحن الجماعات الإسلامية الذين نقدم لهم هذه الحفنة بعد أن امتلأنا عطفًا عليهم.

لم تكن الجماعة وحدها هي التي تقدم للفقراء بل كل الجماعات وكثير من الأغنياء الذين لا نعرفهم وكان فقراء المدينة يحتالون فيحصلون على بطاقات لهم عند كل جماعة.

كنا نحن نستمتع بالوقوف أمام المسجد بالقرب من الطوابير.. ونفتخر بأن طابورنا هو أكبر من طابور الإخوان المنافس لنا وإذا كان هو حب البذل في سبيل الله فإننا نحبذه أما إذا كان غير ذلك فنحن غير متأكدين.

إننا كنا نرى للعمل الاجتماعي الإسلامي وجهًا واحدًا ولم نعرف أن له وجوهًا كثيرة قال لنا أحد مسلمي شرق المحطة الذين يصلّون دائمًا في مسجد الفتح إن هناك من أصحاب المناصب وذوي الهيئات في البلدة الواسعة يتكلفون ببناء المساجد ومساعدة الطلبة وينفقون على مئات الفقراء ولكنكم لا تعرفونهم.

ضحك أحد قادتنا وقال:

- إحنا موش شايفينهم.

أهم شيء أن نوجه التبرعات لدعم موقف الجماعة ولإظهار كيانها، كانت هذه هي الفلسفة السائدة التي جعلتنا نقوم بتنظيم المعارض لبيع الملابس فنحطم الأسعار قبل دخول المدارس أو نعلق اللحمة لنبيعها أقل من سعر السوق ولو بنصف جنيه.

كنا قبل صلاة العيد نشتري من فلوس التبرعات عجلًا لنذبحه ونوزعه على الفقراء

www.ibtesama.com

واستطعنا بأعجوبة أن نجمع ثمن العجل وبعد أن اشتريناه كنا نربطه مابين المغرب والعشاء أمام مسجدنا كل يوم حتى يحين يوم العيد والأعجب أننا كنا نكتب عليه عبارات عدائية للحكومة ثم نمشي به إلى صلاة العيد وبعد ذلك نقوم بذبحه أمام المصلين في مشهد يكاد يكون دعائيًا جميلًا، ونحمله في سيارة بعد الصلاة إلى مسجدنا وفي الدور السفلي نقوم بتقسيمه على الفقراء آخذين في الحسبان الذين يوزعون منا إذ نعطي كل واحد منهم كأي فقير من باب والعاملين عليها. . وأصبح العجل في العام التالي عجلين.

قال لنا مسؤول اللجنة الاجتماعية أي اللجنة التي تقوم بجمع التبرعات:

**- شايفين العجل بقى عجلين وقدرة الفول بقيت ثلاث قدر قدام كل جامع لنا ودا دليل على قوة الكيان بتاعنا وحجمنا الكبير عن جماعة الإخوان.**

أصبحت الأهداف الحقيقية بلا دور وفقاعات بلا تأثير لأن تصوراتنا عن الأهداف الحقيقية للوطن والأمة الإسلامية كانت تغيب عنا.

الأخ [س. ج] في مسجد الجهاد بأرض سلطان بالمنيا جلس ليعرض علينا سياسة الجماعة في الجامعة في المرحلة المقبلة قال:

قال لي المشايخ أن الأهداف هي:

**- نشر الفكر الإسلامي الصحيح [يعني فكر الجماعة]؛**

**ضم عناصر جديدة؛**

**إنشاء كوادر قيادية؛**

**إظهار قوة كيان الجماعة؛**

ولم تختلف هذه الأهداف عن الأهداف التي كنا نعمل لها في المراكز والقرى

وقد توجه لي قائلًا:

**- أنت الرجل الثالث في الجامعة.**

على العموم بعد هذه السنين لم تكن مكانة قليلة وإن كنت طامحًا يومئذ إلى مكانة أعلى تدفعني إلى مزيد من الجهد، وجلست أفكر في مكاني الجديد ولم أعرف ماذا قال الأخ ولكني التقطت الكلمات الأخيرة [إياكم والمنكرات] التقطتها أذني إياكم والمحاضرات.

صرخت وقلت:

**- كيف لا نحضر المحاضرات؟!!**

www.ibtesama.com

ولم أجد أحدًا ينتبه لما قلت وقلت للأخ بعد الجلسة:

**- إزاي يقول الشيخ كدا؟!!**

قال لي:

**- إياكم والمنكرات يعني لا بد من تغيير المنكرات في الجامعة مثل الاختلاط بين الطالبات والطلبة.. والله أنت لا تنفع رجلًا ثالثًا ولا خامسًا.**

ويغيب الهدف وهو الدعوة الخالصة إلى الله بين الزحام ويحتدم الصراع بيننا وبين الإخوان بشأن الدرس بعد صلاة الظهر.. يقولون قال الإمام مالك ونقول قال الإمام الشافعي أنا لا أعرف الدليل ولم أقرأ هذه الأقوال.

كنا نحن الذين نعطي الدرس ولكن الإخوان جاروا علينا وأرادوا أن يأخذوا وقت صلاة الظهر لحسابهم.. هجموا على الدرس وكنا نستعجب أننا قبل التسليم في الصلاة نفاجأ بأخ من الإخوان أمام المصلين ويبدأ درسه بعد تسليم المصلين التسليمة الثانية فلا نملك سوى القعود والانتظار حتى يفرغ من درسه ونبدأ بإعطاء درسنا والأعجب أنهم بدأوا يطيلون فترة درسهم حتى لا نعطي بعدهم!!

تصورت أن الذي يقدم الدرس لا يصلي سوى صلاة الحرب أي بعد الدرس يكمل الركعتين الأخيرتين.

واكتشفنا أن الإمام مالك قال إن التسليمة الأولى واجبة والثانية هناك رأي بجواز تركها!!

ولم نسلم بعدها التسليمة الثانية وكنا نسبق الإخوانيين وأنا لا أظن أنهم سيجدون رأيًا بعدم التسليم نهائيًا!!

والخطأ يتبعه خطأ والهدف إن غاب غابت أهداف وكان الخطأ الأكبر هو مايجري في تغيير المنكرات.

كان الأخ صفوت عبد الغني يخطب في مؤتمر حاشد داخل الجامعة عن فلسطين والقدس الشريف، كانت الخطبة (مولعة نار) ونحن هائمون مع كلمة الشيخ، وفجأة انشقت الأرض عن شاب يمسك بيده فتاة وراح يصرخ قائلًا للشيخ:

**- انتظر يا عم الشيخ.. أنا عاوز حقي ف الأول.. دي أختي.. وآدي شهادة الميلاد.. إخوانك صمموا على إنها موش أختي وضربوني.**

www.ibtesama.com

رد عليه الأخ (أ. أ) بلدياتنا:

**- محدش ضربه دا كداب وأنا كنت واقف الأخوة نصحوه فقط.. كمل كلامك يا حضرة الشيخ.**

بعد المؤتمر قال لي (أ.أ):

**- والله حصل بس أنا خفت على إحراج الشيخ.. أستغفر الله العظيم. .أستغفر الله.**

مضينا إلى حيث تعودنا أن نجتمع بحلقة التلاوة في مسجد الجامعة ثم نتبعها بتعارف سريع بين الجالسين وبعد ذلك نمشي في جماعة واحدة في قافلة تغيير المنكرات.

كنت أقود أنا قافلة تغيير المنكرات لكوني الرجل الثالث ولأن الأول والثاني يغيبان دائمًا.. وقبل دخولنا الفناء الرئيسي أمام مبنى كلية التربية نقوم بعمل صفه وانتباه أمام الطلبة من باب إظهار الكيان كما قالوا لنا عليه وكان رد الفعل الطبيعي للطلبة الذين يقفون مع زميلاتهم أن ينفصلوا على الأقل حتى نمشي وإلا فإن القافلة ستتوجه إليهم.

والحقيقة أننا كنا نقف بعيدًا ونرسل واحدًا منا يكلم الطالب ولا يتركه بجميع الوسائل حتى يترك الطالبة ولكننا كنا لا نستخدم العنف إلا مع الطلبة المعاندين ويكون ذلك خارج فناء الجامعة حتى لا يتعرض أحد منا للفصل ولا أذكر أننا استخدمنا العنف إلا مرات معدودة إحداها مع طالب في كلية التربية الرياضية كان يتحدانا بعضلاته المفتولة وحركات الكونغو فو التي يعرفها.

لقد كنت أخاف أن يهجم على القافلة ويضحك علينا الجامعة.

وأصبح الطالب مثلًا لكل الجامعة في مواجهة الجماعة ولم نجد إلا أن نضربه داخل الحرم الجامعي مهما حصل.

وتصرفنا وأحضرنا له أحد الرفاق الذين يلعبون الكونغو فو واستطاع بسهولة أن يضربه ويعطيه علقة لن ينساها أبدًا.

وكلما رأيت هذا الشاب خيل إلي أنه يتوعدني بنظراته وكان بودي أن أقول له أنا ليس لي دعوة أنا الرجل الثالث أي أنا صورة فقط وكمان أنا معرفش العب كونغ فو.

وكلما سرت وحدي داخل الجامعة خفت أن يراني هذا الطالب ولذا قررت أن أتعلم الكونغ فو ولكنني لم أجد أحدًا يعلمني إلى الآن.

وأما أهدافنا في انتخابات الجامعة فقد كانت السيطرة وضرب التيارات المنافسة واستخدام أموال اتحاد الطلبة في إقامة معارض الكتاب ووقف الحفلات الغنائية.

www.ibtesama.com

وحين بدأها الإخوان ورفضوا أن يدعموا مرشحينا في الانتخابات فشلنا في الحصول على أي مقعد سوى كلية الدراسات التي فاز فيها الطالب محمد إسماعيل برئاسة الاتحاد. . وجاء الدور علينا فعلى غير المتوقع جاءنا مندوب جماعة الإخوان بعد أن حسبوا حسبتهم ورأوا أنهم في حاجة إلى صوت كلية الدراسات العربية ليفوزوا برئاسة الاتحاد في كل الجامعة.

طلب منا مندوب الإخوان مباشرة ذلك ورفضنا طلبه في الحال وقلنا له إن الحزب الوطني أحسن منكم وفاز الحزب الوطني.

وفي أيام الانتخابات تم تكليفي بمهمة خاصة وهي أن أقعد في مدينة الإخصاص الجامعية الخاصة ولا أخرج من الغرفة إلا بعد منتصف الليل. . كنت أنتظر الطلبة المرشحين للانتخابات. . وكان الرفاق يصورون لهؤلاء الطلبة بأني أنا الشيخ الأمير الذي لا يقابل أحدًا بسهولة.

وفي غرفة أخرى كانوا يقنعون بكل الوسائل الممكنة بتصعيد مرشحينا ولايجد أحد مفرًا في النهاية وإلا. . وإلا. .

وأخيرًا يحين دوري بإدخالهم واحدًا واحدًا فكنت أجعل الواحد منهم يضع يده على المصحف قدامي ويقسم بالله العظيم أن يصعد مرشحي الجماعة.

كل ذلك كان في حرب الانتخابات بيننا وبين الإخوان المسلمين والحزب الوطني وهي الحرب القذرة التي كان تستخدم فيها كل شيء.

أظن أن المصحف لو كان موجودًا إلى الآن في المكان ذاته فهو لتدبر آياته والقراءة فيه وليس ليكون وسيلة لنجاحنا في الانتخابات.

كل إخواننا الخطباء المفوهين كانوا يدورون مثلي على المدرجات وأماكن التجمعات الطلابية يخطبون في الطلبة وكلهم قد اتفقوا على أن علي فايق زغلول من الحزب الوطني كلما فاز في الانتخابات أحضره وأنفق آلاف الجنيهات من فلوس الطلبة وفي العام الماضي أقام الحزب حفلة غنى فيها حميد الشاعري في كلية الآداب وقد سرقوا من فلوس الطلبة الآلاف.

ويندد إخواننا بهذه الأفعال ويستحثون الطلبة على إعطاء أصواتهم للجماعة.

بعدما فشلنا في الحصول على الأغلبية انتظرت علي فايق زغلول واكتشفت أنه مات منذ عامين!!

www.ibtesama.com

هذا كان في إطار حرب الانتخابات بيننا وبين المنافسين حيث كان كل شيء مباحًا لدى الجميع وليس لدينا فقط حتى وصلت الحرب إلى خطف المرشحين.

كان الحزب الوطني يقوم بتنظيم رحلة إلى مرسى مطروح أو الإسكندرية ويأخذ معه المرشحين بعد إغرائهم بجميع العروض وإن لم يستطع قام بخطفهم وحبسهم حتى ينتهي يوم الانتخابات ونحن كذلك كنا نأخذهم إلى شقق مفروشة وكذلك الإخوان.

ودارت الشائعات حول خطف الحزب لأحد مرشحينا وهو الأخ [م. ف].

كان لامانع لدينا من تسيير تظاهرة حاشدة تندد بالأفعال الإجرامية للحزب والأمن معًا.

احتشدنا أمام مبنى إدارة الجامعة الرئيسي وهتف قائد التظاهرة الأخ علي الديناري أمير محافظة المنيا بعد ذلك بعدة سنوات:

**قولوا لرئيس الجامعة إحنا طلبة واتجمعنا**

**اتجمعنا على الإسلام وإن صلينا يقولوا حرام**

الوقت طال بعد الظهيرة وحر الشمس كان شديدًا على الآلاف من الطلبة فأردنا أن نشغل الطلبة بأي شيء حتى ينتهي كلام الوفد منا مع رئيس الجامعة فوقفت أنا وأنشدت هذا النشيد:

**بلادي بلادي اسلمي وانعمي سأرويك حين الظما من دمي**
**ورب العقيدة لن تهزمي ومن أكمل الدين للمسلم**

لا أستطيع أن أحصي عدد الطلبة الذين كانت رؤوسهم تروح وتجيء طربًا ولاعدد الطلبة أو الطالبات اللاتي كن يكتبن النشيد.. كنت أشعر أني مثل مغنّ مشهور.

وانتهت التظاهرة وذهبت إلى السكن فوجدت الأخ المخطوف وقبل أن أسأله أين كان قال لي أحد الإخوة القادة:

**- إيه يا مولانا النشيد اللي قلته.. مكنش فيه نشيد عن القدس مثلًا؟**

هذه هي حقيقة فهمنا حتى لأهدافنا المهمة وهي الدعوة الإسلامية وحقيقة عدم احترامنا لذلك وحتى لعلمائنا مثل الدكتور عبد الله شحاته الذي لم أحضر ما حصل بين الإخوة وبينه في المدرج الغربي الذي كان يتردد إليه الدكتور ليعطي بعض المحاضرات كل فترة ولكنني سمعت أن الإخوة قالوا له إنه كان إمام المسجد الشافعي وهذا المسجد

www.ibtesama.com

فيه ضريح وقبر فكيف بعالم مثله يصلي في مسجد فيه ضريح فقال لهم الدكتور: يعني صلاتي كانت باطلة؟

وصليت الظهر ورأيت الدكتور في الصف الأول وبعد الصلاة تصورت أنه سيعطي الدرس ولكن الأخ [ع. ع] أعطى الدرس وكان كله عن علماء السلطان الذين يداهنون الحكام والذين لا يقولون الحق.. كل من كان في المسجد كان يعرف أن هذا الكلام كان عن الدكتور.. وانتهى الدرس وفوجئنا بالدكتور يذهب إلى الأخ أمام المصلين ويسلم عليه ويقول له:

- لافض فوك يا ولدي.

أصبحنا جميعًا في نصف هدومنا.

ولكن كل الظواهر كانت تؤكد أن بداية تغيير سوف تحصل في الجماعة وأفرادها.. لقد بدأنا نسأل وبدأت تطرق أذهاننا أسئلة كثيرة من يوم خروج أسامة حافظ من السجن، وحكاية التوفيق بين الجماعات، والفتاوى التي سماها بعضنا فتاوى السلطان الجديدة وفتاوى الحكام.. من تلك الأيام بدأنا نبدي بعض السخط على بعض سياسات الجماعة وإن كانت بهدوء وعلى استحياء.

لم يكن أسامة حافظ خطيبًا مفوهًا مثل الخطباء المشهورين للجماعة ولكنه كما يقولون كان فقيهًا مشهورًا بالعلم والفتاوى.

وانتظرنا الرجل ليخطب بنا خطبة الجمعة ولكنه قدم لنا خطبة قصيرة حول صراع موسى مع فرعون وكان سياق الخطبة لايختلف كثيرًا عن سياق الآخرين الذين صوروا الحياة على أنها صراع مع الحكام وجاهلية القرن العشرين.

وقعد الرجل على المنبر بعد الجمعة ليسمع الأسئلة والمسجد ممتلىء عن آخره.. أنا أتصور أن الكل قد جهز أسئلة هي في مجملها استفسارات حول ما كانت عليه فتاوى مفتينا في ملوي محمود عبد الحميد مثل تحريم التصوير والضرب على الدفوف في الأفراح وحكم التمثيل.. إلخ.

أفتى أسامة بجواز المشي وراء جنازة المسيحي وعيادته في مرضه بل تهنئة المسيحيين في الأعياد ماعدا عيد القيامة بحجة أنه عيد يخالف أصلًا من أصول عقيدتنا وتقريبًا حتى لا نتشابه مع الإخوان الذين يوفدون سيف الإسلام حسن البنا كل عيد إلى المسيحيين في عيدهم في هذا الوقت.

www.ibtesama.com

فلم يعد بيننا وبين الإخوان فرق كبير بعد إجازة التمثيل والتصوير ولعب الشطرنج.. كنا نلوي أعناقنا وننظر فنرى ابتسامات الرضى على وجوه الجميع وابتسامات السخرية من آخرين.

ولكن إلى هذا الوقت لم يستطع أسامة أن يفتي بشيء حول الموسيقى والخلاف المحتدم فيها من آلاف السنين.. لقد ذهبت إليه وأردت منه أن يسمح لفرقة الأناشيد باستخدام الدفوف فرفض وقال سنعمل بفتوى تحريمها، وبعد انتهاء الجلسة ذهبت إليه أنا ورجب عبد الحكيم فقلت له:

**- محمود يقطع الصور ويقول هي حرام ويحرم لبس الدبلة في اليد ويقول هي من عادات الرومانيين.**

قال رجب:

**- ويحرم حلاوة المولد**

قال له الشيخ:

**- صحيح الكلام ده؟!!**

**- أيوه لأن حلاوة المولد بدعة ومنكر**

**- المنكر نغيره بأكله ياشيخ محمود**

وبدون تفكير قال محمود:

**- إذن أشتري حلاوة المولد لخطيبتي**

قال رجب:

**- ياأخي حرام عليك بعد عشر سنين تحرم علينا حلاوة المولد تحللها دلوقت في لحظة.**

وأما الإخوان وفرقتهم التي كانت صداعًا في دماغنا فكنا نرى أن استخدام الدفوف والطبول هو الذي سيجعلنا نتفوق عليهم ولكن الفتوى التي تحرم استخدام أي آلة موسيقية كانت تمنعنا عن ذلك بالإضافة إلى أنها منكر كبير[1].

(1) أصدرت الجماعة بعد مبادرة وقف العنف فتوى بتاريخ..... على موقعها على النت تجيز استخدام الآلات الموسيقية.

www.ibtesama.com

فرقة الإخوان يضربون على الدفوف والطبول ويهزون وسطهم ويغنون الأغاني الشبابية ويركّبون عليها الكلمات الإسلامية.. لولاكي والطشت قلي وطيري طيري.. بينما نحن نغني أغاني باللغة العربية الفصحى ونستعير ألحانًا من ألحان فرق الشام والخليج!!

والأدهى أن فرقة الإخوان فجر الإسلام فيقيم زفة للعريس والعروسة أما نحن فنغطي العربة التي يركب فيها العروسان بالورق المقوى حتى لا يلمح أحد عروستنا!!

لم نجد حالة وسطًا بيننا وبينهم، وفي اليوم ذاته كان عندهم فرح في قاعة مسجد العرفاني.. فسمعناهم ينشدون:

**مين مين مين قدينا مين إحنا شباب الإخوان جايين نهني العرسان**

**جايين جايين مين قدينا مين**

**حقيقة صوفية الإخوان**

**شركة اقتصادية الإخوان**

أنا شخصيًا أبصرتهم يهزون وسطهم.. فرحنا نضحك عليهم بملء أفواهنا.. واحد منا أخذ يقول:

**شركة اقتصادية الإخوان.. أهلي وزمالك الإخوان**

وخرج الإخوان لإقامة زفة للعروسين وأحاطوا بهما في دائرة وهم يغنون على غرار لحن أغنية مشهورة:

**ياجمالوا ياجمالوا ياجمالوا ده عريسنا مابين إخوانه**

وصممت الجماعة الإسلامية على تغيير المنكر فقلت لهم:

**- أحسن حاجة نعمل نشيد وأغنية موش الشيخ أفتى بجواز استخدام الدفوف والألحان ونرد عليهم في الأفراح ونقول:**

**مين مين مين قدينا مين إحنا شباب الجماعة مبدأنا سمع وطاعة**

هكذا أرى أن العيب ليس فقط في طريقتنا في الدعوة أو في تغيير المنكر الذي له ضوابط معينة بقدر ماهو عيب في سياستنا التي كانت تعني الدعوة للجماعة والانتماء وليس الدعوة إلى الإسلام بحجة أن الجماعة تمثل الإسلام، ولكن ذلك هو ما كان يدفعنا

www.ibtesama.com

تلك العلاقة غير الأخلاقية والمنافية لمفهوم الدعوة الإسلامية وهو المفهوم الحركي الديناميكي. . لأن الدعوة الإسلامية ليست نصوص القرآن وحدها ولا هي أحاديث المصطفى ﷺ وحدها، وإنما الدعوة الإسلامية مفهوم حركي يُطلق حيث تكون رسالة الإسلام ومبادئه متجلية في حركة ثقافية علمية وسلوك في واقع الناس، تتجسد في علماء ومفكرين ودعاة وجماعات وفنيين يقودون خطة الهداية والتربية والتوجيه، في صور متجددة بتجدد التحديات وتقلّب الابتلاءات لُتقوّم مسار المجتمع وترشده إلى النور المبين الذي دعا إليه الإسلام وليس في جماعة معينة مبدأها السمع والطاعة كما في النشيد الذي أردت أن نقوله.

* * *

## التمويل والعمل الاجتماعي

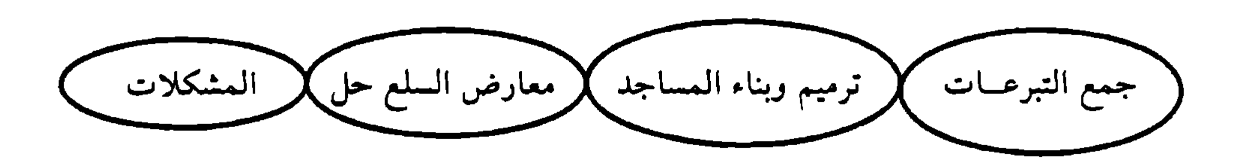
كان الشيء الوحيد الذي نتكلم عليه بجرأة ولا نخشى نقدًا أو اعتراضًا هو العمل الاجتماعي الذي ارتبط بشكل كبير بأهدافنا في العمل الجماهيري والسيطرة على الشارع المصري.

هذا هو ما نجحنا فيه نحن ولم تنجح فيه الأحزاب المصرية مثلًا حيث تكبرت أو أحجمت أو لم تجد فائدة أو بدًا من مجهوداتها في الشارع المصري وهذا هو الخطأ بعينه الذي تلافيناه نحن في عملنا الجماهيري واستثمار العمل الاجتماعي.

ارتبط العمل الاجتماعي بالهدف العام وهو السيطرة على الشارع والتغلغل في المناطق العشوائية قبل الجماعات الأخرى التي تنافسنا في ذلك كجماعة الإخوان والجمعية الشرعية التي تهتم في مجهوداتها بالعمل الاجتماعي. . كنا ندرك تمامًا أن المناطق العشوائية هي ملعبنا وحدنا الذي نستطيع أن نفرض فيه سيطرتنا وكياننا وهذا لن يتم إلا عن طريق تغيير المنكرات والعمل الاجتماعي.

شكلت الجماعة لجنة خاصة بالعمل الاجتماعي سميت باللجنة الاجتماعية وقسمت أفرادها على عدة نواح.

www.ibtesama.com




العنصر الأول والثالث والرابع برعت فيه الجماعة وأما الثاني فكان وقتيًا وظرفيًا ولايتم إلا في مساجد الجماعة فقط.

وفي النواحي الأربع كان أفراد الجماعة غير متخصصين بالشكل الكافي في هذه المسائل ولكن كان يتم هذا بصورة عشوائية وغير منظمة كأغلب لجان الجماعة التي توسعت طوليًا في ضم الأفراد دون اختيار منظم ودقيق.

جمعت الجماعة التبرعات من فئات كثيرة من المجتمع ولكنها لم تكن بالشكل المتوقع، فلم تزد عن بضعة آلاف كانت كلها توزع على الفقراء تحت إشراف الأغنياء من هذه الفئات، وفي مساجد الجماعة وضعت الصناديق لجمع التبرعات وكتب عليها في سبيل الله وعن طريق هذه اللافتة استطاعت الجماعة أخذ بعض أموال من التبرعات لإنفاقها على العمل الإسلامي للجماعة كالمنشورات واللقاءات. . إلخ.

ما أرويه حدث في بلدي ولا أعرف هل حدث في المدن المجاورة أم لا؟

حيث تفتح جملة في سبيل الله أبوابًا كثيرة كابن السبيل وفي سبيل الله أي العمل الجماعي والعاملين عليها أي الصدقات وعلى هذا ينفق على بعض أفراد الجماعة العاملين في الجماعة مثلي حيث تقاضيت بعض الأموال من الجماعة من هذا الباب.

واعترافًا بالحق فإن هذه المسائل كان يدقق فيها بشدة ولا تترك عشوائية أو اعتباطية ولكن في النهاية يحكمها قائد الجماعة.

كانت تقوم الجماعة بتنظيم المعارض الخاصة بالملابس أو بالكتب التراثية الدينية أو ببيع اللحوم. . إلخ وكانت تحاول أن تجعل أسعارها أقل من سعر السوق بقليل.

لم تكن هذه المعارض من وسائل تمويل الجماعة ولكنها كانت وسيلة لتشغيل أكبر قدر من العاطلين في الجماعة بالإضافة إلى كسب رضا الشارع المصري الذي يعاني من ارتفاع الأسعار والحقيقة أنها حققت أكبر قدر من أهدافنا وكانت وسيلة لإظهار كياننا والدفاع عنا في أحيان كثيرة أمام الذين يقولون إننا متطرفون ولا نعمل لمصلحة الشعب.

انتشرت هذه المعارض أمام مساجد الجماعة في عين شمس وإمبابة وملوي وأمام مسجد الرحمن بالمنيا والرحمة بأسيوط.

www.ibtesama.com

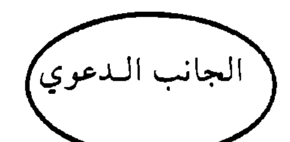
وساهمت اللجنة الاجتماعية للجماعة في إقامة الأفراح الإسلامية بأسعار مخفضة كما قامت في عام 91 بوضع لافتات جيرية على الجدران في شوارع مدينتنا الواسعة حول النظافة وكانت هذه فكرة إخواننا في مدينة المنيا وقمنا بتقليدهم فكتبنا على الجدران (النظافة عنوان المسلم) وقسمنا بعضنا عدة مجموعات تقوم بجمع القمامة من الشوارع وبالطبع كانت هذه لمرة وحيدة ولم نكررها ثانية.

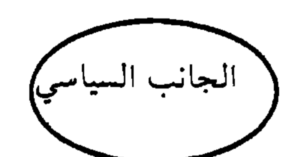
وهذا مثل ما فعلناه يوم أن ارتفع سعر رغيف العيش إلى خمسة قروش حيث كتبنا لوحات على الجدران تستنكر غلاء الأسعار وكان كل ذلك مزايدة بالعمل الاجتماعي على الجماهير وليس الغرض منه حتمًا هو تخفيض الأسعار أو تنظيف المدينة!!

أما التمويل فلم يكن هناك شيء يجري تحت السطح ووضوح العلاقة بيننا كان يجعلنا نعرف كل شيء والصراحة تعودناها لأنها شجاعة إسلامية نابعة من التربية التي تربينا عليها من الجرأة في قول الحق والصبر عليه بالإضافة إلى ارتباطنا القوي الذي جعلنا نعرف كل شيء عما لدينا.

اعتمدت الجماعة على التمويل الذاتي من جمع الاشتراكات الشهرية من أتباع الجماعة الأغنياء وكان لايزيد الاشتراك الشهري في عمومه على عشرة جنيهات ولم تكن تكفي بالطبع لمصاريف العمل الإسلامي الضخم ولذا فقد اعتمدت الجماعة على اللجنة الاجتماعية في تمويلها من خلال تبرعات المساجد والأهالي والعربات التي تطوف المدينة بمكبرات الصوت طالبة العون للمسلمين وطبعًا في سبيل الله تعالى، كما اعتمدت على تمويل بعض الأفراد الذين يعملون في الخارج كدول الخليج والمحبين للجماعة وهذه كلها بالإضافة إلى المصادر الأخرى كانت تكفي بصعوبة لمصاريف عمل الجماعة ولكن حينما بدأت الأعمال القتالية فوجئنا بمبالغ ضخمة كانت تصل إلى هؤلاء الأفراد وبالطبع كان مصدرها خارجيًا وليس داخليًا وهو مالا أعرف تفاصيله الدقيقة.

وأنا لا أظن أن الجماعة فعلت كما فعل الإخوان المسلمون من تقسيم عمل الجماعة إلى عدة جوانب وهي:







www.ibtesama.com

حيث سيكون الجانب الاقتصادي هنا غير معلوم فالجماعة لم تكن وصلت بعد إلى دقة تنظيمية كبيرة وكان أغلب عملها يتم بصورة عشوائية واضحة.

* * *

## من الجامعة إلى أفغانستان

في مايو 1986 أنشأ الدكتور عبد الله عزام أول معسكر لتدريب المجاهدين العرب داخل الأراضي الأفغانية، وأطلق عليه اسم عرين الأسد.

يعد عزام واحدًا من أهم من انخرطوا في صفوف جماعة الإخوان المسلمين في وقت مبكر من عمره، وقد اعتبر عزام أن في رسائل البنا ما يمثل منهجا عامًا لتحديد الأسس التي تقوم عليها الحركة الإسلامية في كل مكان.

سافر عزام إلى أفغانستان وكان عدد الشباب الذين معه لا يتجاوز أصابع اليدين وسرعان ما بلغ العدد في أول معركة يخوضها المتطوعون العرب في السابع عشر من أبريل عام 1987 (أي بعد تأسيس أول معسكر تدريبي بعام واحد) مائة وعشرين شابًا كان منهم أبو مصعب السوري وهو من أخطر الموجودين في أفغانستان في هذا الوقت وهو أبو مصعب مصطفى عبد القادر الذي ولد في مدينة حلب، عام 1378هـ، ودرس في كليتها؛ الهندسة الميكانيكية.

التحق أبو مصعب بتنظيم «الطليعة المقاتلة»، الذي أسسه القائد مروان حديد في سورية لقتال النظام النصيري البعثي.

تلقى عددًا من الدورات العسكرية بإشراف ضباط فارين من الجيش النصيري السوري في الأردن، وضباط من الجيش العراقي والمصري في بغداد والقاهرة، وكانت هذه الدورات ضمن دعم النظام العراقي لتنظيم الإخوان المسلمين ضد النظام النصيري في سورية لخلافات وجدت بين تلك الأنظمة في حينها.

تخصص في علم هندسة المتفجرات وحرب عصابات المدن والعمليات الخاصة، وعمل مدربًا في قواعد الجهاز العسكرى لتنظيم الإخوان المسلمين في الأردن وفي معسكراته ببغداد.

أثناء معارك حماة؛ عينت قيادة تنظيم الإخوان المسلمين المقيمة في بغداد أبا

www.ibtesama.com

مصعب عضوًا في القيادة العسكرية العليا بإمارة الشيخ سعيد حوى، ونائبًا للمسؤول عن منطقة شمال غرب سورية. إثر دمار مدينة حماة وانهيار برنامج المواجهة مع النظام النصيري؛ أعلن أبو مصعب انفصاله عن تنظيم الإخوان المسلمين، احتجاجًا على إبرامهم «التحالف الوطني» مع الأحزاب العلمانية والشيوعية والفرع العراقي لحزب البعث! وذلك لأسباب عقدية منهجية، واحتجاجًا على الفساد وسوء الإدارة لدى الإخوان، واعتبرهم مسؤولين عن دمار حماة وفشل وإجهاض الثورة الجهادية. شارك أبو مصعب مرة أخرى مع الشيخ القائد عدنان عقلة في محاولة إعادة بناء «الطليعة المقاتلة» في سورية، لكن تلك المحاولة باءت بالفشل، واعتقل الشيخ عدنان عقلة، ومعظم من تبقى من «الطليعة».

تفرغ أبو مصعب بعد ذلك لإحياء العمل الجهادي في بلاد الشام، وقد قادته تلك المحاولات إلى أفغانستان، حيث تعرف في بيشاور/باكستان على الشيخ عبد الله عزام رحمه الله الذي أقنعه بالانضمام إلى تجمع المجاهدين العرب، ليضع خبراته العسكرية في تدريب الوافدين الجدد إلى أفغانستان.

وهكذا نقل أبو مصعب خبرته إلى الجزائريين والليبيين والمصريين ويعتبر هو المساهم الرئيسي في إنشاء الجماعة الإسلامية المسلحة بالجزائر.

على يد أبي مصعب تدرب أبو صهيب في مأسدة الأنصار التي أقامها عزام وأنفق عليها بن لادن، وفي مأسدة الأنصار التقى المقاتلون العرب مقاتلي مصر وتبادلوا الأفكار حتى أن أسامة بن لادن نفسه قد تأثر بهم وهذا ماسينتج فيما بعد تنظيم القاعدة وتلك الجماعات الجهادية في الوطن العربي كالجزائر وليبيا.

أصبح المقربون من بن لادن هم المصريين كالظواهري وأبي عبيدة البنشيري الذي تولى التنظيم في أفريقيا ولكنه مات غرقًا في ظروف غامضة في بحيرة فكتوريا.

واختلف عزام مع أتباع بن لادن حول أحقية كل منهما بقيادة المجاهدين العرب، وحول تطبيقات فكرية على أرض أفغانستان وبعض الرؤى حول مجاهدي أفغانستان مثل رباني وحكمت يار.

نأت الجماعة الإسلامية بعيدًا عن هذه الخلافات وعن بن لادن الذي اعتبرته الجماعة لايعذر بالجهل ويكفر المسلمين كأفراد الشرطة.

حاول بن لادن أن يضم الجماعة تحت لوائه ولكنه فشل في ذلك تمامًا ورفض

www.ibtesama.com

طلعت فؤاد قاسم (أبو طلال القاسمي) أمير الجماعة العام بعد خروجه من ليمان طرة وتكليفه قيادة الجماعة في ظروف حساسة جدًا رفض ذلك وحاول أن يصدّر أفكار الجماعة إلى الدول الأخرى وأن ينشىء تنظيمًا عسكريًا للجماعة خارج مصر.

أصدر قاسم مجلة المرابطون من بيشاور وواظب على حضور مؤتمرات إسلامية كثيرة كمؤتمر الخلافة الذي يعقده حزب التحرير في لندن ومؤتمر جبهة الإنقاذ الجزائرية حتى ألقي القبض عليه في كرواتيا وهو في طريقه إلى البوسنة.

كلفت الجماعة أبا صهيب إنشاء معسكر الخلافة الإسلامية العسكري على غرار معسكر أبي بكر الصديق الذي أنشأه الظواهري لأتباع جماعة الجهاد المصرية ولكن معسكر الجماعة كان قليل الإمكانات مقارنة بالمعسكرات الأخرى.

أبو صهيب هو عدلي يوسف من مدينة بني مزار.. يعتبر أحد المهاجرين الأوائل إلى أفغانستان كما يعتبر أحد أهم المدربين الذين كانوا يدربون مجاهدي العرب الذين يقاتلون الروس الشيوعيين.

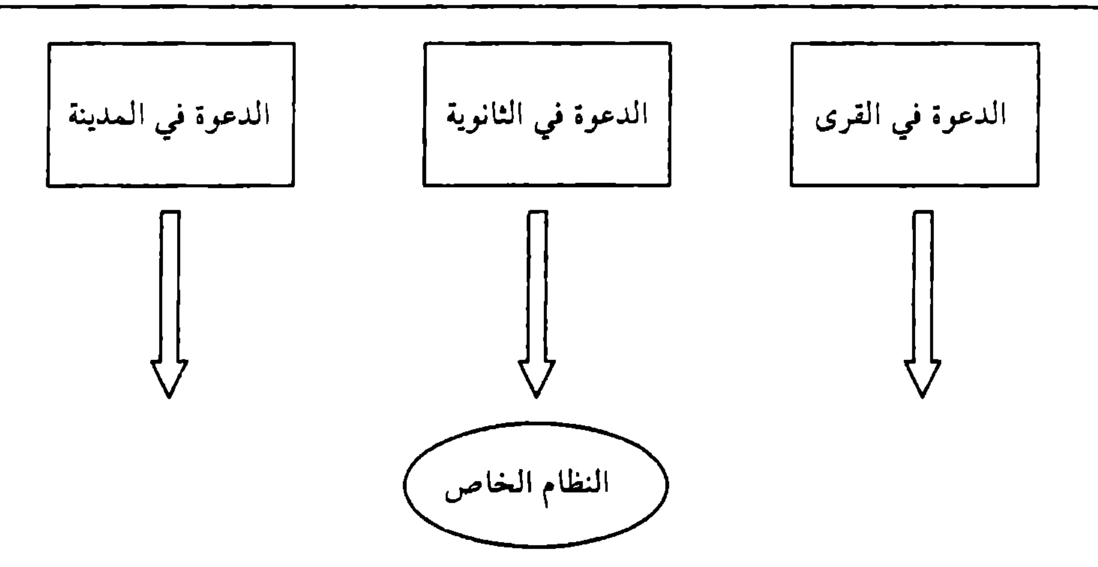
قاتل عدلي يوسف في ننجرهار وقتل في جلال آباد حينما أصيب أبي سليمان علي عبد الفتاح وقتل كما قتل الأخ شامل وهو من الجزائر فلما قام أحد الجزائريين بإخراج جثة شامل بالقوة من بين أيدى الروس قرر عدلي يوسف أن يخرج جثة علي عبد الفتاح ولكنه حين ذهب لم يعد فقد قتل على الفور يوم 16/ 5/ 1990.

## العدد الأول من مجلة المرابطون

على الورق كان المقرر أن يكون الذين يذهبون إلى أفغانستان هم الذين اختارهم أولئك المسؤولون عن الدعوة في القرى والمراحل الثانوية أو ما يعرف بالتنظيم الخاص الذي لايعرفه أحد حيث لا يصلّون في مساجد أو يحضرون لقاءات معنا منذ اعتنقوا أفكار الجماعة، ولكن هذا الكلام لم يحدث قط والدليل على ذلك أن كل من حملوا السلاح إبان أحداث العنف التي جرت في التسعينات كانوا من خطباء ودعاة الجماعة المعروفين لدينا ولدى الجهات الأمنية.

كانت تعتمد الجماعة في إرسال عناصر إلى أفغانستان عن طريق الحج ورحلات العمرة التي تخرج عن طريق اتحاد الطلبة في جامعات مصر وهناك يلتقون المشايخ الذين ينصحونهم بالذهاب إلى الجهاد الأفغاني للشيوعيين.

www.ibtesama.com




وهكذا نشأ ما يسمى بالنظام الخاص من النواحي الثلاث، وهذا كله أخذه قادة الجماعة من كتب الإخوان ككتاب أحمد عادل كمال النقاط فوق الحروف وغيره، كما استفادوا من كتابات ومحاضرات.

ولكن الضربات الأمنية المتلاحقة أفشلت تنفيذ ما أرادوا فعله فكانوا يرسلون إلى أبي صهيب من رأوا فيه قوة من أتباع الجماعة الدعاة الذين يغيرون المنكرات بل كان جل من ذهبوا إلى هناك قد ذهبوا بإرادتهم الذاتية دون اختيار وخطة مسبقة بل ذهبوا متأثرين بكتابات وخطب مشايخ الخليج ومجلات وشرائط المجاهدين الأفغان التي كانت تحت سمع وبصر الحكومات العربية التي كانت تريد إسقاط النظام السوفياتي بأوامر أمريكية!!

* * *

## من لقاءات الجماعة

### (1) الحاج حافظ سلامة ملك السويس

في الوقت الذي كانت الجماعة في أفغانستان قد أوجدت معسكرًا لها مع قلة من المقاتلين كان الحاج حافظ سلامة يقول:

**- الدولة اشترت بخمسة ملايين دولار زيتون مخلل... أمال هتشتري بكام مليون جنيه كرات مخلل؟ وفجل مخلل..**

كنا نسمع الرجل ونضحك ملء أفواهنا ونعجب بهذه السخرية.

www.ibtesama.com

الرجل شخصية معروفة جدًا بجهاده في السويس ضد اليهود. . هو الذي رفض أن يسلم مدينة السويس لليهود رغم أن المحافظ قرر تسليمها، وأخذ يجاهد مستميتًا في الدفاع عن المدينة.

أعطاه السادات جائزة تقديرية بعد ذلك ثم عاد وقال عنه إنه مجنون لما رفض الرجل الصلح مع اليهود وانتقد كامب ديفيد!!

متميز في منظره بطربوشه وبذلته الخضراء التي لا يغيرها رغم أنه من أعيان السويس ومن أصول تركية غنية.

كنا ننتظر لقاءه بفارغ الصبر ونحب سماعه دائمًا لأن لقاءه غير تقليدي فهو ليس كلاسيكيًا أو علميًا بحتًا بل لقاء يجمع بين الفكاهة والطرفة والسخرية في آن واحد.

غاب شهورًا طويلة وأرادت الجماعة أن تحضره إلى بلدنا فأوفدتني إلى السويس ومعي الأخ (س - م).

ذهبنا معًا إلى السويس لأول مرة. . المدينة جميلة وهادئة والمناطق القديمة ذكرتنا بالاحتلال الإسرائيلي والحرب والدمار.

ومشينا في حي الأربعين وتل القلزم ثم ذهبنا إلى مسجد الشهداء لنلتقي الرجل الذي جاوز الثمانين من العمر.

المسجد محاط بسور إسمنتي ضخم كبير به مدخل صغير إلى المسجد لا بد أن تنحني وأنت تعبره. . على الحائط الخارجي قصة معركة السويس وأسماء الشهداء الذين سقطوا في المعركة التي انطلقت من هذا المسجد والكفاح والنضال الشعبي الذي قاده الحاج حافظ حين رفض أن يتخلى عن المدينة لليهود. . في حجرة خلفية صور هؤلاء الشهداء وسيرتهم الذاتية معلقة فوق الجدار.

لكن السور يشوه منظر المسجد الرائع ذي النقوش والمعمار البديع. . قبل أن نسلم على الحاج سمعنا مقاولًا معروفًا هناك يقول للحاج:

- ليه السور ده؟!!

**- أنت عارف ليه. . لأن اليهود جايين جايين. . وزى مابدأنا الكفاح من هنا زمان هنبدأه من هنا من المسجد ده ونقاتل اليهود.**

دارت التساؤلات معقول اليهود جايين؟!!

www.ibtesama.com

أمال فين اتفاقيات السلام وكامب ديفيد؟!!

الرجل اللي جاوز الثمانين عامًا هيقاتلهم. . إيه العظمة دي!!

واتفقنا مع الحاج حافظ على المجيء إلى بلدنا لأول مرة.

جاء الرجل وتكلم بأسلوبه المعتاد، وأذكر أنه تكلم عن معنى الوطنية وكانت كلمة الوطنية عندنا موسومة بالكفر والضلال والمؤامرة على الإسلام أو كانت تعني كذلك العلمانية والجماعة الوطنيين العلمانيين الذين يحكمون البلد من أيام سعد زغلول دون الشريعة الإسلامية.

وقف أحد الحاضرين قائلًا له:

- **اتق الله ياعم الحاج مفيش حاجة اسمها وطنية.**

لم يرد الرجل ولا أعرف لماذا. . فتطوع أحد الحاضرين بالرد عنه. . المهم أنه انتهى اللقاء.

اليهود لم يدخلوا إلى الآن السويس والحاج لم يدخل بلدنا إلى الآن بعد الذي حصل في اللقاء ولكننا بالحق تعلمنا من لقائنا معه معنى حب الوطن والدفاع عنه ومعنى كلمة الوطنية.

* * *

## (2) البوسنة والهرسك كلاكيت أول مرة

الأسباب التي جعلت الجماعة لا تكف عن تنظيم اللقاءات كثيرة جدًا منها:

**(إظهار كيان الجماعة - تعريف الإخوة بخطباء الجماعة ودعاتها)**

والغريب أن كلمة إظهار الكيان كلفت الجماعة الكثير. . كان عددنا في النقصان في الأيام الأخيرة نظرًا إلى الضغوط الأمنية الشديدة، وكان صعبًا علينا أن يظن الأمن أننا في ضعف مستمر وإلا لن يكفوا عن سياستهم الأمنية الشديدة تجاهنا ولذا كنا نضع منصة اللقاء في منتصف المسجد حتى يخرج المستمعون إلى خارج المسجد ونوهم الأمن بأن عددنا في زيادة وليس في نقصان.

لم نفكر كثيرًا في التوسع النوعي واختيار الأفراد المؤهلين للدعوة إلى الله بدلًا من الزيادة العددية التي لم تجلب سوى هزائم للدين.

www.ibtesama.com

وهكذا لم يتوقف لقاء الأربعاء ولم تتوقف المؤتمرات الحاشدة. . كان آخرها مؤتمر عن البوسنة والهرسك على كورنيش النيل بمدينة المنيا. . حضر المؤتمر ممثلون عن جماعة الإخوان ورئيس الجمعية الثقافية بالمنيا عصام الصبابطي وقادة الجماعة الإسلامية بالمنيا وآخرون مستقلون مثل محيي الدين أحمد عيسى القائد السابق للإخوان بالمنيا. . لأول مرة تجتمع الجماعات الإسلامية على شيء واحد أمام أعيننا.

قال لنا أسامة حافظ إنه بعدما خرج من حبسة 81 بعد عشر سنوات طوال قضاها خلف القضبان في قضية اغتيال السادات كانت عنده استراتيجية قد خرج بها بالاتفاق مع المشايخ وهي التنسيق مع الجماعات الإسلامية الأخرى وإنه بذل مجهودًا كبيرًا في جمع ممثلي الجماعات على أعمال يتفق عليها الجميع ولكنهم لم يستكملوا معه الطريق لأن قانون الإرهاب خوف الجميع ولأنهم عرفوا أن الجماعة في طريقها إلى السجون.

واجتمع القادة في ملوي ليعرفوا ماذا سيفعلون وكيف سيستغلون مايحصل في البوسنة لمصلحة الجماعة وفي بعض الأقوال لمصلحة الإسلام ولكنهم كانوا لايملكون آلية التنسيق مع الجماعات الأخرى وخصوصًا الإخوان الذين يناصبونهم العداء الشديد.

كلنا لا يعرف موقع البوسنة على الخريطة بل لم نسمع عنها من قبل ولكنها الآن أصبحت مثل اللبانة في فم الجميع وكنا كمن سيبدأ حرب التحرير والواقع أن إثارة عواطف الناس لن تجد أفضل من دماء وأشلاء وجثث للمسلمين وكذلك مجاهدين يبذلون دماءهم وأموالهم لنصرة المستضعفين. . إننا سنحكي عن ذلك كله للناس ونحن لانعرف عن القضية سوى أن البوسنة أرض إسلامية احتلها الصرب الصليبيون وأرادوا أن يسيطروا عليها.

لكننا في اللجنة الإعلامية رفضنا عقد المؤتمرات في بلدنا لأنها لايحضرها سوانا وكذلك التظاهرات والوقفات الاحتجاجية التي لا تقدم ولا تؤخر واتفقنا على إقامة معرض مصور للبوسنة وما يجري فيها.

كانت أول لوحة في المعرض عبارة عن جمجمة صنعناها من مادة الجبس. . وضعنا في مكان عينيها لمبتين حمراوين صغيرتين ومن مكان الفم أخرجنا رسالة مكتوب عليها بخط عريض رسالة إلى مسلمي العالم وفي اللوحة الثانية بيوت مهدمة ودمار وكتبنا تحت الصور كان هناك مبنى ومسلمون لم يعودوا هنا، وتسلسلت اللوحات التي تصور المأساة.

أقمنا المعرض المصور بالفعل في اللقاء الأسبوعي يوم الأربعاء ومشينا بين اللوحات لنرى رد فعل المشاهدين.

www.ibtesama.com

محمود عبد الحميد نائب أمير الجماعة ومفتيها في ملوي لا يتكلم سوى اللغة العربية ولا يلبس سوى الجلباب القصير والذؤابة يختبىء وراء عمود بالمسجد. . فوجئنا به يمسك الجمجمة ويكسرها في مشهد دراماتيكي. . تحول المشهد إلى مشكلة كبيرة لممنا في إثرها المعرض وجلسنا لساعات طويلة نناقش أمر مفتينا الذي هو مصمم على فعله دائمًا من شطب صور مجلات الحائط والمعارض، كان يقول لنا:

**- لن أتنازل لأن الشيخ الألباني أفتى بحرمة الصور.**

وكلمة من هنا وكلمة من هناك حتى كادت تحدث مأساة، قال أحدنا:

**- الإخوان المسلمون يرسلون أتباعهم إلى البوسنة في لجان الإغاثة وهناك يأخذون مرتبات بالدولار ويعودون ليتزوجوا ويبنوا بيوتهم وأنتم المخلصون الذين تفهمون الدين صح تختلفون على الصور حرام ولا حلال والله حرام عليكم.**

كنا قد فقدنا القدرة على إقامة معرض آخر وكدت أجن وأمي تقول لي:

**- يابني إيه هي ألبسه والهسك بتاعتكم دي؟!!**

لقد كنا في واد والناس في واد آخر!!!

*** 

## (3) المجاهد إبراهيم شكري

دخلنا نادي ملوي الرياضي لنحضر المؤتمر الحاشد للحاج إبراهيم شكري رئيس حزب العمل والشيخ السماوي ومجدي أحمد حسين وأحد ممثلي الإخوان المسلمين وقد تلقت الجماعة دعوة للحديث في المؤتمر.

لحظة دخولنا سمعت إبراهيم شكري يقول عنا من هؤلاء وأحد الحاضرين يقول له إنهم أتباع الجهاد فنظر إلينا الرجل بامتعاض ولم ينطق وكأنه يقول ما الذي جاء بهم إلى هنا؟!!

اعتلى بشير محمد كمال منصة المؤتمر ممثلًا عن الجماعة وكان أصغر الحاضرين وبعد أن تكلم ممثل الإخوان فأطال ثم تحدث ممثل آخر لجماعة الإخوان وهو الشيخ مصطفى ضاهر وكان أحد الذين سجنوا أيام عبد الناصر فنفى أي خلاف بين حزب العمل

www.ibtesama.com

والإخوان وتكلم فأطال عاد بشير فتحدث وتكلم عن الصراع بين الجماعة والنظام المصري فأطال أيضًا.

جاء دور الشيخ السماوي الذي تحدث بلغته العربية المعروفة قائلًا إنه لم يجد فرقًا بين كلام الفتى وكلام الشيخ يقصد بالفتى بشير ويقصد بالشيخ مصطفى ضاهر وعلى هذا فعليهم أن يتحدوا معًا أي الإخوان والجماعة.

انتفض بشير قائلًا لماذا يقول عني أنني فتى؟! فإذا كنت فتى فأنا ممثل عن الجماعة وهي من الكبار وإذا كنت فتى فأنا ابن من أبناء الشيخ عمر عبد الرحمن.

انفض المؤتمر وفي اليوم التالي عقد الإخوان لقاء آخر قائلين فيه بأنهم يعتذرون للمسلمين عن حضورهم مؤتمرًا كان فيه شباب الجماعات الإرهابيون الذين لايفهمون الإسلام وأنهم يعتذرون عن جلوس شيخهم بجوار فتى صغير على منصة واحدة.

نسيت أن أقول إن الأستاذ إبراهيم شكري قد تحدث في نهاية المؤتمر في مواضيع أخرى اقتصادية وسياسية بعيدًا عن الخلافات بين الإخوان والجماعة التي لن تنتهي أبدًا.

* * *

## (4) مؤتمر الأزهر

في يوم 1/ 1/ 1988 دعت الجماعة إلى مؤتمر حاشد في الأزهر الشريف نصرة للمجاهدين في القدس وإيقاظًا للمسلمين في مصر وتبيانًا لجرائم اليهود في فلسطين وتوضيحًا لطريق استرداد الأرض وحماية العرض، وكان على رأس المحاضرين فضيلة الدكتور عمر عبد الرحمن والحاج حافظ سلامة وقد قامت الحكومة بمنع هذا المؤتمر ولكن ذلك لم يمنع الجماعة من استثمار ماحدث بالخروج بالمسيرات في وسط المدينة للتنديد بجرائم اليهود وقد أصدرت الجماعة توصيات للمؤتمر الذي كانت ستعقده ومن هذه التوصيات:

**أولًا**: رفع راية الجهاد لإعادة القدس المسلمة.

**ثانيًا**: قطع علاقات الخزي والاستسلام مع اليهود وعلى رأسها كامب ديفيد وماتبعها من علاقات التطبيع وإغلاق السفارة الإسرائيلية.

**ثالثًا**: المطالبة بفتح الحدود لجهاد اليهود.

www.ibtesama.com

وأصدرت الجماعة بيانًا وزعته في أنحاء الجمهورية بعنوان دماء النذير تتدفق في فلسطين

* * *

## سلسلة المواجهة في بيتنا

صدر أمر من أمير الجماعة بعدم قراءة كتب سلسلة المواجهة التي تصدرها وزارة الثقافة وبعدم قراءة كتاب هذا بيان للناس وهو مجلد ضخم من إصدار الأزهر الشريف يناقش أغلب أفكار الجماعات الإسلامية.

كان الرجل متأكد تمامًا أن كل إخواننا لن يقرأوا هذه الكتب لأن نظريات المؤامرة تحكم تفكيرنا حول مؤلفي هذه الكتب وبالذات قاسم أمين وطه حسين ونجيب محفوظ.. إلخ.

بالإضافة إلى أن مبدأ السمع والطاعة لن يمكننا من قراءة الكتب، وكان مبدأ السمع والطاعة سلطانًا قاهرًا من التبعية، والانصياع يعم الجميع فالعمل الجماعي لدينا واجب شرعي، والجماعة بدون أمير لا تنفع والأمير بلا استجابة وسمع وطاعة بلا قيمة.. نستطيع أن نفعل أي شيء من وراء الأمير فيتغاضى عنك إذا وافق مافعلت هواه أو يستنكر ذلك هادئًا ولكن إذا خالف مافعلت سياسة الجماعة التي كانت تختزل غالبًا في آراء الأمراء فأنت ستكون مخالفًا للسمع والطاعة الذي هو أمر واجب يضبط حركة الجماعة.

كما أن ما يسمى بالوحدة الفكرية الواحدة التي لا بد أن تتسم بها الجماعة ويتصف بها الجميع تجعل من المحال أن تفكر لحظة واحدة في فكرة أو رأي مخالف لما تراه الجماعة وقد كان من الأولى لنا أن نمد الجسور مع جميع الأفكار وهذا التزام تفرضه العقيدة، وتقضيه المصلحة، ويؤكده الإسلام الذي يدعو إلى الحرية الفكرية، والتصالح مع المجتمع فنحن في حاجة إلى فهم وتفاهم لا إلى قطيعة وتنازع.

إن العصبيات للأفكار تؤدي إلى قطع خطوط الاتصال والحوار وتهدر فرص تصحيح المعتقدات كما أن الخلاف الفقهي في الفروع والخلاف الفكري سيكون وسيبقى إلى آخر الزمان فيجب ألا نتطير منه ولكن يجب أن نكون عقلاء ونبحث بحثًا جادًا في كيفية التعامل معه بحيث نستخلص ما يمثله من ثراء فكري وما يجنبنا الشقاق.

وفي الأمور الفقهية البسيطة اختارت الجماعة المذهب الحنبلي ليكون مذهبًا لأفراد

www.ibtesama.com

الجماعة باعتباره آخر المذاهب وهو مذهب أهل الحديث وعلى هذا كانت صلاتنا وأعمالنا محاولة لتطبيق هذا المذهب مما جعل عقلياتنا تنغلق على مذهب واحد وفقه أوحد.

قال لي الأمير:

- **خد الفلوس دي واشتر كتاب هذا بيان للناس من بتوع الجرائد واحرقه.**

كانت نسخة الكتاب بخمسة وعشرين قرشًا وهذا بالطبع يثير الريبة حول دعم الدولة لهذه الكتب وموقفنا من الدولة معروف.

لم يجد بائعو الجرائد أفضل مني يشتري كل النسخ الموجودة ولو عرض علي بائعو الجرائد النسخة الواحدة بعشرة جنيهات لاشتريتها.. كنت فرحًا لأنني سأقي الشباب قراءة هذه الكتب، وفرحًا لأن الدولة تفعل معنا الأفاعيل وتنفق كل هذه الأموال، قلت:

- **صراحة أنا شايف اهتمام زايد وكتب مدعومة.**

وقرأنا معًا سطورًا من الكتاب [إن شدة الضغط لا تقلل من عدد المنحرفين بل قد تزيده ولاتعدل الأفكار تمامًا بل تقويها وإن عدلت ظاهرًا فإلى حين وستعود].

لم أفكر في أن أكمل قراءة الكتاب الذي يتحدث عن قضية الحاكمية والخروج والمواجهة والقضايا التي تهم الشباب وبعد سنوات قلبت في أحد الرفوف وفتحت صفحة من الكتاب وقرأت فيها [والرأي الاجتهادي لا يجوز التعصب له أو اعتقاد أنه وحده الصواب ولا صواب غيره ولايجوز إغلاق الفكر على معلومات معينة من مصدر واحد مهما كان قدر هذا المصدر فقد سبق قول الأئمة في ذلك فإذا جاء بعض الغلاة ورفضوا كل نقاش فيما يعتقدون مما تلقوه عن أميرهم.. ومن أميرهم هذا؟! وما منزلته بين العلماء الذين هم ورثة الأنبياء؟!].

لماذا ظلت هذه النسخ طوال هذه الأعوام؟!

لماذا لم أحرقها كما قال الأمير؟!

لا أعرف إجابة.. فهل كنت أتصور أن يجيء اليوم الذي أدرك فيه قيمتها؟!

* * *

www.ibtesama.com

(2)

# مسيرة الدم والدموع

كان مجتمعنا أكبر خشبة للمسرح وحينما نناقش حالة العنف التي قامت بها الجماعة من منظور مسرحي ستنفتح لنا أماكن مظلمة.

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

# الإرهاب فرض والاغتيال سنة

لا يمنع الإسلام استخدام القوة بالكامل فقد أمر رسول الله بقتال الخوارج حينما قال أينما لقيتموهم فاقتلوهم، وقد أجمع العلماء على وجوب الدفاع عن الأمة ضد المعتدين والوقوف أمام الصائل الذي يعتدي على بيتٍ مسلم، ولكن المستقر في هذا الدين أن الجهاد لا بد أن يحقق مناط أحكام استخدام القوة وأن يحقق المناط على أسس تحكمها ضوابط وقوانين وقياسات ولا يصح بأي حال من الأحوال أن يقيس هذه الأمور الأفراد بل هم علماء الأمة الثقات.

كان أمامنا إسلام الإخوان المسلمين وإسلام الحكومة وإسلام علماء الأزهر فاخترنا إسلامًا آخر إنه إسلام يستخدم القوة في مواجهة الأنظمة ويمارس العنف وتغيير المنكرات ومهما كانت جواذب الأرض ورغائب النفس التي كانت تغالبني شخصيًا فإني قد كسرت أشواكها وأعطيت نفسي قوة وثباتًا ومنحتها عزمًا على مواصلة الطريق وكنت لا أكل ليل نهار عن المواصلة حتى أنني لم أبت ليلة واحدة في بيتي ومع زوجتي بل كان معظم وقتي مع الجماعة، وأذكر أنني كنت أذهب إلى الجامعة من الساعة الثامنة صباحًا حتى آخر النهار دون أن أحضر محاضرة واحدة عملًا بماكان يفعله أميرنا صفوت عبد الغني الذي قال لنا إني رأيت طالبًا يذهب إلى الجامعة في الصباح الباكر ليقابل فتاة فلنذهب نحن من الصباح من أجل الدعوة إلى الله.

## 1 - الهجوم على أحمد عدوية

هكذا كانت تمثل القوة لنا شيئًا مركزيًا تدور حوله كل تصرفاتنا ومنذ عام 86 علقنا شعارًا هو (مساجدنا معاقلنا) وذلك ردًا على سياسة حصار المساجد التي كان يقوم بها زكي بدر وفي العام نفسه تقريبًا قامت الجماعة بتغيير منكر وهو فرح كان المغني فيه هو أحمد عدوية حيث قفز الشواكيش من فوق حائط أحد المساجد واقتحموا الحصار المفروض حول الفرح الذي دعي إليه مدير أمن المنيا وضربوا عدوية بمطواة في فخذه وجروا.

www.ibtesama.com

## 2 - قتل شعبان راشد

صادف ماحدث لعدوية يوم 3/ 1/ 86 حيث حدثت مصادمات في أسيوط وفي أبريل من العام نفسه فقتل الأخ شعبان على يد أحد المخبرين وهو يعلق إعلانًا عن لقاء الجماعة يوم الإثنين في مسجد الجمعية الشرعية بأسيوط وكان هو القتيل الأول بعد خروج قيادات الصف الثاني من السجون عقب أحداث 81. . كأن الدولة يومئذ لم ترد أن تكون هي البادئة بالقتل فقد أمر رئيس الجمهورية بنقل شعبان إلى أحد مستشفيات القاهرة وركب بصحبته قارىء الصعيد وأحد أعضاء الجماعة الدكتور زين ولكن الروح فارقت شعبان فخرجنا في تظاهرات على أثر هذا الحادث في أسيوط والمنيا.

وأذكر أنني ذهبت دون أن أدري إلى المنيا في لقاء الثلاثاء الذي كنت أداوم على حضوره وبعد صلاة العشاء خرجنا في تظاهرة عارمة حول المسجد وجاءت القوات وحدث أول صدام رأيته في حياتي بين قوات الأمن والجماعة وهربت بأعجوبة أنا والرفاق ووصلت بأعجوبة أكبر إلى بلدي آخر الليل(1).

## 3 - حصار المساجد

استمرت أحداث العنف والمواجهة والعجيب أن الأمن كان يتركنا في هذه الفترة نذهب إلى المساجد حتى حدث التطور الأهم الذي أعطانا شعبية ضخمة وهو اقتحام مساجدنا في سوهاج وأسوان وأسيوط والمنيا وملوي. . كانوا يسدون الطريق العمومي الذي يصل القاهرة بأسوان حيث يقع مسجدنا على هذا الطريق وذلك حتى يستطيعوا حصار لقاء الأربعاء وكان السائرون بسياراتهم يجدون صعوبة في المرور حتى آخر الليل!!

استطاعوا في أول مرة أن يحاصروا كبار الجماعة داخل المسجد ولم أكن أنا وصديقي محروس توفيق في المسجد ساعتئذ ولما رأينا الحصار المضروب حولهم انطلقنا بسرعة إلى مسجد آخر من مساجد الأوقاف وأقمنا اللقاء فاضطرت القوات أن تقسم نفسها إلى نصفين نصف حول المحاصرين والنصف الآخر حول اللقاء الذي أقمناه

(1) بعد سنوات قامت الجماعة بقتل المخبر الذي قتل شعبان بعد خروجه من السجن حيث حكم عليه بعدة سنوات في تهمة قتله شعبان راشد.

www.ibtesama.com

مما شل حركة المرور في البلد تمامًا وجعل الناس يقفون في المواجهة ليروا مايجري من بعض الشباب مع الدولة.

كنا نردد أنا ومحروس في الميكروفون الآية التي تقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(1).

لقد كانت الدولة تستطيع أن تقتحم المسجد وتعتقل من فيه بالقوة ولكن في هذا الوقت لم تفعل سوى تنبيهنا إلى الخروج من المسجد!!

لقد أرهقت الدولة نفسها بتصميمها على حصار هذه اللقاءات التي لم يكن يحضرها سوانا والقلة القليلة من الناس، وأرهقتنا سياسة الحصار والاعتقالات المتوالية حتى خافت الجماعة أن ينكشف أمرها فأرسلت تستدعي الوفود من المراكز والقرى فذهبنا لدعم لقاء الإثنين بأسيوط وانطلقنا إلى مسجد آخر بدل المسجد المحاصر وهو مسجد المركز الإسلامي.

نبهنا قائد قوات الأمن أن نخرج بهدوء ونبهنا طلعت ياسين أمير أسيوط في هذا الوقت أن نخرج مجتمعين وفي هدوء ولكن شخصًا لانعرفه هتف قائلًا حسبنا الله ونعم الوكيل مما قلب الأمور ودفعنا للجري في شوارع المدينة والقوات وراءنا!!

## 4 - محاولة اغتيال أبو باشا وقتل محمد قطب

في عام 87 كانت محاولة اغتيال أبو باشا وزير الداخلية السابق يوم 6/ 5 وبعدها يوم 14/ 8 محاولة اغتيال النبوي إسماعيل وزير الداخلية السابق أيضًا هو والصحفي مكرم محمد أحمد على يد تنظيم من إحدى جماعات التكفير أو التوقف والتبين، وقد فشل هذا التنظيم في تحقيق أهدافه وأنا قابلت يسري عبد المنعم أحد قادة التنظيم في تأديب سجن استقبال طرة فقال لي إن مافعلوه قد تعلموه ممن سبقه يقصد تنظيم الجهاد الذي كان أول من وضع هذه السياسة في مواجهة الدولة.

بينما كان التكفيريون يحاولون زعزعة النظام كانت الجماعة مشغولة بسلسلة من تغيير المنكرات والهجوم على سيارات محملة بالبيرة وحرق محال الخمور في منفلوط والاعتداء على حفل موسيقي في صالة الجمانيزيوم بجامعة أسيوط وفي هذه الأثناء قتل

(1) سورة البقرة، الآية: 217.

www.ibtesama.com

الأخ محمد قطب وهو يقوم بتغيير منكر في إحدى الحفلات الموسيقية في أسيوط وقد أصدرت قيادات ليمان طرة شريطًا مسجلًا بعنوان الشهيد محمد قطب جعلوا فيه من محمد رمزًا من رموز الجماعة ودعوا فيه إلى استمرار العمل مع سياسة الجماعة.

## 5 - الإخوان يتحالفون مع الوفد

وقد كانت الجماعة في وادٍ والأحزاب والجماعات الأخرى في وادٍ آخر حيث تحالف الإخوان مع حزب الوفد ليخوضوا الانتخابات ووجدت الجماعة الإسلامية مادة جديدة للخلاف فأصدرت كتيبها غير المطبوع (الحركة الإسلامية والعمل الحزبي) ورسالة (الله مع الله - إعلان الحرب على مجلس الشعب) وأذكر أننا خرجنا في تظاهرة عارمة طافت شوارع المنيا حيث بدأت من شارع الحسيني وانتهت أمام مسجد الإخوان المسلمين عمر بن الخطاب ونحن نردد وراء صفوت عبد الغني:

في سبيل الله قمنا نبتغي رفع اللواء
لا لحزب قد عملنا نحن للدين فداء

وقع صفوت عبد الغني في عرض الشارع على أثر اختناقه من القنابل المسيلة للدموع التي أطلقها الأمن لتفريقنا فحملناه وجرينا.. فلتنا بأعجوبة من القبض علينا واستمرت حياتنا هكذا حتى هروب القمري من ليمان طرة.

## 6 - هروب القمري وخميس مسلم

من المعروف أن قيادات التنظيم الذي اغتال السادات وقام بأحداث أسيوط كلها كانت محكومة في ليمان طرة وقد انقسم التنظيم إلى تنظيم الجماعة الإسلامية الذي ترأسه الدكتور عمر عبد الرحمن وأداره فترة طويلة من خارج السجون رفاعي طه ومحمد شوقي الإسلامبولي ومصطفى حمزه وأما جماعة الجهاد الإسلامي فقد ترأسها عبود الزمر لأسباب كثيرة منها قضية العذر بالجهل وعدم رضاهم عن إمارة الضرير وهو الدكتور عمر وإمارة الأسير وهم قادة ليمان طرة وقد قاد الجماعة من الخارج سيد إمام وبعده أيمن الظواهري.

كان هؤلاء القادة ينعمون بكل متطلباتهم في ليمان طرة حتى أنهم استطاعوا أن يديروا التنظيمين معًا من هذا السجن وكنت أعرف أنهم قاموا ببناء حمّام سباحة بأنفسهم في عنابرهم وكانوا يمارسون ما أرادوا من الرياضة وبعض الحرف حيث كان يذهب

www.ibtesama.com

محمد الأسواني وخميس مسلم والقمري إلى ورشة نجارة وعن طريقها هربوا بعض الآلات التي استخدموها في الهروب حيث خططوا لذلك من فترة طويلة فبدأوا الحفر قبل الهروب بعام!!

قال لي الأخ أسامة حافظ وقد كان معهم في هذه الفترة أنهم عرفوا أننا ممكن أن نخرج من السجن بطريقة معينة!! فرفضوا ذلك وقالوا لن نخرج بهذه الطريقة (لا أعرف ما هي هذه الطريقة؟!) وقرروا الهروب، وفي ليلة الهروب قاموا بإعداد مشروب وزعوه علينا دون أن نعرف أنهم يحتفلون بنا حفلة الوداع وفي الليل قاموا بالهرب والقفز من السور فهرب الثلاثة وفشل نبيل المغربي في الهرب.

وأكمل حافظ قائلًا إن زكي بدر كان وراء الرئيس في إحدى رحلاته إلى المحافظات فلما رآه الرئيس قال له:

**- أنت جاي هنا وسايب اللي هربوا.. أوع أشوفك إلا لما تقبض عليهم.**

وتم القبض على الأسواني وقتل القمري وخميس مسلم وتم إغلاق ليمان طرة ثلاث سنوات على قادة التنظيم في ظروف صعبة وسيئة.

في هذه الأثناء تم منع لقاء في مسجد آدم بعين شمس لنصرة قادة الليمان، وظلت الحال هكذا حتى قررت الجماعة اغتيال زكي بدر.

## 7 - محاولة اغتيال زكي بدر

لم يمر على خروج قيادات الصف الثاني سوى حوالى أربع سنوات وقد قررت الجماعة رفع السلاح في مواجهة الدولة بطريقة جديدة وهي طريقة الاغتيال.

في هذا الوقت نشرت الجماعة بحثها الصغير حتمية المواجهة وقامت بتدريس اغتيالات النبي ﷺ لبعض كبار مشركي العرب واليهود مثل أبي بن كعب.

في ديسمبر يوم 16/ 12/ 1989 كانت محاولة اغتيال وزير الداخلية زكي بدر بتفجير سيارة ملغومة أسفل كوبري الفردوس بالقاهرة.

قال لي محمد صبره وهو أحد المجموعة التي كانت ستشارك في هذه العملية:

**- جلس معي ممدوح علي يوسف في كافتيريا وأعطاني غيارًا داخليًا جديدًا، وقال لي ألبس دا بكره علشان تقابل عروستك وأنت لابس جديد.**

قال:

www.ibtesama.com

**- عرفت أني هقوم بعملية استشهادية خاصة ولم أسأل إلا عن دوري فقط الذي كان يتلخص في أنه بعد تفجير السيارة أسفل كوبري الفردوس سيأتيني الأمر فأنطلق إلى مبنى مباحث أمن الدولة الذي سيجتمع فيه عدد كبير من قياداته وأفجر المبنى بمن فيه.**

كان المشهد سيصبح داميًا بهذا الشكل وكان سيتهدم كوبري الفردوس بمن فوقه والعمارات والمساكن المجاورة له على مساحة كيلو متر، ولم يفكر أحد في رد الفعل الذي سيجري وما سيدور في الدولة بعد ذلك بل الأدهى هو مدى شرعية ما سيجري.. ما كان سيحصل كان عبارة عن سلسلة من ردود الأفعال الشبابية غير المدروسة.

فشلت العملية بسبب حادث قدري وهو عدم انفجار المفجر الذي سيفجر السيارة وقبض على صبره وباقي المجموعة.

قال لي صبره:

**- لم أتعرض للتعذيب إطلاقًا فقد عرفوا كل شيء وثانيًا أنا شخص في حكم الميت والذي لايخاف الموت.**

أقيل زكي بدر بعد العملية لأسباب كثيرة وتولى وزير آخر واستمر شعارنا الإرهاب فرض معلق أمام لقاءات الجماعة وندواتها.

## 8 - عبد الحليم موسى وسياسة جديدة

كان عبد الحليم موسى محافظًا لأسيوط وكان له معرفة ببعض قيادات الجماعة كأسامة رشدي الذي ساعده موسى في الذهاب إلى عمرة في الأراضي الحجازية ويسر له أمر السفر خارج مصر، وحينما تولى وزارة الداخلية أعلن على غير عادته أنه سيجعل جسد هؤلاء الشباب كالمصفاة.

بدأت سياسة الضرب في المليان في عهد موسى وقتل أحمد كامل في يوم 29/ 1/ 1990 أثناء مروره في شارع الأزهر وقد حاولت الجماعة اغتيال ضابط الشرطة عبد الفتاح الشافعي بعين شمس ثأرًا لمقتل أحمد كامل.

وقبل صلاة العيد في يوم 27/ 4/ 1990 قتل أربعة من الجماعة في إثر مصادمات عنيفة مع قوات الأمن في مدينة منفلوط.

إن هذه الوقائع سيل من فيض كثير كان مختفيًا تحت السطح من أحداث وعنف ومواجهات دامية، وفي الوقت ذاته حوارات تحت السطح من أجل تهدئة الأمور دون

www.ibtesama.com

جذوى، وتبقى ملاحظة أن الأيام كانت تحمل في داخلها التطور الذي طرأ على أسلوب الجماعة في المواجهات حتى وصلت إلى الاغتيالات وحمل السلاح والقنابل الموقوتة والسيارات الملغمة ونحن كنا في بلدنا مازلنا نحمل الشعارين (مساجدنا معاقلنا) وشعار (الإرهاب فرض والاغتيال سنة).

* * *

## قاتل المحجوب يعترف

لم تنته المصادمات بين الجماعة والنظام المصري بل تزايدت وتأججت نارها وأصدر الدكتور عمر عبد الرحمن بيانه الشهير رمضان ثورة وثروة الذي نشر فيما بعد على صفحات مجلة المرابطون التي أصدرتها الجماعة في بيشاور بباكستان 13 في العدد الأول شوال 1410 هجرية.

قال الشيخ الضرير في بيانه:

**- أزيلوا عروش الملوك والرؤساء الذين لاهم لهم إلا أن يجمعوا المال والثروة والقوة والسلطة.. أزيلوا هذه العروش الباطلة إنصافًا وإبطالًا للباطل.**

في يوم 14/ 9 / 1990 اغتيل المتحدث باسم الجماعة علاء محيي الدين في أحد شوارع القاهرة.

لم يعرف أحد بالضبط من الذي قتل علاء ولكن الجماعة بقياداتها كانت تعلم أنه تلقى تهديدًا من الجهات الأمنية بترك محافظة القاهرة هو وصفوت عبد الغني والعودة إلى الصعيد بعد أن انتشرت الجماعة بشكل ملحوظ في الأماكن العشوائية وإمبابة ومنطقة عين شمس التي أصبح للجماعة فيها مسجد كبير وهو مسجد آدم.

كان يمثل ذلك تهديدًا للجماعة بالتقوقع داخل محافظات الصعيد وهذا مارفضه الجميع وقد كان علاء في تحركاته الدعوية والإعلامية يمثل خطرًا كبيرًا والغريب أن الرجل الإعلامي والدعوى عن طريق عملية قدرية بنشوب إحدى الحرائق في شقة مجاورة تم تفتيش شقتة التي كان هاربًا فيها حيث وجد فيها جوازات سفر مزورة وبعض الأسلحة وأسماء وأماكن لشخصيات هامة مما بين أن له علاقة بعمليات قتالية ومواجهات ستحدث في القريب، ولا ندري كيف يكون للإعلام دور في القتل والدم؟! وكان قتل علاء وبعض الرموز إنما يعني كشف هذه المجموعات المسلحة.

www.ibtesama.com

كشف عن الجثة ومكانها المحامي منتصر الزيات، ونفت الدولة أي علاقة لها بقتل علاء محيي الدين.

أصدرت الجماعة كتيبها عن علاء محيي الدين بعنوان (لا لن أموت) وأرسل رفاعي ومصطفى حمزة وقيادات الخارج يطلبون الرد السريع والقوي خوفًا من تكرار ماحدث مع قيادات الجماعة حتى ينتهي الأمر بالقضاء على مشايخ ليمان طرة فتنتهي الجماعة تمامًا.

طاف أبو إيثار محمد مختار[1] على مساجد الجماعة في محافظات مصر والمراكز الكبرى ليطلب من أفراد الجماعة الانتقام لقتل علاء محيي الدين وكان لايتكلم سوى بضع دقائق بطريقة مسرحية قائلًا:

- البسوا طُرحًا إن لم تأخذوا بثأر علاء.

ثم يقوم بإلقاء الميكروفون على الأرض وينطلق ماشيًا دون أن يكمل اللقاء!!

لقد فهمت من ذلك أنه يريد أن يوصل رسالة إلى الدولة بأن الجماعة لن تسكت وأن الأيام المقبلة ستشهد المزيد من الدماء دون أن أعرف إلى أي سبيل ستجرنا هذه العمليات؟!

في يوم 22/ 10/ 1990 قتل رئيس مجلس الشعب رفعت المحجوب، وتدور الأيام ونلتقي ضياء فاروق أحد قادة الجماعة وأحد المتهمين الرئيسيين في قتل المحجوب في سجن الفيوم العمومي فأخبرنا أنه ذهب إلى أفغانستان غير مرة وكان في كل مرة يعود إلى مصر ليختار بعض الأفراد من الجماعة للذهاب إلى هناك ثم إنهم لم يكونوا يقصدون قتل المحجوب بل كانوا يريدون عبد الحليم موسى فأراد الله شيئًا آخر.

وأما حامد عبد العال أحد الذين شاركوا مشاركة مباشرة في العملية والذي التقيته في سجن المنيا العمومي في عام 2006 وكان ناقمًا على كل شيء بدءًا بما حصل وجرى من مواجهات إلى المشايخ وإلى السجون فأخبرني أنه شخصيًا لم يكن يعرف أي شيء عن الشخصية التي سيغتالونها!!

يومها سألته عمن يضايقه فقال لي:

- إدارة السجن تمنع تعاملنا مع أي جنائي ونحن كما تعلم نستغل هذا التعامل في

(1) مجلة المرابطون، الجماعة الإسلامية، عدد1، شوال، 1410.

www.ibtesama.com

بيع أشياء لهم نصرف به على أهلنا في خارج السجون والسبب في ذلك التنافس بين الإخوة في استئثار الجنائيين.

- هل وضع حل لهذه المشكلة؟

- اقترح أحد الإخوة الكبار أن نقيم شراكة بين الإخوة وشبهها بالشراكة الأوروبية.

- شراكة أوروبية في السجون!!

فهمت منه يومئذ أن الإعلام ومعالجته كان سببًا رئيسيًا في ذهابه إلى أفغانستان كما أن المجاهدين هناك كان البلد ملكًا لهم وكانوا يستخدمون المجاهدين العرب في أهداف طائفية مهما حاول هؤلاء المهاجرون من أجل الجهاد أن يقفوا على الحياد.

وجدت في عينيه الندم وعدم الرضا عما حصل ولكنه أكمل لي أنهم ركبوا دراجتين بخاريتين وحملوا أسلحة آلية ولما جاءتهم إشارة من فوق الكوبري الذي سيمر عليه موسى سارعوا إلى حصار السيارتين ثم ترجلوا وراحوا يطلقون النار على من فيهما بلا رحمة ثم اكتشفوا أنه المحجوب فأخذوا يكبرون، ومن بين 400 طلقة خرجت من أسلحتهم استقرت ثمانون طلقة في جسد الدكتور رفعت المحجوب وحارسه الشخصي الجالس إلى جواره المقدم عمرو سعد الشربيني وسائقه كمال عبد المطلب وموظف بمجلس الشعب، واستغل حامد زحام يوم الجمعة في المول التجاري للفندق وتسلل منه إلى خبايا المنطقة العشوائية القريبة واختفى[1].

بعد ساعات عقد وزير الداخلية مؤتمرًا صحفيًا بدا فيه مرتبكًا قائلًا فيه إنه يتهم بعض التنظيمات العربية أو إخوانه بتوع الجماعات.

لم تأخذ المحكمة باعترافات المتهمين خصوصًا محمد النجار الذي قبض عليه أمام كليته في يوم 27 أكتوبر 1990 بعد أن شاهد زميلين له يسقطان قتيلين برصاص الشرطة منهم ياسر عبد الحكيم الذي كان زميلي في جامعة المنيا والذي كان لايفارق ضياء فاروق.. كان محمد النجار قد اعترف اعترافات كاملة عما فعلوه.

وقدم 27 إلى محكمة أمن دولة العليا طوارئ في 10 يونيو 1991 وبعد 100 جلسة

(1) هو محمد المقرىء الموجود حاليًا في لندن والذي أصدر أخيرًا مجموعة من الكتب التي تدعو إلى وقف العنف وقتل المدنيين.

www.ibtesama.com

انتهت المحكمة إلى قرارها في 10 يونيو 1993 إلى براءة 17 متهمًا وسجن عشرة من 3 إلى 15 سنة.

في بلدنا فرحنا كثيرًا وكنا نهنىء بعضنا بعضًا على هذه الأحكام التي صدرت فقد كنا نتوقع أن يحكم على صفوت وممدوح علي يوسف وضياء بالإعدام وقد فرح مشايخ الليمان بهذه الأحكام ويذكر لي أحدهم أنهم حملوا صفوت عبد الغني على أعناقهم فرحًا بنجاته من الإعدام، وقال لي أسامة حافظ وأنا أجلس بجواره في أحد الإفراجات في فرق أمن الوادي الجديد:

**- صفوت دا راجل بجد.**

وفرحنا أكثر لما هرب طاهر وهو الاسم الحركي لصفوت عبد الغني الذي كان أميرًا للقاهرة هو وبعض الرفاق في طريقه لامتحانات في جامعة المنيا فهرب في بني سويف وقائد الترحيلة يقوم بإنزال أحد المعتقلين قسم الشرطة فاستطاع أن يهرب ببراعة ويجري في اتجاه معاكس جرى فيه الرفيق رمضان جمعة ليضلل الأمن في الوصول إلى صفوت الذي استطاع أن يدخل صالون حلاقة بسرعة ويحلق لحيته ويختفي تمامًا حتى قبض عليه فأودع سجن العقرب ومن هناك أخرج ورقة صغيرة في علبة كبريت يأمر عبد الشافي أن يفعل شيئًا مع فرج فودة وفي مساء أحد أيام شهر يونيو 1992 أقدم شابان على اغتيال فرج فودة أثناء خروجه من مكتبه بمدينة نصر وكانت جبهة علماء الأزهر بقيادة الدكتور عبد العزيز عبد الغفار قد هاجمت فودة كما أن المناظرة التي جرت بين فودة والهضيبي والشيخ صلاح أبو إسماعيل قد أحدثت دويًا هائلًا جعلنا لا نشك لحظة في أنه مستحل الدم!!

وقد عقدت المحكمة التي نظرت في قضية اغتيال د. فودة 34 جلسة استمعت فيها إلى أقوال 30 شاهدًا. وطلب المحامون شهادة الدكتور محمود مزروعة الذي تولى رئاسة ندوة العلماء بعد سفر الدكتور عبد الغفار عزيز، بينما تطوع للشهادة الشيخ محمد الغزالي.

في اليوم المخصص لشهادة الدكتور مزروعة في قضية مقتل فرج فودة عام 1992 أبدى الشيخ الغزالي - الذي لم يكن أصلًا طرفًا في القضية - رغبته في الشهادة، فقدمه الدكتور مزروعة - وهو في حكم تلامذته - نظرًا إلى مكانته العلمية.

استطعنا الحصول على شهادة الغزالي والدكتور مزروعة ومرافعات المستشار العقالي عن المتهمين في قضية المحجوب قبل ذلك عن طريق نقابة المحامين وكنا نعرضها في مسجدنا وندعو الناس لسماعها.

www.ibtesama.com

استمرت شهادة الشيخ الغزالي نصف ساعة، واتسمت بالحكمة والعمومية والحرص، وقد فجر فيها قنبلته قائلًا: **«إن فرج فودة بما قاله وفعله كان في حكم المرتد، والمرتد مهدور الدم، وولي الأمر هو المسؤول عن تطبيق الحد، وأن التهمة التي ينبغي أن يحاسب عليها الشباب الواقفون في القفص ليست هي القتل، وإنما هي «الافتئات على السلطة»**.

ثم عرض الشيخ الغزالي على الدكتور محمود مزروعة الشاهد الرئيسي في قضية فرج فودة، الذي تصادم في شهادته مع هيئة المحكمة، عرض عليه أن يصدر مجموعة من العلماء بيانًا تضامنيًا معه ومع ندوة العلماء خوفًا من الزج به في تهمة التحريض رغم أن القانون يحمي الشهود، ويتيح لهم أن يبدوا ما شاءوا من آراء دون أن تكون هذه الآراء مدعاة لمؤاخذتهم فيما بعد.

كانت القائمة الأولى من الموقعين على البيان التضامني مع الشيخ الغزالي تشمل الدكتور محمد نايل، والدكتور محمد عمارة والشيخ الشعراوي الذي كان قد وصل توًا من السعودية بعد إجراء عملية جراحية في عينه، وقال لهم اكتبوا ما تشاءون وأنا أوقع في النهاية.

لا أدرى على وجه الدقة هل صدر البيان أم تعثر، وهل لحقته بيانات أخرى أم كان هو الوحيد، لكن الذي أعلمه على وجه اليقين أن الدكتور مزروعة غادر مصر بعد شهور من شهادته حين تمكن من العثور على تعاقد شخصي بالمملكة العربية السعودية، ومن هناك قدم استقالته من الأزهر.

استمرت شهادة د. مزروعة الذي كان يتحدث باسم الأزهر والأزهريين ثلاث ساعات كاملة.

لا ننكر أن كلمات هؤلاء العلماء أعطتنا قوة دافعة لما سنفعله بعد ذلك دون حساب أي شيء.

أصبح في حكم الحقيقة لدينا أن ما طلبه صفوت عبد الغني في مرافعته ودفاعه عن نفسه في قضية مقتل المحجوب أن قادته في ليمان طرة هم الذين أعدوا له مرافعته التي استمرت أكثر من ثلاث ساعات كاملة يسرد فيها من الأدلة والبراهين من أمهات الكتب الكثير والكثير بجواز الخروج على الحكام وقتالهم وجواز قتله للمحجوب والغريب أن المستشار الذي حكم في هذه القضية قال لصفوت إنه تمنى أن يكون ابنه مثل صفوت!!

www.ibtesama.com

هذا ماكان يذكر في السجون ويتوارد علينا داخل الزنازين بعد ذلك[1].

هل نقول إن الأمور اختلطت في هذا الوقت حين ظن قادة الجماعة وأعضاء مجلس شورتها وبعض الشباب أن بإمكاناتهم المحدودة سوف يجعلون الدولة تتراجع عن كل شيء إلى مايصبون ويهدفون أم نكون قد أخطأنا التقدير؟!

بلاشك فالدين ليس توظيفًا للفقه فقط مجردًا من الوعي بل له علاقة بالبعد الواقعي والسياسي والسياق التاريخي ومن ثم فإن ما جرى كان بسبب ذلك وكان لقادة الجماعة دور كبير عادوا واعترفوا بمسؤوليتهم عنه بعد سنوات طوال.

والغريب أن قادة الصف الثاني كانوا أشد حماسة من قادة الصف الأول حتى أن طلعت ياسين همام عضو مجلس الشورى للجماعة قد عرض على زملائه أنهم لو لم يقرروا قتل زكي بدر فإنه سيخطط لكي يقتله بنفسه وضغط عليهم حتى جعلهم يقررون تفجير كوبري الفردوس[2].

لم نكن نميز بين مفهوم الجهاد الواسع الذي يعني بذل الجهد والمشقة وبين معنى القتل والقتال في هذه الفترة وكل ذلك كان يحتاج إلى معالجة دقيقة وكان الوعي هو الذي سيعطينا نتيجة إيجابية تجعلنا نوفق بين فرضية الجهاد وبين موضوع الإذن بالقتال اليوم فإذا كانت الأحكام النهائية للقتال في الإسلام هي أنه ماض إلى يوم القيامة وهذا حق فهل يبقى مجال لذكر الإذن بالقتال اليوم فهذه هي الأزمة ولم تكن قيادة الجماعة بقادرة أن تحسن تقدير هذه الظروف، وأن تدرك الواقع المتغير وهو الذي دفعنا أن نعتبر أن الجهاد غاية لا وسيلة، وأن القتال هدف وطريق وحيد، وهذه هي البلية التي أصابتنا وجعلتنا نعلق لافتة كبيرة في مسجدنا بعنوان الإرهاب فرض والاغتيال سنة.

* * *

(1) عرضنا محاضرة صفوت عبد الغني في المحاكمة ومرافعة المستشار العقالي في شريط فيديو في مسجد الجماعة وبعد هروبه أثناء امتحان الكلية أثناء حبسه أصبح أكبر من أي رمز آخر في الجماعة.

(2) لم يكن من فكر ولاسياسة الجماعة تنفيذ هذه العمليات وخصوصًا قتل عوام المسلمين وقد عاد قادة الجماعة ليحمدوا الله على أن هذه العملية لم تتم وكان نصيبها الفشل.

www.ibtesama.com

## فلسفة القتال وفقه المواجهة

إذا نظرنا إلى عمليات القتال التي أرادتها الجماعة فترة الثمانينات والتسعينات وجدناها نبعت من الفكر الجهادي الذي كان متناثرًا في كتب السلف والتراث وكتب جماعة الإخوان، وقد تعجبت حينما رأيت فصولًا كاملة في بحث الطائفة الذي أعيد طبعه في بيشاور في باكستان تحت عنوان القول القاطع فيمن امتنع عن الشرائع مأخوذًا من أحد كتب سعيد حوى وهو المنظر الكبير لجماعة الإخوان المسلمين!!

لقد كانت جماعة الإخوان المسلمين هي المؤثر الكبير في الشباب العاملين للإسلام وكان عبد القادر عودة هو أول من قلب الهرم الذي وضعه علماء السلف حينما أجمعوا بعدم جواز الخروج على الحاكم الظالم بعد الفتنة التي حدثت في خروج الحسين على يزيد بن أبي سفيان والفتنة التي حدثت في خروج عبد الله بن الأشعث على الأمويين.

قال عودة بأن الفتنة هي في بقاء الحاكم الظالم الذي يفتن الناس في دينهم وأن المفسدة الحقيقية هي في بقاء الحاكم الظالم، وقد استدل الدكتور عمر عبد الرحمن في كتابه أصناف الحكام وأحكامهم بأقوال عودة.

وتأثرنا نحن بكتابات السوري سعيد حوى الذي وضَح في كتبه البدائل للوصول إلى دولة الإسلام وكان منها الجهاد، وكذلك تأثرنا باللبناني فتحي يكن وكنا نتبادل كتاب الأخير ماذا يعني انتمائي للإسلام ولذا فقد اخترنا بديل القتال والجهاد.

كانت فكرة الجهاد لدينا ولدى الجماعة غريبة الشكل حيث كنا نعتقد أن الدولة مسلمة ولكن قتالها واجب وهذا ما جرى بالضبط من استهداف مراكز الشرطة وحوادث الاغتيالات للشخصيات الهامة ثم حدثت بوادر التطور الفكري بالسؤال الذي يقول هل الحاكم الذي لايحكم بما أنزل الله يعذر بالجهل أم لا؟

وكان بعض ما يصلنا عن قيادات سجن ليمان طرة مشوشًا ومهزوزًا مثل تأييد العمليات القتالية أو الاعتراض عليها ولكنني شخصيًا كنت أرى رضوخهم لهذه العمليات قد نتج من حرصهم على قيادة الجماعة ولم يكن أمامهم سوى الرضا وكان السؤال المطروح هو هل السكوت أولى أم الإنكار؟

وكان السكوت مثل سكوت هارون على قوم موسى بني اسرائيل وفي الوقت ذاته

www.ibtesama.com

كان الرهان على الحصان الأسود وهو قدرة الجماعة على أن تحقق المكاسب بعملياتها القتالية. . لقد راهن البعض ومنهم أسامة حميد القيادي في جماعة الجهاد على قدرة الصعايدة على تحقيق المكاسب من وراء عملياتهم ولكنهم خذلوه وخذلوا قادة الجماعة.

كان أمام الجميع خياران لا ثالث لهما وإما ثورة التجديد وإما ثمرة النصر وبين الثورة والثمرة بون شاسع فانتظروا الثمرة ولكنها لم تسقط فعادوا إلى ما هم مؤمنين باعتقاده وهو التجديد والمراجعة.

وحتى عام 88 كانت الجماعة تقتبس عملها من الثورة الإيرانية فكونت خلية واحدة وذلك بغية الردع من ناحية الجماعة وقالت إنها ستقطع الأيادي التي تعرقل الدعوة!!

كانت المباركة في هذا الوقت قائمة من ليمان طرة ولكن كانت هناك مراهنة سيتبين بعد ذلك خسارتها.

في خارج مصر كان الرجل القوي رفاعي طه الذي ترأس مجلس شورى الجماعة وفي الداخل طلعت ياسين همام وكل من الرجلين يتأصل العنف في طريقة تفكيره كما كانا يتمتعان بالنفوذ القوي داخل الجماعة وقد قتل طلعت ياسين بعد ذلك بسنوات وأما رفاعي فهو الذي عقد الصفقة بعد ذلك مع أيمن الظواهري وبن لادن في جبهة محاربة اليهود والنصارى ثم انسحابه منها بأوامر من قادة ليمان طرة الذين كانوا قد قرروا في هذا الوقت اختيار طريق آخر وهو وقف العنف وسنرى بعد ذلك استنكار رفاعي للمبادرة التي ستوقف العنف في مصر ثم إيمانه بالمبادرة بعد ذلك.

وبسبب مسألة إمارة الأسير وكراهيتها، وولاية الضرير وحرمتها التي أثارها أتباع عبود الزمر في بدايات عام 82 أصبحت الولاية الكاملة لرفاعي طه وطلعت فؤاد قاسم ومحمد شوقي الإسلامبولي ومصطفى حمزة.

واستعجلت الجماعة الصدام مع الحكومة المصرية واستندت إلى فقه دفع الصائل ولكن الغريب أن القتال لم يكن بفقه الصائل ولكنه كان خليطًا من استراتيجية وأيدلوجية جماعة الجهاد التي لا تعذر بالجهل وفقه الصائل والدليل على ذلك أن من يحملون السلاح ويقاتلون الحكومة من الجماعة كانوا يرجعون ما يسمى السبي إلى أهل القتيل الذي يقتلونه ويقولون إن ذلك لا يجوز!!

وهكذا أعلن الجهاد خارج مصر ودفع الصائل داخل مصر وفي الغالب ترك المقاتلون الأيدلوجية وكانوا يقاتلون بدون أي مشروعية في سفك الدماء بسبب تأثرهم ببن لادن وماجرى في أفغانستان.

www.ibtesama.com

في عام 93 قال نزيه نصحي أنه سيسحب البساط من تحت أقدام الجماعة الإسلامية وقام نزيه بمحاولة اغتيال عاطف صدقي رئيس الوزراء ولم يمر سوى شهر حتى قتل نزيه نصحي ودفع الظواهري بعادل صيام من أفغانستان الذي حاول اغتيال وزير الداخلية وقام بعدة عمليات انتهت بقتله لنفسه قبل أن يقبض عليه وتم القبض على تنظيم طلائع الفتح التابع للظواهري ومن ثم أعلن الجهاد الإسلامي وقف عملياته في مصر لعدم القدرة.

كانت استراتيجية الجهاد قائمة على فكرة استثمار الموت التي أخذوها من جيفارا والمجموعات الثورية في أمريكا الجنوبية بمعنى أنني لم أحقق الهدف ولكنني حققت الغاية وكانت هي التي تعني الجنة وأما استراتيجية الجماعة فكانت قائمة على الموقف وفي هذا الوقت كان على الحكومة أن تستوعب الجماعة فالعاقل عليه أن يستوعب المجنون ولكن الحكومة استخدمت وسائل غير شرعية في القمع مما جعل الجماعة تبحث عن وسائل غير شرعية في المواجهة فكانت تقتل بالظن وبالبطاقة الشخصية مثلما فعلت في قرية الروضة التابعة لمدينة ملوي بمحافظة المنيا حيث أقدمت على قتل كل من يحمل بطاقة شرطي.

ولكن رغم حجم الأحداث التي كانت تقوم بها الجماعة قبل حمل السلاح فقد كانت تستثمر الحكومة ما يقوم به الإسلاميون بصفة عامة بسبب عدم رضاها الكامل عن الديمقراطية فاعتمدت سياسة تقليم الأظافر لأن سياسة المعركة لا ينفع فيها سوى عدو واحد فقررت القضاء على التنظيمات المسلحة وكانت الجماعة تبحث عن الإفراج عن معتقليها الذين لم يزيدوا في هذا الوقت عن ثلاثمائة تعاد لهم الاعتقالات مثل حسن الغرباوي وإرجاع المساجد الهامة التي سيطرت عليها وزارة الأوقاف والتي كانت تابعة للجماعة مثل مسجد الجمعية الشرعية بأسيوط ومسجد الرحمن بالمنيا وآدم بعين شمس فقررت الجماعة البحث عن نقطة ساخنة وكانت هي إمبابة ولكن الضربة الاستباقية التي قامت بها الحكومة أفشلت الخطة وذلك بعد أن قام جمال هريدي بارتكاب مذبحة قتل فيها حوالى ثمانية من الأقباط.

ردًا على ماقاموا به من قتل ثلاثة من المسلمين تدخلت الحكومة للقبض على أعضاء الجماعة فقتل الشيخ عرفة بعد صلاة الجمعة في أحد مساجد قرية صنبو فاتخذت الجماعة ذلك ذريعة وقررت جعل ديروط هي النقطة الساخنة التي تفاوض الحكومة بشأنها.

بدأت الجماعة في تسكين السلاح في بلبيس أواخر عام 92 وفي كوم أمبو بمحافظة

www.ibtesama.com

أسوان ومن ثم إرسال المجموعات من الخارج وتحديدًا من أفغانستان حيث نزل أحمد حسن الأستاذ وأرسلت جماعة الجهاد عصام عبد الجواد وحسن عبد الجليل ولكن تم القبض على عصام وقتل الأستاذ في صعيد مصر وكان قتله ضربة موجعة للجماعة، وقد تفككت اللعبة القتالية بسبب الضربات الأمنية الاستباقية ودقة التخطيط الأمني الذي وافقه جانب كبير من التوفيق والحظ بالإضافة إلى افتقاد الجماعة للقيادة الداخلية حيث كانت الجماعة حبيسة جدران السجون والقيادات الخارجية في عزلة تامة.

طمعت الحكومة في كسب الجولة ولنرى مدى نجاح الحكومة فقد كان بين الفترة التي قتل فيها عادل صيام زعيم الجهاد في داخل مصر وطلعت ياسين قائد المجموعات المسلحة للجماعة الإسلامية في داخل مصر 45 يومًا فقط وهكذا طمعت الحكومة في كسب الجولة ورفضت كل محاولات فرض الشروط من قبل الجماعة واستمرت في حربها الشرسة مع الجماعة ولم يكن أمام الجماعة خيار سوى الاستمرار حتى أعلن خطأ العمل العسكري.

* * *

## الإسلام أو الدمار.. الحوار أو الحرب

إذا سألوكِ عن الحوار فقل نعم لأنه مهما أنكر المنكرون واختلق الحجج المجادلون فقد تحاورت الدولة كثيرًا مع الجماعة الإسلامية في صعيد مصر منذ عام 87 تقريبًا وعرف داخل الجماعة من يسمون أمراء أو مسؤولي التفاوض مع الأمن وكان هذا المنصب في الجماعة لايتولاه أولو الحنكة والبصيرة بقدر ما يتولاه من يستطيعون التحاور والكلام والجدال.

كان الحوار من قبل جهات الأمن على عدة نواحٍ أهمها الحوار الفردي مع بعض الأفراد أو مع العائدين من المعتقل من أجل صرفهم عن الانتماء إلى التنظيم والناحية الأخرى وهي الحوار داخل السجون أو الحوار عن طريق بعض العلماء في المساجد وقد فشلت هذه الناحية تمامًا.

وأما الناحية الثالثة وهي التي تتم عن طريق مندوبي التفاوض من الجماعة مع ضباط الأمن وقد كانت التفاصيل الدقيقة لا يعلمها إلا الأمراء وأعضاء مجلس شورى الجماعة وقد كان غرض هذه السياسة هو تهدئة الأجواء وتنقية الظروف التي تسمح بالهدوء

www.ibtesama.com

وتجربتي الشخصية في هذا المجال واضحة حيث كلفتني الجماعة الذهاب للتفاوض من أجل إرجاع المعرض المصور عن الانتفاضة الفلسطينية الذي كان بعنوان عندما تكلم الحجر والذي استطاع جهاز الأمن أثناء خطبة الجمعة أن يصادره وأن يقبض على أحد الرفاق الواقفين بجواره.

ساعتئذ طلب مني العقيد الغزالي أن أطلب من إخواني أن يوقفوا العنف وتغيير المنكرات قائلًا لي:

**- بلدنا ملوي موش القاهرة دي قرية وأهلها قرويين.. بلاش اللي بتعملوه.**

قلت له:

**- لا نستطيع أن نغير بنود الميثاق الذي ينص على وجوب تغيير المنكر.**

وفي المرة الثانية طلبني الضابط وحين قلت للجماعة ذلك قالوا لي لا بد أن تذهب إليه متأخرًا عن الميعاد المقرر كما يجب أن تجلس على الكرسي أمامه مباشرة دون أن يأذن لك كما تعامله بتعالٍ لأنك تمثل الجماعة ولا تمثل نفسك والجماعة قوة وكيان!!

لقد فهمنا أنها محاولات فردية من قبل ضباط يريدون أن يحافظوا على الهدوء في الأماكن التي يعملون فيها ولاتمثل سياسة الدولة ولذا علينا إظهار قوة الجماعة حتى ولو بالكذب والاحتيال وفرض السيطرة لجني المكاسب في وقت كنا في حاجة كبيرة إلى الهدوء من أجل الدعوة إلى الله التي رفعنا شعارها.

في المرة الثالثة التي ذهبت فيها كانت الجماعة قد أظهرت للأمن أن عددها بالمئات وأن لها في كل بيت واحدًا أو أكثر وقد وصلت الجماعة إلى اتفاق يقضي بأن تبلغ عن المنكرات الموجودة في بلدنا ويقوم الأمن بدوره بتغيير هذه المنكرات بنفسه ولا تمد الجماعة يدًا على أي منكر.

كيف بشاب عمره عشرون عامًا يجلس أمام عقيد يكبره بسنوات طوال ويضع رجلًا على رجل أن يعتقد أن جماعته ضعيفة بهذا الشكل وكيف يعتقد أنه مخطىء؟!

إن هذا الشاب هو أنا الذي يقول إن الدولة ضعيفة جدًا.. أشهد أنني مع الحوارات الجادة ولكنني لست مع التصورات الخاطئة التي تقول إن هذه الحورات ناتجة من ضعف للدولة وهي حوارات شخصانية لمجموعة من الضباط وإن كانت هناك بعض الحوارات الشخصانية وهذا كان يجري أحيانًا فكان لايوجد مانع من استخدامها والاستفادة منها وفي أواخر عام 93 تم استدعائي فقال لي ضابط الأمن إن بشير محمد كمال قام برفع

www.ibtesama.com

السلاح عليه وإننا لا بد أن نسلم هذا الشخص إلى الجهات المسؤولة من أجل التحقيق معه لأنه يقوم بإيواء العناصر الهاربة من ديروط.

كنت أعر ف سياستنا الخاطئة في هذا الوقت فلم أجبه وقلت له إن الجماعة لن تسلم أحدًا وبالفعل حينما عدت إليهم رفضوا هذا الأمر رفضًا تامًا حتى اشتعلت الأمور ولم تهدأ إلا بمبادرة وقف العنف بعد ذلك.

سياستنا الحوارية تعني الإفراج عن المعتقلين وعودة جميع المساجد التي ضمتها الأوقاف وكان للجماعة هدف استراتيجي بعيد وهو تطبيق الشريعة الإسلامية.

استقبل وزير الداخلية عبد الحليم موسى الدكتور عمر عبد الرحمن في مكتبه وكان كما قيل لنا طلب منه إجراء حوار حول كل شيء وأعطاه رقم تليفونه وفي النهاية سمح للشيخ بالسفر إلى الخارج وهو السفر الذي لم يرجع منه الدكتور عمر إلى الآن.

لقد بدأ الجميع يتحدثون عن الحوار رغم كلمات صفوت عبد الغني التي يصر فيها على حتمية المواجهة واستمرار العمليات القتالية وهو بين قضبان محكمة أمن الدولة العليا التي يحاكم فيها في قتل فرج فودة، وكان البحث الشرعي الذي أعد بعناية في سجن ليمان طرة على جواز إقامة الحدود من قبل آحاد الرعية لأمثال فرج فودة، ولباقة صفوت عبد الغني التي أعجبت الجميع.

ممن أعجب بصفوت الدكتور سليم العوا الذي وقف أمام قفص المحاكمة وقال إنه يريد أن يقوم بوساطة لوقف العنف ولكنه لايعرف رأي المشايخ في ذلك وعلى الفور قال صفوت إن المشايخ يحبذون أي دعوة لوقف العنف.

على الفور طلب الشيخ عبد الصبور شاهين في هذه الأثناء إجراء حوارات جادة داخل السجون وقال إنه لا يخشى إرهاب الشباب والمتطرفين بقدر ما يخشى إرهاب نصر حامد أبو زيد.

لقد التقى الشيخ عبد الصبور شاهين وزير الداخلية أيضًا ودعاه للحوار مع الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد وتشكلت منذئذ لجنة الوساطة التي كان من أهم أعضائها الشيخ الشعراوي.

ناقشت اللجنة يوم السبت 9 أبريل 93 مع الوزير فساد أجهزة الإعلام وما تذيعه من برامج وأفلام ومسلسلات وقضية السياسة التعليمية وطالبت بزيادة الجرعات الدينية وأما القضية الأخيرة فهي الحالة الاقتصادية التي تزداد سوءًا ورأى في هذه الأثناء الدكتور عبد

www.ibtesama.com

الحي الفرماوي أحد أعضاء لجنة الوساطة أن نجاح هذه الوساطة راجع إلى الله قبل كل شيء.

كانت الوساطة والحوارات تجري بسرية تامة لولا إعلانها من قبل منتصر الزيات المحامي الذي علم بهذه الوساطة من سجن ليمان طرة وأثناء مرافعته في قضية رفعت المحجوب وقضايا الجماعة في المحاكم. . لقد بهر منتصر الزيات الإعلام فأخذ يدلي بالتصريحات المختلفة حول حوار الجماعة مع الدولة وفي روز اليوسف العدد 3384 الاثنين 19 أبريل 93 صرح الزيات بأن هناك دلائل كثيرة تشير إلى حرص الطرفين الدولة والجماعات على إنجاح الوساطة ومن أهم هذه الدلائل أن وزير الداخلية لم يضع أي شروط مسبقة للمصالحة بل لم يشترط ألا يدخل في المصالحة من يرفع السلاح.

بدأ منتصر الزيات شبابه بالالتزام مع جماعة الجهاد، بعد فترة سبقتها مع الجماعة الإسلامية بأسوان، وقبض عليه عام 1982 م وكان المتهم الأول في قرار الانتماء، وهو القرار الثالث وقتئذ.

في نهاية عام 1982م ظهر في مجلة آخر ساعة وفي جريدة الأخبار والجمهورية وهو يتكلم في ندوة للرأي، وأعلن تراجعه عن كل أفكاره، وأن الخروج على الحاكم خطأ شرعًا ولا يجوز تكفير الحكام. . تخرج الزيات في كليه الحقوق، وعن طريق حكاية محامي الجماعات الإسلامية تلقى الدعم من الظواهري وامتلك مكتبًا ضخمًا واسعًا في شارع عبد الخالق ثروت ومارس هوايته من هذا المكتب في الظهور الإعلامي وسار على نهجه محمود عبد الشافي الذي صرح في العدد نفسه من روز اليوسف أنه لا بد أن يتم الحوار بين هذه اللجنة وأمير الجماعة الدكتور عمر أو من ينوب عنه على أن تظل الموافقة النهائية في يد الدكتور عمر!!

هكذا بدون ثقافة في الحوار أو أي ثقافة إعلامية ظهر هؤلاء في الإعلام ليتحدثوا عن الوساطة والحوار فبدت الدولة كأنها ضعيفة جدًا وأن الجماعة تجلس على منضدة واحدة أمام الدولة لتتحاور معها لأنها قوة وكيان لايستهان بهما.

أفسد المحامي منتصر الحوار والوساطة سواء بقصد أو دون قصد وحينما اشتعلت أحداث العنف في مصر استدعته السفارة الأمريكية بالقاهرة ولايعلم مادار هناك ولكن الذي يعلم فقط أن السفارة الأمريكية دائمًا تتحاور مع أطراف كثيرة لتبني صورة معينة، وفي هذه الفترة كانت أمريكا تريد أن تعرف قوة الجماعات الإسلامية في داخل مصر وهل تراهن عليها أم لا؟ ففي هذه الأثناء اجتمعت مع طلعت فؤاد قاسم خارج مصر فأوضح

www.ibtesama.com

لها أن الجماعة حينما تصل إلى الحكم فستحافظ على المصالح الأمريكية كما اجتمعت مع مأمون الهضيبي وبعض قيادات الإخوان المسلمين!!

بعد ذهاب منتصر إلى السفارة الأمريكية ذهب لزيارة القيادات في سجن شديد الحراسة أو ما يسمى بالعقرب وهناك قابله صفوت عبد الغني ولكنه كلمه بطريقة غير لائقة ودعاه لعدم التحدث باسم الجماعة مرة أخرى وقال له إن للجماعة رجالًا يستطيعون التحدث باسمها في السفارة أو غيرها.

فشلت كل جهود الوساطة والحوار واشتعل العنف وجرى نزف الدم بصورة لم يشهد لها أحد مثيلًا وكنا نحن لا نعي ما يدور حولنا فيذهب مسؤولا التفاوض فترة عام 93 علاء أبو الذهب وجمال علم الدين ويعودان إلى مجلس الشورى طالبين عدم الخروج بمسيرات فيها سلاح أو لافتات تدعو إلى القتال والجهاد فيرفض مجلس الشورى ذلك ممثلاً بالأمير محمود عبد الحميد وتستمر هذه العمليات حتى تقضي على الأخضر واليابس وتوقف الدعوة تمامًا وترفع اللافتة الإسلام أو الدمار.. الشريعة أو الجهاد.. الدعوة أو أو القصاص.. الرصاص بالرصاص.

***

## خطف مدينة ديروط

في يوم الأربعاء 4 مايو 92 قامت أحداث طائفية في قرية صنبو بديروط قتل فيها سبعة من المسيحيين ردًا على مقتل ثلاثة من المسلمين في أحداث عائلية وتزامن ذلك مع صدور قانون الإرهاب.

قتل في هذه الأحداث الرجل الخلوق عرفة درويش بعد خطبة جمعة في إثر رصاصات خاطئة من أحد أفراد الأمن مما أشعل الأحداث في هذه البلدة الصعيدية.

هناك العيش ليس سهلًا فأهالي المدينة التي تقع في أقصى جنوب مصر ينتزعون لقمة العيش انتزاعًا جعلهم قساة في طباعهم وقد أضحى أبناء الجماعة الإسلامية مثلهم شدادًا وقساة يأخذون الدين من جانب القوة ساعدهم في ذلك أن هناك عدم فهم لقدرات الناس عن قوة هذه الجماعة بل معرفة أتباعها بقدرات أنفسهم.

وإنني متأكد أن شجاعة هؤلاء لم تكن من استمداد شخصياتهم بقدر ماكانت بسبب أكثرية أتباع الجماعة الذين انتشروا بعد مقتل محمد قطب أحد أبناء المدينة وهو يقوم بتغيير منكر وحفلة موسيقية في مدينة أسيوط.

www.ibtesama.com

وكما قلت إن الجماعة انتشرت في هذه الفترة لعوامل كثيرة وكانت ديروط هي إحدى المدن التي انتشرت فيها الجماعة وعاشت مع أتباعها تمارس السياسات نفسها التي كنا نمارسها نحن في مدينتنا حتى قررت الجماعة أن تجعل منها نقطة ساخنة.

هجم الخريف على ديروط وأصبحت مدينة أشباح بعد أن قامت الجماعة بحمل السلاح ومهاجمة الشرطة وأقسامها والغفر وعساكر الأمن فكان لايمر يوم دون أن نسمع عن حوادث قتل وسفك للدماء.

في 21 يناير عام 89 رد عبود الزمر على بيان البيان الثلاثي للجنة العلماء وكان في هذا الوقت هو رئيس مجلس شورى الجماعة بعد عودته إليها قائلًا إن النظام الحاكم دفع الاحتياطي الاستراتيجي المتمثل في مجموعة العلماء حتى وقعوا على بيان تبرأوا فيه من العمل الإسلامي الثوري الذي يهدد عرش النظام الحاكم ويسعى لإطاحته رغم أن شريعة الله مكبلة وأحكام الإسلام معطلة وأنصاره محاربون، والبيان شابه الاقتضاب وأعوزه الدليل وافتقر إلى تشخيص الداء. بعد هذا البيان وبدءًا من هذه الفترة من عام 89 عرفنا العنف الجماعي بشكل لم نشهد له مثيلًا من قبل.

في يوم 9 مارس عام 93 سُرِق سلاح من حارس كنيسة في أسوان واستنكرت الجماعة الإسلامية في أسوان هذا العمل وكانت صادقة في ذلك ورغم ذلك تم اقتحام مسجد الرحمن في أسوان في صلاة العشاء وفي هذا اليوم نفسه من شهر مارس كانت محاكمة 49 متهمًا بضرب السياحة كان أغلبهم من محافظة قنا.

في 16 مارس من العام نفسه، يوم الثلاثاء من شهر رمضان كانت هناك عشر ساعات متواصلة من الحرب في ديروط في شقة بمنطقة فريال بأسيوط بين أحمد زكي الشريف وأتباعه وقوات الأمن والحصيلة 11 جثة من الجماعة ومقتل رائد شرطة وإصابة 6 ضباط و7 جنود.

أحمد زكي الشريف من قرية مسارة متهم بقتل المقدم مهران ضابط أمن الدولة وابنه الصغير بحجة أنه كان يقوم بتعذيب أتباع الجماعة.

في شقة فريال وقع أحد أتباع أحمد زكي من فوق العمارة وتم تدمير مصفحة للأمن ولم يقدر الأمن على السيطرة إلا بصعود أحد الضباط فوق عمارة مجاورة ومعه آربي جي فأطلق صاروخين فهدمت الشقة على من فيها وقيل إن أحد أتباع زكي الخطيرين وهو رفعت زيدان قد هرب يوم هذه المعركة.

www.ibtesama.com

نقل الضابط القتيل عبد الرسول السكران في عرض عسكري أما أتباع أحمد زكي الذين قتلوا فمنهم مصطفى وأنور محمود عبد الرجال وكان مصطفى قد ترك الجماعة قبل هذه الأحداث.

يوم الخميس 23 مارس أصدرت الجماعة بيانًا أكدت فيه أن زكي ورجاله ثأروا للدماء التي أريقت طوال عام وأنهم لن تجف دماؤهم بمشيئة الله حتى تسيل دماء القصاص لهم وإن القصاص لهم ليس كأي قصاص ولعله ينفذ قبل أن تصل الورقة والبيان هذا إلى أصحابه.

جاءتنا الأوامر ألا نشغل أنفسنا بالمشهد الدموي الذي كنا لا نصدقه وبما يحصل في ديروط وألا نقوم بإيواء أحد منهم مهما كان الأمر.

أنا كنت لا أصدق أن الأمور ستستمر من سيئ إلى أسوأ وأن الحكومة لن تتراجع عن مواجهتها لما يحدث بل ستقعد وستتفاوض مع القادة في ليمان طرة ولكن كانت الخطة الأمنية تشمل اتخاذ المبادرة بالضرب وعدم التصرف على أساس رد الفعل كما تشمل الاقتحام وتحويل القضايا إلى القضاء العسكرى وإصدار أحكام شديدة وفي 3 ديسمبر عام 92 كانت قضية العائدين من أفغانستان وتم الحكم بإعدام شريف حسن أحمد وأحمد مصطفى وفي شهر يونيو تم تنفيذ الحكم، وفي إبريل تم إعدام سبعة في محاولة اغتيال صفوت الشريف وزير الإعلام وكانت في الوقت نفسه حكمت محكمة الفيوم بإعدام مرسي رمضان أحد أتباع جماعة الشوقيين وهم فصيل من جماعات التكفير المتهم بقتل أحمد علاء ضابط أمن الدولة بالفيوم.

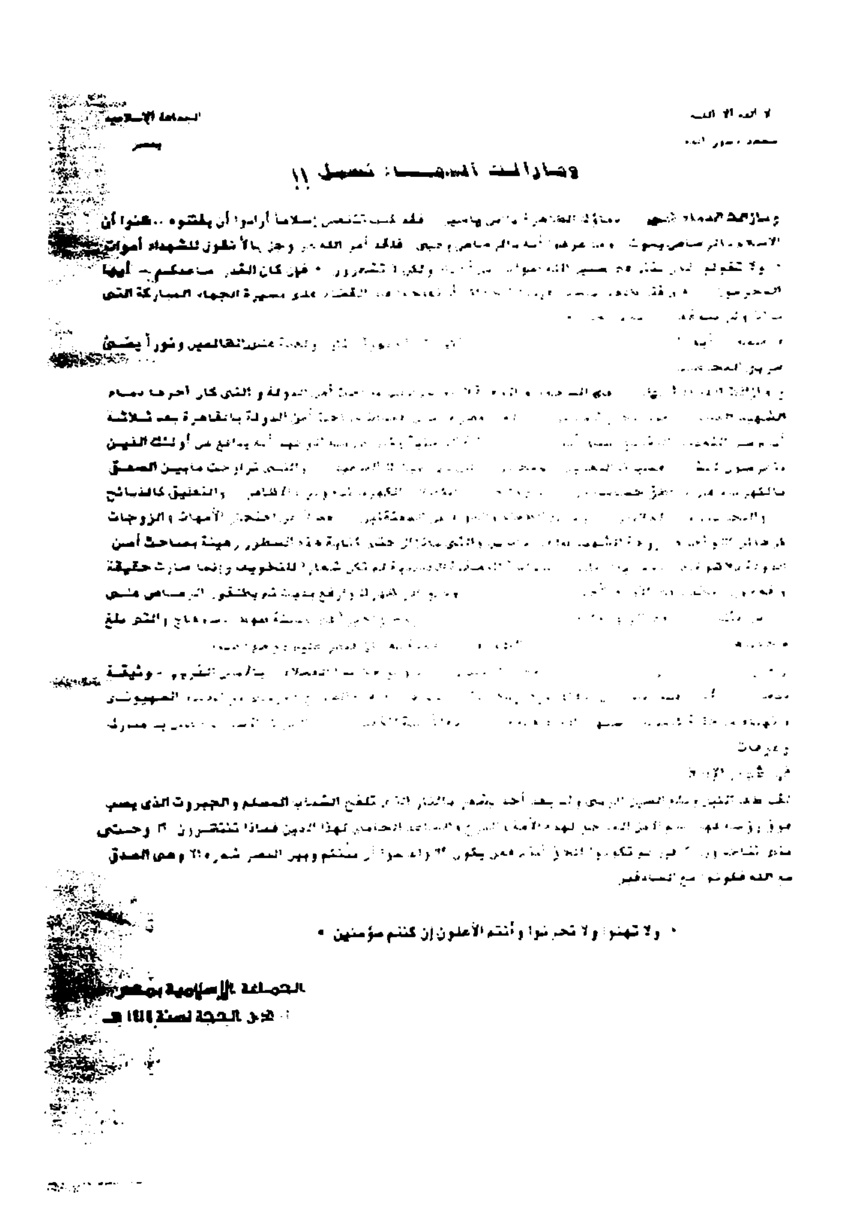
وفي 8/ 7 / 1993 تم تنفيذ الحكم في سبعة وهم بسطاوي عبد المجيد وأبو المجد وسعد أمين وأشرف سعيد عبد ربه وبدراوي محمد إبراهيم وأحمد عبد الرحيم رضوان وعبد الهادي الصغير وعبد الحميد الزقمان وكلهم أعدموا في قضية ضرب أوتوبيس سياحي بقنا.

وعلى الرغم من الأوامر المشددة بألا نؤوي أيًا من العناصر الهاربة من ديروط فقد رأيت بأم عيني أحمد هاشم عندنا هو وستة من رفاقه في مسجد التوبة وقد عرفته لأنه كان زميلي في جامعة المنيا وقد عرضت عليه خدماتي ولكنه رفض قائلًا لي إن هناك من وفر لهم ما يحتاجون إليه.

لم أعرف يومئذ من هو الذي كان يوفر لهم ما يحتاجون إليه ولكن كان يبدو أن ذلك

www.ibtesama.com

بتخطيط خاص من الجماعة وقيادتها بالمحافظة والدليل على ذلك بقاؤهم في مسجدنا الرئيسي حتى ذهبوا إلى منقباد بعدها بيومين لتنفيذ إحدى عملياتهم فقتلوا هناك وقد سمعت أنهم قد تم القبض عليهم ثم اقتيدوا إلى السكن ليقتلوا فيه بحجة مقاومة السلطات.



لا إله إلا الله
محمد رسول الله

الجماعة الإسلامية
بمصر

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين »

الجماعة الإسلامية بمصر

بيان الجماعة الإسلامية بمصر بعد مقتل قائد الجناح العسكري طلعت ياسين.

www.ibtesama.com

لقد كنت متأكدًا تمامًا أن الكل متورط في هذه الأحداث رغم إنكار الجميع صلتهم بالأمر على أقل تقدير كان الكثيرون يؤيدون ويدعمون ولا يبلغون أو يرشدون عن هؤلاء الذين خالفوا أوامر الجماعة بعدم الإيواء أو التسكين وهذا ما كنا نفعله نحن المحسوبين على قيادة الجماعة في ملوي وإنني أذكر أن أحد الهاربين من ديروط جاء إلى مسجدنا ونحن قعود فيه. . كان يبدو أنه مصاب بطلق ناري في إحدى قدميه جراء مشاركته في إحدى العمليات القتالية. . طلب منا أن نقدم له إسعافات لجرحه وأن نقدم له طعامًا لأنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام فقال لنا أمير الجماعة محمود عبد الحميد:

- **قولوا له اخرج من المسجد فنحن ليس لنا صلة بهذه الأمور.**

قال لنا هذا الشاب الذي لم نرد أن نسأله عن اسمه:

- **أنتم مجرمون وبعد أن ننتهي من الحكومة سنقاتلكم أنتم.**

بعد أن مشى قال لنا الأمير:

- **واحد منكم يلقى على بعد خطوات منه في الشارع بعض النقود دون أن يراه.**

كانت مثل هذه الأمور تجري كثيرًا ولكن كانت من وازع حرص وخوف أمني وليس قناعة بخطأ العمل القتالي في ديروط.

وكانت القيادات على علم بما يجري تمامًا ولكنهم كانوا لا يستطيعون إيقاف القطار الهادر من العنف فهذا أسامة حافظ فقيه الجماعة الذي قضى عشر سنوات في قضية قتل السادات وقف على منبر مسجد التوحيد في المنيا يطلب من الشباب الذين يرفعون السلاح في ديروط أن يلقوا بسلاحهم حتى يعطوا الفرصة للحوار مع الحكومة وقد كان الشباب يرفضون بل لايسمعون هذا الكلام ويقولون إن أسامة هو أميركم أنتم أما نحن فلنا أمراء آخرون وكانوا يقصدون رفاعي ومصطفى حمزة!!

ذهبنا إلى أسامة فقلنا له إننا نشك في أن أخبارنا تصل إلى جهات الأمن وإننا نشك في أحدنا وهو علاء محمد علي مغني فرقتنا الإسلامية لأن له أسئلة فضولية كثيرة فقال اتركوني بعض الوقت وبعدها قال لنا اتركوه وشأنه فله عمل آخر ففهمنا أنه يعمل في العمل العسكري القتالي للجماعة وأن أسامة قد سأل عن ذلك ولذا تأكدت أنهم يعرفون كل شيء حتى وإن كانوا يرفضون ما يجري.

ونفاجأ في يوم لقاء الأربعاء الديني للجماعة برسالة حوالى 20 صفحة من القطع المتوسط تباع أمام المسجد وهي معنونة إلى القابضين على الجمر لناجح إبراهيم. . يهدي

www.ibtesama.com

ناجح الرسالة إلى الثابتين على الحق والصامدين في وجه الطغيان وإلى أسر الشهداء. . الرسالة للمقاتلين في ديروط ولكنها في الوقت ذاته رسالة للجميع بأنه سيأتي اليوم الذي سيصبحون فيه مثل مقاتلي ديروط. . يقول ناجح:

**- لقد أصبحت ديروط الآن أشبه بسرايفو أو الضفة الغربية وغزة في فلسطين ولكن الفرق بين الاثنين أن اليهود والنصارى هم الذين يحاصرون إخواننا في فلسطين وسرايفو أما في بلدتنا الحبيبة ديروط فأبناء جلدتنا ومن يتكلمون بلساننا ومن يحمون بلادنا هم الذين يفعلون بنا أسوا مايفعله اليهود والنصارى وهذا هو قدر أمتنا المسلمة وهذا هو حالها مع حكامها العلمانيين الذين يسومونها سوء العذاب.**

يتكلم ناجح في رسالته عن مدرسة البلاء وأن أتباع الجماعة يكفيهم شرفًا أنهم ينتسبون إلى مدرسة البلاء وأنه يريد في المحنة ثباتًا على الحق كثبات الصدّيق يوم الردة وعمر يوم السقيفة وعثمان يوم الدار وأنه لاح الفجر وإنما هو صبر ساعة فليحذر كل واحد أن يفطر قبل الغروب بلحظات فيفسد صومه وهو يقصد بذلك عدم إلقاء السلاح.

يكمل ناجح قائلًا:

**- أبشروا فإنكم تدعون إلى الله وتبلغون رسالته وتذودون كذلك عن الشرع وتدافعون عن الفضيلة وتصدعون بالحق.**

ويكمل ناصحًا أتباعه:

**- أوصيكم بالدعاء لإخوانكم الشهداء وزيارة قبورهم وعلى اسم الإخوة الكرام عرفة وأحمد هاشم ومحمد مختار، اذكروا جهادهم واقتدوا بهم وسيروا على دربهم.**

لقد أصابنا خلل كبير. . كيف أن الجماعة غير مؤيدة لما يجري وكيف كتبت هذه الرسالة؟!

ما توارد إلينا من أنباء جاء من سجن ليمان طرة بأن الأخ ناجح إبراهيم حينما حكم على جمال هريدي أحد قيادات الجماعة بديروط الذي حكم عيه بالمؤبد في مقتل المسيحيين حينما دخل إلى ليمان طرة ليقضي بقية حكمه فوجىء به ناجح إبراهيم فأمسكه من تلابيبه وخنقه بشدة وقال له:

**- ضيعت الجماعة ياهريدي. . الدم دا مين هيتحاسب عليه؟**

بكى هريدي وقال له:

**- ما جرى كان غصبًا عني يا مولانا.**

www.ibtesama.com

مصدر هذه الرواية كان إسماعيل البكل أحد المفرج عنهم بعد خمسة عشر عامًا في قضية قتل السادات.

تواردت إلينا أخبار بأن الحكومة تريد أن تتفاوض مع المقاتلين عن طريق أعضاء مجلس الشعب وتحديدًا مع محمد عبد المحسن أمين الحزب الوطني في ديروط وقد قبضت على الأخ خالد سعد لتتكلم معه في هذه الأمور ولكننا فوجئنا بأن خالد سعد يخرج على شاشة التلفزيون المصري ليعلن خطأ ما يحدث في ديروط.. كنت لا أعرف كيف أجيب أهلي عن أسئلتهم كيف يتراجع هؤلاء ولماذا لا أتراجع أنا ولكنني كنت أتحجج بأن هناك ضغوطًا على خالد أو غيره ليقول هذا الكلام وبالطبع كان هذا الكلام خاطئًا.

* * *

## صلاة العيد الأخير

العيد هو اليوم الوحيد الذي كنا ننتظره ليعطينا بعض الأمان ولا نعني العيد أو صلاة العيد فقط بل مسيرة العيد الذي كنا نقضي ليالي طويلة نعد لها.

في هذا العام قرروا أن يجعلوا مسيرة العيد مسيرتين واحدة ليلية لم يكن لها هدف سوى السير في المناطق التي يكثر فيها الإخوانيون فنحن لم ننس معاركنا مع الإخوان رغم كل الظروف.

وأما مسيرة الصباح الأساسية فقد كان طريق سيرها يختلف شكلًا وموضوعًا وكان لا بد أن يمر بمركز الشرطة ومباحث أمن الدولة ويقف أمامهما دقائق.

وتحررت الجماعة من بعض تشددها وأخرجت الأخوات المسلمات والزوجات وفرضت على المتزوجين أن يحضروا زوجاتهم ليشاركن في مسيرة العيد الصباحية لأول مرة ولكن الجماعة واجهت مشكلة كبرى سمعتهم يتحدثون عنها وهي من ستكون منهن في الصف الأول ومن التي ستكون في المؤخرة؟

لا أعرف كيف حلت المشكلة ولكنهن في النهاية سرن مع المسيرة الطويلة المنتقبات من الأمام والمحجبات من الخلف وفي الصف الأول للمسيرة شابان يركب كل واحد منهما حصانًا ويمسك بسيف خشبي.. في الوسط واحد يمسك بوكيه من الورد ووراءه أطفال على شكل مربع يمسكون بالمصاحف ثم نجد فراغًا بمساحة ثمانية أمتار وبعدها

www.ibtesama.com

ماكيت خشبي صورة طبق الأصل لمسجد قبة الصخرة المشهور بين الناس أنه المسجد الأقصى وحوله بعض الرفاق ملثمون بالشال الفلسطيني ووراءهم آخرون يحملون بنادق آلية وآربي جي صورة طبق الأصل.

والمفاجأة كانت في ماكيت الدبابة التي وضعتها اللجنة الإعلامية للجماعة فوق عجلات متحركة تسير بين المسيرة وأمامها لوحات عن القصاص ومساجدنا هي معاقلنا.

الصفوف المتراصة بين الناس والآلاف حول المسيرة من الأهالي الذين يشاهدونها من كل مكان ويرون منظرًا لاتشهده المدينة إلا كل عيد.

إننا كنا أشبه بجيش عسكري يقدم عرضًا ويدق طبول الحرب.

حاول الرفاق أن يثنوا الأمير ألا يجعل الأخوة يحملون البنادق الآلية والآر بي جي وألا يسير الإخوة بالدبابة ولكنه رفض بشدة.

ومشت المسيرة ببطء ووقفت أمام مركز الشرطة وأمام مبنى أمن الدولة وأطلق الإخوة أعيرة نارية من مسدسات الصوت لمدة خمس دقائق على الأقل أمام مركز الشرطة وأمن الدولة:

ولو دققنا النظر في مسيرة العيد واللوحات التي يمسكها الأطفال سنجد إشارات تهديد واستعطاف للناس مثل:

(**من لأعراض المسلمات في البوسنة**) (**ديروط ملحمة رجال ومقبرة نظام وعبرة لمن يعتبر**) (**يارجال أمتي لا تتركوني أشب في زمن الحرمان لقد سجنوا أبي وغدًا سيسجنون كل أمتي**) واللوحة الغريبة التي تبين مدى ماكنا فيه من سوء فهم للدين ولمفهوم الجهاد وهي تلك اللوحة (**تناثر الدماء.. تطاير الأشلاء علامة على صحة الطريق**).

لقد كنا نسير ساعتئذ في طريق الحرب ونحن لا ندري، ولقد رأينا حينئذ ابتسامات الضباط ساخرة الله أعلم!! أو مشفقة فالله أعلم كذلك، ونحن ندخل إلى الاستاد الرياضي بهذا الشكل لنؤدي الصلاة آخر مرة قبل اعتقالنا.

* * *

www.ibtesama.com

## أحداث ملوي قتل وسرقة ودماء حرام

لا أقول إننا ورطنا أنفسنا ولكن هناك من ورطنا في هذه الأحداث وفي الدم. . لم نكن نمتلك الشجاعة يومئذ أن نقول لا وإلا كانوا سيعتبروننا مرشدين ومتخاذلين وفي النهاية مهما فعلنا فإن السجن والمعتقل كان سينتظرنا لفترات طويلة ولذا فقد فضل الكثيرون أن يعتقلوا ويقال عنهم شجعان ولايعتقلوا ويقال عنهم أنهم جبناء. . هذا هو الخطأ الأكبر والجريمة التي شاركنا فيها جميعًا بأننا لم نستنكر علنًا أو نرفض ما يحدث.

ما جرى هو أن هؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم يتبعون مصطفى حمزة ورفاعي خالفوا بشدة سياسة الهدوء التي نتبعها وجروا البلد إلى أحداث عنف خطيرة.

كان هؤلاء يعبرون عن سياسة الاختلاف بين الخارج والداخل حيث افتقد الداخل القيادة الواعية ذات الخبرة التي تعي عواقب الأمور وهؤلاء الذين يعيشون بين الأفغان ويصدرون الأوامر برفع السلاح ومواجهة الشرطة دون أن يدروا بالأمور أو يحسبوا حسابات الواقع.

حاولنا أن نثنيهم عن إيوائهم للهاربين من ديروط الذين يضربون السياحة ففشلنا فشلًا ذريعًا قال لي أحدهم وهو بشير محمد كمال إنه يفضل أن يقتل على أن يسجن.

لقد كان كابوس السجن المرعب والاعتقال الطويل هو السبب الرئيسي في رفض هؤلاء لكل ماقلناه لهم ورفض كل محاولتنا في عدم جر البلد إلى ما يشبه حرب العصابات.

الغريب أن هناك سببًا رئيسيًا قد لايعيه البعض ألا وهو ما كانت تفعله الحكومة من محاولات الحوار المنفرد مع بعض الأفراد في مقار أمن الدولة أو الحوار الجماعي عن طريق ممثلين للجماعة هذا الذي دعا البعض لأن يتصور ضعف الدولة وهذا التصور دعا البعض لأن يحملوا السلاح متصورين تراجع الدولة عن بعض سياستها فكان يخرج بشير وحوله حفنة من بلدياته يحملون السلاح تحت ملابسهم وهو ظاهر وليس مخبأ لأننا والناس كنا نراه ونراهم وهم يحيطون به في كل مكان كأنهم حراس أحد الشخصيات الهامة ولما تكلمنا عن هذا الأمر المستفز قالوا لنا إن الدفاع عن القادة واجب شرعي لأن حفظ قيادات الجماعة من حفظ الدين فماذا لو ضاعت الجماعة بسبب القيادات وماذا لوضيعنا الدين معنا؟!

www.ibtesama.com

لا نعرف كيف كانوا يفكرون.. كنت لا أرضى عن هذه الأعمال لقد كنت أريد أن نبتعد عن المواجهة.. ولكننا كنا محتاجين إلى العاطفة لأجل تحمسنا والعقل من أجل ألا ننساق وراء العاطفة فكانت عندنا العاطفة ولم يكن عندنا العقل بل كانت عندنا الحماسة وفي المثل إن طبق الانتقام يؤكل باردًا وإلا تحول إلى نقمة.. لقد كان حب الانتقام والانسياق وراء الحماسة هو السبب في النقمة التي حلت بنا بعد ذلك.

أضحك حينما أتذكر هذه الحكاية وأقول كيف كنت أقتنع بما كان يجري وكيف لم أستنكر ذلك.. كان هناك محل للفيديو كاسيت سيفتح في بلدنا واعتبر أمير الجماعة أن في هذا تحديًا للجماعة التي تمنع الأفراح التي تستخدم فيها الموسيقى وتمنع مثل هذه المحال وقرر مجلس شورى الجماعة أن يذهب الشواكيش المسؤولون عن تغيير المنكرات في منتصف الليل ويتصرفوا مع هذا المحل.. كان على المحل شرطي واحد وكان الشواكيش ملثمين.. قام أحدهم بضرب الشرطي بمؤخرة الفرد الخرطوش وتصور أنه سيموت مثلما يحدث في الأفلام السينمائية ولكن الرجل استطاع أن يواجههم ويجري وراءهم!!

وفي تتابع للأحداث تم القبض علي وأنا في طريقي لانتخابات نقابة المعلمين وهناك قال لي الضابط إنه سيفرج عني في اللحظة نفسها لأوصل رسالة إلى الجماعة وأمرائها بأنهم عليهم أن يسلموا بشير محمد كمال المتورط في إيواء العناصر الهاربة من ديروط المجاورة وإلا فلتعلن الجماعة في الميكروفون بأنه ليس تابعًا للجماعة وهم سيتصرفون معه.

قال لي الضابط يومئذ:

**- هل تصدق أن بشير رفع علي السلاح وأنا رفضت أن أطلق عليه الرصاص.**

قلت له:

**- لو حدث تبادل لإطلاق الرصاص فسيموت بشير أو يموت أي واحد من الشرطة وتصبح ملوي مثل ديروط وسنخسر جميعًا.**

قال:

**- أنتم الخاسرون وحدكم.**

خرجت لأقول لهم ماحصل ولكنهم رفضوا كل شيء وقرروا أن يسيروا في ما عزموا عليه من الضغط على الجهات المختصة من أجل تحقيق بعض المطالب وكانت الدولة في

www.ibtesama.com

هذا الوقت قد عزمت على أنها لن تتراجع عن المواجهة بعد سنين طويلة من السياسة الوسط بين الإقصاء والشرعية.

كانوا يفتخرون بما فعله بشير ويحكونه في الجلسات الخاصة بأن الكمين الأمني استوقف بشير فرفع بشير سلاحه فلما رأوا السلاح أشاروا إليه بأن ينصرف في هدوء.

وأصبح كل من هب ودب يحمل في جيبه سلاحًا على الأقل مطواه قرن غزال يلوح بها كلما راح أو جاء، وأما الجماعة ذاتها فرأت أن الخطوط الحمراء لها هي معرض الملابس الذي تضعه في شارع العرفاني وهو من أهم الشوارع في المدينة ومشروع اللحوم وبالمناسبة فلم تكن هذه الأشياء مخفضة ولكن كانت كلها أشياء للدعاية الاجتماعية للجماعة والمزايدة بالأعمال الاجتماعية لتحقيق أهداف أخرى وعلى العموم لم أكن أفكر يومئذ في مآل فلوس هذه الأشياء وأين تذهب فمهما ذهبت فهي ستذهب إلى الجماعة التي ستستخدمها في مصارفها الخاصة التي قد يكون منها الشؤون القتالية التي ستحدث فيما بعد.

وحين كانت الجماعة تريد أن توصل رسالة إلى الجهات الأمنية المختصة فإنها كانت تقوم بإزالة هذه المعارض وتقوم بإخفاء عناصرها، ومعنى الاختفاء خطير جدًا مما يحدو بالمهتمين أن يتدخلوا لتهدئة الأمور وهذا ماحصل بالضبط.

في هذه الفترة اجتمع معنا أمير الجماعة (أ. ف) في إحدى القرى بين زراعات القصب وقال لنا إن الجماعة تريد أن تكون ملوي هي وإمبابة نقطة ساخنة من أجل الضغط على الحكومة للإفراج عن المعتقلين فقلت له:

**- يعني دا معناه أن نحمل السلاح.. طب وفين السلاح؟!!**

قال لي:

**- اللي يقدر يتصرف في أي حاجة يتصرف فيها حتى لو مطواه.**

فهمت أن العمل هو عمل عشوائي بمعنى قتل وضرب ومواجهة وإعلان التمرد بأي شيء وبأي طريقة حتى لو تم القبض علينا أو قتلنا!!

الغريب يومئذ أن هذا الأمير رغم اتفاقنا معه على عدم ظهوره بعد كل الذي يفعله ويخطط له خرج وقعد في معرض الملابس فجاءوا وقبضوا عليه، وأبعدت عن نفسي الظنون بأنه خرج من أجل أن يقبض عليه ولا يتورط في الأحداث القادمة ولكن بعد سنين طويلة تبين لي صدق ظنوني وأن الجميع كان يريد أن يورط الجميع وبالأخص صغار

www.ibtesama.com

الجماعة الذين كان أغلبهم من طلاب الجامعات مثل حسين نبوي طالب الصيدلة وياسر مصطفى طالب الهندسة وغيرهما كثير والمهم في النهاية أن ينجو القائد بحجة أنه هو الجماعة.

هل وصلت العشوائية إلى هذا الحد وانتهت؟!

لم تصل إلى هذا الحد فحسب بل وصلت إلى حد لايعقل من جنون السلاح وجنون العظمة فقد كان الحق الطبيعي أن تقوم جهات الأمن بالطواف في البلد وأن تسير إحدى سيارات الضباط في أي شارع عمومي ولكن كانت جريمة هذا الضابط أنه سار في شارع المدارس الذي استولينا عليه وكنا نغلقه تمامًا يوم لقائنا الديني فأحاط به مجموعة من الإخوة من رفاق الجماعة ولم يجعلوه يسير إلا بعد أن يأذن له أمير الجماعة بعد أن لوحوا أمامه بالسلاح.

في الليل ذهبت قوات الأمن إلى هؤلاء الذين اعترضوا الضابط لتقبض عليهم فهرب من بين أيديهم رجب عبد الحكيم وجرى في الشوارع فأطلقوا عليه النيران فأصابته رصاصة في شريان قدمه ولكنها كانت سببًا في موته وفي النهاية كان هو القتيل الأول في الأحداث العنيفة التي ستشهدها المدينة.

وجهت الجماعة بيانًا أصدرته ووزعته في شوارع المدينة بعنوان النداء الأخير قالت في بعض سطوره [أيها الطواغيت: **يايهود العرب وصرب المسلمين لقد تكشفت عمالتكم وبدت عورتكم.. اسمعوا وأنتم في النزع الأخير (الإعدام) (التعذيب) (إعادة الاعتقال) بداية قبوركم التي تحفرونها بأيديكم.**

أيها الشعب المسلم:

**إن الشعوب كالسدود إذا زادت عليها الضغوط..... وتدفقت الفيضانات وما أبقت أخضر ولا يابسًا فمتى سينهمر فيضانكم؟**

**أيها الطير الأبابيل:**

**احملوا أسلحتكم واشحذوا هممكم ولتكن أجسادكم ودماؤكم وقودًا تبحر به سفينة النصر]**

كان هذا البيان جزءًا من بيان عيد الفطر وهو بعنوان واحتدم الصراع وبعد البيان عقدت الجماعة مؤتمرًا بعنوان ملوي فوق قنبلة موقوتة تحدث فيه بشير الذي كان يرمز إلى التيار الذي يريد المواجهة داخل الجماعة وقال إن ملوي فوق قنبلة موقوتة ستنفجر في أي

www.ibtesama.com

لحظة بسبب عدم الإفراج عن معتقليها والضغوط المتواصلة على الجماعة وهذا معناه أن هذه القنبلة قد تصيب أي إنسان وأن تؤدي إلى مزيد من العنف.

وتلا بشير بعض الأسماء التي تضعها الجماعة نصب عينيها في عمليات القتل القادمة وكان منهم بعض المخبرين وقال أنت يا إدريس ويافلان وفلان نحن نعرفكم ونترصدكم!!

الحقيقة التي أشهد لها أن أسامة حافظ كان يرفض مثل هذه الأعمال ولما ذهبنا إليه وقلنا إن رجب عبد الحكيم قد قتل قال لا تفعلوا شيئًا سوى أن تعلقوا صوره في شوارع المدينة.

علقنا صورة رجب محاطًا ببعض بقع الدم وكتبنا تحتها: لقد قتل أمام زوجته وأولاده.

سارت عساكر الأمن في كل الشوارع تتعقب الصورة وتخلعها خلعًا عن الجدران وفي الناحية الأخرى أرسلت الأطراف الوسيطة لمن يحتمل أنهم من الأطراف الهادئة منا واستطاعوا الوصول بأعجوبة إلى الأخ أبو الذهب وجمال علم الدين وفي مقر أمن الدولة قيل لهما إنهم ليسوا ضد الدعوة إلى الله وإن الجماعة إذا كانت تريد الدعوة إلى الله فليعودوا إلى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ووصلت الرسالة وقبل أن تعود الجماعة إلى سابق عملها بإقامة معرض الملابس كان هناك فرد خرطوش مع أحد الهاربين والمختفين بين زراعات القصب ولأنه كان شيئًا غريبًا وجديدًا مستحدثًا عليه كان يلعب به وفجأة انطلقت رصاصة منه فأصابت يده وكانت تلك هي الخسارة الثانية بعد موت رجب عبد الحكيم.

لم تمض سوى أيام قلائل لم تتخل الجماعة عن إيوائها للهاربين من ديروط ولم تتخل عن حمل السلاح وما يحمل كل مظاهر المواجهة والعنف وفي المقابل لم تتخل الجهات الداخلية عن مواجهة هذه المظاهر.

كان من هذه المظاهر أن قام أمير الجماعة بجعل طلبة الثانوية الصغار من أتباعه وهم لايعرفون تقدير الأمور بتخزين مفرقعات وبمب العيد الذي يلعب به الأطفال في الشوارع.. لا أعرف ماذا كان سيفعل به؟!

ووصلت الإخبارية إلى الأمن بأن هناك مفرقعات وما شابه فوصلوا على الفور إلى المسجد فهرب كل من فيه وألقوا بأنفسهم في الترعة الإبراهيمية ليعبروا إلى الناحية

www.ibtesama.com

الأخرى وألقى أشرف بنفسه معهم وكان لايعرف العوم فغرق ومات وأخرجوا جثته بعد ثلاثة أيام وكان هو الخسارة الثالثة في عدة أيام.

تلازم ما حصل مع القبض على الإثنين الوسيطين من الجماعة وهما أبو الدهب وجمال حيث كان لرجب عبد الحكيم أحد إخوته من النسب ولكنه ليس متزن العقل فكان يقول إن الجماعة ستأخذ بثأر أخي فلما استدعوه ليسألوه عن ذلك قال إن جمال وعلاء هما من كلفتهما الجماعة بذلك.

فكيف يكون الوسيطان ورمز الهدوء هما من سيشعلان الأمور؟!

تم القبض عليهما واعتبرت الجماعة أن بقاءها هكذا مكتوفة الأيدي فيه إضاعة لهيبتها وعبثًا حاول العقلاء في الجماعة تهدئة الأمور ولكنهم لم ينجحوا وبالأخص بعد القبض على وسيطي التفاوض.

قررت الجماعة أن تبدأ أولى عملياتها وبالفعل أطلقت النيران على الضابط عصام موسى فأصابته وقتلت أحد مرافقيه وكان من الصدف المميتة أن كان المكان الذي حدثت فيه هذه العملية هو المكان ذاته الذي تحدث عنه أخو رجب غير المتزن العقل!!

تم ترحيل وسيطي التفاوض للاعتقال على اعتبار أن الكلام الذي وصل عنهما أثبته الفعل وماحصل واعتبر أمير الجماعة المتهور والمتشدد أن ذلك رسالة مفادها أنه لاتراجع ولا استسلام في طريق المواجهة وهذا ماجرى بالفعل فقد توالت حوادث القتل والعنف والدم.

نجح أمير الجماعة محمود عبد الحميد ومعه مستشاره بشير محمد كمال أن يضع جميع الهاربين من رفقاء الجماعة في مواجهة لم يختاروها بأنفسهم ولو خيروا مااختاروا!!

قال للجميع إن هناك اجتماعًا هامًا للجماعة ثم أخذهم إلى أرض زراعية يقال عنها كبكب في إحدى القرى البعيدة وكان هناك ما يزيد على مائة وثلاثين شابًا في مقتبل العمر سيقتلون كلهم في ما بعد وهناك رفض أن يعيدهم إلى حيث جاءوا وقال لهم إن السجن ينتظرهم أما هنا فالجهاد والجنة ووعدهم بالنصر وبركوع الحكومة أمام طلبات مشايخ الجماعة وتلا عليهم من كتاب ناجح إبراهيم أو رسالته التي وجهها إلى المقاتلين في ديروط بعض صفحات[1].

---

(1) (رسالة للقابضين على الجمر) بقلم ناجح إبراهيم وهي دعوة للمقاتلين في ديروط بالاستمرار في قتال الشرطة. كانت الرسالة توزع أمام مساجد الجماعة.

www.ibtesama.com

حدثت المفاجأة حينما جاءت قوات الأمن فأحاطت بالمكان وحاصرته ولكنها في النهاية فسحت للجميع الطريق وجعلتهم يخرجون ولو أرادوا قتل الجميع في هذه اللحظة لفعلوا كما لو أرادوا أن يسجنوهم جميعًا لفعلوا ولكن يبدو أن ملوي كانت إلى هذه اللحظة تأمل أن يعود هؤلاء الشباب إلى لقائهم الديني وماكانوا يفعلونه خير من المواجهة.

سار الجميع بعد الحصار إلى أماكن لم يعرفهم فيها أحد، ووزعهم محمود إلى مجموعات لا تزيد على سبعة أو ثمانية أفراد واختار أماكن في مدن أخرى مثل سمالوط والعدوة ومغاغة للتسكين بمساعدة أفراد الجماعة هناك وكان كل ذلك بأوامر من مصطفى حمزة ورفاعي وطلعت فؤاد قاسم القاعدين هناك في بيشاور وأفغانستان يصدرون بيانات التهديد ومجلة المرابطون.

لقد قتلت أولى هذه المجموعات في قرية إتليدم القريبة من أبي قرقاص وكانوا خمسة أفراد أميرهم هو نشأت من قرية المنشية كان عائدًا من عدة أيام من السعودية فحكوا له عن جهاد الجماعة فرفض العودة إلى السعودية وقتل مع من قتل ولا أعرف من الذي دفعه إلى ذلك.

وسارت السياسة المتبعة بالهجوم على دوريات الشرطة للحصول على سلاحها ولكن في أغلب الأحوال كان المجاهدون لا يقتلون سوى الغفر.

حكى لي أحدهم أن غفيرًا نظاميًا في قرية قلبا تعاطف مع قريبه الهارب مدحت فكان يقابله كي يعطيه بعض الطعام وحين هجم مدحت على نقطة الشرطة قتل فيها هذا الغفير ولما أنكر على مدحت قال لمن حكى لي إنه سيبعث على نيته يوم القيامة!!

إن الحديث والنص الذي يقول إنه سيغزو جيش الكعبة فيخسف بأولهم وآخرهم وفيهم العامة والسوقة وأنهم سيبعثون على نياتهم كان هو الفهم الخاطىء الأكبر الذي قتل كثيرًا من عوام المسلمين وكل من يحمل بطاقة شرطي وقتل بالجنسية في القطارات السياحية وغيرها.

الغريب أن أمير المجموعات محمود عبد الحميد كان يأمرهم ألا يأكلوا من زراعات أحد أو يأخذوا طعام أحد حتى التمر الذي يسقط من النخل كان يحرم أكله كما كان المسلحون يحرمون سبي القتيل من الشرطة ورغم ذلك يسفكون دمه بالبطاقة الشخصية كما فعلوا مع القطار أمام قرية الروضة حيث اقتحموه وفتشوا عن كل من يحمل بطاقة شرطي فقتلوه.

www.ibtesama.com

وفعلوا أيضًا في نقطة مرور أم تسعة حيث أوقفوا السيارات بحجة أنهم من المرور وأوقفوا المستهدفين صفًا واحدًا ورموهم بالرصاص.

استمرت المواجهات وتحولت الأحداث إلى أحداث ثأرية صعيدية بمعنى الكلمة حيث تبدأ شكاوى الأهالي الكيدية بعضهم ضد بعض بحجة أنهم يقدمون الدعم للإرهابيين وتشتعل الخلافات القديمة بين العائلات ولكنها بخلفية جديدة هي خلفية الإرهاب وزاد الطين بلة قتل عدد من الذين يعملون في الشرطة بأيدي المقاتلين من الجماعة وكانت عائلات المقتولين تعرف الذين قتلوهم من الجماعة أو على الأقل تأخذ الجماعة كلها بهذا الذنب وحين لاتجد من تأخذ بثأرها منه من مسلحي الجماعة تقوم بأخذ ثأرها من عائلاتهم!!

قتل في المنشية وقرية تندة وإتقا عدد ليس بالقليل في هذه الأحداث الثأرية وانساقت الجماعة ومسلحوها وراء ذلك فقامت بالرد على هذه العائلات بقتل عدد ليس بالقليل بل كانت الجماعة تمطر الأهالي بوابل من الرصاص وأذكر أنها قتلت في قرية نواى امرأة وطفلها وعددًا من الأهالي بحجة الرد على إحدى العائلات.

من الذي كان يفتي بمثل هذه الأمور.. الله أعلم.

ولكنني عرفت فيما بعد بأن كتاب العمدة في إعداد العدة لسيد إمام كان هو المصدر الأساسي لهذه الفتاوى.

لقد أزهقت دماء حرام كثيرة في ملوي وغير ملوي وكان المسلحون يأخذهم زهو السلاح فلايفكرون في حرمة الدم نظرًا لاقتناعهم بمسألة قتال الطائفة التي تحتاج إلى تدقيق كبير وكلما قاموا بعملية قتل وماشابه أخذوا يكبرون وكأنهم قتلوا أبا جهل أو أمية ابن خلف.

وليس كل الأهالي يكره المقاتلين لأن البعض كان ينصرهم بتعاطف أو بوازع قبلي وما شابه، ولما ضاق الخناق عليهم من كل حدب وصوب أخذوا يبحثون عن الهاربين وكان منهم محمود عبد الحميد أمير الجماعة والمسلحون في المنيا وفي قرية أولاد شحاته التابعة لمركز مطاى جرى الأهالي وراءه وقبل أن يلحقوا به أطلق الرصاصات على نفسه فقتل على الفور!!

أصبحنا نسمع عن أمور من هذا القبيل ومن فتاوى غريبة عن فهمنا وأدبياتنا مثل تهديد الأهالي بالقتل إن لم يدفعوا الأموال أو يسهلوا عملية الأكل والإيواء.

www.ibtesama.com

لقد قتل عدد ليس بالقليل في مثل هذه الحوادث وكنت أرى السبب في انحسار العمليات وفي تضييق الخناق على الهاربين المسلحين الذين لم يجدوا بدًا ولا مناصًا سوى تهديد الأهالي أو الهجوم على بنك اتليدم أو قتل أنفسهم.

لا يصدق أحد أن هجومًا من مسلحي الجماعة قد وقع على أحد الأهالي في قرية تندة والرجل في المسجد بحجة أنه مرشد وتتابع الهجوم على إحدى العائلات التي بدأت بإطلاق النار على والد أحد الهاربين ثأرًا لمقتل أحد أفرادها من الجماعة فقامت الجماعة بالرد وبقوة فقتلت سبعة من هذه العائلة دون حساب لأي شيء.

ودارت هذه العجلة وكانت إحداها هجوم الأهالي في قرية أولاد شحاته التابعة لمركز مطاى على محمود عبد الحميد أمير الجماعة والمسلحين فلما كادوا يمسكون به أطلق على نفسه النار فمات في الحال.

من الذي أفتى له بذلك؟

لا أعلم ولن يجيبنا أحد!!

وفي السنوات الأخيرة من فترة التسعينات ضاقت الأمور ووصلت الحال إلى منتهاها فأخذ مقاتلو الجماعة يفكرون في فرض الإتاوات وسرقة البنوك أو الإغارة على الحقول وأظن أن من أفتى لهم بذلك قد أفتى من ناحية الضرورة التي يمرون بها فحدثت التجاوزات والمآسي التي أحدثها ما يفعلونه وأحدثها كذلك أن بعض الأهالي قد استغلوا ذلك في ارتكاب سرقات وفرض إتاوات مثل الجماعة على الأهالي!!

لن يصدق أحد ما أقوله ولكنها والله هي الحقيقة التي كانت تجري على مرأى ومسمع من الجميع.

www.ibtesama.com

(3)

# أيام السجن والطريق إلى المبادرة

ما أبشع أن تمضي الأيام ونصبح في غربة عن هواء الحرية. . الطريق كان مظلمًا ومعالم السجن بدأت تتضح من بعيد. . ياليتنا نعود إلى الماضي ونبدأ من حيث انتهى الآخرون، ولكن أنَى ذلك وقد أصبحنا مغمورين بين صخور الزنزانة ومحشورين في دموع الليل التي تنضح وجوهنا بالنار.

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

# عربة الترحيلات

من يحيا في ظلمات السجون والبعد عن الواقع يشعر أن عجلة الزمان تتوقف أو الحياة كأنها تدور إلى الوراء.. الأسر يجعلك ترى قطر دائرة حياتك الماضية.. هل كنت تعيش على الأوهام والخيالات وكنت في صحراء التيه الواسعة؟!

هذه الومضات الذهنية اللامعة التي ما تكاد تضيء ظلام السجن حتى تتفتح نافذة واسعة وسط هذه الرقعة السوداء لكي تتحرر من قيودك ويظل خيالك الخصب صحراء تبحث فيها عن ظل حتى تستطيع أن تكمل المشوار وتبحث عن طاقة أمل تضيء لك الطريق والهروب من هذا الواقع الأليم بكل ضغوطه.

في النهاية لا تجد أمامك إلا الصحراء القاحلة التي ليس لها حدود أو هذه الأسوار التي تضيق فيها الحدود بين المشاعر التي كانت تتجاذبني لأقاوم الاكتئاب فينزل المطر في صحرائي القاحلة.

من نافذة عربة الترحيلات الضيقة ألقي نظرة على حريتي المفقودة.. الأشياء لها معان أخرى.. أحتضن الأشياء.. كل الأشياء.. السجن جنات ونار.

يا طائري الجريح أما يكفينا صراخ الأرض حتى نرى جراح السماء.

يا طائري لا تهبط الآن فالأرض أشباح وخراب وخداع.

يتحدثون يا طائري عن الأمل فأبتسم.. أما زال هناك أمل وعربة الترحيلات تهرول بين الحقول؟!

أنا والرفاق في عربة الترحيلات إلى سجن أبي زعبل.. كنا نموت في هذه اللحظات ألف مرة.. تحطمت آمالنا في الحياة كما تتحطم الأمواج على الصخور.. ياليتني أستطيع أن أقول للأمير محمود عبد الحميد أوقف العنف.

ظللنا أربعة أيام في انتظار عربة الترحيلات التي ستنقلنا من الحرية إلى جدران سجن استقبال طرة ولكننا فوجئنا أننا سنعتقل في سجن أبي زعبل الرهيب الذي أغلق تمامًا منذ

www.ibtesama.com

الأحداث التي جرت فيه بسبب قتل أحد الجنائيينَ المسجونين هناك والقصة ومافيها أن أحد إخواننا قال إن أحد الجنائيين قد سب الدين أمامه مما أدى إلى حدوث مشكلة بينهما وكان هذا الجنائي ممن يتهمه الإخوة بأنه يعمل مرشدًا مع رئيس مباحث السجن وهكذا رأى الإخوة أن يستغلوا ماحصل من أجل الانتقام من هذا الجنائي ولكن تطور الأمر حيث وجد هذا الشاب من الجنائيين من يدافع عنه وكالعادة رأى الإخوة المعتقلون أنهم لو سكتوا فهذا إسقاط لهيبة الجماعة فخرجوا للجنائيين بأقتابهم وأحلابهم وكانت معركة كبيرة قتل فيها اثنان من الجنائيين أحدهما ذبح كما يذبح الخراف وأصيب أكثر من ثلاثين من الجنائيين. . هذه هي الحكاية التي كنا لانعرف عنها شيئًا خارج السجون!!

وهكذا تحول السجن الهادىء الذي يحصل فيه المسجونون على كامل حقوقهم إلى جهنم. . هذا السجن الذي كان مريحًا جدًا لدرجة أننا كنا نسمع أن بعض الهاربين كانوا يأتون زيارة ولايخرجون كي يبيتوا في السجن ونسمع عن بعض المشايخ الذين يذهبون لكي يعطوا المحاضرات داخل السجون ثم يخرجون.

هذا السجن المغلق تمنع فيه الزيارة ولايمر يوم بدون تفتيشات على الزنازين ماذا سأفعل وأنا سأذهب إليه؟

قال أحد الموجودين معنا (م.م):

**- لو أمروكم بحلاقة اللحية وافقوا ولو طلبوا منكم أي شيء اعملوه وإلا هتعرضوا نفسكم للإهانة.**

**- ولو متنا موش هنعمل كدا.**

معظمنا قال ذلك.

كانت الرحلة طويلة وفي الطريق أخذنا معنا أبو الدهب وهو مثلنا لايعرف شيئًا عن أبي زعبل. . يمسك بعصير معلب يمصه ومعه شنطة محملة بالملابس.

قلت:

**- يا صديقي أنت رايح أبو زعبل. . كل ده هيؤخذ منك.**

يشرب العصير وأنا أحكي له. . لم نشعر بالرحلة الطويلة بسبب الخوف المتلبد في صدورنا وما كنا نسمع عنه.

وصلنا فأحاط الجند بالسيارة وأخذوا يخبطون على العربة بالعصي وهم يأمروننا أن

www.ibtesama.com

نخلع ملابسنا . . على العموم سمعنا وأطعنا وهذا جعلنا نحظى بالاحترام حتى أخذوا يعرضون أسماءنا فعرفوا أن معنا هاني الدواليبي ابن عم فؤاد الدواليبي أحد أعضاء شورى الجماعة فقال أحد المخبرين:

**- علشان الدواليبي هنحتفل بكم.**

وأمرنا أن نقول فقلنا ماأمرونا به وأوسعونا ضربًا حتى دخلنا الزنزانة وكان معنا أحد الفلاحين المقبوض عليهم بتهمة تقديمه الطعام لهؤلاء الهاربين قال لنا هذا الرجل:

**- أنتم اللي بتحاربوا الحكومة . . أنتم اللي شايلين سلاح وعاملين رجال بره . . أنا عرفتكم على حقيقتكم دلوقت.**

قال له أحد الرفاق:

**- الضرورات تبيح المحظورات وبعدين الحرب خدعه.**

الزنزانة في أبي زعبل قاحلة جرداء منزوعة من كل شيء اللهم إلا أربعة جدران صخرية . . وجدنا أنفسنا فيها ولم نتوقع أن يصل بنا المآل إلى هذا الشكل فالذى كان منتميًا في هذه الفترة لا يعرف إلا القشور والذين لا يعرفون لا يفهمون سوى أنهم حضروا ندوة دينية أو شاركوا في عمل اجتماعي كصلاة العيد أو غيرها وأما الشباب الهاربون فإن أغلبهم قد خاف من السجون وتصور أن الدولة بهذا الشكل ستتراجع وتقدم تنازلات وتفرج عن المسجونين فحملوا السلاح.

المهم أننا أصبحنا في كابوس وفي عالم نسيان نريده أن ينتهي ولكنه كان في البداية، ومن يتحمل هذا الكابوس لا بد أن يكون صاحب فكرة عميقة ناضجة . . من أجلها لابد أن يتحمل المرارة والعذاب بقناعة راسخة وهذا هو الهدف الديني اليقيني الراسخ في النفوس الذي كان يصور لنا أننا جنود الله في الأرض . . نحن الذين إذا استشرى الفساد في الأرض فنحن أهل المقاومة والجهاد . . فهل فعلنا ما أردنا بحق أم كانت أعمالنا محكومة بالفشل؟!!

هذه هي التعبيرات الجاهزة والأسئلة.

التقطنا أنفاسنا فوجدنا حبلًا يتدلى من شباك الغرفة . . التقطنا الكيس المعلق به فوجدنا رسالة بداخله تقول:

[من أهل القبور إلى الأحياء الذين كانوا يتنفسون هواء الحرية . . منذ ثمانية أشهر

www.ibtesama.com

ونحن لانعرف عن أخبار الأحياء شيئًا نرجو منكم إفادتنا بما يجري خارج جدران السجون].

صرخ أحدنا:

**- حد يعرف أي أخبار يقولها للإخوة؟**

لم يجد أحدًا يرد عليه فجاءني وقال لي:

**- أنت السياسي اللي فينا ودول كلهم واللهماينفعوا معتقلين سياسيين فقولهم أي أخبار.**

صدقوني اكتشفت هنا أني لم أكن سياسيًا بل كنت مثلهم حتى ما جرى في أبي زعبل لم أسمع عنه.. إننا لم نكن نشغل بالنا بأي أخبار إلا أخبار أفغانستان وحكمت يار الذي يحبه الإخوة جميعًا حتى فلسطين وحماس وغيرها لا نعرف عنهم أي شيء.

حديث الرهائن المعتقلين معنا من أجل أقاربهم والآخرين المقبوض عليهم لأسباب أخرى كان يصيبنا باشمئزاز بسبب خوفهم الزائد من السجن والموت والمصيبة الكبيرة التي وقعوا فيها ولكنهم كانوا معذورين ونحن كذلك لأننا جميعًا كنا في حاجة إلى من يلهمنا كلمات الصبر والثبات لا أن يصيبنا بالخوف والاشمئزاز والاضطراب.

مثلي مثل الباقين أحطنا بواحد معروف كان أميرًا لأحد مراكز محافظة المنيا (أ.ع) لكي نتلمس منه مخرجًا لما نحن فيه من أزمة.

ابتسم الرجل لنا ثم استأذن لينام فقال لنا آخر من سوهاج:

**- لا تتعبوا أنفسكم الحبسة طويلة جدًا وإلا مكنوش بنوا سجون جديدة أصل إحنا تعبنا الحكومة قوي.**

مضت ساعة ونحن مازلنا عراة في الزنزانة حتى سمعنا صوت انتباه.. وضعنا وجوهنا ناحية الجدار ولما أغلقوا الباب وجدنا كومة من بدل الكتان الرديء المخصص للسجناء السياسيين.. الكل ألقى بنفسه على البدل يخطف قبل الآخر بلا نظام.. جاءني أحد الرهائن قائلًا لي:

**- الأمير بتاعكم خطف البدلة مني ولبسها هو دا يرضيك؟!!**

لم أشعر بالقرف ولاباليأس فقط ولكني شعرت بالمصيبة الكبيرة التي وقعنا فيها والمحنة.

www.ibtesama.com

السكون الرتيب في السجن لايقطعه سوى تمتمة وهمهمة وذكر لله أو مراجعة القرآن أو أصوات الحراس الذين من فوقنا وتحتنا أو عربات التعيين التي لاتحمل لنا سوى العدس والفول وقليل من المربى.

يومًا بعد يوم تعود أن يخرج صوتنا وتعودنا أن نقف على الشبابيك ونتصل بجيراننا في الزنازين المجاورة وبدأنا نسمع من يلقي علينا كلمات الصبر والمواساة.

في الأيام الأولى سمعنا صوت التكبيرات ثم الهتاف وجملة يا أقدار الله ننتظر منك المزيد ثم تلا أحد الأخوة على مسامعنا خبر قتل خفير نظامي في بلدنا.. كان المعنى السهل هو مزيد من العمليات والقتل وسقوط العساكر والخفر.

في الصباح عاقبوا السجن على ما حصل وفتشونا زنزانة زنزانة وأخذنا علقة ساخنة.. سمعت أحد إخواننا يقول ياأقدار الله ننتظر منك المزيد.. بعد التفتيش قلت له:

- **الله يخرب بيتك.. المزيد من الضرب ولاإيه؟!!**

- **أنا أقصد المزيد من الصبر.**

عرفت أن للجملة معاني كثيرة.

وأدخلوا علينا فجأة الدكتور البيطري أحمد فتح الله فألقى حاجاته وقام فلعب طابور رياضي قبل أن تعرف عليه ولما تعب قعد ثم قام فلعب مرة أخرى وهكذا دواليك فأشار لنا أحدهم وقال:

- **اعزروه هو تعبان شوية.**

لم أصدق فقلت له:

- **يادكتور اصبر شوية.**

قال:

- **أنا معرفش إن التجربة في مصر مريرة بالشكل ده.**

اكتشفت أن هذا الشاب عاش في ألمانيا والدنمارك وطاف على الدول الاسكندنافية.. هو الذي حكى ذلك وحكى لي عن اللغات التي يتقنها وعن الجماعات الإسلامية في أوروبا وعن النقاش الذي دار بين حزب التحرير الإسلامي المنتشر في أوروبا وبين الدكتور عمر وذلك في الدنمارك قال لي إن حزب التحرير أثار مسألة المعاصرة والأصالة وأثار إشكالات كثيرة لم يفلح الدكتور عمر في الرد عليها.

www.ibtesama.com

وأقمنا له حلقة فجلس في منتصفها وأخذ يحلل الشخصيات التي قدامه وقال لنا بثقة:

**- معظمكم من أحفاد الهكسوس أصحاب الجبهة العريضة والأنف المدبب.**

سألته عن نفسي قال:

**- أنت مثل زوج أختي الصحفي جمال سلطان ولو جاءتك فرصة ستصبح صحفيًا مشهورًا.**

جعلني أعيش على الأمل وكان هو الشيء الوحيد الذي يجعلني أعيش ولا أموت.

ودخل التفتيش مرة أخرى والرجل يحكي أنه كان من قوات الصاعقة التي ذهبت إلى قبرص لتأتي بجثة الأديب وزير الثقافة يوسف السباعي وأنا كنت أقول له:

**- إيه اللي جابك في الحبسة دي؟!!**

قال:

**- كنت بشتغل مقيم شعائر في مسجد.. إخوانك عملوا حلقة تلاوة ولم أقدر أن أمنعهم فظنوا أني أساعدهم.**

أرقفونا ساعة كاملة على أطراف أصابعنا وراحوا يضربوننا ويقولون إن طلعت ياسين مات.

انهار البعض ليس حبًا بطلعت ياسين ولكنهم تصوروا أن عملياته كانت ستخرجهم من السجن!!

آخرون كانوا يتجادلون حول الضابط المشرف على العنبر قال البعض إنه فوزي سكوتي لاعب الأهلي وآخرون قالوا إنه عباده لاعب الزمالك.. احتدم الجدل بين الأهلاوية والزمالكاوية.. الرجل بتاع الصاعقة قال لي:

**- أنا اقتحمت خط بارليف في 73 ورحت قبرص ولكن أنا اتهزيت هنا بس.**

قلت:

**- إحنا اللي اتهزينا هنا وبقينا أهلي وزمالك.**

لأول مرة نشعر بالجوع والبرد القارس بهذه الطريقة حتى البدلة الكتان قطعت وبدأت تكشف عورتنا.. شعرنا بقيمة الإبرة وقيمة شعاع الشمس وقيمة الغيار الداخلي وقيمة الحرية وكل شيء.. طلبت من الشاويش إبرة خياطة فقال:

www.ibtesama.com

**- يابني أوع تقول الكلام ده لحد تاني الكلام ده ممنوع في السجون.**

شكرته وقلت له:

**- معلش أن تعبتك معي.**

**- يابني أنتم تعبتوني لوحدي دا أنتم تعبتم نفسكم وأهلكم والحكومة والمجتمع كله.**

تمنيت أن أصرخ من كل قلبي وأقول (الحرية ياناس قيمة كبيرة إياكم أن تفرطوا فيها.. لاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة.. **أنا عاوز إبرة خياطة حد يقدر يعطيني إبرة خياطة)**.

ودعوت الله فاستجاب لي ودخلت ترحيلة في الليل ولم يأخذوا منهم أي شيء، وفرح الإخوة بالغيارات الداخلية والصابون الذي دخل، وفرحت أنا بإبرة الخياطة.

وكما قال النبي ﷺ: **(الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف)** فلا أعرف ما الذي جعلني أجلس مع هذا الفصيل وكان منهم إيهاب فتحي من دمياط وهو خريج علوم سياسية.. كان يقول لي:

**- أنت جسمك مع الجماعة ولكن عقلك ليس جماعة أبدًا.**

نتناقش بحرية أنا وهو في سواد ليل الزنزانة، ونسهر نختلف ونتفق حول الأحداث والمواجهات والأخطاء والمراجعات يقول إيهاب:

**- هل تظن أن يجيء اليوم الذي تراجع فيه الجماعة أخطاءها؟!**

**- لن يجيء اليوم إلا إذا راجع القادة أخطاءهم وهذا أراه مستحيلًا.**

ونقلونا من الغرفة وافترقنا ولم نلتق إلا قبل المبادرة بأيام فشددته على كتفه ولكن شكله كان قد اختلف قليلًا ومعنوياته قد انخفضت كثيرًا وقال لي:

**- لقد صدق كلامك فلم يراجع حد منهم نفسه إلى الآن.**

لم تكن جاءت تلك الأيام التي أثبتت كذب توقعاتنا وأكدت أن المراجعة ليست مستحيلة على أي أحد.

*** 

www.ibtesama.com

## طابور القمل وحمبلاظ أديس أبابا في سجن الفيوم

حين يقع الإنسان في مصيبة يظن أنها أكبر البلايا حتى يبتليه الله بأخرى فيتمنى لو كانت مثل أختها الأولى وهذا ماحصل بالضبط.

انتقلنا إلى سجن الفيوم بعد حوالى عام ونصف عام من الاعتقال وكان مختلفًا تمامًا عن سابقه فهو من دور واحد يتسم بكثرة زنازينه ومبناه الحديث الذي بني عام 95.

لا ضرب ولا تعذيب بدنيًا في سجن الفيوم ولكن كان لون آخر هناك.. لم يكن هناك لمبة تنير لنا سواد الليل البهيم فكنا نستضيء بشعاع يسقط علينا من لمبات العنابر العلوية فوق سور السجن.. مياه الشرب كانت توزع بالتعيين بمقدار كوب للسجين واستمرت هذه الحال أشهرًا طويلة عانينا فيها الجرب بسبب عدم الاستحمام وعدم وجود الماء بسبب انهيار كوبري اللاهون خارج السجن وانفجار ماسورة المياه.. رائحة العرق ومخلفات دورة المياه والقاذورات تملأ خياشيمنا.. استشرى الهرش والجرب والقمل ولذا كان أول شيء نفعله في الصباح هو طابور القمل حيث نخلع بدلنا الكتان الرديئة ونوجه رؤوسنا للجار ونقتل القمل.

قال أحدنا:

- **ياجماعة القمل ده دليل على غضب ربنا.**

فوجئنا بالماء ينفجر من الصنبور بعد كلماته ولكن بعد أن حدثت معركة كبيرة في الغرفة بسبب هذه الكلمة.

تحسنت أحوالنا شيئًا فشيئًا وفتح الكنتين وكنا عن طريق الفلوس التي يرسلها لنا أهلنا في الأمانات نشتري بونات من الأخصائي الاجتماعي الذي يرسل لنا مانطلبه من حاجات غير ممنوعة مع الجنائي حيث كنا نحن ممنوعين من الخروج من الزنازين.

البضائع المسموح بها كانت كالتالي:

الجبنة - لبن بودرة - الطحانية - سكر.

والبونات لا تكفي أي غرفة لشراء ما يكفيها.. في أول يوم نحتفل احتفالًا كبيرًا وكنا نقوم بإعداد الحمبلاظ.

طريقة عمل الحمبلاظ هي أن يقوم أمير المطبخ والمساعد له بعجن الأرز المطبوخ

www.ibtesama.com

الذي يأتي في التعيين بعد غسله بالماء ثم يضع فيه السكر وقليلًا من لبن البودرة.. للحمبلاظ طعم غريب ولكنه كان على أي حال في هذا الوقت جميلًا جدًا.

بدون سابق إنذار ولاميعاد أخرجت غرفة غرفة بالترتيب إلى الحمامات وكان ذلك لأول مرة والغريب أن ذلك بعد صلاة المغرب.. أمرنا أن نستحم ونغتسل ثم أدخلنا الغرف مرة أخرى.

ودخلنا إلى الغرف ونحن في قمة السعادة بالحمامات وبأديس أبابا وقررنا أن نعد حمبلاظًا احتفالًا بما حدث.

قال لنا الضابط وهو ينظر إلينا:

**- النهارده كان فيه محاولة لاغتيال الريس في أديس أبابا ولو أنتم كنتم في بلد تاني كانوا وضعوكم في صودا كاويه موش دخلوكم حمامات.**

ماذا فعلًا لو كنا في دولة صدام حسين؟!

وأدخلوا الكنتين ومنذ دخل إلى الزنازين دخلت المشاكل التي لاحصر لها فالجماعة ترى أن التكافل الاجتماعي يعني أنه لا أحد يملك زيارة أو بونات فكله ملك للجماعة توزعه بالتساوي بين الأفراد وكانت الحجة في ذلك حديث النبي ﷺ: **(إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو جمعوا طعام عيالهم ثم قسموه بينهم بالسوية).**

كان كل شيء اشتراكيًا ومشاعًا بين الجميع حتى أرغفة العيش تقسم إلى لقيمات صغيرة وتلقى بين المجموعات ماعدا اللحمة والفراخ التي تأتي في الزيارة الطويلة الأمد.

كنت أحترم وجهة النظر ولكنني اتهمت بعد ذلك بأنني أحرض الإخوة أن يرفضوا الاشتراكية ويؤيدوا الرأسمالية والأكل الخاص وهذا وحده كفيل بأن يحملني من المشاكل ما لا طاقة لي به.

أصدر أمير السجن في هذا الوقت وهو محمد يحيى أمرًا بأن من قطع أرغفة الخبز فهو ليس تابعًا للجماعة!!

كانت غالبية من في الغرف تقطع أرغفة الخبز وتخالف الأمر مما حداه أن يتبع أمره أمرًا آخر وهو من خالف أوامر أمير السجن يقاطع ولا يتكلم معه أي إنسان.

أصبحت مشكلة المشاكل هي الأكل والشرب والكنتين!!

بطريقة فتوى الحال كان يقول البعض ما رأيكم لو قمنا بتنزيل مبلغ خمسمائة جنيه

www.ibtesama.com

وأعطيت منها الجماعة مبلغ أربعمائة جنيه وأخذت مبلغ مائة لنفسي. . لقد كانت فكرة جيدة ولكنها لم ترق البعض الذين أثاروا الموضوع في مستويات الأمراء الموجودة بسجن الفيوم وأشهد أن كل الإخوة القادمين من سجن ليمان طرة كانوا ينقلون لنا أن المشايخ الكبار يرفضون حكاية الاشتراكية ويقولون عن الخصوصية إنها أكل سحت!!

**- امرأة تحيض وهي وزيرة الشؤون الاجتماعية حلت المشكلة واحنا مش عارفين نحل مشكلة الخاص والعام!!**

قلت ذلك لأحد مشايخ المبادرة ولكن بعد مرور سنوات طويلة.

وقلت له:

**- إيه رأيك يامولانا في عملية أديس أبابا؟**

قال:

**- الحمد لله إنها فشلت.**

* * *

## التأديب من أجل المبادرة في سجن الوادي

التقينا أحد المفرج عنهم بعد أن قضى في السجن خمسة عشر عامًا في قضية اغتيال الرئيس الراحل السادات وقد كان محتجزًا بعد المدة المحددة هو ورفاقه ليروا ويشاهدوا أحوالنا وينقلوها إلى مجلس شورى الجماعة الذين إلى هذا الوقت لم يتخذوا إجراءً حاسمًا في وقف العنف والمراجعات الفكرية.

**وحوطنا إسماعيل البكل فقال لنا بأسلوب هادئ:**

**- أنتم تخططون دائمًا. . كلكم خطأ. . وأنتم السبب في ما حدث خارج السجون والمشايخ ملهمش دعوة وحتى في السجون عملتم حبال ومجلات على ورق الكرتون وكتبتم فيها كلام لايصح وأغلقتم السجون على نفسكم.**

**- يامولانا. .**

**- أرجوكم اسمعوني كويس في الأيام المقبلة يمكن تسمعوا عن حاجة اسمها مبادرة وقف العنف. . المشايخ يعتذرون فيها عما اقترفته الجماعة من أخطاء وأحداث ومواجهات قتالية. . صدقوني.**

www.ibtesama.com

وراح يحكي لنا الحكاية قائلًا :

**- كان هناك تفتيش مصلحة وقبال الشيخ كرم مدير مصلحة السجون وكلمه عليكم فقال له أن إخوانك ياشيخ كرم عاملين حبال وإذاعة اسمها صوت الخلافة ووعد الشيخ كرم أنه هيفتح الزيارات والفسحة. . وكمان كتب الشيخ كرم طلب لمقابلة ضباط الأمن فقال له مدير المصلحة أنهم لن يقابلوا أحد إلا بدون قيد أو شرط ووافق الشيخ كرم. . والحمد لله المشايخ هيعتذروا عما فعلوا وممكن يظهروا في التلفزيون والجرائد الأيام المقبلة ويقولوا الكلام ده.**

دخلت الزنزانة فحكيت ما جرى وقلت لهم إن الفسحة سوف تفتح فقالوا لي إنك جلست مع واحد من الإخوان المسلمين وإن هذا الكلام سوف يثبط همم الإخوة الصابرة!!

وفي هذا الوقت تقريبًا لا أعرف سببًا جعل الإخوة يعلقون البطانيات ويربطونها في الشبابيك سوى الفراغ وأنهم يريدون أن يتكلموا ويضيعوا الوقت الطويل الممل مع الغرف المجاورة. . لقد شد انتباهي ذلك وأردت أن أفعل مثلهم وأطل كي أرى العساكر والحراس والمئذنة التي تبدو من بعيد.

من صلاة العصر وهو الوقت المحدد للاتصالات والكلام على الشبابيك إلى المغرب لاينقطع ازيك. . شد حيلك. . هتفرج قريب.

لا نوم ولاراحة في هذا الوقت. . لقد أرهقنا وأرهقنا الحراس معنا ومن حظي السيئ أن أحد الحراس قام بالإبلاغ عن الضوضاء فجاءوا في الوقت الذي كنت أعتلي أنا البطانية وأقف في مواجهة الأخ (ع.ا) وكنت أقول له :

**- أنا قرأت في مجلة الوسط وأنا في الإفراج أن الشيخ عبود الزمر صرح لبعض زائريه أن هناك مبادرة يقترحها يمكن أن تسهم في وقف نزف الدم.**

وأخذت أشرح وأوضح. . الكل نزل من الشبابيك إلا أنا حتى فوجئت بالمخبرين والحراس يقولون لي :

**- انزل يابتاع العنف والمبادرة.**

زحفت عاريًا أنا وكل من في الغرفة إلى التأديب حيث لا إضاءة ولا شبابيك ولا أطباق يوضع فيها الطعام ولاحمام أو دورة مياه والآمر الشاويش سيد الذي يضربنا في لحظة دخول الحمام ولحظة الخروج منه أقصد الشاويش جرجس الذي أمرنا ألا نناديه إلا بجرجس.

www.ibtesama.com

كنت أقضي حاجتي في زنزانة التأديب وفي الصباح أحملها بين يدي وألقيها في الحمام ولا أجد إناء أضع فيه الماء ولكني كنت أحتال على عم جرجس وأقول له:

**- ياعم جرجس أنا عطشان.**

**- علشان انك قلت لي جرجس أنا هسقيك.**

أعد الأيام وأنا في التأديب وأنادي ربي أن تنتهي المحنة وأقول متى ياربي يطلق المشايخ المبادرة؟!

وأراد أمراء السجن أن يجعلوا هناك عملًا إسلاميًا تقوم به الجماعة داخل السجون فقاموا بتقسيم الزنازين إلى مسؤوليات وإمارات مثل أمير المطبخ وأمير العمل الاجتماعي والإعلام. . . . إلخ إلخ.

وفي العنبر قاموا بإعداد الرسائل والنشرات المكتوبة في ورق يشترونه من الجنائيين بثمن باهظ.

وفجأة وجدنا العنبر قلب رأسًا على عقب. . تفتيش كل شيء وعن كل شيء، وأخذوا زنزانة كاملة ووضعوها في عنبر التأديب وسحبوا أغلب التقسيمات والأمراء من داخل الغرف إلى هناك أيضًا ولم يعد منهم أحد.

لم نعرف ماذا يحدث بالضبط ولماذا كل ما يجري؟!

بحثوا عني في كل مكان وقالوا إن ماهر الصحفي له زميل من نقابة الصحفيين يريد زيارته مع العلم أن الزيارة في هذا الوقت كانت ممنوعة!! والحكاية أن هناك تقريرًا صدر في إحدى الجرائد المستقلة حول سوء معاملة المعتقلين داخل السجون وتحديدًا سجن الفيوم الذي اعترف لهم قال إن ماهر هو الذي كتب هذا المقال ودلل لهم على ذلك باسمي الذي ينزل دائمًا في جريدة الشعب تحت دعوى المطالبة بالإفراج عني.

أي معتقل في اسمه تشابه مع ماهر أخرجوه كي يعترف عن المقالات التي تكتب عن السجون.

وتصورت كل شيء ولم أتصور أنها مسرحية في إذاعة صوت الخلافة التي تلقى من فوق شبابيك الزنازين. . الورق الذي وقع في يد رئيس المباحث جعله يشك في كل شيء لأن مأمور السجن اسمه أحمد شندي.

تصوروا أن هناك تخطيطًا للهروب من السجن وقتلًا للمأمور. .لقد قلب السجن

www.ibtesama.com

رأسًا على عقب. . في الغرف لا صوت ولا كلام إلا الهمس لأنهم إذا دخلوا غرفة ووجدوا أحدنا سهرانًا بعد العشاء سحبوه من بيننا فلم يعد مرة أخرى إلينا ولا نعرف إلى أين ذهب!!!

وجاءوا بخبير خطوط وكتبنا:

**[الأخ أبو أسماء. . شندي. . الطيور الخرسانية ستقتحم المكان. . .]**

وكتب الجميع وعرفوا في النهاية أنها مسرحية ولعبة للتسلية ولكنهم قاموا بترحيلنا إلى سجن الوادي الجديد قبل أن نشاهد أقصد نسمع المسرحية في الفيوم!!

رغم أنه لم يثبت وجود لعنة الفراعنة في منطقة الوادي الجديد ولكن السجن أثبت أنه لعنة وأنه وادي الهلاك واللعنات لكل المعتقلين الذين دخلوا زنازينه المغلقة وعاشوا حياة المشاكل والصراعات والحياة المستحيلة.

زنازين الوادى أشبه بمخازن القنابل الموقوتة التي يمكن أن تنفجر في أي وقت فهي ساحات للحروب والحقد والأنانية والخلاف القاتل والأهواء الشخصية.

لقد كانت الظروف أقوى من الجميع ولو وضع أي إنسان في هذه الظروف فأنا أظنه سيحيا بالطريقة نفسها.

ولكن الحقيقة التي تؤكد نفسها وذاتها أن السجن الذي يحوي بداخله كذلك الصامدين والقائمين لله والصائمين والذين يؤثرون إخوانهم على ذواتهم والحافظين لكتاب الله تعالى.

وكانت المشاكل في الوادي تنقسم إلى كثير من الأنواع أهمها المشاكل الحياتية نتيجة ظروف المعيشة وحالة الحرمان والتعامل مع الزيارات ومشاكل أماكن النوم بسبب ضيق الغرفة على عدد 20 معتقلًا والمشاكل المرضية وقلة العلاج. . . إلخ.

وهناك مشاكل فكرية كالتي تحدث بين أتباع جماعة الجهاد ونحن أتباع الجماعة الإسلامية وهناك أخرى تسمى بالمشاكل التربوية والنوع الأخير بسبب التنشئة الاجتماعية والعادات والتقاليد المختلفة.

الشيء الأهم أن كل الأفراد كان يقع أحدهم في إحدى تلك المشكلات والسواد الأعظم وتحديدًا من اعتقل معنا على سبيل الخطأ أصابتهم حمى عدم الاتزان النفسي ولم يكونوا على قدر الالتزام المطلوب منهم وظهر منهم الجانب السلبي والبعد عن المعاني السامية التي كانت كفيلة بحل هذه المشكلات ولم يكن الكثير عند حسن ظن من أراد أن

www.ibtesama.com

يرصد تلك الأيام بشكل من الواقعية والإنصاف بل كانوا بعيدين كل البعد عن التعامل الصحيح بعضهم مع بعض وكانوا بعيدين عن الحيادية والموضوعية.

إننا بشر مخطئون على المستوى الشخصي بل نحن بشر مخطئون على المستوى الفكري حين تكلمنا عن أخطاء غيرنا ولم نصلح أنفسنا وكان أكبر دليل على ذلك أن هناك بعض الأفراد الذين يتميزون بكثرة الزيارات ومعهم أموال يستطيعون بها شراء الأطعمة من كنتين السجن فكانوا يخصون أنفسهم بتلك الأشياء أو بعضها في وقت كانت الغرف لاتجد مايكفيها من الطعام والدواء والكساء ولم يشفع لهؤلاء الأفراد التزامهم بالمبادىء الإنسانية في إيثار غيرهم وهذه مشكلة ليس لها حل منصف فليس لأحد الحق في طلب العطاء وفرضه عليهم وإن كان هؤلاء أخطأوا في حق غيرهم فليس لغيرهم الحق في طلب العطاء وفرضه عليهم بحجة مبادىء الجماعة في التكافل الاجتماعي كما كان يجري فالطبيعي أن يكون الآخر على قدر من الإنسانية وقبول الآخر مادام هذا حقه ولكن المشكلة أن الطرف الثاني يخطىء أكثر من الأول حين يصدر البيانات والتنبيهات والعقوبات لهؤلاء وحتى دروس صوت الخلافة تتحدث عن العطاء والإيثار بصورة فيها تجريح لهم وكأنهم عصاة أو فساق وتكون النتيجة مزيدًا من تهميشهم ومزيدًا من عنادهم وإصرارهم ومزيدًا من الأفراد الذين يريدون أن يهربوا إلى عنابر التائبين نجاة من جحيم الغرف والضرب والمقاطعات التي انتشرت في عهد أمير السجن (م. ي) والغريب أنه عند محاولات الإصلاح بين الأطراف المتعاركة يتحدث الجميع عن صحابة رسول الله وأنهم اقتتلوا بالسيوف وأن جميع البشر خطاؤون.. فهل الصحابة كانوا يتعاركون على دورة المياه أو على أماكن النوم فهذا يريد النوم بجوار الحائط وهذا لا يريد ولكن في الوقت ذاته هل وقع الصحابة رضوان الله عليهم تحت طائل سجن الوادي الجديد في هذا البلاء الشديد والعذاب؟!! الله أعلم.

سجن الوادي الجديد يختلف عن كل السجون السابقة لقد وجدنا شباب الجماعة هناك يكتبون على جدران الغرف ويملأونها كتابة بالأقلام الرصاص ولم تكن أقلام رصاص ولكنها أنابيب مرهم لعلاج الجروح والجرب يجعلونها مدببة من الأمام، قال لنا أحدهم:

**- الإخوة مخها زكي جدًا ولو عندهم امكانات كانوا حكموا العالم!!**

كل الإخوة في الوادي يكتبون ويضعون وجوهم على الجدار.. لقد رأينا صورًا مثالية هناك.. من يكتبون الأحاديث النبوية ويحفظون المتون ويراجعون القرآن.

www.ibtesama.com

من كان يحفظ شيئًا من القرآن يكتب للذي لا يحفظ والذي لا يجد شيئًا يتملى من العنابر المجاورة التي كان فيها من يحفظ مئات الأحاديث ولكنهم كانوا ندرة وقلة.

طوال اليوم تتلى في العنبر آيات من القرآن على الشبابيك آية للأذكار وآية للقيلولة وآية للتنبيه على قرب موعد إذاعة صوت الخلافة وآية أخرى للدرس العلمي الذي يلقى من فوق الشباك وآية الرباط وهي ختام برنامج اليوم في الوادي الذي يبدأ بالطابور ثم الإفطار - الورد والحفظ - القيلولة - الدرس العلمي بعد العصر - وجبة العشاء - الإذاعة المسائية - آية النوم - آية الرباط.

وبرنامج اليوم في الوادي إجباري ولا يستطيع أحد أن يخالفه وإلا اعتبر مخالفًا للجماعة ويعتنق فكرًا آخر وساعتئذ سيلقى المتاعب.

كنت أظن أن الرباط هو التدريب على الاستعداد للمعركة ولكن أي معركة؟!! ومع من؟!! ولما جاء دوري في الرباط عرفت أنه لا بد أن أسهر للصباح وأنتبه وأطل على الإخوة الذين ينامون.. حتى صلاة التراويح صدرت الأوامر من أمير السجن (ع. ص) بمنع الأخ المرابط منها حتى يصبح على انتباه.. لم أعرف لماذا كل هذا؟!

سمعت عن مجلة المرابطون التي صدرت في بيشاور للجماعة الإسلامية وسمعنا عن الذين يرابطون ويجاهدون ولكن الرباط هنا كان له معنى مختلف مثل الجماعة التي كان لها شكل مختلف في السجون كذلك!!!

* * *

## الشبكة العنكبوتية وإذاعة صوت الخلافة

همس الجدران ستشعر أنه مراقب.. سيصل إلى أمير الغرفة وبدوره إلى أمير نصف العنبر الذي يكلف نفسه توصيلها إلى أمير العنبر التنفيذي ثم أمير العنبر الإداري وقد تصل في بعض الأحيان إلى أمير الأربعة عنابر أو الأمير العام للسجن.

لن تصدق ولكنها الحقيقة بأن هناك في سجن الوادي هيكلًا تنظيميًا ضخمًا وهذه عادة الجماعة حتى خارج السجون.

مسؤول الفرش والمطبخ وإبرة الخياطة التي كانت شيئًا نادرًا وهامًا، وبالطبع مسؤول المصحف الذي يوزع ملازم كتاب الله الذي كان ممنوعًا ويشتريه من الجنائيين

www.ibtesama.com

بثمن باهظ، وهناك بالطبع أمراء المجموعات كمجموعة الإعلام والمدرسة العلمية واللجنة الاجتماعية ثم مجلس شورى العنبر والعنابر. .إلخ.

كنا نشعر حيال ذلك أنها ضرورات يفرضها واقع المعتقل وأحيانًا أخرى بالتصنيف الهيكلي الذي يشعرك بالتحكم والتسلط لأننا كنا نرى بعض الأمراء لهم طبيعة التسلط وآخرين لهم كل الاحترام الزائد والتفاني في خدمة الإخوان ما نعجز عن وصفه.

ومنذ التنبيه على طابور الصباح إلى آية الرباط نبقى موزعين بين برامج الغرفة وبرامج العنبر والامتحانات شبه الأسبوعية التي تجريهااللجنة العلمية كامتحانات القرآن والأحاديث النبوية والمسابقات بين الغرف والجلسات الاستثنائية وجلسات المناقشة التي أصبحت في عهد أمير السجن (م.ي) و(ع.ص) دورية وذلك لمناقشة مواضيع الصبر والثبات وعدم كتابة إقرارات التوبة وطبعًا هذه الجلسات والمناقشات كانت موجهة لخدمة أهداف الجماعة بطريقة غير مباشرة فكان كل واحد يقول رأيه في أمر معين مثل الثبات في السجون وأمير الجلسة يكتبها بأنبوبة المرهم على الجدار ثم يرفعها إلى أمير العنبر وبالفعل كانت هذه الجلسات تنجح في إشعارنا بالخجل من كتابة إقرارات التوبة والخروج من الزنازين.

إنها شبكة عنكبوتية كانت تشغل وقتنا الطويل ولولاها حقًا لجننا من الصمت الرهيب. . لقد نجحت تلك الشبكة رغم أن الكل كان يمقتها بالطبع!!

**- في عام 82 ومن سجن ليمان طرة انطلق هذا الصوت:**

**صوت الخلافة الإسلامية**

بهذه الجملة التي يصرخ بها إخواننا القائمون على الإذاعة تبدأ الإذاعة المسائية وعرفنا أن هذه الجملة تقصد أول إذاعة مسائية بدأت في السجون وكان الذي بدأها هو الأخ رفاعي طه الرجل القوي والأمير العام للجماعة خارج مصر في هذا الوقت وكان له شعبية بين المعتقلين.

كان وقت الإذاعة مقدسًا حتى من الهمس. . لا يجوز الكلام فيه، وهي إذاعة يومية تمتد من صلاة المغرب إلى ما بعد العشاء ومع مرور السنوات الطوال أصبحت الإذاعة ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع.

وتتنوع برامج الإذاعة فهي برامج تربوية أو سياسية أو ثقافية أو ترفيهية وعلى سبيل المثال:

www.ibtesama.com

إشراقات نبوية - من وحي آية - نحو وعي سياسي - أيام من التاريخ - دروس وعبر - نشرة الأخبار - تليفون الخلافة - واحة الأدباء.

وهذه البرامج هي على سبيل المثال لا الحصر فقد كانت تتغير كل فترة وبالأخص حينما يتغير القائمون عليها الذين لم يكونوا من الصفوف الأولى غالبًا بل أغلبهم من الصفوف الخلفية ومن يبدون نشاطًا وحماسة زائدة.

لقد كانت الإذاعة المسائية هي المنفذ الوحيد لأدب السجون في هذه الفترة ولإبداع المسجونين من إنشاد ديني وتمثيل.. إلخ.

كنت أتمنى لو أستطيع أن أسجل بعضًا من برامج هذه الإذاعة التي كانت مثلًا رائعًا على أن الإنسان يستطيع أن يقهر المستحيل ويقهر قضبان السجون ويدون ويكتب ويخرج عملًا فنيًا رائعًا وجاءني التكليف بالإشراف على الإذاعة في عنبر 8 باعتباري مسؤول لجنة الإعلام في ملوي فترة طويلة.

كان لي هدف أن أغير شكلها التقليدي وأقدم المضمون ولكن بصورة سهلة في وقت طالت فيه السنون والأيام.. كانت برامجي تعتمد في أغلبها على فن التمثيل وأدخلت لأول مرة مسلسلًا يسمى البريء وبعض البرامج الخفيفة مثل تليفون الخلافة وهو على هيئة اتصال تليفوني بأحد الرفاق بدون سابق إعداد، واختلف البرنامج في أنه يتصل بالرفاق الذين من الصفوف الخلفية وتطورت حلقاته بأننا جعلناهم هم الذين يتصلون بالإذاعة ويطلبون الأمراء ويناقشونهم في أدق التفاصيل في العنبر وبدأت المعارضة تظهر وبدأ الضيق من إذاعتي التي حازت الإعجاب وبالأخص من المواضيع التي طرحناها مثل تاريخ منظمة التحرير وانتقاد حركة طالبان.

خرجت من الزيارة وقابلت الأخ الدكتور أسامة حميد فقال لي:

**- لو أجريت استفتاء حقيقيًا على إذاعتك لأثبت فشلها.**

**- هل هناك استفتاء حقيقي وآخر مزور؟!**

**- طبعًا**

**- وإيه السبب؟**

**- علشان الفواصل الإنشادية والتمثيل.. يا أخي احنا معتقلين سياسيين وعاوزين نقدم مادة علمية.**

**- هل أنت مقتنع أننا معتقلون سياسيون؟!**

www.ibtesama.com

**- أنا عارف طبعًا إننا منفعش سياسيين وكمان إحنا مصريين وصعايدة كمان ولكن هنعمل إيه؟!!**

لقد كنت أملك روحًا خلاقة لعمل شيء ولكنهم يريدون شيئًا آخر ولم نتفق وبقيت مستمعًا فقط إلى الإذاعة التي شكلت وعي المعتقلين ماقبل مبادرة وقف العنف.

* * *

## من برامج إذاعة صوت الخلافة

**واإســــــــلامــــــــاه**

صوت الخلافة قادم بالعز والنصر المبين

صوت الخلافة قادم ليهد طغيان الأنين

صوت الخلافة الإسلامية

صوت صوت الخلافة قادم

- أيها الإخوة فلسطين قلب العالم الإسلامي والقدس قلب فلسطين وهي تصرخ فمن يلبي النداء

- أيها الإخوة صرخة انطلقت من هناك من الجنوب اللبناني.. إنها من هناك من قانا

الصوت:

**- واإسلاماه**

نشيد:

**واإسلاماه لقد صرخت واإسلاماه — جدران الأقصى والمنبر واإسلاماه**

**جدران مساجدنا صرخت — واإسلاماه فهل تقبل**

**أن نبقى في ذلٍ أبدًا — مدًا في كفن لانعمل**

صوت:

- السجل الأسود لمذابح إسرائيل

صوت:

www.ibtesama.com

- مذبحة بلدة الشيخ التي وقعت مساء يوم 31 ديسمبر عام 47 في حالة استعداد العالم للاحتفال بالعام الجديد حيث دخلت عصابات الهاجاناه البلدة وأطلقت عليها اسم تل عنان وارتكبت مذبحة فيها.

- مذبحة دير ياسين في 10 أبريل عام 48 وقامت بها عصابات شترين والأرجون والناس نيام.

- مذبحة اللد التي نفذتها وحدة كوماندوز بقيادة موشي ديان في 11 يوليو 48 حيث قتلوا داخل المسجد 176 مصليًا.

ترتفع الآهات ويتوسطها هذا النشيد:

دمنا على أبوابكم دمنا على أبوابكم
دمنا يلوث خبزكم دمنا طلا أكوابكم
ولسوف يبقى شعبي المغوار رغم عذابكم
ولسوف يرجع للحمى زحفًا على أذنابكم
ويقيم عالمه الجديد على حطام رقابكم
فالسيف فيه شفاؤكم ورجوعكم لصوابكم

استكمال تاريخ المذابح:

**- مذبحة قليقلة - قرية قبيه 14 أكتوبر عام 53 - كفر قاسم 29 أكتوبر 56 - خان يونس 56 - صبرا وشاتيلا 82 - مذبحة الأقصى 9 أكتوبر عام 90.**

شعر:

- ربما يثقلك القيد ويفنيك العذاب
ربما يثور في نفسك يأس وتحلم أحلام السراب
قف قليلًا لاتهم وحدق
فبوابة التاريخ مليئة بالرجال
عبروها فوق دقات المطارق
عبروها فوق أحبال المشانق
عبروها وأنين الألم الراعف برق وصواعق

استكمال تاريخ المذابح:

www.ibtesama.com

- **الحرم الإبراهيمي 25 فبراير 94 - مذبحة قانا 18 أبريل 96**

صوت:

- **قلنا ونكرر**

- قلنا إن فلسطين لن تتحرر إلا بأيدي المسلمين المجاهدين

- **ونكرر أن فلسطين لن تتحرر إلا إذا اتحد المسلمون**

- قلنا إن الأقصى سيبقى مهما فعلوا

- **ونكرر أن الأقصى ينادي فمن يلبي النداء**

نشيد:

**- إلى القدس هيا نشد الرحال ندوس الطغاة نفض المحال**
**ونمحو عن الأرض فجارها بعزم الرجال وسيل النضال**
**بعزم الأسود ومجد الجدود ونار الحديد ونور الهلال**
**فهلا سمعتم ياأخوتي حنين الرمال بكاء الجبال**
**ونوح المآذن في لوعة وآه الحصى وأنين التلال**
**وشعبي الشريد يسيل دمًا ومسرى الرسول يئن اشتعال**

***

## حياتنا الجماعية وسهم النظام الذي خاب

هي حلقات ودروس سمعتها في السجن تلامس القلب وتلامس مشاكلنا.. كان يعطيها أمير السجن علي الديناري وأمير المنيا الذي لم يستمر في إمارة السجن فترة طويلة.

دروس إصلاحية تبحث عن حلّ لمشاكلنا المستعصية.

عندما كانت تشتد علينا الأيام قساوة ومللًا كنا نحاول أن نبحث عن أي شيء يجدد هذه الحياة ويقتل الوقت لتمر الساعات سريعة تلاحقها الأيام والأسابيع والشهور.

أردنا أن نعيش في عالم له قوانين وحدود وكما عاش الإنسان البدائي عند نشأة الخليقة كي يتأقلم مع الحياة ويأكل ويشرب ويدافع عن نفسه أمام العدوان هكذا فعلنا..

www.ibtesama.com

كافحنا ونظمنا ونسقنا كي نعيش ولكن كانت هناك إشكالية أمير الغرفة الذي في الغالب لا نختاره بل يختاره أمير العنبر ولعل هذه الإشكالية وهي أننا نقبل من يتولى علينا ولا نختاره كانت البدايات الأولى للمشاكل والمنطلقات الأولى للمعارضة وقد كانت سببًا لحدوث مشكلات كثيرة أرقت جميع المعتقلين على طول وعرض السجون وجعلت هناك فريقين في كل غرفة وزنزانة.

الفريق الأول يقبل كل ما يملى عليه وهذا إما نابع من بحث العمل الجماعي وقضية السمع والطاعة وإما نابع من ظروف الغرفة الضيقة والصراعات على رغيف العيش أو الدور في دورة المياه والاستحمام أو مكان النوم والفرش إلخ التي تساهم في هذا الأمر وأما الفريق الآخر فكان منهم الذي يعارض من أجل المعارضة أو يعارض من أجل التقويم والإصلاح.

وإني أشهد أن عددًا ليس بالقليل من الأمراء كانوا على مستوى مايناط بهم ويعملون لخير الناس وصالحهم ولكننا جزء من التاريخ. . التاريخ الذي يشهد على أن هناك نفوسًا بشرية تبحث عن شيء لذاتها وتبحث عن المكانة والظهور وهو المرض العضال الذي استشرى وانتشر.

الأخ علي الديناري كنت أعرفه منذ زمن بعيد وأعرف أنه مسؤول لجنة التربية للجماعة في مصر وقد أخطأت إدارة السجن حين قامت بعزله وعزل الأمراء في عنبر خاص بهم. . لقد أعطتهم بريقًا زائدًا وإن كانت حجزتهم عن أتباعهم ليكونوا فريسة للمشاكل وغياب الموجه فإنها جعلت المشايخ المعزولين مثل أنبياء العهد القديم.

وأذكر أنه فجأة وبدون سابق إنذار قاموا بعزل الإخوة مرضى الدرن فلم يجدوا غير عنبر 12 فوضعوهم مع القيادات المعزولة. . عرفت بعضًا منا ادعوا المرض من أجل أن يكلموا المشايخ هناك من على شبابيك الزنازين. . تحليلي الشخصي أن عزل المرضى في هذا التوقيت كان الغرض منه رسالة إلى مشايخ الليمان بحالة الإخوة السيئة داخل السجون حتى يبحثوا عن حل للأزمة المتصاعدة في العنف مع الدولة. .لقد كان المشايخ في هذا التوقيت يفكرون بجد في إطلاق المبادرة التي يمكن أن تسهم في حل مشكلة العنف مع الدولة وهذه الحالة السيئة للمعتقلين.

فوجئت إدارة السجن أن عدد المرضى وصل إلى 600 مما اضطرهم لنقل الأمراء وتوزيعهم على العنابر وكان من نصيبنا أبو رضوان علي الديناري وخسر الذين ذهبوا إلى

www.ibtesama.com

هناك فراحوا يبحثون عن حل يرجعهم إلى عنابرهم وينجيهم من الحياة بين المرضى.

الأخ علي الديناري منذ وصل وهو يشرح لنا في الدروس المسائية عن حياتنا الجماعية وكيف تكون؟

قال:

- إنها ليس لها حل إلا إذا فتحت أبواب السجون وكل مانفعله هو حلول موضعية

وفسر معنى الحياة وكيفية التعايش ومعنى التضامن الاجتماعي والتكافل الحقيقي وكيف تكون الحياة الفضلى والاقتداء بالنبي ﷺ.

كنا نتابع الدروس بشغف وفتح الله على الرجل فأنهى كثيرًا من الخلافات بين جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية وهي الغالبية من المعتقلين ووضع أسسًا للتعامل قائلًا:

- إذا كانت أغلب الغرف من الجهاد وهذا نادر فأمير الغرفة من الجهاد والعكس وكذلك الإمامة في الصلاة.

وقال لإخوة الجماعة الذين يرأسهم أن يسمعوا ويطيعوا لإخوة الجهاد وأنهى المشاكل على صلاة الفجر التي تؤرقنا مشاكلها حيث كان يعتقد أتباع جماعة الجهاد وطلائع الفتح أهم فصائلهم والسلفيون أن وقت أذان الفجر خاطىء فكانوا ينتظرون بعد الأذان مقدار ثلث الساعة ويؤذنون من جديد وهكذا تحدث المعارك بين الذين يريدون أن يصلوا والذين لا يريدون.

دعا الأخ الديناري الإخوة أن ينتظروا الآخرين حتى يحافظ على وحدة الزنازين في الصلاة وبدأ بإجراء المسابقات في نظافة الغرف وبدأ يسألهم عن النظافة والنظام معتمدًا على الثقة بمن يجيبون ويسأل كذلك مسؤولي المطابخ كم مرة أعدوا عصير السكر بالماء للإخوة في اليوم الواحد وكان يعطي الجوائز لمن يعدون عصائر أكثر.

لقد لمس الأخ أبو رضوان مشاكلنا وعرف أن حياتنا الجماعية من صلاة ودروس ودورة مياه.. إلخ هي أم المشاكل وأن المشاكل الفكرية هي آخر شيء نفكر فيه وأن حل غالبية مشاكلنا يكمن في وضع أسس لحياتنا الجماعية وتمر الفترات الزمنية ببطء وصدق الذي قال طوبى لمن فهم زمانه ثم استقام عليه.. الأوامر تأتي من عنبر القائد الديناري بإلقاء المخالفات والتخلص منها ومعاملة المخالفين في الفكر بالحوار والتفاهم ومنع المقاطعات والأوامر تأتي من مكان آخر بعكس ما يقال.. تمر الأوراق ولا نعرف ما الذي يجري؟! ولكن كان واضحًا أن هناك أميرين للسجن!!

www.ibtesama.com

جاءنا الحبل الممدود بثلاث ورقات كبيرات مكتوب في الأولى أسئلة وأجوبة حول الجماعة:

ما معنى الصراع؟

**- هو الخلاف بين أيدولوجيتين لابقاء لإحداهما في وجود الأخرى ولا التقاء بينهما وعلى هذا فلا التقاء بيننا وبين العلمانيين في منتصف الطريق.**

هل كتاب حتمية المواجهة استعجل الصراع مع الحكومة؟

**- لم يستعجل الكتاب الصراع مع الحكومة ولكن الصراع كان قادمًا مهما كانت الظروف وهذه سنة كونية وتاريخية وحتمية شرعية بين الحق والباطل ونحن حاولنا أن نبتعد عن الصراع ولكن الدولة كانت تضع العراقيل.**

هل الإخوة لها فعلًا جناح عسكري؟

**- لديها جناح منتشر في الخمس قارات يقوده إعلاميًا وإداريًا الشيخ أبو طلال القاسمي طلعت فؤاد قاسم وعسكريًا الشيخ مصطفى حمزة والشيخ رفاعي طه.**

الورقة الثانية فهي الشؤون القانونية داخل الجماعة وفيها يتحدث كاتبها محمد يحيى عن مجلس شورى الجماعة داخل مصر وخارجها وكيف يتخذ القرار بالإجماع وعن الصف الثاني داخل الجماعة ومنهم طلعت ياسين وصفوت عبد الغني وممدوح علي يوسف وعلي الديناري وأحمد عبده ومحمد يحيى ولا يجوز أن يعزل أي واحد منهم أو يحاسب إلا من خلال مجلش الشورى الكبير الذي يرأسه كرم وناجح وعبود الزمر.

والورقة الثالثة بعنوان تنبيهات هامة وهي:

**يمنع منعًا باتًا لعب هذه التمرينات في طابور الصباح وإلا اعتبر من خالف ليس من الجماعة والتمرينات هي التي بها هز للوسط.**

**يمنع في العنابر قراءة الأحاديث التي بها أسماء صحابيات حفاظًا على عدم تذكر الإخوة لزوجاتهم ويمنع أن يكنى أحد الإخوة بكنى الحريم مثل أبو سمية وأبو أسماء.. إلخ.**

**يمنع الأكل الخاص وتقطيع العيش في المجموعات.**

**الرباط أمر واجب على الإخوة.**

الورقات الثلاث تعني أشياء محددة وتريد أن تصل بنا إلى شيء واحد أن هناك أميرًا

www.ibtesama.com

للسجن له أفكار معينة يريد أن يؤكدها ويريد أن يؤكد أنه لايجوز محاسبته من معتقلي السجن.

نتيجة الورقات الثلاث مزيد من الضرب والمقاطعات وإثارة المشاكل مع السلفيين وأتباع جماعة الجهاد حول الأحقية في الإمامة والأذان وإمارة الزنازين.

الأخطر هو انقسام السجن إلى قيادتين وأميرين آثر أحدهما وهو علي الديناري التخلي عن الإمارة حفاظًا على وحدة الصف في هذه المرحلة الحساسة التي سبقت المبادرة بأشهر قليلة.

أمواج الشك والريبة انتابتنا وانتابت عددًا ليس بالقليل حتى أن الموالين وشديدي الانتماء أثارتهم هذه الأمور التي وصلت إلى حد مقاطعة أمراء كبار مثل مصطفى حسين تحت دعوى اتهامه بسب الجماعة وانتقادها وارتكابه لجريمة أخلاقية وكان القرار يقضي بمعاقبة كل من يتحدث معه.

كان لا بد من المراجعة بعد أن وصلت بنا هذه الأمور إلى طريق مسدود وحدثت في بعض الأحيان اشتباكات بين بعض القادة بالأيدي والأرجل والسب والقذف.

لم ينته الأمر إلا بعد أن وصلت رسالة من مشايخ الليمان ومجلس شورى الجماعة إلى سجن الوادي [**بعد الكلام الذي وصل إلينا بالتواتر فقد قرر مجلس شورى الجماعة بالإجماع عزل م.ي وعدم توليته أي مناصب قيادية داخل الجماعة إلى حين التحقيق معه**].

لم يستمر الوقت ولا الكلام كثيرًا فقد كانت المبادرة على الأبواب.!!

عزل الديناري نفسه خوفًا من انقسام السجن بينه وبين يحيى وكتب إبراهيم ياسين التوبة سهم النظام الذي خاب في عدة ورقات ملونة من كرتون علب الجبنة الفيتا والعجيب كيف كتبت ورسمت بهذا الشكل الجميل.. كانت ترن الكلمات في الأذهان ولم أشغل لها بالًا كما لم أشغل بالي بإقرارات التوبة ولا التائبين الذين وافقوا على كتابة هذا الإقرار:

[أقر أنا فلان ابن فلان أني بريء من أي أعمال إرهابية وأني أحترم الدولة وأحترم كلام علماء الأزهر الشريف وهذا إقرار مني بذلك].

كان يعني لنا الإقرار في بداية الأمر أنه النكوص عن الطريق والتساقط على درب

www.ibtesama.com

الدعوة إلى الله ولو سمي هذا الإقرار باسم آخر غير التوبة ما كان خجل منه الكثيرون!!

ولن أنسى يوم خرج أول فوج للتائبين إلى مزرعة طرة وعلى رأسهم حسن الهلاوي وعبد الله بدر حين أشار الأمير للإخوة فهتفوا منشدين:

ياحماة الدين حي على الجهاد إن التائبين قد باعوا البلاد

ولكن هل الذين تابوا هم من باعوا البلاد؟!!

وأي بلاد تلك التي باعها المساكين؟!!

على كلّ كانت تلك نظرتنا إليهم في ذاك الوقت.

منذ أول فوج ذهب من التائبين إلى سجن المزرعة المريح لم يفرج عن أي منهم لأن بسطاوي وبدراوي ورفاقهما كتبوا إقرارات توبة وخرجوا ليضربوا عربات السياحة ومن ثم قبض عليهما ونفذ فيهما حكم الإعدام.

وتأكدنا أن أحدًا لن يفرج عنه منا بعد ذلك حتى لو كتب ألف إقرار للتوبة وأصبح الذين يكتبون تلك الإقرارات لهم هدف واحد هو الهروب من جحيم المشاكل وزنازين الجماعة وحياتنا الجماعية إلى الحياة الفردية بلا أمير أو وزير بالإضافة إلى الامتيازات الأخرى مثل الكهرباء وزيادة وقت الزيارة.

كل الذين لم يكتبوا التوبة كانوا يفكرون وأنا أولهم في بلدياتهم الذين حولهم في الزنازين حين يخرجون من السجون بعد أشهر أو سنين ويكونون وجهًا لوجه فيقولون لهم إنكم من التائبين ولم تستطيعوا أن تصبروا مثلنا نحن الرجال.. أليست هذه هي عقلية الصعايدة؟!

وبعد أن دارت السنون والأيام ونحن قابعون في أماكننا ازداد عدد التائبين وأصبح لهم عنبر فعنبران.. إلخ إلخ.

الأسئلة التي تدور لماذا يزداد عدد التائبين برغم أنهم لا يفرج عنهم؟! هل مشاكل الزنازين والشبكة العنكبوتية من الأمراء وأعوانهم أم الرغبة في التغيير أم مشكلة ثبات التسكين في مكان واحد لسنين طويلة؟!

لقد قابلت الأخ (م.ا) من مدينة ببا وكان من قياداتها في الجماعة وحكى لي وأقسم أنه سيحاول بعد الرجوع من إفراجه في فرق الأمن أن يغير زنزانته المليئة بالمشاكل وإن لم يقدر فهو سيذهب إلى عنبر التائبين وفعلًا ذهب إلى هناك وقابلناه بعد المبادرة ولم يكن نادمًا.

www.ibtesama.com

وصدرت القرارات من أمراء السجن بمنع الكلام مع من يكتبون التوبة ومقاطعتهم وعدم الجلوس معهم في الإفراجات وأصيب السجن بحالة من الهوس في الدروس عن الصبر والثبات وكانت الجملة الدائمة عن أي شيء نتوب؟! ومن هو الذي يتوب؟!

جاءني العم (ح.م) من نجع حمادي وجلس بجواري هامسًا أن الإخوة يقولون إن كتابة التوبة حرام وحكى لي عن ظروفه العائلية فقلت له لاحل لك إلا بالخروج لكتابة التوبة.

خرج الرجل ولملم حاجاته وكانت وجوهنا إلى الحائط وخجل الرجل أن يسلم علينا وخجلنا أن نسلم عليه.

لا نعرف ماذا كان سيجري لو جعلوا التائبين يسكنون معنا في الغرف نفسها؟! أو ماذا سيجري لو أفرجوا عن كل من يكتب التوبة مباشرة؟!

***

## زيارة سيادة الأمير

جاءتنا الأوامر أن أمير السجن وأمراء العنابر وأمراء المراكز ومجلس شورى السجن كلهم.سيزورون عنبرنا من أجل متابعة أعمال النظافة والنظام.. عددهم سيكون كبيرًا.. انتظرنا من أجل استقبال الضيوف الذين يسكنون في عنبر مجاورٍ لنا وكان معنا من لايفهمون ماهو الفرق بين أمراء السجن وأمراء المراكز وتلك الأسماء التنظيمية الكثيرة.

وقف الرفاق صفوفًا لاستقبال الضيوف.. لافرق كبيرًا بين مسؤولي الدولة الذين يفتتحون أحد المشروعات أو أحد المصانع وحفلات الاستقبال التي تجري لهم ورسائل النفاق التي تصل إليهم ومايجري بيننا.. لم تكن هذه الصورة وصورة أحد المعتقلين الذين يقبلون يد أحد مشايخهم إبان ندوات مبادرة وقف العنف إلا صورة عن مدى تقديسنا.. هذا التقديس الذي دفعنا للتراجع عن أفكارنا الخاطئة بصورة سريعة وغريبة.

بدون التقديس لم يكن هناك جماعة مترابطة أو نظام هيكلي داخل هذه الجماعة لأن الجماعة نجحت في أن تصنع حول قادتها هالة دعائية كبيرة لتجعل أفرادها مترابطين تمامًا حول القادة ومن ثم حول الجماعة التي يقودها هؤلاء الأفراد.

لقد كانت قيادتنا التنظيمية بصفة عامة وكنا نحن بصفة خاصة الجيل الثالث أو الرابع

www.ibtesama.com

في الجماعة نبدو كأبطالٍ في تحطيم الأقنعة وكنا في عيون الآخرين الأقل تنظيمًا من جيل الطلبة الصغار أجمل من قصور غرناطة ولكن هذه القصور إذا اقتربت منها وجدتها مليئة بالصخور والجحور.

بنظرة سريعة إلى التجنيد في الجماعة الإسلامية تحديدًا سنرى أنه كان يتم بصورة عشوائية وليس بصورة فئوية تهتم بفئات معينة وهذه الطريقة العشوائية كان من نتاجها أفراد أقل مايقال بشأنهم أنهم يتميزون بالجهل الشديد وهذا هو الذي كان عاملًا أساسيًا في تقديس القادة الذين كانوا هم المبصرين بين العميان.

الكتيبات والأبحاث كانت عبارة عن أقوال منقولة من كتب ابن تيمية وابن القيم وكان أفراد الجماعة يظنون أن الكتيبات هي كل شيء عن هذه الجماعة ولكنها كانت مجرد تعميمات لا تختلف كثيرًا عما يعتقده أي مسلم.

ويتلقى الأفراد هذه الكتيبات فتترك أثرًا في نفوسهم على أن كاتبيها من علماء الأمة مما أسقط علماء آخرين ومحا من الذاكرة دعاة آخرين.

إن هذه الأسباب مجتمعة وهي الجهل مع الهالة الدعائية هي التي جعلتنا لانقبل أي شيء إلا من مشايخنا وهذا كان يتضح حينما تتعارض فتاوى بعض العلماء مع أحد المشايخ فكان لايقبل إلا فتاوى المشايخ وكنت إذا أردت أن تقنع أحد الأفراد بأي رأي تقول له إنني سمعت أو رأيت أحد المشايخ فعل ذلك.

ونصبر الناس في السجون بأن ناجح إبراهيم وهو في ليمان طرة كل يوم يجهز شنطة هدومه ويضعها خلف باب الزنزانة لأنه يعتقد أن الإفراج يأتي فجأة!!

وأذكر أنني كنت أضع دبلة من الفضة في يدي فاعترض علي أحدهم فلما قلت له إن أحد المشايخ يضع دبلة في إصبعه سكت!!

كانت تحدث مشكلات متعددة بسبب أن أحدهم قال عن ناجح ناجح فقط دون كلمة شيخ والغريب أنك تقول أبو بكر أو عمر دون أي لقب فلا يعترض أحد!!

لم يكن التقديس لعقيدة أو خلافه وإنما كان التقديس لأفراد وهذا نتج منه تقديم أهل الثقة على أهل الخبرة كما كانت الجماعة يتملكها فساد سلطوي وإداري ولم أر صراعًا أو مشكلة بين أفراد الجماعة إلا كان الصراع على الإمارة هو أحد أهم أسبابها رغم أن الإمارة ليست قيمة محورية بل هي أمانة ومسؤولية أمام الله أولًا ثم أمام المجتمع وأذكر قول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى حينما قال: (**إن الذين يحرصون على الإمارة**

www.ibtesama.com

**أصحاب كبرياء مفتعلة)** نعم كبرياء مفتعلة في طريقة الكلام أو الملابس أو في التعامل على جميع المستويات.

لم يكن هناك هيكل تنظيمي بالمعنى المفهوم بل كان الهيكل عبارة عن تقديم الموالين الذين يقدسون مشايخهم، وهذا أدى إلى تنافسات إدارية ليست بالمعنى المفهوم بقدر ما هي تنافس من أجل التقديس وتقديم الولاء تحت مبدأ السمع والطاعة.

أدى التقديس إلى طرح مفهوم جديد في الحركات الإسلامية وهو مصلحة قادة الجماعة تقدم على مصلحة الجماعة وهذا المبدأ تفعله حماس بشكل أوسع بمعنى مصلحة حماس فوق الشعب الفلسطيني هذا ما دفع الأفراد إلى تقديم أرواحهم فداءً لمشايخهم وهذا هو السبب الرئيسي في أحداث العنف وهو الدفاع عن قادة الجماعة أمام اعتقالات الحكومة واغتيالاتها بدءًا من اعتقال علاء محيي الدين المتحدث الرسمي باسم الجماعة عام 90 إلى الأحداث التي تواصلت حتى مبادرة وقف العنف التي أنهت هذه المسائل.

وتظل هذه الوجوه التي تجيء وتروح ترسم ماكان مغمورًا في قلبي أننا كنا منساقين فترة طويلة من عمرنا وأننا لن نخرج من ذلك إلا بالحرية من السجون.. أنا سمعت صوتًا بجواري يومئذ يقول:

**- كل دول أمراء وقادة صدق المثل الذي يقول قيراط أرض وفدان عمد.**

* * *

## أحلام أون لاين

لأن الإنسان في مجتمع ليس له فيه حق الإرادة والحرية فإنه يستخدم هذين الحقين وهما عالم الرؤى والأحلام لأنهما يتعديان حدود المكان والزمان ويكسران جمودهما ويأتيان بمواضيع جديدة وإن كانت جميعها غير مجدية فهي مادة للحوار داخل الغرف.

لا تجد مكانًا فيه اثنان إلا ثالثهما هو الرؤية والحلم يفسرونه معًا.. كانت الحوارات جميلة وشيقة لأن التفسيرات مرتبطة بالفرج والخروج من الأزمة والأسر وما يرتبط بذلك من مفردات.

الخروج من الصلاة عند مفسري السجون والتسليم من الصلاة وكذلك الخروج من المستشفى إفراج بإذن الله!!!

www.ibtesama.com

ركوب السيارة للأخ الأعزب زواج بإذن الله وأما أكل البطيخ والشمام زيارة للأهل وأكل المانج نجاة من المحنة!!

بعض الإخوة يرون أن فلانًا نال إفراجًا وجوبيًا أي إلى فرق الأمن ثم يعود فتتحقق تلك الرؤية أو يرى تفتيشًا للسجن فتقع كذلك كما هي!!!

ليس بمعجزٍ أن تتحقق بعض الرؤى والأحلام فقد رأى فرعون الرؤيا فتحققت وكذلك رأى يوسف نبي الله وتحققت كذلك ولكن المشكلة فيمن يرى الرؤيا ويبني عليها حكمًا شرعيًا بأن يفعل هذا ويترك ذاك.

كانت فلسفة الرؤى والتفكير في الأحلام معقدة تمامًا ولكنها أصبحت واقعًا وجزءًا من حياتنا المعقدة كذلك على اعتبار أنها من المبشرات.

وكانت الرؤى أحيانًا لا تخلو من فكاهة أو طرافة وأذكر أن أحد الإخوة رأى حمارين في الزنزانة سيزوران وبعد أن قصها على ملأ جاءت الزيارة ونفاجأ بالشاويش يقول:

- فين الحمار اللي هيطلع زيارة؟

ضحكت وقلت يارب مكنش أنا الحمار اللي هيزور.

وأذكر كذلك عزل ذوي الدرن في عنبر خاص حتى لايختلطوا بالأصحاء والخوف الذي انتشر من مرض السل والدرن حتى رأى أحد الرفاق في منامه أنه يركب حمارًا فأوقعه الحمار على الأرض فقال له الأخ المريض:

- لماذا أوقعتني؟!

فرد عليه الحمار قائلًا:

- لأنك مريض بالدرن.

وانتشر مفسرو الرؤى والأحلام في السجن.

لا أدرى لماذا لم ير أحد من المعتقلين رؤية واحدة عن مبادرة وقف العنف ولماذا لم يتوقع أحد من مفسري الأحلام ذلك.. الله أعلم!!!

المشكلة في تفسير الأحلام ليست عندنا وحدنا فلقد وجدت بعد خروجي من الاعتقال قنوات فضائية تفرد برامج كاملة للأحلام!!

كنا نمد الحبال بين الزنازين لكي نرسل رسالة إلى مفسري الأحلام تريح بالنا وقد حاولت إدارة السجن بكل ما أوتيت من قوة أن تمنع الحبال المشدودة بين الغرف

www.ibtesama.com

والزنازين ولم تقدر.. منعوا الملابس والغيارات الداخلية أن تدخل السجن لأن الحبال التي نفتلها هي من ملابسنا الداخلية فصنعناها من أكياس البلاستيك التي تدخل فيها أطعمة الزيارة فمنعوها كذلك والرسائل الرايحة والجاية لم تنقطع من بعد صلاة العصر إلى المغرب وقد تطول للإخوة مسؤولي الغرف والعنابر.

فتشوا عن ورق الجبنة الذي نكتب عليه وزادت التفتيشات وأصبحت كل يومين أو ثلاثة أيام بحثًا عن رسالة وبالأخص رسائل إخواننا الكبار المكتوب عليها تمرر ولا تقف.

إخواننا الذين يعملون على الشبابيك وينقلون الرسائل إذا رأوا جملة تمرر ولا تقف أوصلوا الرسالة بأقصى سرعة حتى لو تأخر الوقت بهم إلى منتصف الليل.

أخذنا نقلدهم ونكتب هذه الجملة ولكنهم كانوا يغيرون الشفرة كل فترة.. الحبال المشدودة والاتصالات والضوضاء كانت تشد أعصابنا.. الرسائل تكاد تتشابه والهدايا المصاحبة لها هي بعينها عبارة عن بسكوت الشمعدان الذي نشتريه من الكنتين.

الشمعدان رايح جاي من الأخ فلان إلى علان وعلان يرسل الهدية ذاتها إلى فلان آخر أو يرسل حلمًا يريد تفسيره.. المشكلة الأساسية في كيفية الحصول على ورق أو سن قلم رصاص فهذه الأشياء مؤممة أي تحت سيطرة المسؤولين الذين يحضرونها بطرقهم الخاصة من الجنائيين والشاويشية الذين يسيل لعابهم لفلوسنا التي نهربها وندخلها إلى السجن بطرق معقدة.

يقسم أمير الغرفة القلم الرصاص إلى أسنان صغيرة جدًا وكان هو الوحيد الذي يملك حق إعطائها لأي فرد في الغرفة وكان هذا من أسباب المشاكل أيضًا.

كنا نحاول أن نذلل العقبات أمام إرسال رسائلنا ولكننا فوجئنا أن أمراء العنابر يفتشون الرسائل ويقرأونها وبالذات رسائل تنظيم الجهاد وطلائع الفتح والتكفيريين.

قال لنا أكثر من مسؤول وأمير إنهم وجدوا أن أكثر من ترسل إليهم الرسائل والهدايا هم من صغار السن من إخوتنا ووجدوا رسائل غرام وأنا لا أفسر ذلك بهذا الشكل أبدًا ولكن تفسيري أن مثل هذه الرسائل تعبر عن حالة من الحرمان وفقد الثقة لقد كانت حالة غليظة وقاسية احتفظنا ببعض منها ووجدنا بعض مرور السنين أن رسائل كثيرة بنظرية المؤامرة قد فسرت على أنها حالات من الارتباط والتعلق والعشق بين الأقران ولم تفسر على أنها حالة من حالات الاحتماء واللجوء إلى الصداقة في المحنة والارتباط الأخوي.

www.ibtesama.com

وصدرت القرارات من أمراء السجن بمراقبة الصادر والوارد من الرسائل ومنع الهدايا إلا في الأعياد والمناسبات الرسمية للجماعة!!

فبرغم اهتمام الجماعة بأفرادها الذين هم في سن المراهقة واعتبارهم أبطالها وتقديمها لهم في المجال العسكري وتقديسهم ونسج الأساطير حول شجاعتهم في الأعمال القتالية إلا أن الجماعة داخل السجون تسيطر عليهم سيطرة تامة وتحوط أبناءها بسياج من الحرص الزائد تحت مزاعم الحفاظ عليهم من أفكار الجهاديين والتكفيريين وتحت مزاعم خطورة الوضع في الأماكن المغلقة وعدم إعطائهم أي فرصة للتعبير عن ذواتهم وتوجهاتهم واعتبارهم أطفالًا يتحركون بين العصا والجزرة مما جعل هؤلاء الشباب طفوليين في حركاتهم في هذه الحياة غير الطبيعية ورغم سهولة التخلص من هذه الأمور إلا أن التكوين الفكري الذي كون العقلية التي تؤمن بطاعة الأمير والسمع والطاعة هو الذي جعلهم لا ينخلعون منها وجعل الأمراء يراقبون رسائلهم ويسمونها رسائل الغرام.

أذكر أن أحدهم من محافظة سوهاج رأيته يلبس سترتين في عز الحر من قماش الكتان السميك ويلبس بنطلونين فسألته فقال لي:

**- الأخ المسؤول هو الذي نبه علينا بذلك.**

قلت:

**- ألاّ يخلع أحدكم قميصه أمامنا ويبدو عريانًا فهذا شيء طبيعي وأن لا يبدي جسده فهذا وارد ولكن أنت بهذه الطريقة شاذ.**

كان الصغار، ولا أعرف إن كانت الكلمة صحيحة أم لا؟ فأقلهم عمرًا كان يزيد على السبعة عشر عامًا.. كان هؤلاء يفرحون ويعتبرون هذا اهتمامًا من الجماعة بهم وكان الآخرون يمدحونهم لسمعهم وطاعتهم وتنفيذهم للأوامر ويقولون الأخ فلان شجاع لأنه ضرب فلانًا من أجل أمير الزنزانة ومن أجل الشيخ فلان واستطاع أمراء الغرف نشر هذه المؤثرات وأخرجوا بابًا من الفقه يسمى سد الذرائع وجعلوا لأي شاب صغير السن مكانًا محددًا للنوم بجوار أخ أمير أو متزوج بل فرضوا عليه أن يخيط غطاءه كشوال أو عباءة ليدخل فيها ساعة النوم وكذلك ألا يقعد ساعة الطعام بجوار من هو في سنه نفسها.

مع تحسن الأحوال في السجون استطاع الأمراء أن يجعلوا هناك عدة غرف لهؤلاء سموها غرف الشريحة يسكن فيها من هم في عمر 16 إلى 25 شرط أن يعرفه المسؤولون

www.ibtesama.com

الأمراء وأن يكون الأخ جذابًا وفاتنًا وإلا فليس هناك داعٍ لعزله في غرف الشريحة ومراقبة رسائله وأحلامه!!!

*** 

## رسائل الغرام

ما أروع أن يتألم الإنسان من أجل أن يتعلم فهذا الألم يكون بمثابة طاقة النور وبصيص الأمل الذي ينقلنا إلى الطريق السليم والمسار الصحيح.

عندما يتألم إنسان ترتفع عنه أشياء كثيرة.. يرتفع عنه الغرور والعجب.. عندما يتألم إنسان تنطفىء منه غلالات الحقد والغضب إذا علم أنها هي التي تجره إلى هذا الألم.

إن هذا الألم يطفىء كثيرًا من نيران الجهل بل إنه يكون في أحيان كثيرة دعوة للتأمل والتفكير والتدبر.

ما الذي جرني إلى هذا الألم، وما الذي دفعني إلى أن أكتوي بناره وساقني إليه؟

ما الذي يرفعه عني وينجيني من ويلاته؟

ما هو السبيل لتفاديه إذا كان بمقدوري، وإذا كان تفاديه لايغضب ربي ولايصطدم بعقيدتي؟

إن الألم ناقوس وجرس إنذار بأن هناك خطأ يجب تداركه وصعب أن تصدق ويستحيل أن تقول إن هناك الكثير قد صححوا مسارهم وعالجوا أخطاءهم بسبب الألم. بل إن الألم هو النبض الحساس لإصلاح المسار والوصول إلى بر الأمان.

مع الألم كانت رسائلي ورسائلهم التي تمر عبر القضبان في الحبال الممدودة بين شبابيك الغرف بل تنتقل عبر طرق غير شرعية وملتوية إلى سجون أخرى في الترحيلات أو الزيارات لتعبر عن حالتنا فترة ماقبل مبادرة وقف العنف بل وبعدها.

أخذت أقلب في رسائلي التي بقيت فوقعت في يدي قصيدتي التي كتبتها في يوم عيد بسجن الوادي الجديد:

أقبل العيد علينا في سجون مقفرة      قد علا ركب الأعادي جولة لن تظفره
يا أخي قم لاتبالِ عيدنا في الآخرة

www.ibtesama.com

فتذكرت لتوي دمع أمي الصابرة وهي ترقب وقع خطوي يوم عيد ساهرة
لما شق البعد تبكي وتولي مدبرة
ويضم الحزن زوجي والأماني الغائرة صورتي حرًا لتزهو ثم تغفو الخاطرة
فتخبىء عن جيرانٍ دمع عين حائرة
ولإسراء الصغيرة تلك ذكرى عاطرة وهي تزهو يوم عيد في الأماني الناضرة
غاب من يحنو عليها في ظلال الهاجرة
فتنبهت لصوت ردني للحاضرة إنه صوت رفيقي قائلًا في تذكرة
عيدهم دنيا ولكن عيدنا في الآخرة

كانت رسائلي إلى هذا الجبل الذي كان يصمد أمام الرياح والذي يواجه الزوابع.. البعد والحرمان والمنع من الزيارات وقلة الزاد ووعثاء السفر.. منال التي كانت قادرة على الاحتمال هي وكل الزوجات اللاتي صبرن وصمدن صمود الجبال الرواسي لأن لديهن نبرة التحدي فإذا صادفهن إعصار صاروا هنَّ الإعصار وإذا واجهتهن عاصفة كنَّ أقوى من العاصفة.

* كتبت ليلة الأحد الساعة العاشرة الموافق 31 أغسطس 2003 ما يلي:

**(لماذا تتعذبين؟ أنا لا أملك لك سوى الدعاء.. الشمس دائمًا في شروق وغروب وهذه هي الحياة التي تبدلت في أعيننا.. أنت ياحبيبتي شمس غاربة عن العين ولكنك في اللحظة نفسها مشرقة مع النفس.**

**أشعر أن قلبك يتمزق ولكنك لاتحنين رأسك.. إني أتلذذ باستسلامك الكامل لقدر ربك وتجلدك في مواجهة المحن.**

**وتمام سعادتي أني عرفت أن حبنا هو الذي أعطانا المناعة والقوة.. إننا نحس أننا معًا أقوى من العقبات فقد استطاع حبنا أن يقاوم أهوال الفراق والحرمان وانقطاع الأخبار وأعتقد أنه قادر على أن يكمل الطريق لأنه ولد ليقاوم.**

* في رسالة أخرى كتبت قائلًا:

**(لماذا أصبحت لوحدي غريبًا مثل طائر النورس الجميل وهو يحلق فوق بحر مضطرب الأمواج.. يفرد جناحيه وكأنه يملك الدنيا.. عند غروب الشمس يحلق.. إنها قصة أسطورية من العذاب**

www.ibtesama.com

مـادمـت حـيًـا فـي الـسـجـون ... فلسوف تقتلني الأماني والشجون
وسـأرى مـن خـلـف الـجـدار ... عـويـل الـلـيـل يـقـتـحـم الـحـصـون
لا الـشـمـس تـشـرق فـوقـنـا ... ولا الـنـور يـكـسـو خـضـرة الـزيـتـون
وأرى الأرض تـحـكـي لـهـفـتـي ... وضـوء الـصـبـح نـارًا فـي الـعـيـون
وتذوب دومًا فرحتي والحزن يشعل ... مقلتي ينساب من صدري الحنون
فـلـسـوف أذكـر الأيـام ... وأطـل مـن خـلـف الـحـصـون
في الحدائق في الأغاني في المطاعم ... حين يهفو الطير للأوطان مادمت حيًا في السجون

* في يوم الجمعة 26 مارس 2004 كتبت لمنال قائلًا :

(. . . . . . هل تعرفين أنني قرأت في خلال الأيام الماضية أكثر من كتاب أولها تاريخ الحملة الفرنسية للجبرتي وثقافة المسلم لعبد الحليم عويس والمفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل لهيكل والقرآن والسلطان لفهمي هويدي وفي هذه الليلة قرأت كتاب مجرد ذكريات لأحد الشيوعيين في مصر وهو رفعت السعيد وقد سجن هذا الرجل مثلي بل سجنت زوجته ليلى وخرج وعمل في الصحافة والحقيقة أنني استفدت من هذا الكتاب جدًا وأرجو أن أكرر تجربة الرجل في العمل بالصحافة يقول رفعت السعيد كنت أجلس عند سور السجن لوحدي وكان المسجونون يقولون إنه تعبان نفسيًا ولكنني طلبت من أهلي الموسوعة الفلسفية بالإنجليزية وواحدة بالعربية وكنت أترجم حتى تعلمت الإنجليزية وخرجت فعملت مترجمًا والغريب يامنال أنني حاولت أن أعمل كما عمل رفعت السعيد ففشلت فشلًا ذريعًا فظروفنا غير ظروف رفعت. . الذين حولي هنا لا يساعدونني وهم في نظري مجموعة من الأغبياء.

ونسيت أن أقول إنني منذ أربعة عشر يومًا أساعد أحد أصدقائي على تحضير رسالة ماجستير في تجديد الخطاب الديني.

اليوم الجمعة صنعنا دولاب خشب ومكتبة صغيرة واشتغلنا من الصبح إلى العصر في تركيب الدولاب وتنظيف الغرفة ولكن ذلك ذكرني بالمستشفيات ومهما فعلنا فالزنزانة زنزانة وطبعًا بعد الذي حكيته أنت تتصورين أنني لا أفكر في الخروج ولا يوجد أمل ولكن صدقيني سأخرج قريبًا وقد وعدنا مسؤول ملف التطرف في أمن الدولة بدفعة إفراج لعدد كبير قريبًا).

www.ibtesama.com

كان ينبغي لنا ألا ندون رسائلنا فقط بل ندون الأخطاء ونذهب إلى حد بناء تصورات فاعلة بديلة تتخطى التدوين الإجمالي للأخطاء لعل ذلك يرفع المعاناة التراجيدية عن نفوسنا.

إن ذلك يجعلنا ننجح في الوثوب خارج زنزانة المفهوم المهيمن وهو استعادة الحرية وسنهرب ساعتئذ من ماضينا إذا كانت الحياة ذات خطين متوازيين برغم تناقضهما وهكذا ستصبح خطًا واحدًا.

ولقد نجحت أن أفعل ذلك وبدأت في كتابة روايتي التي نشرت فيما بعد حينما عكست بمرايا مصغرة صورة معاناتي السابقة وفواجعي القديمة في التاريخ القديم الذي لم يكن قد انتهى بعد.

* * *

## رجال الليل

يهتف المنادي:

يـــا رجـــال الـــلـــيـــل جـدوا رب صـــوت لا يـــرد
لا يـــقـــوم الـــلـــيـــل إلا مـــن لـــه عـــزم وجـــد

وتكرر الآيات كل يوم في ميعاد محدد توقظ النيام من غفلتهم فمنا من يقوم ومنا من لم يكن ينام في الليل أصلًا لأنه يصلي بالليل.

الصورة الرائعة لقيام الليل حقيقة وليست خيالًا.. الغالبية تقوم الليل وتصلي بالليل لله وآخرون لاينامون بعد الفجر إلا حينما يتلون أذكار الصباح ويدعون الله.

وتحول الصوم إلى عادة دائمة وهو صوم الإثنين والخميس أو صوم يوم وإفطار يوم بل كانت هناك فرقة في السجون تصوم يوميًا.

لقد غيرنا القرآن جميعًا فقد أصبح كل من في السجون تقريبًا في عدة سنوات من أهل القرآن الذين يحفظونه، وقد حفظنا القرآن وأتممناه حفظًا فحفظنا الله به ورعانا.

المتعلم والأمي والكبير والصغير كلهم يحفظون القرآن طوال النهار ويراجعونه في الليل رغم قلة المصاحف التي كان غير مسموح بها في هذا الوقت.

www.ibtesama.com

أما حقيقة الصبر والطاعة فحقيقة لاينكرها أحد ولن يستطيع بل لن يستطيع أن ينفي الإيثار حيث يتفانى الجميع في إيثار إخوانهم بالملبس أو المطعم. . ليس هناك زيارة لأحد فالزيارة وما يأتي فيها للجميع ولمطبخ العنبر، وليس هناك طعام خاص لأحد فالطعام للجميع، ويؤثر من يجلس في مجموعة الأكل من بجواره دائمًا وبالذات في اليوم الذي تكون فيه زيارة قد جاءت فيه اللحمة التي كانت من الندرة في السجون.

ويساعد الجميع بعضهم بعضًا في يوم النوبتجية التي كانت على الجميع ماعدا كبار السن والمرضى وكذلك في غسل الملابس التي كانت غالبًا تتم بالدور كذلك.

يقاوم الجميع العزل عن العالم بمحاولة معرفة الأخبار من الراديو الوحيد الموجود في السجن عن طريق الزيارة التي يلتقي فيها الزائرون من العنابر المختلفة ويقاومون الصمت المفروض عليهم كي يعرفوا آخر الأخبار وحين يرجعون إلى غرفهم يلتف الجميع حول الزائر ليعرفوا آخر ماوصل إليه ورغم أن الأخبار قد تأتي مشوشة أو موجهه أو عن طريق أغلب الإخوة الضعيفي الثقافة في الزنازين ولكننا كنا سعداء ونحن نسمع أي أخبار توصلنا بالعالم الخارجي.

ويكلف بعضنا بالوقوف على شباك الغرفة الضيق وتوصيل حبال للغرف المجاورة أو المقابلة من أجل توزيع الطعام وما يأتي في زياراتنا بالتساوي عن طريق مطبخ العنبر الذي يكلف به أحدنا أو نقل الأخبار وتوزيع الهدايا، وكانت هناك صعوبة في توصيل هذه الحبال التي يفتلونها من ملابسهم الداخلية أو من الأكياس البلاستيك فيبقى هؤلاء طوال الليل دون أن يكلوا أو يملوا.

ولن أنسى أبدًا هؤلاء الذين ينهكون تفكيرهم ويشغلون بالهم بإعداد برامج في إذاعة العنابر من أجل أن يدخلوا على إخوانهم بعضًا من التهوين والمرح والفسحة أو هؤلاء الذين يعطون بعض الدروس والمواعظ الدينية والعلمية التي ساعدت كثيرًا على صبر الشباب السنين الطويلة ومرت السنون الطويلة ولم ينضب عند هؤلاء من درس أو موعظة.

كانت الصورة الجميلة التي لن أنساها أبدًا ونحن في عز الحر والمكان الضيق لايسعنا ولايوجد منفذ هواء واسع يقينا حر الصحراء الشديد فيقوم اثنان من إخواننا بتطبيق بطانية إلى نصفين طويلين كل منهما يمسكها من طرفها ويلوحون بها في الهواء فيرطبون الغرفة ذات الهواء الحار، وينافسهما الجميع في ذلك وحين يأتي ميعاد الصلاة

www.ibtesama.com

وخصوصًا إذا كانت نافلة كقيام ليل رمضان يبقى اثنان لهذه المهمة كي يستطيع أن يصلي الباقي . . لقد كانت صورة من صور الإيثار والخدمة.

ويبلغ ذلك مبلغه حين يكون بيننا مريض بالسكر ويحتاج إلى حقنة أنسولين فقبل أن تفرغ حقنته بيوم يتبرع بعضنا بدق الباب حتى لو تعرضوا للإهانة والضرب من أجل أن يأتوا له بما يجعله يكمل الحياة وإذا لم ننجح في هذه المهمة يصاب الكل بالإحباط وهذا ماجرى حين مرض أحدنا في عنبر مجاور وفي منتصف الليل أخرج إلى المستشفى وعاد وهو يلاحق أنفاسه الأخيرة ولكن أنى لنا أن نرجع له أنفاسه فخبط عنبره على الباب ثم عنبرنا في منتصف الليل كي يخرج إلى المستشفى مرة أخرى ولكنه فقد نفسه تمامًا فبكينا وبتنا ليالينا في هم مطبق.

ويتغير حال السجون فيدخل التلفزيون وتتغير أصناف الطعام والتعيين ويتسع الحال في زيارات الأهالي وتتغير كل الأمور تدريجًا ولكن لم يتغير الرجال في الليل.

******

## أراجوز حادثة الأقصر

الأخبار تأتينا متناقضة غالبًا ومتضاربة وكان أكثر مايتعبنا هو الإشاعات فيكفيك أن تقول كلمة واحدة لتصبح كلمات كثيرة ليس في عنبرنا وحدنا ولكن في كل العنابر . . لاتعرف كيف وصلت الكلمة ولا كيف أصبح هذا المجتمع الذي من المفترض أن يكون إسلاميًا بهذا الشكل!!

لهذا لم نصدق أن شيئًا قد حدث إلا حينما عدنا من المستشفى ولمح أحدنا عنوانًا في الصفحة الرئيسية في جريدة قومية (مذبحة في الأقصر).

من عدم ثقتنا بكل شيء لم نصدق ما قاله الأخ وقلنا يمكن أن يكون قطار أو أوتوبيس تسبب بحادثة كبيرة.

حتى الليل كان أمراء السجن قد تأكدوا تمامًا من الخبر وعرفوا ما جرى في الأقصر.

ظللنا إلى منتصف الليل نرقب همس الأخبار الذي سيتناقله القادة والأمراء . . مهما تكن هناك من شفرات أو فبركة فالجميع يستطيع أن يحل الألغاز.

www.ibtesama.com

قال أبو بصير محمد سيد الأسواني أمير العنبر:

**- المذبحة قتل فيها حوالى اثنين وسبعين سائحًا.**

قال حاتم الضوي:

**- وبعدين؟**

**- الرئيس خلع البيجامة.**

عصام الجندي:

**- يعنى إيه خلع البيجامة؟!!**

الضوي:

**- يعني تمت إقالة وزير الداخلية.**

**- معلش اصل انا صعيدي مفهمش بسرعة.**

أسامة حميد أعجبته كلمة بيجامة فسمعنا ضحكاته من بعيد.

الأحوال في السجن ظلت كما هي في تحسن.. الأخبار متواصلة ومتضاربة أيضًا:

[الشيخ عبود الزمر قال إن هذه العملية ستحرك المبادرة - الإخوة أصدروا بيانًا قالوا أن إخواننا سهام في صدورنا].

اختلفنا وقال البعض لانصدق أن الإخوة استنكروا الحادث وقلت أنا ونحن لانصدق أن عبود الزمر يؤيد هذه العملية!!

وحدثت المعارك كالعادة أثناء نشرة الأخبار التي تقال في العنابر بين إخوة الجهاد أو طلائع الفتح والرفاق في جماعتنا الإسلامية.. نحن نصر على أن أي عملية قتالية تدور في الخارج هي عملية جهادية وهم يصرون أنها عمليات مسلحة فقط لأن العمليات الجهادية في نظرهم هي العمليات التي تكون ضد الرموز الكبيرة والأهداف الكبرى في الدولة.. الرفاق منا يصرون على أن يقرأ في نهاية الخبر جملة ويا أقدار الله نننتظر منك المزيد وهم لا يريدون ذلك إلا في العمليات الكبرى مثل حادثة الأقصر.

لكي تحل المشكلة اتفق على أن تكتب النشرة مناصفة بين شخصين يفهمان في السياسة وتم اختياري لأكون ممثل الجماعة وتم اختيار أسامة جغرافيا ليكون ممثل الجهاد الإسلامي.

www.ibtesama.com

كنت أسمع عن الرجل منذ أول اعتقال لي في سجن مزرعة طرة عام 86 وكان الرفاق من محافظة الشرقية معتقلين في التظاهرات التي أعقبت موت سليمان خاطر. . كان يبدو أن الرجل هو ملهمهم وهو رمزهم الذي يقدسونه.

التقيته لكي نعد نشرة الأخبار وفي يدي بحث الوعي السياسي لشيخ الجماعة عصام دربالة، قال لي أسامة حميد (جغرافيا):

**- أول مرة الجماعة تكتب شيء صح!!**

ابتسمت ابتسامة باهتة ولم أرد فنظر إلى النشرة التي كتبتها وقال:

**- خطك وحش جدًا وهذا دليل على البخل.**

**- أشكرك يادكتور.**

نظر إلي وقال:

**- كنت أختبر هدوء أعصابك متزعلش مني.**

بدأت صداقة بيننا منذ ذلك اليوم فرقتها السجون حتى التقينا في عنبر 8 حيث أقيمت هناك حفلة له لأنه المعتقل السياسي الوحيد الذي حصل على رسالة دكتوراه من داخل السجون في هذه الفترة الصعبة. . كان موضوع رسالته في الجغرافيا السياسية هو القلب الحيوي لمصر وناقشه داخل السجن الدكتورة دولت والدكتور صلاح الشامي.

أسامة حميد أو جغرافيا كما يسمونه لا يعجبه حال الإخوة كثيرًا ولا مشاكلهم ويقول هؤلاء ليسوا معتقلين سياسيين أبدًا ولو عرف وزير الداخلية بهم لأفرج عنهم فعلًا.

كان يرفض أن يتصل بأحد من الرفاق سواي داخل العنبر وحين سنحت الفرصة للالتقاء عن طريق أحد الشاويشية بات معي في غرفتي وهمس لي:

**- أنت عارفني لا أحب الأناشيد والحفلات. . إحنا عاوزين نتكلم سوا في حاجة مفيدة**

قلت له:

**- يادكتور موش ممكن هنا أمير الغرفة الأستاذ حاتم الضوى أحد شعراء الجماعة سيرفض ذلك وأكيد هيعرض عليك شعره وأناشيده.**

وأحببت أن أدفعه بعيدًا فقلت له:

**- كم شهادة حصلت عليها؟**

www.ibtesama.com

- كتير كلية علوم.. آداب قسم جغرافيا سياسية.. حقوق.. ماجستير.. إلخ.

- ليه مكملتش في كلية العلوم؟!

- كنت هبقى مدرس فاشل زي حضرتك.

ضحكنا معًا ثم بدأنا الحديث الهام حول التاريخ وأنه لايمكن الانطلاق في فترة والإلمام بها إلا بمدى ارتباطها بالفترات السابقة وتاريخ مصر لا يمكن فصله عن مجمل التاريخ ونقطة البداية في دراسة التاريخ هي تحديد التفسير التاريخي وأننا سنرى في جميع المذاهب المادية على أنه صراع بين الأغنياء للسيطرة على وسائل الإنتاج وهذا هو التناقض الرئيسي بين الأغنياء والفقراء أما الاختلاف الثانوي فهو الاختلاف الديني ويعتقد أتباع هذا المذهب أنه من الخيانة أن نستدرج من صراع رئيسي إلى صراع ثانوي.

وبالطبع تكلمنا عن التفسير الإسلامي الذي هو صراع بين الحق والباطل في شكله العملي أو صراع في شكل حضارة أي إنه يؤمن بصراع الحضارات التي هي فكر المجتمع وشكل العلاقات الداخلية وإنتاج المجتمع المادي وغيرها من أنماط العمارة والفنون ولما كان كل مولود يولد على الفطرة فإن قوى الباطل صنعت حضارات تضمن إخراج هذا المولود عن فطرته وفي الحديث النبوي (**فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه**) وبالطبع فإن الأسرة هي أضيق علامات البناء الاجتماعي التي ينشأ فيها الفرد وحين تستكمل عملية التخريب فإنها ستكون من خلال التنشئة الاجتماعية وأهمها النظام التعليمي ولكن الفطرة لا يمكن القضاء عليها قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[1] الآية، فلابد من إزالة العوائق بين الإنسان وفطرته.

وتحدثنا معًا عن أشكال الصراع داخل التاريخ بين الحق والباطل.

1 - الصراع في شكله القومي حيث كان الرسول يرسل إلى قومه ولم تكن الجماعة مكلفة بالقتال وكان عقاب الله ينزل بالمكذبين.

2 - الصراع في شكل قومي ولكن وجدت جماعة وهي حالة وحيدة في تجربة بني إسرائيل المليئة بالانحرافات وهي صورة مصغرة الآن.

3 - الصراع في مرحلة العالمية حيث أصبحت الجماعة مكلفة بالجهاد وهكذا

(1) سورة النصر، الآية: 1.

www.ibtesama.com

أصبح الصراع بين عالم الإسلام والعوالم الأخرى وانبثق من هذا الصراع نوعان من الصراع الثانوي الأول صراع بين قوى الباطل التي استمدت قوتها من ضعف المسلمين وثانيًا صراع داخل المعسكر الإسلامي حول من هو الأقرب إلى الحق وأولى الطائفتين وهذا نشأ بالطبع مع أول انحراف عن التطبيق المثالي فليس بعد كمال النبي إلا النقص ومن هنا ظهر مصطلح الحركة الإسلامية والجماعات الإسلامية الذي يحاول أن يعيد المجتمع المثالي للتطبيق.

وعن تحليل الحضارات قال حميد:

- الحضارة مثل الإنسان تمر بمراحل

1 - جيل فريد يعطيها قوة كما قال سيد قطب جيل قرآني فريد، ويكون مصدر الربح في هذه الحضارة مزيج من القوى الإيمانية والعقلية فيلتقي الإيمان والفكرة.

2 - خلو الإيمان من الفكرة وبقاء قوة العقل وهي عصر التأصيل والتدوين في منتصف القرن الثاني الهجري.

3 - المرحلة الثالثة تفقد الحضارة الرصيد العقلي وتلجأ إلى التقليد والحواشي وهنا يوصف المجتمع بأنه مجتمع متخلف حضاريًا وتنهار الحضارة مع أول صدام دون مقاومة تذكر، ويعتبر مالك بن نبي أن سقوط غرناطة حدث رمزي في التاريخ يعبر عن العالم الإسلامي الذي أصبح له قابلية للاستعمار لأن ميزان القوى الحضارية غير متكافىء.

كان الإخوة في هذا الوقت داخل الغرفة قد بدأوا يعرضون حفلتهم وأناشيدهم وبدأ من خلف الستار أراجوز يتحرك صنعه أحد إخواننا الصعايدة ليقوم بمسلسل فكاهي حول حادث الأقصر، قلت له يادكتور:

- سيبنا من اللي بيعملوه الإخوة وقل لي إيه رأيك بصراحة في الجماعات الإسلامية دلوقت وفي حادث الأقصر؟

- عاوز رأيي بص للأراجوز وأنت تعرف.

❋ ❋ ❋

www.ibtesama.com

## الحادي عشر من أيلول وسقوط طالبان

لا نعرف شيئًا عن حركة طالبان ولايعرف أحد كذلك في السجن أي معلومات عنها ولكننا كنا نسمع أن الجماعة أقامت هناك معسكرًا يسمى معسكر الخلافة وأن أبا صهيب السمالوطي هو الذي أعد واستقبل ورتب ونظم هذا المعسكر.

التحليلات لا تكف عن حركة طالبان وأخلاقهم وعلمهم ودولتهم الإسلامية في إذاعة صوت الخلافة وكان مصدر هذه المعلومات هم إخواننا العائدون من أفغانستان وتم القبض عليهم وإيداعهم معنا ولكنها كانت معلومات قاصرة وناقصة لأن حركة طالبان حينما بدأت معاركها في أفغانستان كان هؤلاء قد قضوا في السجون أكثر من خمسة أعوام!!

وسألني أحد الإخوة عن حركة طالبان فقلت في الإذاعة بصراحة ووضوح إنهم مجموعة من طلاب المعاهد الدينية في بيشاور وإن أكثر علمهم هو فقه الطهارة والصلاة وإنها جماعة وحزب طائفي أغلبه من البشتون وإن سقوطها متوقع في الأيام القريبة لأسباب أولها:

1 - أن أفغانستان دولة حبيسة لاتطل على بحار وأن طالبان اختارت أن تنعزل عن جميع جيرانها إلا باكستان.

2 - أنها اختارت حليفًا سيضر بمصالحها وهو أسامة بن لادن.

3 - زعيم طالبان وشبابها يفتقدون أبجديات الوعي السياسي

سمعنا من داخل الغرفة من يقول:

- **حرام تخلوا حركة طالبان طائفية وهتسقط كمان حرام تخلوها زى الأحزاب.**

المنظمة بالطبع هي مجموعة من الأفراد اجتمعوا وفق أهداف معينة وعلاقات متفق عليها لتحقيق هدف معين بمعنى أن المنظمة جماعة أو حزب.

وسقطت هذه المنظمة وهرب قائدها على دراجة بخارية بين الجبال بعد أحداث الحادي عشر من أيلول وتفجير برجي التجارة في نيويورك.

كان الليل يبسط أجنحته حول العنابر وشعاع القمر يدخل من نوافذ الزنزانة الثلاث الضيقة.

www.ibtesama.com

في هذا الوقت كان قد سمح بدخول الراديو ولم يكن في العنبر سوى جهاز واحد أو اثنين.

سمعنا أصواتًا تتنقل بهدوء بين الغرف وفجأة انفجر الصوت يعلن صوت الخلافة الإسلامية ليعاد بثه في ساعة متأخرة من الليل بعد أن تلا المذيع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

قال آخر:

**- هجوم مسلح على الولايات المتحدة.**

وبدأت الفواصل الإنشادية الحماسية

من يستطيع أن يهاجم أكبر قوة في العالم هل هو الاتحاد السوفياتي ولكنه تفكك من سنوات؟!! هل ممكن أن تفعلها فرنسا؟!! ولكنها من حلفاء أمريكا.

لم نتصور أن يفعلها بن لادن.. وانطلقت الكلمات تقرأ باقي الخبر وراء التكبيرات التي تملأ أركان السجن في أغلب العنابر.

لفنا الصمت.. الأناشيد الحماسية تقتحم آذاننا.. كنا نخشى ما سيجري في السجن وأن يعطل ماجرى المكاسب التي بدأنا نأخذها والمعاملة الحسنة التي بدأنا نعيشها وكذلك كنا نخشى المفاسد الكبيرة التي ستحل بالحركة الإسلامية بصفة خاصة وبالإسلام بصفة عامة بعد أن أيقظ بن لادن المارد النائم.

نظروا إلينا بازدراء وفي خطبة الجمعة داخل الغرفة خطب أحدهم عن هؤلاء الذين يدعون أنهم يفهمون في السياسة وهم لا يفهمون شيئًا وعن هؤلاء المثبطين الذين يشيعون الخوف والهلع في قلوب الإخوة والرفاق في المحنة وعن هؤلاء الذين يقولون إن هناك فقهًا للواقع ومصلحة ولكن المصلحة وفقه الواقع صنمان يعبدان من دون الله.

بعد أيام سمعنا عن احتلال أفغانستان وسقوط طالبان وكان علي أن أديم الصمت لأن نظريتي إلى الآن لم تؤكد نفسها حتى تسفر الأيام عن وجهها الحقيقي والأشياء الأخرى التي لا أعرفها.

***

(1) سورة الصافات، الآيات: 171 - 173.

www.ibtesama.com

## القرار والجزار قبل المبادرة

أي قرار أو تنبيه في أيام ما قبل المبادرة كان سيقابل باعتراض صامت من الغالبية الصامتة أو باعتراض جهوري بصوت عالٍ وهذا لايحدث إلا من قلة غدت معروفة لأمراء العنابر والأشخاص المقربين منهم.

القرار الأخير قبل المبادرة بأيام لم نكن قادرين على تحمله. . كان كالتالي:

[هناك توقعات تشير إلى أن مشايخ من الأزهر سيأتون إلى السجن لعقد بعض الندوات ولذا على الإخوة اتباع التالي:

* لا يخرج الإخوة من الزنازين لحضور الندوات إلا إذا أجبروا على ذلك.

* إذا أخرج الإخوة بالقوة فعليهم ألا يتكلموا ولا يناقشوا أيًا من المشايخ في شيء وسوف نقوم نحن من طرفنا بتحديد مندوب من الإخوة سيقول لمشايخ الأزهر إنهم إذا أرادوا المحاورة والمناقشة فعليهم أن يناقشوا مشايخنا في ليمان طرة.

* لقد قامت إدارة السجون بوضع تلفزيونات في التريضات ونحن نمنع الإخوة من الخروج للتريض إلا إذا أجبروا على ذلك وساعتئذ لايسمع الإخوة سوى البرامج الإخبارية ونشرات الأخبار.

* تنامت إلينا أخبار أن الجرائد ستدخل الزنازين وإليكم التنبيهات الخاصة بها:

* كل غرفة تحجز جريدة واحدة ولتكن الأهرام أو الأخبار

* يتسلم الجريدة أمير الغرفة حيث يقوم بطمس الصور داخل الجريدة

* يمنع الإخوة من قراءة صفحة الفن والحوادث.

من منا كان يستطيع أن يصبر على هذه الأوامر فقلنا بصوت عالٍ وحاد:

يارب الجرائد ماتدخل أبدًا. . يارب المشايخ ماييجوا

أما حكاية الجزار فهو الضابط الذي ارتبط اسمه بالتفتيشات والضرب وبالذات في سجن الوادي الجديد. . كنا نسمع اسمه ونحن نيام يقال الجزار وصل فنستيقظ ونسمع كلمة انتباه ممدودة ممطوطة وقوية فنستعد للتفتيش.

www.ibtesama.com

كأنها عادت أيام الجزار بعد أن تحسنت أحوال السجون وهجرنا التعذيب في عهد وزير الداخلية الحبيب العادلي.

ذقنا طعم الضرب بطريقة عنيفة حتى أنهم جردونا من ملابسنا وجعلونا ننام على بطوننا ثم طلبوا منا أن نسمي أنفسنا بأسماء الحريم وكانوا يعلمون أننا نأبى ذلك تمامًا وهذا سيكون سببًا كافيًا لضربنا وهذا ماجرى!!

كيف حدث ذلك ولماذا؟!

هذه هي المفاجأة التي عرفناها ثاني يوم بعد أن خرج رفاقنا للزيارة وعادوا ومعهم بشرى الأمل فقد قررت وزارة الداخلية إلغاء زيارة السلك وجعلتها زيارة عادية ولقاء مع أهلنا لأول مرة كما قررت دخول الجرائد والسماح بالرسائل.

كان العالم كله في مواجهة حادة مع الحركات الإسلامية بعد الحادي عشر من سبتمبر ولكن سجوننا في مصر كانت تسير عكس الاتجاه.. لانستطيع أن نصف مدى فرحتنا بهذه الأخبار وكيف استقبلنا الأخبار وكيف كنا نتمنى أن نسابق الرسائل كي ندعو أهلنا لزيارتنا.. نسينا القرار الأخير ونسينا مشايخ الأزهر القادمين وندواتهم ونسينا كذلك الجزار.

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

# (4)

# الهجرة إلى المراجعة

**إنها مواجهة الصعب وحل الإشكالات وتفتيت العوائق وتغيير الواقع وليس تجميل الموقف وإدانة ما حدث وهذا مافعلته الجماعة.**

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

## وبدأت الندوات وبدأت المبادرة

كانت الجماعة في السنوات الماضية تبحث عن حيز للوجود وطريق للهوية ووجدت نفسها بممارسة العنف اليومي ولذا فإنها افتقدت مشروعًا واضحًا للمراجعة والوقوف مع الذات حرب في كل شيء وضعت نفسها والحركات الإسلامية كلها في أزمات متفاقمة لايرغبون فيها مع شعوبهم ومع حكوماتهم ومع الغرب فحدثت أزمة كبرى للإسلام مع الغرب المسيحي الذي طلب أن يكون الخطاب الإسلامي متوافقًا معه وكذلك التعليم والمناهج حيث رأت أمريكا وتابعوها في أوروبا أن الذي أفرز الإرهاب هو الديكتاتورية والفوضى السياسية التي أوجدت مكانًا آمنا للإرهاب فعلى الأنظمة الإسلامية أن تطور نفسها لتكون ديموقراطية حتى تحل ضلوع أفرادها في التطرف.

وانتهت الأزمة في عدة صور منها سقوط أفغانستان والعراق وتواصل العدوان الإسرائيلي بعد أن اختلفت المنظمات الفلسطينية على السلطة وكان أخطر مايتهددنا في هذه اللحظات المصيرية أن يخرج من صفوف الأمة من يطرح أفكارًا ورؤى لا تتجاهل دروس التاريخ فحسب وإنما تتعامى عن قراءة الحاضر ومضامينه وأهمها أن شكل اللعبة ليس وحده الذي تغير وإنما قواعدها كذلك.

لقد تأخرت الحركات الإسلامية في وقوفها مع الذات مما غبش حقيقتها وكدر صفاءها فلم تمتلك مشروعًا للمستقبل وافتقدت رؤية واضحة فكانت لاتتقدم خطوة إلا وتتأخر خطوات حتى ضاعت فرص إجراء مصالحات تاريخية مع المجتمع حتى أن المراجعات البسيطة التي تمت من قبل كان يعم شريحة كبيرة من الحركات الإسلامية أنها لاتنبع من إخلاص وصدق، وبهذه النظرة التآمرية كان يتهم القائمون على المراجعات بأنهم يسعون للتخريب أو أنهم متخاذلون، ونجح فخ عدم النضج السياسي والتصور الخاطىء في ذلك.

إن البداية الصحيحة هي التي ستتم من اللحظة الفارقة وهي الاعتراف بالخطأ والرجوع إلى الحق وهذا هو التحدي الحقيقي بعد أن كنا في الفترة الماضية قد تحولنا من

www.ibtesama.com

الهامش إلى المركز ونفرض نفسنا كقوة موجودة بالشارع ولكن لايظهر منها إلا قمة الجبل وهي أخطاء فادحة دون أسفل الجبل الذي مازال مغمورًا ويحتاج إلى مراجعة حقيقية حتى يظهر فوق السطح بسبب الأزمة الكبيرة والحادة في الفكر والسياسة.

وتكمن أهمية المراجعة في أنها الضمان الوحيد للبقاء والحيوية وهي الدافع الكبير للثبات وإعادة البناء وكذلك تبعث على الاستمرار ولكن يبقى الدور على القائد المحنك الذي يستطيع أن يبدأ المسيرة فالقيادة يجب أن تكون سابقة لمجموع الناس في طريقها للاجتهاد الذي يسبقه تطور الأوضاع وفي تنسيق دروس التجربة وإلا فستدور الجماعة دائمًا مع الخطأ وستراوح في مكان محصور وليس على أتباعها لوم.

وبخطىً وئيدة بدأت سلسلة المراجعات في السجون وبدأت الهجرة إلى المراجعة كأن مشايخ الجماعة خرجوا من جوف الأرض أو من قلاع الزمن السحيق الذي لم يدر أحد عنه شيئًا ونقصد من ذلك أن كل السجن لم يدر شيئًا عن وصول المشايخ أو عن مبادرة وقف العنف فلم يكن يظن أحد في لحظة أن المشايخ سيعترفون بأخطائهم وأنهم سيجيئون ليعترفوا بذلك أمامنا.

في أكبر سجن وهو الوادي الجديد الذي بدأ ندوات المبادرة التي استمرت عشرة شهور انتهت بسجن دمنهور.

أخرجنا عنبرًا عنبرًا وكانت الأنباء تتوالى عن وصول المشايخ ودخل المشايخ إلى التريضات التي نقف فيها ننتظر وصولهم.

رفع الشيخ كرم يده وعرف الواقفين باسمه وقال أخوكم كرم زهدي فصاح العنبر وسلم عليه ثم أشار إلى المشايخ واحدًا تلو الآخر ونحن نسلم بحرارة على المشايخ الذين كنا نسمع عنهم فقط ولكننا كنا نقرأ أبحاثهم ونعرف أنهم هم الذين يحركون الأحداث حولهم.

كان يشير لأحدهم ويقول هذا هو الشيخ فلان فيرفع يده ويسلم علينا ولاينسى أن يسلم على أحد الإخوة الواقفين إذا كان يعرفه.

الشيخ ناجح وهو يسلم علينا لم ينسَ أن يشير إلى الضباط ويقول:

- **الباشوات هيريحوكم الأيام الجاية في السجون.**

في اليوم الموافق// 2001 بدأت الندوات وبدأت المبادرة.

www.ibtesama.com

رغم استمرار حالة الصمت والذهول استرد الجميع الراحة شيئًا فشيئًا واستردوا الأمل بعد اليأس والقنوط.

الإخوة إلى هذه اللحظة لايدركون أن المبادرة كانت تصويبًا للأخطاء وتقويمًا للمفاهيم الخاطئة ولكنهم كانوا يظنون أنها مبادرة تكتيكية هدفها هو المناورة ثم حصد المكاسب والعودة إلى المساجد بالانتصارات.

لقد ترددت كلمة استراتيجية في الندوة الأولى من مشايخ الجماعة وقادتها أكثر من خمسين مرة والأغلبية من الناس لايفهمون معنى هذه الكلمة!!

وهكذا طلع الصباح وخرق أسماعنا صوت أمير منفلوط (م.) وهو يطلب من الغرف المجاورة أن تبحث له عن معنى كلمة استراتيجية التي وردت في خطاب المشايخ وكان هذا دليلًا واضحًا على تلك الأمية السياسية التي كنا نحياها ونعيشها!!

لم يمثل اليوم الأول لأولئك الذين يعتبرون الجماعة هرمًا كبيرًا ومعجزة إسلامية أقرب للحق الأبلج سوى خدعة من خدعات الحرب بين الحق والباطل وهكذا كانوا يقعدون في جانب الغرفة يتحدثون عن شيخ الأزهر ويستهزئون به لأنه استنكر حادث 11 سبتمبر، قال أحدهم:

- مش بعيد على رجل أحل الخمر للسياح أن يفتي بذلك.

قلت:

- كفاية حرام عليكم.. لحوم العلماء مسمومة ألم تسمعوا المشايخ وهم يعترفون بالأخطاء؟ ألم تسمعوهم وهم يقولون إن ضرب السياحة ليس من أدبيات الجماعة؟

وقال آخر:

- أنا أعترف أننا أخطأنا.

لم يعترف الآخران وخرجا إلى الندوات وعادا يعترفان بعد ذلك!!

كان هذا حوارًا جديًا بدأ يظهر في الزنازين ومراجعة وتصويبًا للأخطاء لم تكن واضحة في مجتمعنا قبل ذلك.

وخرجنا في الساعة التاسعة صباحًا إلى تريضات العنابر وكانوا قد جمعوا كل عنبرين في تريض واحد مما جعلنا نلتقي إخواننا وأصدقاءنا الذين لم نقابلهم منذ فترة طويلة.

www.ibtesama.com

وقاموا بتركيب مكبرات الصوت في تريضات العنابر ودوائر فيديو.. كان هناك استعداد ضخم لإنجاح هذه الزيارة.

من نصيب عنبرنا الشيخ علي الشريف والشيخ فؤاد الدواليبي.. التريض كان ممتلئًا عن آخره.. الكل كان يحرص على الحضور خوفًا أن يبدو أنه معترض على المبادرة وكلام المشايخ.

الشيخ علي الشريف قال لنا:

**- إن كل ما فعلناه كان شرًا مطبقًا.. شرًا عظيمًا.. لقد أخرنا الدعوة عشرات السنين حتى أن الناس هذه الأيام تخاف من اللحية ومن الحجاب والنقاب.. لو ربينا شوية فراخ وعملنا مزرعة كان أحسن من كده...... أنتم السبب استعجلتم الصدام مع النظام وضغطتم على المشايخ علشان تعمل مواجهه وآدي النتيجة آلاف المعتقلين وتوقف الدعوة تمامًا.........**

كأننا تخيلنا الشيخ علي الشريف هو الشيخ عطية صقر أو أحد مشايخ الأزهر الذين كنا نستهزىء بهم خارج السجون!!

الشيخ فؤاد الدواليبي لا يتكلم في المحاضرات العامة نظرًا إلى عدم قدرته على ذلك ولكنه كان يجلس في مجالس خاصة مثلما قعد مع المعتقلين من محافظة المنيا وقال لهم:

**- إن كتابة إقرار التوبة ليست حرامًا ولكن المبادرة تختلف عن التوبة لأن التوبة إقرار للدولة بعدم فعل مايخالفها مع إمكانية بقاء الفرد على فكره أما المبادرة فهي تغيير للفكر الخاطىء.**

لماذا إذن بقينا هذه الأعوام نفسّق من يكتبون إقرار التوبة ونقول إن التوبة سهم النظام الذي خاب؟!!

وسألنا فؤاد الدواليبي فقال:

**- إيه رأيكم في كلام الشيخ علي الشريف؟**

- كويس جدًا.. الرجل يتكلم بصراحة.

**- على العموم الشيخ عاصم وعصام يتكلمان بعده في العنابر ويوضحان مايكون غريبًا على أذهان الإخوة.**

www.ibtesama.com

شعرنا أنها لعبة التوازنات بين مشايخ الجماعة أنفسهم في طريقة عرضهم للمبادرة خوفًا أن يبدوا أمام القواعد من الإخوة في صورة واحدة على شاكلة علي الشريف الذي يقول دائمًا إن كل ما فعلناه كان شرًا مطبقًا.

دخلنا الزنزانة وقلنا للرفاق إن كتابة إقرار التوبة ليس فيها أي شيء فقالوا لنا إن الشيخ علي الشريف والشيخ فؤاد يختلفان عن باقي المشايخ فمتى إذن يصدقون إذا كانوا يسمعون ويكذبون ما يسمعون؟!!

أرسل المشايخ إلى كل غرفة كشكولًا وقلمًا وراديو ترانزستور أظن أن أمن الدولة هو الذي ساهم في شراء هذه الأشياء وأعطى كل واحد منا ورقة ليكتب فيها استفساراته فكتبنا هذه الأسئلة:

التحولات الفكرية للجماعة هل هي بسبب خطأ من البداية أم بسبب الظروف المحيطة؟

هل سنسمع من قادة الجماعة رأيًا صريحًا في مسألة الخروج على الحاكم ومسألة تكفير الحاكم الذي لايحكم بما أنزل الله؟

القتلى من الجماعة هل هم من الشهداء أم قتلى فتنة؟

هل وضعت الجماعة كل الجماعات في خندق المراجعات إما هي وإما السجون والمعتقلات التي ساهمت في سرعة التعجيل بإعلان المبادرة؟

مارأيكم في حياتنا الجماعية وحكاية الطعام الخاص والطعام العام؟

هل ستغير الجماعة أبحاثها القديمة؟

قدمنا الأسئلة لمشايخ الجماعة وكانت إجاباتهم شبه موحدة لااختلاف بينهم إلا في الأسلوب.. تقريبًا تمت الإجابة عن السؤال الأول بصورة عامة في جميع الندوات ولم يتم بصورة خاصة وأما السؤال الخاص بتكفير الحاكم فلم يتم الإجابة عنه في الندوات العامة أو الخاصة وكان يرجأ إلى وقت قادم وأما باقي الأسئلة فقد تم الإجابة عنها هي وأسئلة أخرى كما سنذكر في مختارات من تلك الإجابات.

**س. القتلى هل هم من الشهداء أم هم قتلى فتنة؟**

ج. الإخوة الذين خرجوا في الأعمال القتالية كانوا مجتهدين في الوصول إلى الحق وبذلوا الوسع وكانوا صادقي النية لايقصدون سوى رضا المولى سبحانه وفي الحديث المتفق عليه (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) وقد

www.ibtesama.com

أشار العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام (من فعل فعلًا يظنه قربة أو مباحًا وهو من المفاسد المحرمة في نفس الأمر فهذا معفو عنه ولكن يثاب فاعله على قصده دون فعله).

والإخوة ليسوا مجتهدين ولكنهم مقلدون لهم نصيب من هذه الأحاديث فقد خالف أصحاب النبي أمره في غزوة أحد بحسن نية وكانت هزيمة المسلمين وقتل سبعين من الصحابة ومع ذلك لم ينفك عنهم لفظ شهداء ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾[1] الآية.

ولكن من علم أن الأعمال القتالية مخطئة ولاتجوز ثم أعاد كرتها فقد أدخل نفسه في المحارم.

**س. هل هناك مبرر لوجود الجماعة بعد المبادرة وهل ستحارب الجماعة الإخوان بعد الخروج من السجون؟**

ج. لقد مرت الجماعة بمراحل كثيرة كان آخرها مرحلة المبادرة ومرت بدورات كثيرة كان فيها دائرة العنف ولكنها لم تكن الدائرة الأساسية فالدائرة الأساسية هي الدعوة إلى الله تعالى والأعمال القتالية احتلت من حيث الزمان فترة وجيزة بل لم تستغرق من أبناء الجماعة سوى العدد القليل ولذا فنحن جماعة ستدعو إلى الله وتسعى لجذب الناس إلى نبع الدين الصافي.

وأما بالنسبة إلى جماعة الإخوان فنحن كنا موجودين والإخوان يعملون وسنبقى وهم يعملون كذلك ومنهجنا هو الدعوة إلى الله ببصيرة والدفاع عن الإسلام وتصحيح المفاهيم بغض النظر عن الإخوان أو غيرهم.

**س. هل هناك فرق بين إقرارات التوبة والمبادرة؟**

ج. التوبة تحمل الكثير من عدم الوضوح بل الخداع فليس من المعقول أن يدعي شخص أن كل مايفعله كان خطأ وأن يقر بذلك ويكون صادقًا كما أن التوبة توجب على صاحبها أن يكون سلبيًا ولا يمارس حقه في الدعوة إلى الله.

**س. هل تم حل الجناح العسكري للجماعة؟**

تم حل الجناح العسكري للجماعة وهذا الجناح الذي لم يجلب لنا إلا العودة إلى الوراء وتوقف الدعوة تمامًا وعدم خروج المعتقلين كما أن وجوده يتناقض مع توجهنا السلمي فالمبادرة تعني السلام وحسن الظن بالأطراف جميعًا.

(1) سورة آل عمران، الآية: 140.

www.ibtesama.com

**س. هل ستقول الجماعة بدخول المجالس التشريعية ودخول الانتخابات؟**

ج. الديموقراطية فيها ماهو صالح وليست كلها شرًا ولكن هناك جانب تشريع البشر الذي لاتطلقه الشريعة إلا إذا بني على تشريع الله كما أن الدين أوسع وأشمل من أن تستوعبه هذه الوسيلة في الدعوة وشرعية وجود الإنسان في هذه المجالس لا بد أن تبنى على ارتباطه برسالته الأصلية وهي حمل أمانة الدين والدعوة إلى الله تعالى وعلى هذا لا بد أن نضع في الاعتبار هذه الأمور إذا أردنا أن نناقش المسألة.

**س. مارأيكم في بحث الجماعة والأبحاث القديمة؟**

ج. لا يوجد بحث اسمه بحث الجماعة ولكن البحث الذي كنتم تدرسونه لم تقره الجماعة ولجنتها العلمية فهذا البحث كان عبارة عن اجتهادات للشيخ رفاعي طه وكذلك بحث شبهات الجهاد وهذه المبادرة وكتبهاالجديدة هي شرح واستكمال للكتابات القديمة.

**س. قلتم إنه ينبغي لنا أن نستدعي الشرطة حتى تقوم هي بتغيير المنكرات مع أن الشرطة تقوم أحيانًا بحماية بعض المنكرات ولاتهتم بتغيير بعض المنكرات الأخرى وفي الوقت ذاته إنكم قمتم بإلغاء بحث الحسبة؟!**

لا يستطيع أحد أن يلغي الحسبة ولا الجهاد في سبيل الله ولكن لكل شيء ضوابط والإنسان عليه أن يكون إيجابيًا في المجتمع ولا يكون سلبيًا ولكن لاتؤدي إيجابيته إلى المفاسد وترك المصالح وشوفوا الأخ منكم كان بيضرب الواحد على وجهه بكف واحد فيقضي في السجن أكثر من عشر سنين فهل تغيير المنكر بهذا الشكل صح؟!

ونحن ذكرنا في كتاب النصح والتبيين أن المنكرات على قسمين مااتفق المجتمع على رفضه وأنشأ له مؤسسات تتصدى له فعلينا نحن أن نستدعي تلك المؤسسات مثل الشرطة ومباحث التموين والرقابة الإدارية.. الخ أما المنكرات التي انتشرت في المجتمع فإن التصدي لها سيحدث التصادم والمفاسد.

**س. هل وضعت الجماعة كل الجماعات في خندق المبادرة بمعنى إما المبادرة وإما السجن؟**

أجاب عن هذا السؤال الشيخ عاصم عبد الماجد فقال وهو في شدة الغضب:

ج. إحنا مالنا الجماعات وضعت في خندق أو موش في خندق المهم إن إحنا عملنا الصح واللي عاوز يعمل صح زينا براحته واللي موش عاوز يتحمل نتيجة أفعاله.

www.ibtesama.com

كما أجاب عن السؤال التالي كذلك

**س. مارأيكم في الطعام الخاص والطعام العام وحياتنا الجماعية في السجون؟**

ج. أنا موش عارف اللي بيسأل عاوز طعام خاص ولا عام. . اسمع ياأخي اللي يأكل أكل خاص داخل السجون وإخوانه أمامه فليس عند مروءة وأنا شخصيًا غير موافق على بعض التصرفات داخل السجون في حياتكم الجماعية.

يمكن أن نقول إن إجابات الأسئلة كانت تتلخص كلها في طرح المبادرة وأهميتها وقد تم التركيز على موضوع أقباط المهجر وضغوطهم المستمرة على الحكومة من أجل القضاء على الحركات الإسلامية وحول كيفية معاملة أهل الكتاب وتم طرح موضوع تغيير المنكر والرد على بعض شبهات جماعة التكفير وعلى أهمية الجهاد والأخطاء التي تقع فيها الجماعات الإسلامية في الجهاد وكان هناك غيرها الكثير من المواضيع غير أن هناك أشياء كان مسكوتًا عنها في أول أيام المبادرة مثل قضية تكفير الحاكم ولو طرحت مثل هذه القضايا لكانت ستحدث أمرًا عكسيًا لدى غالبية جموع الإخوة والرفاق من المعتقلين.

* * *

## اليوم الأخير وأصداء التحول الجذري

أعطتنا مصلحة السجون الثقة بوجود المشايخ. . كنا نخرج إلى التريضات بل إلى خارج أسوار العنابر إلى الساعة الثانية ليلًا وأصبحنا في أشد الحزن ونحن نعلم أنه اليوم الأخير للمشايخ.

في هذا اليوم قامت إدارة السجن بتقديم عجل كبير هدية للمسجونين ليذبحوه احتفالًا بالمبادرة وترويحًا عنهم فقام الإخوة بتكليف أحد الجزارين المعتقلين معنا بذبح العجل فاعترض إخواننا في جماعة التكفير والآخرون الذين لايعذرون بالجهل على ذلك لأنهم لايأكلون إلا من ذبيحة من يكفر بالطاغوت!!!

إشفاقًا من إخواننا على هؤلاء وعلى المعترضين على المبادرة قاموا بالاتفاق مع إدارة السجن بإخراج جزار من هؤلاء التكفيريين لذبح العجل وتوزيعه بالتساوي حتى يأكلوا منه وكنا نشجع هذه الخطوة التي تنم عن فهم وإشفاق.

خرجنا إلى الساحة نفسها أمام مستشفى السجن في المكان ذاته الذي تمت فيه

www.ibtesama.com

الندوة الأولى. . كان البرنامج الأول نفسه تقريبًا ولم يكن فيه جديد سوى أنه تلخيص لشرح الكتب الأربعة التي صدرت عن تصحيح المفاهيم وكذلك القرار الذي صدرآخر الندوة وتلاه الشيخ ناجح إبراهيم:

**- قرر مجلس شورى الجماعة تعيين الشيخ إبراهيم يس أميرًا عامًا على سجن الوادي الجديد بدلًا من الشيخ علاء صديق نظرًا لظروفه الصحية.**

بدأ عهد جديد لسجن الوادي الجديد ولكنه ظل مغلقًا بعد أن مشى المشايخ إلا بعد صلاة العصر حيث استكمل مشايخ الصف الثاني والثالث شرح الكتب الأربعة.

تصورنا أن يستكمل الشرح بعض مشايخ من الأزهر بعد أن ضاقت الهوة بيننا وبينهم ولكننا ذهلنا لما رأينا من ارتكبوا الخطأ في حقنا داخل السجون هم شراح المبادرة ومن يعلقون الناس ويضربونهم في الزنازين هم من يحنون عليهم ومن حرضوا على العنف وهتفوا له هم بعينهم من يستنكرونه. . هل نراهم بأعيننا كالمنافقين أم نراهم بموضوعية هؤلاء الذين غيروا أفكارهم لأنهم فهموا الحقيقة وصححوا المفاهيم؟!

لم تكن تعني نظرتنا شيئًا لهؤلاء ولكن إن تكلمنا عن أنفسنا فسنقول إننا سمعنا المشايخ واقتنعنا بهم ولكننا لم نقتنع بهؤلاء ولم نفعل شيئًا سوى إغلاق الآذان عن سماعهم ونتذكر أننا ذهبنا إلى أحدهم وقلنا له:

**- موش هو الكلام دا اللي احنا كنا بنقوله لكم قبل كدا.**

قال:

- أنا كنت مقتنعًا بكلامكم ولكن كنت أحافظ على وحدة الجماعة.

مهما حاولنا أن نصف إنه مجتمع كبير وراء الأسوار فلن نستطيع وسوف يعجز من أراد أن يحلل ويصف إذا نظر من زاوية واحدة أو وضع تصورًا مسبقًا.

فلنجعل الصورة الحقيقية تنساب أمام أعيننا وهي أننا جميعًا وراء السجون قد أفادتنا التجربة وكنا مؤهلين تمامًا لقبول المبادرة كما أنه كان من بيننا من فهم هذه الأمور قبل مشايخ الجماعة أنفسهم ولكنهم لم يقدروا أن يبوحوا بما في صدورهم.

ونقسم أن هؤلاء الذين يدعون أن السجون كانت سببًا مباشرًا في قبولنا المبادرة وليست سببًا من أسباب كثيرة أنهم مخطئون تمامًا فلو تعرضت أي جماعة لما تعرضنا له لانهارت تمامًا. . هل كانوا سيتحملون إغلاق أبواب الزنازين لفترة عشر سنين وهل كانوا سيتحملون منع العلاج والدواء والملابس سنين طويلة؟! ومع ذلك تحملنا ولم نتساقط.

www.ibtesama.com

سيقول بعض المتشددين إنهم سجنوا مثلنا ولم يقوموا بترك أفكارهم كما فعلنا ونشهد أن الغالبية من إخواننا لم يسجنوا أشهرًا بل أعوامًا طوالًا وكانوا غير جزعين وقد رأينا منهم من يصوم ولايفطر ومن يقومون الليل ومن يحفظون القرآن ولقد رأينا منهم من يصمتون ولاينطقون إلا ذكرًا ومن يؤثر إخوانه بملبسه ومأكله ولقد تحدثنا مع من يفكرون ويفهمون ومن يكتبون ومن يخرجون من أفواههم الشعر وتحاورنا مع من أخطأوا فرأينا أغلبهم رجاعين إلى الحق.

إننا جيل من الشباب رأينا أنه لا حل إلا بالرجوع إلى الدين فنهلنا منه.. نعم كانت هناك أخطاء فادحة وكانت الأيام تدور وتثبت كل يوم أن الخطأ بداخلنا لا بد أن يندثر ولابد أن نعود.

لم يتم الإفراج بعد انتهاء ندوات المشايخ سوى عن ألف من المعتقلين من جميع السجون وخالف ذلك تصورنا الذي كنا نعتقده بأن المبادرة جاءت ليجيء معها الإفراج الجماعي والتعويضات المادية الضخمة.. كنا نختلف نحن مع هذه الرؤية العامة وكنا نتابع ما يقوله بعض الكتاب والصحفيين في الجرائد والمجلات التي بدأت تدخل بكثرة.

قال فهمي هويدي وهو شخصية مقبولة في أوساطنا بأن الجماعة ستخرج لضرب الإخوان أي إيجاد بديل لهم في الساحة الداخلية تكون تحت سيطرة السلطات وهذه رؤية غير مقنعة لنا فلم يكن الإسلاميون في يوم ما يدجنون تحت أي سلطة إلا في ظروف وقتية براجماتية وليس من خلال قناعة تامة وتاريخ هذه الجماعة وهؤلاء القادة يخالف هذه الرؤية.

وقد ذهب البعض إلا أن البيئة الحاضنة للمبادرة هي السجون والضغوط الأمنية ومنها مجلة البيان السلفية المذهب الحجازية المنشأ والمنتشرة في سجوننا حين قالت إن المعمل الحقيقي لتفريخ المبادرة هو السجون ومن ثم فإن البيئة ليست طبيعية وهذه الرؤية مخالفة لتاريخ الجماعة الدعوي وهو الأصل الذي نشأت عليه الجماعة التي كان العنف عارضًا غريبًا قد طرأ عليها ووجهة النظر الأقوى في مجال التشكيك في المبادرة تتعلق بمسألة جدية الالتزام بوقف العنف استنادًا إلى سرعة استجابة جموع المعتقلين في السجون لمشايخهم بهذه السرعة وهذا بالطبع ليس سهلًا على أي مراقب من الخارج ولكننا كنا ندرك نحن تمامًا أن أسبابًا تؤكد صدق توجهنا:

**أولًا - تلك التربية التي تربينا عليها وهي تربية الاستجابة لأقوال العلماء والتراث إذا تبين لنا الدليل.**

www.ibtesama.com

**ثانيًا - الأمية العلمية والفقهية والسياسية لدى حوالى 97% من الإخوة رغم صورتنا الخادعة لدى المراقبين الذين يتصورون غير ذلك وهذه الأمية كانت تنخلع عن بعضنا في مسألة حفظ أبحاث الجماعة وهذه الأمية تدفع دائمًا إلى سرعة الاستجابة لمشايخ الأبحاث ومؤلفيها الذين اجتهدوا في جمع الأدلة وبالذات من كتب القرضاوي على نقض أفكارهم القديمة وعلى نقصانها.**

**ثالثًا - القدسية التي تربينا عليها حيث التقديس التام لمشايخنا وهذا مثل السيف الذي كان يقف فوق رؤوس الجميع حيث أننا كنا إذا أردنا أن نقنع أحدنا بشيء قلنا إنا سمعنا أو رأينا المشايخ يفعلون ذلك فمابالك بمبادرة المشايخ أنفسهم يطلقونها.**

**رابعًا - تلك الظروف المحيطة بنا مثل عامل السجون والفشل الذريع في تلك الأعمال القتالية وحساب المصالح والمفاسد الذي تغلب ناحية وقف العنف وأنه الأجدى والأنفع للدين.**

وبالمقابل تجمعت على مدى عدة أشهر بعد الندوة الأولى عدة عوامل تؤكد صدق التوجه ناحية المبادرة ومنها مجموع الحوارات التي صدرت في مجلة المصور وأجراها الكاتب المعروف مكرم محمد أحمد وقد أثارت هذه الحوارات جدلًا واسعًا بين صفوف الرفاق في السجون أولًا أثبتت صدق توجه قيادات الجماعة الذين أعلنوا خطأ أفكارهم أمام الملأ وعلى مرأى من الجميع وثانيًا تلك الحوارات داخل السجون حول هذه الحوارات وهذا يثبت بمالايدع مجالًا للشك أن الكثير كان يمرر هذه الأمور على عقله أولًا.. نعم كان هناك الخوف الكامن أن يبدو الواحد معارضًا للمبادرة وهذا سيكسبه بغض العدد الوفير من إخوانه أو أن ذلك سيؤخر الإفراج عنه ولكن ذلك كان شحيحًا ونادرًا أمام الاتجاه الجماعي الذي يبدو على السطح ليؤكد على الظاهرة الصحية التي بدأنا نحياها في آخر الأيام والتي كانت تحتاج إلى الدعم لتنتشر تلك الحوارات حول المبادرة.

*** 

www.ibtesama.com

## الكتب الأربعة الأولى لتصحيح المفاهيم

سنلحظ أن الكتب الأربعة التي صدرت عن القادة التاريخيين كما تحب أن تسميهم وسائل الإعلام لاقت قبولًا في أوساط المسجونين ولكنها لم تلق حظًا كبيرًا في شرائها منا بسبب غلاء ثمنها كما لم يهتم بقراءتها العدد الكبير فقد عرفت الغالبية أن الكتب لن تخرج عن الندوات التي سمعوها وأضحت الكتب معروضة للبيع في الزيارات وفي كل مكان في السجن حتى قام أمراء السجن بتوزيعها على الزنازين وإعطاء أوامر للإخوة بقراءتها.

لم تخرج الكتب الأربعة عن كتب العلماء الثقات والكتاب المستنيرين وتعتبر أغلب فصول هذه الكتب مأخوذة من كتابات القرضاوي.

**الكتاب الأول:**

**الأدلة الشرعية لمبادرة وقف الأعمال القتالية**

في هذا الكتاب قالوا إن المبادرة كانت من طرف واحد ولم تبد أجهزة الأمن أي تجاوب معها لكنها أشاعت جوًا من التفاؤل بإنهاء الأزمة كما قوبلت بتأييد من الشيخ عمر عبد الرحمن مما عزز توجه الجماعة الجديد ويؤكد المؤلفون أنه بالرغم من معارضة بعض من قادة الخارج إلا أنهم واثقين أنها ستنال إجماع كل الأعضاء ثم يمضون قائلين إن حادث الأقصر كان صدمة لهم جميعًا وعلى الرغم من ذلك فإنهم واصلوا تمسكهم بالمبادرة وفي هذا الكتاب يعتبرون العنف يؤدي إلى هلاك المسلمين.

هذا الكتاب يعتمد على أفكار مدعمة بالكتاب والسنة والنتيجة التي ينتهي إليها الكتاب هي منع القتال بين الشرطة والجماعات الإسلامية حيث تتوحد الأمة الإسلامية أمام أعدائها الحقيقيين وبهذا يتم حفظ دماء المسلمين وتطفأ نيران الفتنة.

**الكتاب الثاني:**

**النصح والتبيين في تصحيح مفاهيم المحتسبين**

يتحدث المؤلفون عن الغلو في الدين ومنه الحسبة التي هي فرض كفاية وأن الجماعة بالمراجعة تسعى لتصحيح الأخطاء التي أحاطت بتطبيق هذه الفريضة وقد وضع

www.ibtesama.com

الكتاب قيودًا على تطبيق هذه الفريضة حيث يشترط الإخلاص وأن يبتعد المسلمون عن الظن بالناس ويعتمدوا على ماهو قطعي وألا يحمل صاحب الحسبة الناس على مذهبه وأن يتجنب الاحتساب باليد خشية وقوع المفاسد والضرر.

في الباب الأول يتكلم الكتاب عن نظام الحسبة في الإسلام لحماية المجتمع من الداخل وأثر فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تربية الفرد والمجتمع وأنها فرض كفاية لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

في الباب الثاني يذكر الكتاب عقاب الظن والتجسس وفي الباب الخامس يتكلمون عن قاعدة لاضرر ولا ضرار وفي الباب التاسع يتكلمون عن موضوع مهم وهو أن المحتسب إذا تيقن أنه يعرض نفسه للهلاك والمهانة والإذلال فعليه ألا يعرض نفسه لذلك ولكن ينكر بقلبه وفي الباب الحادي عشر ينهون عن التصدي للانحراف باليد وهذا لا يكون إلا للقاضي الذي من حقه أن يحكم على الجاني بما يراه.

**الكتاب الثالث:**

**حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين**

ويبحث الكتاب الثالث في نشوء ظاهرة التكفير في مصر وأن من أهم أسبابها التعذيب في سجون عبد الناصر ثم تكلم عن الغلو والإفراط والتفريط وأضاف أن مظاهر التكفير هي التعصب للرأى والتشدد في غير الموضع وضعف البصيرة بحقيقة الدين والاشتغال بالمسائل الجزئية عن الكلية وعلى الوجه الآخر غلاة العلمانيين الذين يريدون نقل الناس خارج الشريعة ويذكر البحث أن الإسلام دين الوسطية ثم يمضي إلى معنى الإيمان ومعنى الإسلام ومعنى الكفر ثم ينتقل إلى بدعة التكفير لجهال المسلمين والعوارض التي تمنع تكفيرهم ثم تكلم عن حكم الموالاة وأخيرًا حذر البحث من تكفير المسلمين.

**الكتاب الرابع:**

**تسليط الأضواء على ماوقع في الجهاد من أخطاء**

يذكر هذا الكتاب أن هداية الخلائق مقدمة على الجهاد إذ الغاية مقدمة على الوسيلة

(1) سورة آل عمران، الآية: 104.

www.ibtesama.com

فإذا تعارضت الغاية مع الوسيلة قدمت الغاية فإذا أصبح الجهاد نفسه محدثًا للفتنة في الدين ومانعًا لتعبيد الناس لربهم وصدًا للناس عن دعوة الحق لم يحقق الجهاد بذلك مقصوده حيث فيه إراقة دماء بغير وجه حق ومن ثم فهداية الخلائق هي الأصل ولأهمية فريضة الجهاد وضع لها الإسلام سياجًا وهو أن يكون لله وفي سبيل الله والجهاد مثل أي فريضة في الدين لا بد من تحقق مشروعيته حتى يكون واجبًا حيث يجب أن يكون موافقًا للشرع وأن يكون حريصًا على عدم إراقة الدماء واستحلال الأموال كما يجب ألا يضر بمصالح الأمة ومصالحها العليا.

الكتب الأربعة بهذا الشكل شكلت وعيًا جديدًا لدى أبناء الجماعة الإسلامية دون غيرهم نظرًا لأن الكثيرين من علماء الأمة وغالبية الدعاة لم يكن هذا شيئًا جديدًا عليهم بل اعتبروا أن الجماعة بهذا الشكل إنما رجعت إلى ماكانوا يعتنقونه قبل ذلك وهناك من اعتبروا المراجعات إنما هي تكتيكية وتراجع وليست مراجعات ولكن هؤلاء كان صوتهم ضعيفًا.

كان الأستاذ جمال سلطان قد علق على هذه المراجعات قائلًا في المنار الجديد إن الجماعة تعود هكذا إلى سيرتها الأولى ولكنه أنكر على الجماعة إغفال الشق السياسي في هذه المراجعات وعدم وجود البعد المستقبلي في مراجعات الجماعة.

وقد التقى عصام العريان أحد قيادات الإخوان الشابة قيادات الجماعة في فترة اعتقاله وتحديدًا في طريق ذهابه إلى مستشفى سجن ليمان طره وهذا ما سمعناه في السجون يومئذ، قال العريان إن العنف ارتبط بالضغط على السلطات لتحقيق بعض المكاسب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكد العريان صدق هذه المراجعات.

وقد خالف أبو العلا ماضي الإجماع باعتباره أن هذه المبادرة لن تؤدي إلى وقف العنف وأن قيادتها تدعو للمبادرة من أجل جانب تكتيكي فقط رغم تاريخ المعرفة والصداقة بين أبو العلا ومشايخ الجماعة فقد قال ذلك لحسابات الله أعلم بها!!

الدكتور عبد الصبور شاهين في جريدة اللواء الإسلامي قال لا أرى بأسًا رغم كل ماحدث من قبول تلك المراجعة والتعامل معها بموضوعية وحسن ظن من المجتمع بكل فئاته.

وقال الدكتور محمد مورو بمجلة المختار الإسلامي إن هذه التطورات من قبل الجماعة تستحق وقفة تأمل.

www.ibtesama.com

الأستاذ مكرم محمد أحمد قال في جريدة الميدان إنني لا أملك مبضع جراح كي أفتش عن القلوب والنيات ولكن ما جرى أمام عيني على امتداد خمس ساعات كاملة أو يزيد لم يكن بالقطع سيناريو أحكم ترتيبه أو مسرحية أخرجت بعناية كما يعتقد البعض.

ويرى الأستاذ ضياء رشوان في جريدة الأهرام أن المبادرة ستظل مستمرة لأن الجماعة الإسلامية اعتبرتها تغييرًا استراتيجيًا وجذريًا.

والأستاذ أحمد المسلماني في جريدة الأسبوع يقول إن المبادرة جاءت في اللحظة الصواب بالنسبة إليها وفي اللحظة الخطأ بالنسبة إلى بلادنا.

في يونيو 2002 كان الحوار الذي أجراه الأستاذ مكرم محمد أحمد وكان له صدى داخل السجون ولم يكن ما جاء في الحوار جديدًا علينا ولكننا نذكر بعض العناوين للتاريخ ومنه بشاعة حادث الأقصر شجعت قيادات الخارج على التجاوب مع مبادرة الجماعة - مصطفى حمزة أبلغنا موافقته على المبادرة رغم وجوده في إيران - فكرة التوحيد بين الجماعة والجهاد لم تعد مطروحة - نرفض أن يكون للجماعة تنظيم سري وآخر علني - كرم زهدي الجماعة ستصدر اعتذارًا علنيًا للمجتمع المصري على جرائم ارتكبت في حق مصر.

كان هذا هو صدى التجربة الجديدة وكنا نحن نخوض تجربة إنسانية جديدة داخل السجون بعد أن تحسنت معاملتنا وأصبحنا بالفعل نملك كل أسباب النجاح بعد الفشل الذي واجهناه في حياتنا.

* * *

## وعاد المشايخ

إن أكثر الذين كانوا يبدون اقتناعًا بالمبادرة في أيامها الأولى لم يكن عندهم تصور كاف لأي شيء بل لا يعرفون إلى أي مدى حقيقي سوف يسيرون عليه، إلا القليلة التي كانت تستشرف المستقبل حيث كان هناك خلاف كبير لدى الذين يفهمون ويعقلون حول التصورات لهذه المبادرة وكان المعنى الشائع أن هذه المبادرة سوف تنقذنا مما نحن فيه من الهلاك وهذا هو الأصل الذي كانت تبنى عليه التصورات ومن ثم كان لا وجود للمبادرة الحقيقية إلا بالفهم وكيف ذلك ونحن لم يكن عندنا قياسات حقيقية للتحديات

www.ibtesama.com

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولذا فقد كان تغليب المصلحة الذاتية على الطموحات هو أسهل شيء!!

إن هذا الشيء الذي أتحدث عنه هو أمر خطير ولربما أسهم وجودنا في السجن في هذا الالتباس الذي كنا فيه.

لم يكن ظاهرًا للعيان ما تحدثت عنه لأن ولاء أفراد الجماعة وتقديسهم للقادة جعلهم ولا شك يدافعون عن الفكرة مهما كانت.

ونظر إلينا المراقبون من الداخلية والشرطة بتوجس وريبة لأنه من رابع المستحيلات أن يظن عاقل أن آلاف المعتقلين بين يوم وليلة يغيرون أفكارهم عن قناعة ويصححون مفاهيمهم باقتدار.

لقد بات الأمر السائد أننا نحتاج جميعًا إلى الندوات من جديد وفي هذه الفترة فعلًا صرح وزير الداخلية حبيب العادلي في حواره الصحفي مع الكاتب أحمد موسى بجريدة الأهرام أن دفعات الإفراج عن المعتقلين ستتوقف إلى أن يتم التدقيق بشدة فيمن يخرج وبعد أن يتم التأكد من تغييره لأفكاره القديمة.

وعاد المشايخ من جديد وكان هذا هو أبلغ رد على الذين يشككون في المبادرة ويقولون إنها صفقة مع الحكومة.

كانت الصورة هذه المرة مختلفة تمامًا فالأمور الضيقة في السجن كانت قد اتسعت وكان الرفاق من إخواننا ينظمون كل شيء في السجن ويعدون التريضات بأنفسهم للندوات حتى بدا كل شيء جميلًا ورائعًا ويمشي في الطريق المرسوم له.

الحفلات لاتبدأ غالبًا إلا حينما يأتي الضباط ليشاهدوا الترتيبات بأنفسهم وقد رأيت بنفسي أحد الضباط وهو ينظم الطريق ويوسعه لقادة الجماعة لتبدأ الجلسة الأولى.

في الناحية الأخرى كنت أجلس أنا وأبو السمح (ك. ك) لنبحث عن نشيد جديد وأغنية إسلامية لتنشدها فرقتنا في السجن واقترحت عليه أن نغني أغنية مثلًا يا أحلى اسم في الوجود ولكننا لم نتفق وأخيرًا وجدنا قصيدة للشاعر مصطفى الضمراني فقام أبو السمح بتلحينها وقامت الفرقة بإنشادها قبل الخطب التي كان يقولها مشايخ وقادة الجماعة.

**كل مافيكي بيغني ياأم الدنيا يا حلوه يامصر     باللي عليكي تلات حراس اسم الله وعزه ونصر**

www.ibtesama.com

**المصري عمره ما خان العهد ولا حتى يخلف وعد صادق وصابر في حياته لا اخوانه دايمًا حافظ الود**

**والـصـدق فـي حـيـاتـه مـبـدأ**

وقفت فرقة الأناشيد صفين في أول العنبر الذي يدخل فيه المشايخ وأنشدت لكرم وناجح إبراهيم قائلةً:

**هـلا بـالـغـالـي مـرحـبـتـيـن أعـز الـنـاس بـإيـمـانـك**

**وبـالأحـبـاب عـلـى الـصـفـيـن سـلام الـيـوم عـلـى شـانـك**

**تـراب الأرض فـي الـوديـان بـيـعـرف عـزم اقـدامـك**

**بـنـورك فـي الـلـيـالـي نـشـوف وانـت ذخـر إسـلامـك**

قدم الأخ كرم زهدي لمحات في كلمته حول أمريكا وما تفعله بالمسلمين وحول طالبان وحول الحرب التي يشعلها الغرب على المسلمين والضغوط المتواصلة على الأمة العربية بعد الحادي عشر من سبتمبر وأظنه نجح في توصيل رسالته للإخوة بأن هناك ثوابت لا يمكن تجاهلها وما زال مشايخ الجماعة يحتفظون بها وأن الجماعة ما زالت تناصب الغرب العداء وأنها ما زالت تجاهد بالكلمة لإعلاء راية الله.

كما تحدث الأخ كرم عن هؤلاء الذين يسرقون المليارات من بنوك مصر ويهربون بها إلى بنوك سويسرا وأوروبا ليؤكد كذلك على وجود الثوابت الوطنية لدى الجماعة وأفرادها.

وتكلم بعده الأخ ناجح إبراهيم علي قائلًا إن المبادرة هي أهم الأعمال التي تقرب بها إلى الله تعالى لأنها هي التي أوقفت نزف الدم وإزهاق الأرواح وقال لولا المبادرة ما جلسنا هذه الجلسة وأشار إلى ملاءة من القماش معلقة على الجدار قائلًا:

**- لولا المبادرة ما دخلت لكم هذه الملاءة ولكنتم متم في السجون وإنني أفخر أنني من القادة الذين أطلقوا المبادرة.**

في اليوم التالي ألقى صفوت عبد الغني كلمته التي تخللتها بعض الأسئلة التي أجاب عنها ببراعة وأعجبني في صفوت يومئذ شجاعته في الإجابة عن السؤال الذي سأله إياه أحد إخواننا وقال له إن مشايخ الجماعة يلقون بالاتهامات علينا في كل ماجرى من أحداث قتالية وعنف فقال له صفوت:

www.ibtesama.com

- طب ماهم اللي كانوا بيدوا الأوامر بكل اللي حصل.

وصور قادة الجماعة لإدارة مصلحة السجون أن سياسة التضييق وسياسة المنع كانتا سببًا في عدم تفهم بعض الأمور في مبادرة وقف العنف فبدأت سياسة التوسعة بغير حساب وأصبح للجماعة لجان وأمراء مسؤولون عن كل شيء في السجن وأخذنا حقوقًا كثيرة ولكن حقنا في الحرية لم يأت بعد.

* * *

## رسالة إلى عصام دربالة

هو من الشخصيات المهمة داخل مجلس شورى الجماعة وتاريخه الحافل مع الجماعة أعطاه ثقلًا كبيرًا ومكانة أكبر. . كان الرجل من المؤسسين الأوائل للجماعة بعد أن تخلى عن ناصريته التي أثرت فيه إلى حد كبير.

كان هو بالطبع ممن أخذوا القرار بأحداث مدينة أسيوط ولكن التاريخ يشهد للرجل أنه كان غير موافق على حادث المنصة واغتيال السادات هو وعبود الزمر وفي الأحداث ذاتها كان يمسك قنبلة يدوية أراد أن يلقيها على قوات الشرطة وبعد أن نزع فتيلها فوجىء ببعض رفاقه يقفون على مرمى القنبلة فآثر أن تنفجر فيه فلم يلقها عليهم فانفجرت به وقطعت يده اليمنى.

عصام دربالة هو العقلية المفكرة داخل الجماعة وهو الذي يضع لها سياستها ويصنع لها كثيرًا من توجهاتها وهو يؤمن منذ زمن طويل أن الجماعة لا بد أن تكون مؤسساتية لها مؤسسات ولها مراكز لاتخاذ القرار وقانون ثابت يحاسب المقصرين ويسير أمور الجماعة والفترة التي قضاها محكومًا في قضية اغتيال السادات والتي زادت على سبعة وعشرين عامًا ألهمته المزيد من الخبرات.

كانت كلمات الأخ عصام دربالة في الندوات الأولى للمبادرة عن الخطاب الديني وصراع الحضارات وصمويل هنتنجتون وفوكاياما ونهاية التاريخ وكلمته المشهورة التي قالها في الندوة الكبيرة في فناء السجن على المنصة بأنه إذا كانت للجماعة أخطاء فإن للدولة أخطاء وأن ما كانت تفعله الجماعة ليس كله خطأ وليس كله شرًا بل كان فيه خير كثير، هذه الكلمات أعطته المزيد من الزخم والمزيد من احترام هؤلاء الذين فوجئوا بندوات المبادرة والمشايخ الذين يعترفون بخطئهم دائمًا.

www.ibtesama.com

وكان يقال لنا إن إجاباته الصريحة هي السبب في عزله في سجن المنيا وعدم مجيئه في الندوات الأخيرة!!

وعلى سبيل المثال حينما سئل عن عبود الزمر وهل هو معزول أم لا؟

**- قال إنه أول من أطلق المبادرة وساعد على إخراجها ولكنه أراد بعض التطبيقات المعينة التي رفضها الأمن.**

وحين سئل عن التائبين قال إن التوبة وقراراتها ماتت وإن المبادرة جاءت لتقضي على ما يسمى بإقرارات التوبة.

هذه الإجابة أثارت لغطًا كبيرًا وبالذات ممن وقعوا على إقرارات التوبة قبل الندوات فقالوا أليست المبادرة توبة جماعية؟!

ولكن الإجابة الأهم هي مايتعلق بالحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله فكان يجيب بأن الحاكم المستبدل هو كافر بجمهور العلماء وأنه لا تغير في هذه المسألة.

فأصبح صاحبنا بهذه الإجابات هو الشخصية المحورية التي يراها بعض الرفاق لا تتخلى عن الثوابت وأنني تمثل الجناح المتشدد داخل الجماعة وبالأخص بعد بقائه في سجن المنيا وعدم مجيئه في الندوات الأخيرة.

**أرسلت إليه هذه الرسالة وهو في سجن المنيا وهذا هو نصها:**

( الحبيب الفاضل بعد السلام عليكم ورحمة الله:

إن التوقع والحلم والتوتر تفتح أحيانًا أماكن مظلمة في قلبك وتجعلك تحاول من جديد وهذا ما حدث بالضبط وجعلني أكتب هذه الرؤية والقراءة لما نحن فيه وإني لأزعم أن أي رؤية أو مراجعة وإصلاح هي الضمان الوحيد للبقاء والقدرة على الحياة والاستمرار ولكن إشكالية مثل هذه الأمور هي الشعور لدى البعض أنها لا تنبع من صدق وإخلاص وأنها لا بد أن تصدر عن القادة فقط وهذا لأن أغلبنا ينظر دائمًا بريبة وتوجس إلى النشء وقاعدة الجماعة على أنهم صغار لا يكبرون أبدًا وأن الكبار وحدهم هم القادرون على الفهم والإدراك والإصلاح.

كم من العقول داخل الجماعة قد اختزلت أفكارها ووضعت في سلة المعارضة واتهمت بالسطحية أو العقلانية وعلى استحياء في بعض الحالات بالعلمانية وتم تحريض الناس عليها وأصبحت منبوذة أو بعيدة تمامًا وهذه هي الصورة القاتمة بأنه لا مكان للمفكرين داخل الجماعة لأن أقصر الطرق للحياة الهادئة داخل السجون أو الحصول على

www.ibtesama.com

مكانة بارزة بين الأقران هي الطاعة العمياء، وهكذا فإن مجتمعنا أصابه الشلل والركود وأصبح مثل مستنقع بارد في حاجة إلى تغير شامل وتخطيط محكم تتضافر فيه الجهود من أجل إصلاح حقيقي وهذا هو الدافع للرسالة ولكن المشكلة الأولى تكمن في اليأس من الإصلاح والثانية تكمن في المرحلة التي نحن فيها في السجون حيث أننا إذا سكتنا فإن ذلك سيكون عنوانًا على الضعف وليس القوة وعلى الهروب وليس المواجهة مع أخطائنا.

إن ندوات المبادرة ليست نهاية المطاف والدليل هو عمليات التدهور المتواصلة وعمليات التخريب المقصودة وغير المقصودة التي يساهم فيها أمراء الجماعة في السجون أو ما يسمى بأمراء المراكز بقسط كبير ووافر.

لقد مرت بنا حقبة عشوائية وعنف قبل المبادرة وحقبة دم ودموع داخل السجون وجاءت المبادرة لتسهم في علاج كثير من الأخطاء والآن جاء الدور لنبدأ ثورة إصلاح جديدة لبعض هذه المفاهيم:

أولًا - ما زال سلوكنا ينفي الآخر ولا يرى إلا تفسيرًا واحدًا للأمور ولا يؤمن بالحوار والسماح للآخرين بالوجود حتى أننا نبحث في الظلام عمن نوجه له سهامنا ونرفع عليه سيوفنا فكان مصيرنا مزيدًا من الإرهاب الفكري على كل صاحب فكرى مغاير ومزيدًا من الديكتاتورية التي أصبحت وجبة ساخنة في طقوس حياتنا اليومية وصدقني نحن لا نستطيع أن نناقش أي أمير فيما يراه بل نفاجأ ببعض المغامرات المحسوبة وغير المحسوبة التي علينا أن نتحمل نتائجها وأنا لا أعر ف لماذا نغلق باب الحوار والمناقشة إذا كنا نريد الارتقاء بتفكير الأفراد فالفكر السليم لا يستقيم في غيبة الحرية وإغلاق النوافذ يصيب تفكير الإنسان بالعطب والاختناق والموت البطيء وشريعة الإسلام مرتبطة بقدر كبير بالحرية ولكن ثقافة الانغلاق وإقامة الحواجز وفرض الوصاية على الناس جعلتنا نأكل ذاتنا وفي المثل إنك تستطيع أن تجبر حصانك على الوصول إلى النهر ولكن لا تستطيع أن تجبره على الشرب.

ثانيًا - إن مسألة الحاكمية والحاكم المستبدل تشكل خللًا واضحًا بل هي محصورة في مسألة تكفير الحاكم رغم أن هذه المسألة سوف تحصر الإسلام في مسألة واحدة من مسائل العقيدة وبرغم تسليمنا بأهميتها فإن الإسلام عقيدة وشريعة في الكون والحياة وليس محصورًا في الحاكمية فقط خصوصًا وأن مبادرتنا استراتيجية وهي تعني عدم الخروج على الحاكم وأنا آسف أنكم ساهمتم بشكل واضح في هذا الخلل والالتباس وأنكم تريدون تسجيل موقف تاريخي لكن المسألة أعظم من تسجيل المواقف حيث بهذه

www.ibtesama.com

الصورة ستصبح المسألة ذات تبسيط مخل سيفرض متغيرات وسلوكًا جديدًا وهذا ما يحتاج إلى حسم حتى لو خالف رأي حضرتك بالإضافة إلى أن الكلام في الحاكمية وتقديمها على أشياء أخرى مهم بهذه الصورة التي لا تقدم ولا تؤخر فهو إسراف أيدلوجي يجعلنا نعجز أن نفرز ما يصلح وما لا يصلح ونخلط الأوراق ونتصرف وكأنما قدر علينا أن نعيش في ثورة ومواجهة دائمتين وهذه هي الأزمة الحادة التي نمر بها.

**ثالثًا** - إن ظروف نشأة أي جماعة تجعل البنية التنظيمية وتجنيد المسؤولين يمكن ألا يتم عبر شورى وديموقراطية حقيقية وهذا واضح جدًا داخل الجماعة وصراع السلطة والمسؤوليات يتواصل ويستمر لكي يضمن كل واحد من المتنافسين مكانه في كراسي الأمراء معتمدًا على الرصيد التاريخي داخل السجون.. إنها الحقيقة المؤلمة التي جعلتنا مع الديكتاتوريين العظام رغم أن ديننا ونظرية الإسلام السياسية تقول إن السلطة للشعب وفق قانون السماء وإنني أتساءل متى أختار من يقودونني عن قناعة ورضا حتى أستجيب لما يأمرني به عن قناعة ورضا؟!

**رابعًا** - لماذا تصر الجماعة على أسوأ أساليب اختيار المسؤولين فيها وتقدم صورة سيئة لمصطلح التجنيد السياسي فتقدم أهل الثقة الموالين لها على أهل الخبرة الذين يمكن أن يرتقوا بها؟!

ولذا فإن أغلب الأمراء ليسوا بأمراء حتى بأكثر مقاييس العمل الإداري تواضعًا رغم أن هؤلاء هم عباقرة الإخفاق الذين ساهموا في كل نكبة وهم يحتاجون إلى محاكمة حقيقية على جرائمهم في حقبة الدم والدموع قبل المبادرة.. إن هؤلاء اكتسبوا شرعيتهم بهذه المناصب التي أعطتهم إياها الجماعة ولو أزيحوا من مواقعهم فسوف يفقدون قدرتهم على الوجود وعلى البريق وعلى الحياة.

**خامسًا** - هناك تفكير شاذ ومذهب يحتوي على الرفض والترهيب لكل ماهو مغاير لنا حتى جعلنا ذلك نفسر كل الظواهر والأشياء ونرسم صورة سطحية تافهة لما نريد ونحرض الأفراد أن يحملوا توجهاتنا المعادية لما لا نحبه والعكس لأننا مازلنا نتميز بنزعة عاطفية ونميل إلى تضخيم الأمور ولا نستطيع التحليل العقلي الهادىء ونتحدث عن الأشياء التي نريدها وكأنها موجودة بالفعل بينما هي لا وجود لها إلا في مخيلتنا وعلى سبيل المثال التلفاز وعدم دخوله الزنازين وهي مسألة تدل على شيزوفرانيا واضحة حيث أن الأفراد الذين يشاهدونه في سجن المنيا هم بأعينهم الذين يمنعون عنه في سجن الفيوم

www.ibtesama.com

ولكنها عقلية أمير السجن ذات الخلفية الفقهية الضيقة التي تتحجج بأن ممارسات غير أخلاقية ستنتشر بين المعتقلين إن دخل التلفاز وليس هذا بعجيب حيال فئة تحرم دخول مجلة الشباب وتمنع بعض روايات كبار الأدباء.

سادسًا - لكل شيء أصل وصورة وصورة الجماعة هي خطبة الجمعة ولكن حينما تكون الخطبة على شكل موعظة دينية لترغيب القلوب وترهيبها أو تقويم السلوك وإعادة الإنسان إلى الطريق القويم فهذا مطلوب وطيب وأما إن تعدت ذلك وأصبحت خطابًا سياسيًا تتسرب منه الكلمات الرنانة التي تستلك من أعماقك وتأخذك بعيدًا فلابد أن تكون هذه الخطبة على مستوى المسؤولية السياسية وأن تتميز بوضوح الرؤية وتفوقها ووضوح الهدف ولا تكون خطبة هزيلة شديدة الضعف تصيبك بالغثيان!!

هذا هو هو حال خطب الجمعة والمواعظ التي نسمعها من خطباء الجماعة التي لا تكف عن الحديث في أعتى القضايا السياسية وإطلاق الفتاوى في القضايا الضخمة كقضية العراق وتطوير الخطاب الديني إلى غير ذلك!! فما رأي حضرتك في ذلك؟!

انتهت رسالتي للأخ عصام دربالة وجاءتني رسالته التي قال فيها:

(الحبيب ماهر

**لقد صدقت حينما قلت إن المبادرة لم تكن نهاية المطاف بل هي البداية لطريق الإصلاح ولكن المشكلة التي أزعم أنها تواجه هذا الإصلاح هي في المقام الأول وليس الأوحد في إتمام هذا الإصلاح في ظرف غير مواتٍ لا نمتلك فيه كل أسباب الإصلاح وأدواته ولا ننفرد بتسيير معطياته وتفاعلاته مما ينعكس على استمرارية مثل هذا الإصلاح لينال جوانب عديدة ذكرتها في رسالتك الكريمة ولعلنا نتفق على أن التغيير الذي يتبع أي عملية إصلاحية يواجه عادة بمعوقات أكثرها ينبع ممن لا يرون أن في هذا الإصلاح فائدة لهم وممن ستتأثر أوضاعهم بالتغيير المنتظر وممن لايدركون قيمته ويتفهمون مغزاه.**

ولعلك تتفق معي في أن العديد من المعتقلين الآن بالسجون لا تعنيهم مسائل الإصلاح بقدر اهتمامهم بأخبار الإفراج ولذلك فإن تقييم بعض الظواهر السلبية التي ذكرتها لا بد أن يضع في اعتباره هذه الحقيقة.

ومما لاشك فيه أننا بحاجة إلى الانفتاح على الآخر دون ذوبان فيه أو صدود عما لديه من خير ونحن بحاجة إلى تقديم من هو أهل للمسؤولية بعيدًا عن أي اعتبارات أخرى وإن كنت أعتقد أن هذا البلاء الطويل الذي وقع فيه الإخوة سوف يسهم في إعادة ترتيب

www.ibtesama.com

الصفوف ووضع كل إنسان في مكانه اللائق به، ولن نعجب إذا رأينا العديد ممن تولوا المسؤولية يومًا قد ذهبوا في حال سبيلهم.

وأيضًا يا أخي نحن بحاجة إلى مشاركة جميع الإخوة في صياغة مستقبل العمل والمشاركة في اختيار المسؤولين وفي طرح تصوراتهم في شتى القضايا.

وتبقى نقطة أخيرة تتعلق بمسألة الحاكمية فقد أستوقفنى التعبير [إنكم تريدون تسجيل موقف تاريخي.. إلخ] فالحقيقة إنني أسجل موقفًا شرعيًا أحاول من خلاله ترجمة رؤيتي الخاصة بالمبادرة والمتمثلة في فسح الطريق أمام الجماعة لمواصلة العطاء لدين الله دونما تفريط في حكم شرعي، وموقفي في المسألة معلوم وهو بالنسبة إلى الحاكم المستبدل بشريعة الإسلام شريعة أخرى فإن حكمه الكفر أما تنزيل هذا الحكم على الواقع فيحتاج إلى إعمال قاعدة توفر الشروط وانتفاء الموانع وهو أمر يجب النظر فيه من آن لآخر ومع كل حاكم من الحكام، وهي تمثل لب العمل الإسلامي الذي يسعى لصياغة المجتمعات على هدي الكتاب والسنة والقضية عندي كيف نسير ونحقق أهداف الإسلام دونما الإطاحة بأحكام نرى صحتها وأحسب أن الوصول إلى هذه الصيغة المتوازنة هو الحل الصحيح من وجهة نظرى).

إلى هنا انتهت رسالة الأخ عصام دربالة التي أرى أنها وضحت نقاطًا هامة حول مستقبل الجماعة وبالأخص مسألة الحاكمية التي ثار حولها جدل واسع.

****

## أين نحن الآن؟

ترامت إلى مسامعنا أخبار ونحن في سجن المنيا أن الجماعة سوف تطلق موقعًا على شبكة الأنترنت.. أنا رأيت الأخ هشام عبد الحفيظ بعد خروجه من المعتقل وهو في زيارة مشايخ الجماعة الموجودين بسجن المنيا غير مرة.. كان يعرض عليهم صورًا تجريبية للموقع.

أثيرت في السجون بعدها أسئلة حول المستقبل والعمل وهل هناك فرصة مقبلة لهؤلاء الشباب أن يعملوا من خلال الجماعة؟! وما مدى استقلالية هذه الجماعة وكيف ستكون؟! وعلى أي صورة ستبقى؟!

الفتاوى في هذه المسائل كثرت وزادت عن حدها وكانت قلة قليلة هي التي تثير

www.ibtesama.com

الأسئلة والبقية الأخرى الغالبة لا تفكر إلا في الخروج من السجون أو على أقل تقدير في زيارات أهلهم!!

وأرسل الأخ عصام دربالة رسالة بعنوان مجرد ذكريات وأظنه استعار العنوان من كتاب للدكتور رفعت السعيد يحمل الاسم نفسه دعانا في رسالته للتفكر في أهداف حياتنا المقبلة وفي التخصص في القراءة والدراسة لأن أسرنا سيصبح بعد ذلك مجرد ذكريات ولكنه يوم 7/ 1/ 2006 قدر الله تعالى أن ألتقيه بسجن المنيا أيام الامتحانات ليجيب إجابات مقتضبة عن أسئلتنا قائلًا:

- إن مدى استقلالية موقع على الجماعة على النت لا بد أن نوليها اهتمامًا كاملًا وهذا الأمر مرهون بإرادة أبناء الجماعة وقياداتها والذي عندي أنا شخصيًا أن الموقع يترجم رؤية الجماعة لفهم الإسلام فهمًا شاملًا كما أن الموقع يبدي مشروعية قرارات الجماعة والدليل على ذلك مشروعية الموقع ومنهجه الكامل المستقى من الشريعة الإسلامية.

وأين نحن الآن؟ له إجابة تحتاج إلى نوعين:

**1 - موقع ميثاق العمل الإسلامي والعلاقة بين ما هو قديم وما هو جديد والنقطة الأخيرة وهي الدراسات الجديدة حيث هي تكميل لأمور ظهر مسيس الحاجة إليها وتصحيح لأشياء ساء فهمها وتصحيح لممارسات كانت خاطئة مثل قتال الطائفة الذي كان في التسعينات من أحداث لم يكن قتال طائفة لأن أصنافه ليست من أصناف الطائفة ولأن الهدف وقتئذ من القتال مع الحكومة كان لمنع الظلم وكان القتال في التسعينات أقرب إلى القتل من القتال، وقتال الطائفة حكم ثابت مجمع عليه وفي مصر يوجد امتناع عن الشريعة وهو أمر واقع أما كون أن هناك عذرًا أم لا؟ فهذا فيه خلاف وهذا يحتاج إلى توضيح وتكميل في الأسباب الموجبة للقتال والموانع التي لا بد أن تكون موجودة وياليتنا ألحقنا ببحث الطائفة الموانع والشروط.. هذه الأشياء لا بد أن توضح ولكن شرط ألا نلغي الحكم لأن الحكم مجمع عليه من العلماء.**

**والنموذج الثاني مشكلة الأقباط وهذه المسألة كان فيها تعد وظلم منذ التسعينات ولم تكن هناك دراسة توضح هذه المسألة والأيام أثبتت أن مسألة النصارى أثبتت نفسها على الجميع سواء الحكومات أم الجماعات.**

**وتظهر في مسألة أين كنا أمور متفق عليها داخل الجماعة مثل مسألة الحاكمية حيث يحتمل الأمر الرأيين حسب حال الحاكم وما يحكم به واستبدال وتطبيق القوانين وبناءً**

www.ibtesama.com

على ذلك يجمعنا جميعًا أن الجهاد لا يجوز أن يتحقق في مصر لعدم وجود شروط وانتفاء موانع.

2 - ميثاق العمل الإسلامي وهو الأمر الثاني فبنوده غير قابلة للتبديل أو التغيير لأنها كليات في الدين وأقصى ما يقال أن هدف إقامة الخلافة مثلًا لا نستطيع الوصول إليه.

3 - الأمور الخاصة بالجهاد كانت تسقط على واقع مصر وكانت تحدث أخطاء بسبب هذا الأمر والأهداف التي لا نستطيع القيام بها الآن لن تحذف أو تغير وإن كنا لا نستطيع القيام به لأن القدرة مناط التكليف.

4 - العمل الجماعي وهو أمر هام حتى نستطيع أن نصل إلى ما نقوم به من إقامة الدين أما المسائل التي فيها تنزيل على الواقع الذي يتغير فلا بد أن ننظر إلى الواقع المتغير لأن الأحكام تتغير بتغير الواقع.

ومن يسأل إلى ماذا ندعو؟!

ندعو إلى هذه الكليات وإن كنا نختلف في بعض الشروح إلى أن الأصول المحكمة ثابتة.

* * *

## ورقات الجدار

أشرق الصباح فرأيت بعض ورقات معلقة في فناء العنبر الخلفي وكل إخواننا تقريبًا يتلهفون إلى أي تنبيهات أو ورقات علها تحمل في سطورها أخبارًا سارة حول الإفراج عنهم!!

الورقات المعلقة كانت نصًا لحوار تلفزيوني مع الكاتب الصحفي جمال سلطان والأستاذ ضياء رشوان حول الجماعة والمبادرة.

منذ هذا الحوار أصبح الأستاذان نجمين محببين لدى العموم على اختلافهم.. يقبلون منهم كل ما يقولان في ظرف قد لا تقبل كل الآراء فيه.

الشيء اللافت للنظر والمحسوب في الوقت ذاته بدقة أننا نجد كل حين مثل هذه الورقات ولانعرف من الذي علقها!! ولكن بحق لقد شكلت مثل هذه الأشياء وعينا نحو

www.ibtesama.com

المبادرة وكنا في أمس الحاجة إلى هذا الوعي لكي يخرج الجميع من حالة القلق التي تسيطر عليهم والاضطراب والشك ونظرية المؤامرة التي تحيط بهم.

* * *

## نص الحوار

**س1: مارأيك في هذا التحول؟**

جمال سلطان: إن هذا التحول هو تحول حقيقي بمعناه الكامل فهو يمثل بؤرة البنية الفكرية وليس السطحيات، والمفروض أن نتقبل هذا التغيير بشكل موضوعي فاندفاع الشباب ليس في الجماعة الإسلامية فقط فهم جزء من نسيج فكري واحد مر بكل الظروف التي مر بها غيرهم فقد كان هناك اندفاع في الثورة وتهور واندفاع في حزب الوفد وكذلك التنظيمات اليسارية تميزت بالاندفاع في فترة من الفترات ولكن مع تراكم الخبرات يحدث هناك عملية تطور تطبيعي منطقي بعد التأمل في الثغرات والأخطاء وحدث ذلك في كثير من الحركات والتيارات الفكرية ولعلني أقول إنه بالنسبة للجماعة حدث انكسار للحاجز النفسي أدى إلى تغيير هذه الأفكار حتى يكون منسجمًا مع الظروف والواقع وغيره، أيضًا الحوار والرأي الآخر أدى إلى إزالة الحاجز النفسي والاقتراب إلى أماكن ومواقع لم يكن من السهل قبل ذلك تناولها بين المساجين ولكن مع بعض الظروف أصبح الحديث إيجابيًا شجاعًا وتم تناول موضوعات لم يكونوا قادرين على تناولها من قبل سواء في خارج السجون أو داخلها.

**س2: الانتقادات التي وجهت إلى الجماعة هل هي لمآرب شخصية خاصة إذا كانت هذه الانتقادات ممن هم في خارج مصر؟**

ضياء رشوان: أحب أن أوضح بل أؤكد أنه لا يوجد أحد خارج مصر يرفض وقف العنف أو يرفض المبادرة بمعناها ولكن بعض الأصوات انتقدت فقط بعض أفكار الكتب وانتقدت سلوكيات القادة التاريخيين للجماعة في الداخل بسبب تصريحاتهم وإجاباتهم المهزوزة عن بعض الأسئلة من بعض الصحفيين ولكن ليس هناك خلاف فكري داخل الجماعة حتى ولو ممن هم أكثر المتشددين داخل الجماعة والاختلافات فقط في بعض التفصيلات ولعل هذا يعتبر ظاهرة صحية أفضل من الخنوع الكامل لأي حديث هو في

www.ibtesama.com

حد ذاته هدم لتلك الأفكار التي كان أفراد الجماعة مقتنعين بها اقتناعًا كاملًا.

**س3: إلى أي مدى أثرت أجواء السجن في هذا التحول وهذا التوجه؟**

جمال سلطان: لا، أنا أعتقد أن السجن ليس هو المكان الملائم والمناسب لتكوين تصورات فكرية كاملة ولكن أعتقد أن المسألة متعلقة بما مضى بين الجماعة وأجهزة الدولة ولكن هناك مشكلة وهي أن المبادرة لم تبين ولم توضح ماهو مطروح مستقبليًا بالنسبة إلى الجماعة أو أي إطار مستقبلي ستكون عليه وأي فكرة ستؤمن بها.

**المحاور: إن المراجعات لم يكن عليها ردود سلبية بل كانت كلها ردودًا محترمة وهناك اتفاق على أن تلك المراجعات كان يجب أن تتم لكن من أين تلك الانتقادات؟**

جمال سلطان: تلك المشكلة أعتقد أنها أتت من ثلاثة أسباب هي 1 - الحوارات التي صيغت في الجرائد والمجلات مع قيادات الجماعة كان لها مردود سلبي كبير حيث أنهم ليسوا أصحاب خبرة فاستخدم ضدهم المكر الصحفي في إخراج ما يريد المحاور اخراجه دون النظر إلى نتائجه وهذا المردود السلبي كان قويًا على بعض قيادات الخارج 2 - التعتيم الإعلامي على المراجعات لم يكن حكيمًا فقد كان يركز بمصطلحات قوية كلها تومى بالاعتذار والندم والتوبة والضعف والعجز وغير ذلك من الإهانة 3 - التجاوب لم يكن كافيًا من الأجهزة السياسية فقد كان التجاوب معنصرًا في الأجهزة الأمنية فقط.

**المحاور: هل قيادات الخارج دعمت موقف الجماعة أم أن هناك آراء أخرى؟**

ضياء رشوان: في مارس 99 أصدرت قيادات الخارج بيانًا بوقف العنف ولعل أعضاء الجماعة يعلمون أن مجلس شورى الجماعة حوالى ثلاثة عشر منهم حوالى سبعة في الداخل أي النصف ومن هم في الداخل هم الأغلبية الذين اتخذوا القرار ومن كان في الخارج وافق عليه وميزة هذا القرار أنه لم يكن لشخص واحد بل كان هو لثلاثة عشر بالإجماع أي إن القرار اتخذ من يوليو 97 إلى مارس 99 يعني استمر عامين من مشاورات وتداول وغيره حتى جاءت الكتب لتعبر عن الجميع.

**المحاور: ماهو دور المؤسسات؟**

جمال سلطان: المفروض إتاحة المنابر الإعلامية للتفاعل مع الأحداث وذلك بأي وسيلة إعلامية خاصة بهم فهذا التفاعل يؤدى إلى رسوخ الأفكار والإحساس بالمسؤولية والمشاركة.

www.ibtesama.com

كما أحب أن أوضح أن هناك فرقًا بين قيادات الداخل والخارج فقيادات الخارج تتصرف في أجواء أكثر انفتاحًا وبساطة وأما قيادات الداخل فهي تتصرف في أجواء أكثر اتزانًا بل بطريقة معقدة فلا يجب أن يتم إغلاق الملف هكذا.

**المحاور بمعنى عودة هؤلاء إلى المجتمع؟**

ضياء رشوان: أصبح الملف مسؤولية جهات أخرى سياسية إعلامية اجتماعية وذلك بجوار الملف الأمني وأحب أن أوضح أن الأعضاء عندما يرون قياداتهم الكبيرة ورموزهم أفرج عنهم والأفراد الصغار في السجن فهذا في منتهى الخطورة وقد يؤدي إلى أشياء خطيرة قد تؤدي إلى الانشقاق ولذا يجب أن يفرج عنهم ويستوعبهم المجتمع.

**المحاور: هل هذا التحول يؤثر في مراجعات أخرى من جماعات أخرى قد تتم؟**

جمال سلطان: فعلًا هناك توجهات متشددة في الخليج تأثرت بالمبادرة وليس أدل على ذلك من أحد قادة هذه الفصائل في السعودية الذي أعلن تأثره بالمراجعات فالتأثير تعدى حدود مصر وبالتالى يجب على المؤسسات أن تتقبل هؤلاء ولاتنظر إليهم النظرة القاسية القاصرة بأنهم أهل عنف ولكن تنظر إلى تجارب الدول الأخرى في إدماج هذه الحركات والجماعات في المجتمع.

انتهى نص الحوار الذي علقوه على الجدار ولم ينته الحوار بين البعض القليل منا وأنا كنت منهم حول بعض الإجابات التي صدرت عن هذه الأسئلة.

بالطبع فالغالبية لم تقرأ الحوار بل كان الكل يسأل هل هناك جديد بالنسبة إلى الإفراج عن المعتقلين؟

من الناحية الأخرى كانت هناك زوبعة تسمى زوبعة التلفزيون قد شغلت الناس عن حكاية المبادرة والمراجعات الفكرية ووضعت السجون في مفترق الطرق ومنها سجن الفيوم العمومي.

* * *

www.ibtesama.com

## رسالة المفسديون

لم يحسم المشايخ بعض المسائل مثل مسألة مشاهدة التلفزيون. . كانوا يقولون لنا إنهم سمحوا لنا بإدخال التلفزيون إلى الزنازين.

قال أحدهم إن الشيخ كرم عنده تلفزيون في زنزانته.

نستطيع أن نؤكد أن هذه المسألة البسيطة أصبحت مشكلة المشاكل لأنها أكدت مدى تفهم الأمور المحيطة وظروف الواقع المعيش وكيفية التعامل مع المستجدات التي تحيط بنا ولانستطيع أن ننفصل عنها في خارج السجون.

الأوامر التي أصدرها أمراء السجون تمنع الوقوف أمام التلفاز إلا لأمير الغرفة الذي سيشاهد نشرة الأخبار وينقلها إلى الإخوة بعد ذلك.

أعرف ما كان يجتاح نفسي في هذه الأثناء وأنا لا أرى من المشهد سوى ذلك وأصبح هذا الشيء المسمى التلفزيون الذي أطلق عليه إخواننا المفسديون مشكلة المشاكل في الزنازين وجاءت الفتوى واضحة من مشايخ السجون والجماعة (بأن التلفاز من الأمور المختلف فيها وهناك ثلاثة آراء بأن التلفزيون محرم وقال آخرون بالجواز على الإطلاق والرأي الوسط بأن التلفزيون جهاز به البرامج المحرمة والبرامج الطيبة الجائزة والجماعة تأخذ بهذا الرأي الأخير الذي يجيز السماع والمشاهدة ولكن ينصح الإخوة بمشاهدة البرامج الهادفة مثل البرامج السياسية الإخبارية كبرنامج صباح الخير يامصر أو الأفلام الهادفة مثل فيلم عمر المختار، والطريق إلى إيلات).

يبدو أن المشايخ إلى يومها لم يشاهدوا فيلم الطريق إلى إيلات ولم يشاهدوا بطلة الفيلم وإلا لكانوا حرموا هذه المشاهدة!!

لم تصل هذه الفتوى إلى كل الغرف بل كان هناك من تعمد أن يمنعها عن الوصول للجميع وغالبية من وصلتهم الفتوى صمموا على أن المشايخ لايقصدون الوقوف أمام التلفزيون إلا للضرورة وكانت قيادات السجون كلها تصدر الأوامر بشطب الصور التي على الجرائد حتى صور صفحة الوفيات ويقولون إن ذلك من باب سد الذرائع وعلى كلّ فنحن إلى يوم الفتوى التي وصلتنا لم نفعل شيئًا لأن غالبية الناس كانوا يخافون من الفرق

www.ibtesama.com

بين صورة الملتزم الديني القديمة وصورتهم وهم أمام جهاز التلفزيون وأصبح الشاب المحايد الذي لم يكن تابعًا في يوم من الأيام للجماعة هو أول الحائرين.

لقد طرح هذا الأمر في غير أوانه وفي غير مكانه ولكنه كان كاشفًا لنا عن تلك الحالة المأزومة التي نعيشها وعن تلك القيود وسلطة المراقبة على المكونات الخلفية والمزاج لنا جميعًا وكاشفًا لنا عن طبيعة السلفية التراثية التي كنا نفهمها بطريقة خاطئة.

بدأنا شيئًا فشيئًا نقف أمام مباريات كرة القدم وكنت أنا من هواة المصارعة وليس وحدهم أمراء السجون الذين اكتشفوا أن قطاعات كثيرة بدأت تدخل التلفزيون إلى غرفها اعتمادًا على رؤيتنا مشايخ الجماعة ومعهم تلفزيوناتهم الخاصة في رحلة تصحيح المفاهيم.

تكفلت موجات الضجيج والخطب بإعلان المواجهة مع التلفزيون أقصد المفسديون بحسب تعبيرهم فحدثت المشكلة المشهورة بمزرعة طرة وهي مشكلة إخواننا الذين رفضوا البقاء معنا لمنعنا جهاز التلفزيون وصمموا على أن يذهبوا إلى سجن آخر بعيدًا عنا وكان هو سجن مزرعة طرة.

طالب هؤلاء الإخوة بعزلهم في عنابر خاصة يستطيعون فيها إدخال التلفزيون على راحتهم.

رفضت الجماعة في السجن الخروج من الزنازين لهؤلاء وكانت معركة كاشفة عن حالة الرفض والانقسام وكيف نحافظ على أتباعنا وهل في وسعنا أن نعيش بعقيدتنا ومبادئنا معزولين عن العالم من حولنا وهذه الثورة الهائلة من الاتصالات؟!

كيف نتعامل مع الأمر المختلف فيه؟ وكيف نقبل الآخر؟ وماهي أسباب الخلاف؟ وكيف نتعامل مع المختلف فيه؟ وإذا عبر التلفزيون عن حالة الانقسام رغم احترامنا لجميع الآراء فكيف نصل إلى حكمة الاعتصام؟

حاول بعض إخواننا أن يحلوا المشكلة بوضع كرتونة فوق صورة المذيعة وإغلاق الصوت عند سماع الموسيقى ولكن أكثر شيء سيضايقك هو أن تكون موزعًا بين الكرتونة والمشاهدة وإغلاق الصوت.

تسلل التلفزيون إلى الزنازين ومشى إخواننا إلى سجن مزرعة طرة وخافت قيادة الجماعة من انقسام الجماعة ليس بسبب المبادرة ولكن بسبب التلفزيون فأرسلت صفوت عبد الغني إلى سجن الفيوم الذي ظهرت فيه المشكلة بوضوح ليقول للرفاق إن الذين

www.ibtesama.com

ذهبوا إلى المزرعة لن يفرج عنهم لأنهم اختاروا سماع التلفزيون ولكن الأمور ستجري كما كان مقررًا لها كل في دوره ولاعلاقة للتلفزيون بمسألة الإفراجات وهذا حتى لايفكر غيرهم في الذهاب إلى المزرعة.

سمى الجمهور الذي يحب المشاهدة بالجمهور المعاند وتصدى لهم فريق آخر وأرسل الشيخ عاصم عبد الماجد هذه الفتوى إلى بعض الإخوة وأنا منهم سموا بعلمانيي سجن الفيوم كانوا من المناصرين لدخول التلفزيون للزنازين كان هذا هو نص الفتوى:

- [**الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام والصلاة والسلام على النبي العدنان المبعوث بالهدى ودين الحق إلى كل الأنام وبعد:**

بداية لا بد أن تكون بيننا أسس مشتركة نرجع إليها كمسلمين عندما نختلف في شيء ما وهذا ماحدده لنا الشرع قائلًا: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾(1) وسوف أوزع مناصحتي على خمسة موضوعات رئيسية ولنبدأ بأهمها على الإطلاق وهي تتعلق بالمنهج الذي نتبعه في تكوين قناعاتنا والدفاع عنها ومناصرتها والذي يعلمه العبد الضعيف كاتب الرسالة أن الإنسان مطالب أولًا بالبحث عن مراد الله منه ثم يحاول تحقيقه بعد ذلك أما كيف يبحث عن مراد الله فليس له إلا طريق واحد وهو الوقوف موقف المتعلم المتأدب مع آي الذكر الحكيم وأحاديث النبي فإذا وجد أمرًا امتثله أو نهيًا اجتنبه أو مباحًا كان له أن يأخذ به.

ومن الواجب على الإنسان قبل أن يتبنى شيئًا من الآراء أن يبذل جهدً كبيرًا في التعرف على حكم الله ورسوله في الأمر عن طريق اقتفاء أثر سلفنا الصالح من أهل العلم والإصلاح الذين عرفوا مراد الله وأفاضوا في بيانه وتفضيله وعلى هؤلاء الذين يعارضون قول الأمير الذي لايريد إدخال التلفاز إلى الزنازين أن يسألوا انفسهم بشجاعة كبيرة هل ما يتبنونه من أقوال عن معارضة الأمير وحدودها وذم الخوف وماتبنوه عن احتمال الشرع للرأيين المختلفين المتناقضين هل كل ذلك مستقى من أحكام الشرع أم أن هذه الأمور اجتهاد عقلي سيفتح الباب على مصراعيه لكل صاحب عقل لكي يتبنى مايراه من آراء ويبني عليها ما يشاء من مواقف انطلاقًا من رؤيته الخاصة وقد قرر العلماء أن هناك مصالح معتبرة شرعًا أي جاء الشرع بمراعاتها في أحكامه وجاءت تلك الأحكام للحفاظ

(1) سورة النساء، الآية: 59.

www.ibtesama.com

عليها وقسموها إلى مصالح ضرورية وحاجية وتحسينية وقرروا كذلك أن هناك مصالح موهومة لم يلتفت الشرع إليها بل أهدرها وشرع الأحكام على خلافها.

وكل من تلبس وأعرض عن تعلم الحق من مصدره واتبع مايظنه بنظره العقلي حقًا وصوابًا فله من ذلك الندم.

وإذا كان سلفنا الصالح متفقين على من ذم من أفتى في مسألة جزئية ولو صغيرة ولو لم تقع إلا لمكلف واحد مرة واحدة دون أن يكون مؤهلًا للفتيا أو كان أهلًا لها ولكنه لم يستفرغ الوسع حتى قالوا (ومتى قصر مجتهد أثم) فما عساهم يقولون في نصب مصالح وإقرار مبادىء بمعزل عن نظر شرعي سديد صادر عن أهله في الدليل الصحيح؟!

النصيحة الثانية تتعلق بثقافة الخوف والهروب من جهاز يمكن أن نتحكم فيه ولايتحكم فينا والرد على ذلك يتلخص في أن الخوف منه ماهو ممدوح ومنه ماهو مذموم ومنهي عنه شرعًا ومن الخوف الممدوح الخوف من الانسياق وراء المباحات فتوقعه الغفلة وتجره للمعصية فإلى أي النوعين من الخوف ينتمي من يريدون التلفاز؟

الغريب أنهم ينكرون الخوف لشيء يراه أهل الشورى في السجن أمرًا محظورًا يؤدي في بعض الأحيان إلى الحرام وبصيرتهم دفعتهم للاعتزاز بكل مايقال من كلام منمق عن فوائد هذا الجهاز، وأن مفاسده يمكن اجتنابها ببساطة ثم جعلتهم يواجهون النفس والضمير برفض كل حيل النفس وألاعيبها.

إن هؤلاء الخائفين هم من نجوا من مفاسد التلفاز، وأما الشجعان هم الذين وقعوا في مفاسده وأوهموا أنفسهم أنهم أقوياء لايتأثرون بالفتن.

إنني أقسو على إخوة أمضوا شطرًا من عمرهم في شدة وبلاء وكرهت أن تكون محصلة عمرهم وسعيهم وخاتمة بلائهم جهادهم من أجل إدخال التلفاز.

النصيحة الثالثة أجعلها حول موضوع الإمارة، والمعارضة، والطاعة، وغير ذلك، وأقول إن عموم شباب الجماعة قبل مراجعات 2001 يغالون في بعض الأمور المتعلقة بالإمارة، والقيادة إلى الغلو في قيادات الجماعة، وكان في كثير من الصفوف القيادية بعض من يتجاوز فيمنح نفسه بعض الاختصاصات التي ليست له؛ لكن كان هناك من يمارسون ممارسات صحيحة وأعمالًا عظيمة ويتحملون عبئًا كبيرًا في فترة الأزمات وكانت علاقات الأفراد بالقيادة قد منحت الجماعة تماسكًا رهيبًا، وجاءت المراجعات الفقهية، وصرحنا بأن هناك تجاوزات حصلت، وأن هناك غلوًا قائمًا، وكعادة الكثيرين

www.ibtesama.com

لم يتوقفوا عن الوسط، ولكنهم وقعوا بين الإفراط والتفريط حتى أصبح الآن عندنا غلو في ازدراء الأمير والإمارة ورغبة جامحة في مخالفته ومعاكسته!!

ومسألة التلفاز التي نحن بصددها تتمثل في شيء اختلف فيه اجتهاد الأمير مع اجتهاد بعض الإخوة، وأمر الأمير إما أن يكون واجبًا أصلًا كإقامة الصلوات فلاحق لأحد في معارضته، ومن يعارضه آثم أو أن يكون أمرًا مندوبًا فيصير واجبًا لوجوب طاعته أو يكون أمره معصية فلا تحل موافقته.

إن الأمر الذي يراه الأمير من منع إدخال التلفاز للغرف من باب اجتناب ما يؤدي إلى الحرام فعلى هذا التقدير يجب طاعته أولًا لأنه اجتهاده وهو الذي سيحاسب عليه والثاني لأنه يرى في دخوله مفاسد كثيرة وخلافات ستحدث في الزنازين مع أن هناك رأيًا آخر تتبناه قيادات ومشايخ، والأمير لو خالف في اجتهاده نصًا صريحًا لوجب مخالفته وحاسبته، وأيضًا لو حكم بخلاف اجتهاده إن كان مجتهدًا لوجب حسابه، وهي ذات المواضيع التي ينتقض فيها حكم القاضي، أما إذا أمر بأمر أو قضى بقضاء لايخالف فيه نصًا ولا يخرق فيه إجماعًا فهو مثاب مأجور، ولايجوز محاسبته فلقد خالف اجتهاد الخلفاء، والأمراء اجتهاد غيرهم، ولم يقل أحد إنهم سيحاسبونهم، ولاقالوا إن هذا نرفضه كمسلمين أو قالوا هذه ثقافة انسحاب أو قالوا هذه وصاية مفروضة!!

**أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع**

النصيحة الرابعة تتعلق بالذين يقولون إن الشرع يتسع لكل من الرأيين، وهذا الكلام حق، ولكنه في ذات المسألة ردة فعل غير منضبطة لغلو سابق وقع فيه أغلب أبناء الجماعة فلقد كان للجماعة ممثلة في شيخها الدكتور عمر فك الله أسره وبعض قياداتها اجتهادات ضمنت في دراسات شرعية منتشرة، وكانت هذه الدراسات وما تضمنته من أحكام محل قبول الجميع ولكن وقع غلو أدى إلى اعتقاد عصمة هذه الاجتهادات فلما وقعت المراجعات عقب متغيرات واقعية كبرى تستوجب مثل هذه المراجعات؛ حدثت هزة كبرى بين الصفوف أدت إلى فقدان الثقة بكل ماقالته الجماعة حتى في تلك المسائل التي لم تتعلق بها المراجعات أصلًا، وسرت هذه الحالة إلى كل الأحكام الفقهية، وانتهى الأمر بطائفة عظيمة لاعتقاد أنه لايوجد صواب واحد بل هناك أكثر من صواب وهذا خطأ فادح قد عابه جمهور الأصوليين حتى قال قائلهم (هذا القول أوله سفسطة وآخره زندقة)، وقد ترتب على هذا الأمر اعتقاد كثيرين أنهم مخيرون بين الأقوال المختلفة مادامت كلها حقًا، وأن لهم الحق والحرية في تقليد من شاءوا كيف شاءوا.

www.ibtesama.com

أولًا من قال إن لكل مجتهد نصيبًا ويقصدون المسائل الفروعية التي لادليل قاطعًا فيها، وأما المسائل التي يسمونها العقليات أو المسائل الكلامية كمنكر الإسلام ومنكر الرسل فهم متفقون على أن المصيب فيها واحد، وكذا المسألة الفروعية التي عليها قاطع من كتاب أو سنة أو قياس جلي واضح كقياس الضرب على التأفيف في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[1] فهذه المسائل التي عليها دليل قاطع اتفق الأصوليون خلافًا لشذوذ على أن الحق فيها واحد والمصيب فيها واحد.

أما المسائل الفروعية التي لادليل قاطعًا عليها كأن يكون الدليل محتملًا للتأويل أو النسخ مثلًا فقد قال فريق من الأشاعرة مثل الباقلاني أن لكل مجتهد نصيبًا.

وغلوا فقالوا حكم الله تابع لظن المجتهدين والحقوق متعددة ومعنى هذا القول أن السجائر مثلًا مادامت لم يرد فيها نص فليس فيها حكم ولايحل ولايحرم ولا يكره.

وقد خالفهم جمهور الأصوليين وأنكر عليهم إنكارًا شديدًا، والمجتهد مطالب بالبحث عن الدليل الظني والنظر فيه، ومراده هو الوصول إلى حكم الله.

وهناك خطأ في من قال إن الإنسان مخير بين أقوال الفقهاء والمكلف إما مجتهد وإما عامي والمجتهد يجب عليه النظر في الدليل وليس له تقليد غيره أصلًا فإن ترجح له رأي بنظر شرعي صحيح فعليه لزوم ما أداه إليه اجتهاده ويحرم عليه تقليد غيره من الفقهاء، وأما العامي فهو مكلف بسؤال المجتهد ثم تقليده فإن اختلف عليه مجتهدان وجب عليه تقليد أعلمهما وأورعهما.

وأخيرًا: -

اختروا يرحمكم الله لنفسكم وأهلكم ولقد كان مقام النصح أن نسرد عليكم ماعلمناه وماسمعنا عن آثار هذا الجهاز على من اقتناه لكنني سأترك ذلك الآن ولن أعرج عليه لتبحثوا أنتم بشجاعة عنه (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) ومن دعائه العظيم المجرب (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لاإله إلا أنت).

حشد الأخ عاصم عبد الماجد الأدلة على صحة موقفه من التلفزيون وأرسلها إلى المجموعة التي يقال إنها علمانية وكنت أنا منهم ومازلت أحتفظ برسالته معي إلى الآن،

(1) سورة الإسراء، الآية: 23.

www.ibtesama.com

وقد يبدو للناظر أنه اجتهد في جمع هذه الأدلة وأنه استخلص هذا الموقف من نبع تراثي سلفي التشدد وهذا لامناص فيه ليس عيبًا كبيرًا إلا بقدر أن نقوم بتنزيل الموقف التراثي على ماساستحدث من أمور دون نظر عقلي وإذا حدث هذا فهو دليل بلاشك على أن التغير الذي حدث في الشخص ذاته قد حدث في مواقف دون أخرى بما يدفع لإساءة الظن به!!

وحينما كان يأتي المشايخ أعضاء مجلس الشورى في زيارات خاطفة للسجون أو يعود الذين ذهبوا منا بعد أداء امتحانات الجامعة يقولون لنا إن المشايخ الآخرين يقولون إن ذلك رأي خاص بالشيخ عاصم وأما رأي باقي المجلس أن التلفاز مباح طالما سيلتزم الإنسان بضوابط الشرع الحنيف في السماع والمشاهدة!!

ونعود إلى رأي أمير السجن فيرفض سماعنا للتلفزيون ويقول لنا إن قيادة الجماعة ترفض دخول التلفزيون للزنازين!!

المسألة المهمة أنه باختلاف المفاهيم جرت الاختلافات وجاءت مسألة بسيطة مثل التلفزيون لتعبر عن أزمة حادة بيننا، وجاءت لتعبر عن عدم وجود صياغة واضحة لدى الرفاق في التعامل مع كل المستجدات المحيطة ولكن الشيء المريح أن الجماعة بدأ يكون فيها الرأي والرأي الآخر وظهر فيها من يعارض القيادة، وإن كانت الجماعة تحتاج إلى تطوير الذات، وتشكيل معرفة الأفراد بما يفرضه الواقع حتى تستطيع الحركة التقريب بين عالم المثال، وعالم الواقع.

* * *

## كل ما فيكي بيغني يا أم الدنيا يا مصر

أضحك وأنا أتذكر بعض إخواننا الذين كتبوا إقرارات التوبة قبل المبادرة ورغم ذلك لم يفرج عنهم، وبعد المبادرة والندوات ظنوا أن المبادرة مثل إقرارات التوبة ولكنها كانت تختلف تمامًا لأن المبادرة كانت تعني عهدًا استراتيجيًا جماعيًا بوقف العنف وتصحيح المفاهيم الخاطئة وأما إقرار التوبة فهو إقرار فردي ولايعني مثل هذه الأمور.

إخواننا في عنابر التوبة سمعت منهم من يغني أغاني لكبار المطربين بعد أن يقلب كلماتها للمعنى الذي يريده من حالته في الأسر فسمعت من يغني أغنية توبه لعبد الحليم ويقول:

www.ibtesama.com

توبة توبة توبة إن كنت أحاربك تاني توبة ورروحـنـي وتـبـقـى دي آخـر نـويـه
وبـــعـــدهـــا تـــويـــة تـــوبـــة
توبة إن كنت أصالحك وارجع احاربك تاني ياما السجن ضناني وياما السجن أساني
وان وفيت العهد إزاي على طول تنساني وصدقني هتبقي دي آخر نويه
وبـــعـــدهـــا تـــويـــة تـــويـــة

أما إخواننا في عنابر المبادرة وهم الغالبية فقد كانوا لايغنون ولكنهم ينشدون من شعر بعضهم وسمعت من قال منهم في حفلة في مسجد السجن:

أغلى من الأمس ياقلبًا من الذهب أنقى وأنت على الجمرات واللهب
فلا تقل ساءني مولاي ياقلبي بعد الشراء وتشكو غير محتسب
هذا السبيل ولسنا في الورى بدعًا أن تجد بعد نبراس الهدى خدعًا
ألم يجدك غوى الخطو لا تدري ما الدين مالذة الإيمان والكتب

كنت أفكر في شعر الأخ حسن البدري ولا أفهم ماذا يريد؟! ولكنني في النهاية كنت أعلم أنها حالة من الشجن والبكاء على أيام السجن التي ضاعت من العمر وعلى الخطأ الفادح الذي وقع فيه الجميع.

وتحدثنا عن عملية إعلامية كبرى لا بد أن تتضافر فيها الجهود الكبيرة حتى تنجح فرقة إسلامية للإنشاد تغني، وتجوب القرى، والمدن لإقامة الأفراح، والحفلات.

لقد استهوتنا نجاحات فرقة الإخوان المسلمين التي لاتختلف كثيرًا عن فرق المغنين الشعبيين حتى في الآلات التي يستخدمونها كالدفوف والطبول والإيقاعات وأخيرًا آلات العزف الموسيقي!!

لقد استقر في ضمير الشباب أن أسلمة كل شيء وصبغه بالإسلام هو أمر محبذ وجيد هذا ماقاله لي أحد المنشدين الذين كانوا في فرقة الأناشيد التي استقبلت مشايخ الجماعة قبل ندوات تصحيح المفاهيم (ك. ك):

**- كنت أنتهز الفرصة لكي أدخل أي فرح للإخوان المسلمين ولكنني كنت أنزوي بعيدًا حتى لايراني أحد من الجماعة أو الإخوان.**

إن أضواء المسرح والشهرة والظهور كلها أمور كانت تشكل عاملًا يشجع النفس

www.ibtesama.com

على أن تسعى بجد. . الفرقة هي أقصر الطرق إلى الأضواء، والشرائط المسجلة التي سيكتب عليها اسمك.

نعم من السهل الآن أن يكون لك شريط مسجل يطبع تحت السلم فيما يسمى بدور الانتاج الإعلامي التي انتشرت في الدولة كلها دون رقيب، ومن يدري فلربما جاء اليوم الذي دخلنا فيه معهد الموسيقى العربية، أو دخلنا مسابقات الإذاعة أو لحن لنا الملحنون المشهورون!!

كانت ثلاثة أشياء يمكن أن تضعنا على أول الطريق وتصل بنا إلى هذه المرحلة من الانطلاق أولها الشخصية التي يمكن أن تغني أو تنشد، وعملية الإنشاد، وسياسة الجماعة وهي الثالثة والأخيرة.

الأولى لم تكن تعني الشخصية التي تفهم دورها ومتطلبات عملها بقدر الانتماء إلى الجماعة والثانية لم تكن تفرق بين ماهو شخصي وما هو جماعي بقدر ما تريد فرقة إنشادية تؤدي دورها في إقامة الأفراح وانتشار الظاهرة الإسلامية في المجتمع وكسر احتكار جماعة الإخوان للظواهر الإسلامية.

كانت الجماعة توزع كتيبات صغيرة لعلماء من السعودية يحرمون الموسيقى ويصفون من يسمعونها بالفساق، ووصلت الأمور إلى حد أن الجماعة لاتسمح بإقامة أفراح الموسيقى في مناطق نفوذها، ولم تكن الجماعة تقوم بتكسير الأفراح بالعصي والجنازير كما تذكر وسائل الإعلام إلا في بعض المناطق كالمنيا مثلًا وليس في كل الأحيان.

كانت الوسيلة الأهم في تغيير منكرات الأفراح أن تقوم فرقتنا للإنشاد بالصعود فوق المسرح والقيام بالإنشاد الديني وتحويل الفرح إلى فرحٍ إسلامي.

الجدل بلا شك كان يحتدم بيننا دائمًا حول بعض الأحكام الفقهية وحول التوسع في استخدام الآلات الموسيقية، وكنا نتساءل هل توجد فرقة إنشادية في الإسلام؟!!

وإذا تجاوزنا عن ذلك للضرورة فماهو اللباس الشرعي لهذه الفرقة؟!!

هل ننشد بالعامية أم باللغة العربية الفصحى؟

لقد حاولنا أن نكون متشابهين حتى مع الفرق الإسلامية الأخرى ونجحنا إلى حدّ كبيرٍ في ذلك.

وسقنا الإسلام بهذه الطريقة ولكننا في المعتقل شاهدنا تحولات كثيرة أهمها أن الفقه الذي تجلى في صورة متشددة أصبح يقدس الجمال.

www.ibtesama.com

وقفنا كصفين متراصين والمشايخ يدخلون لإعطاء ندوات المبادرة لاستقبال المشايخ وأخذنا نغني كلمات الشاعر والكاتب في الأهرام مصطفى الضمراني:

**باحلم أقول نفضل على طول من غير خلافات**
**والناس بالناس ود وإخلاص حب وسلامات**
**ونشوف في كل مكان المصريين خلان**
**من بعد غربة وشوق يتقابلوا بالأحضان**
**باحلم وأشوف المستقبل مليان عزمات**
**وعشان الدنيا تكون أجمل مدوا الخطوات**
**عايزين الحكمة تكون مبدأ والحب يسود قبل مايبدأ**
**وعشان الوحدة ما تتحقق ننسى الخلافات**

أفكر في هذا الكلام وأنا ألف في طرقات المعتقل فأرى شرائط الأناشيد بالدفوف أو الآلات الموسيقية تباع بعد المبادرة في كل مكان!!

www.ibtesama.com

(5)

# معالم في الطريق الصحيح

وقوف الإشكالات والعوائق أمام مراجعاتنا سنين طويلة،
ومنها ومن هذه النهاية نستطيع أن نبين البداية للطريق الصحيح.

www.ibtesama.com

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة
www.ibtesama.com

## من يمتلك الحق المطلق
## كيف يراجع نفسه في زحمة المعركة

لقد أصبحت معركة إقامة الشريعة تعبوية عنيفة تمثل اتجاهًا عامًا لأغلب الإسلاميين وخطابًا إسلاميًا ينطلق من عدالة القضية والحق المطلق الذي لا يقبل مراجعة باعتبار أن الشريعة معنية بحكم الناس وأنها هي القانون السماوي الذي يفصل بينهم على الأرض وعلى هذا حدثت الإشكالية والأزمة التي وقفت أمام المراجعة باعتبار أن الفصائل الإسلامية قد اعتقدت أنها هي المطالب الوحيد بها وأنها قد اقتضت الحق المطلق في ذلك ومن اقتنص الحق المطلق فإنه يفكر في ما هو مطلق وينسى أنه ممكن أن يخطئ في بعض خطواته وبالأخص في الخروج على الحكام الذين اعتبرنا أنهم المعركة الأهم والطريق النهائي للوصول إلى حكم الشريعة.

وأحيانًا تصبح النظرة الذاتية والموضوعية لحقيقة الأشياء مؤلمة وتصبح النصوص هي الذريعة والملاذ وهي الأشياء الجاهزة التي تدعو وتبرهن للمعركة وخلال ثلاثة أرباع القرن الماضي وأول القرن الواحد والعشرين مر الكثير من المياه تحت الجسور وتحرك سيل المعارك في كل مكان وما بين فترة السبعينيات والتسعينيات كان مثالًا صارخًا لتلك المعارك، وهذا هو الأساس الفكري والأصول المعرفية التي أدت إلى أكبر أزمة واجهتها مصر وحاولنا نحن الهروب منها بعد ذلك فما حدث هو أن الميزان بين الدين والدولة واصل حالة الاختلال حتى وصل إلى حركة طالبان وتحت وصايتها قامت حركة تنظيم القاعدة.

ولاشك أن قضية الشريعة قضية كبيرة وعادلة وأنها تستحق النظر والاهتمام ولكن ذلك لا يعفينا من المسؤولية والنظر في طريقنا وأفكارنا.

* * *

www.ibtesama.com

## لا بد من الوعي بالحقيقة التاريخية قبل المعركة

إذا نظرنا إلى قصة استبدال أحكام الشريعة بالقانون الوضعي سنجدها قصة طويلة ولم تكن هذه القصة وليدة القرن العشرين بل وليدة قرون ماضية حيث كانت هناك ظروف إقليمية وحضارية أدت إلى ذلك ولم يكن أحد في الأمة الإسلامية في عصورها المختلفة يفكر في استبدال أحكام الشريعة حتى جاءت الحملة الفرنسية على مصر التي كانت صدمة حضارية للأمة وخرجت الحملة وعاد الوالي العثماني لتنتقل إليه سلطة التشريع في بعض الأمور وبدأ الولاة يطبقون بعض القوانين مثل قانون الفلاح ومبدأ شخصية المسؤولية الذي كان يخالف الشريعة من حيث أنه كان يُعمم العقاب وكان عمدة الأدلة التي يعتمد عليها الولاة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾(1).

وتوالت السنون وفي عام 1340 ظهر قانون الجزاء العثماني الذي كانت أغلب مواده من القانون الفرنسي ولقد نهجت أغلب الأقطار نهج الدولة العثمانية ولم يشذ سوى الأقطار البعيدة مثل اليمن وبلاد المغرب العربي وبعد وفاة محمد علي رفض عباس تطبيق القوانين العثمانية حتى جاء سعيد باشا فطبق القانون الهمايوني في عام 1855 الذي كان يتضمن أحكام الشريعة في القصاص والدية وظل هذا القانون موجودًا حتى صدر قانون العقوبات وقانون تحقيق الجنايات الذي جاء على نسق القوانين الفرنسية في 14 فبراير عام 1904.

ويمكن أن نقول إن الامتيازات الأجنبية في هذه الفترة كانت سببًا من أسباب استبدال الشريعة بالقانون الوضعي ومنذ عام 1904 إلى بداية السبعينيات كانت الحدود قد استبدلت تمامًا بالقانون الوضعي.

يقول الدكتور علي راشد: «وإذا نظرنا إلى ظروف وملابسات استبدال الشريعة لوجدنا أن بدايته قد تمت في عهد دولة الخلافة ولم يتم في عهود وأزمات الاستعمار وأنه قد تم من قبل الخلفاء والولاة المسلمين ولم يتم من قبل حكام فترة الاستعمار والاحتلال وحكام فترة الاستقلال وقد كانت الأمة في هذه الفترة غارقة في معضلات وتحديات

(1) سورة النساء، الآية: 59.

www.ibtesama.com

كبرى وفي مواجهة هذه المعضلات والتحديات كانت تحتاج إلى إعطاء إجابات إسلامية صحيحة وواضحة تطرحها المعضلات والمشاكل مما حدا بالولاة والحكام أن يهربوا من المواجهة إلى القرانين الفرنسية والغربية إلى حد سواء»[1].

وعلى كل فقد حدث تطور كبير وطيب في فترة السبعينيات وحدثت مطالبات الرؤساء عن الشريعة بعد أن اعتبر السادات في دستور 11 سبتمبر عام 71 أن الإسلام هو دين الدولة وأن اللغة العربية هي لغتها الرسمية وأن الشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع يقول د/ محمد بهجت عتيبة: «فارتفعت الأصوات المطالبة بإعمال هذا النص الدستوري كما ارتفعت هذه الأصوات المشككة في هذه الدعوة ولم يكن ذلك في مصر وحدها بل اعتبرت معظم الدول العربية في دساتيرها وقوانينها الأساسية أن الإسلام هو دين الدولة والشريعة هي المصدر الرئيسي للتشريع وظهرت الشريعة كعنصر من عناصر الوحدة العربية التي كان من توصيات المنظمة العربية للدفاع المدني فيها أن تتبنى مشروعات المدونات الجنائية في الوطن العربي استلهام قوانينها من أحكام التشريع الجنائي الإسلامي ولكنها حاولت أن تجعل الممارسة والتطبيق رهنًا بإرادة السلطة المدنية وأداتها التشريعية المنتخبة وغير المنتخبة»[2].

ولم يكن ذلك مقنعًا للجماعات الإسلامية التي خاضت المعارك الشرسة مع الحكومات من أجل تغيير القوانين الوضعية وما حدث ما بين فترة السبعينات والثمانينات خير دليل على ذلك.

والوعي بالحقيقة التاريخية قد يعفينا من مسؤولية الحكم على الناس كما يريح ضمائرنا ويجعل معركتنا منضبطة بحركة التاريخ بعد أن تكون منضبطة بأوامر الشرع وفق الواقع.

* * *

(1) التلاحم بين الشريعة والتشريع الوضعي د/ علي راشد، **مجلة مصر المعاصرة** ص115 عدد 15 أكتوبر عام 1975.

(2) **الفقه الجنائي الإسلامي**، محمد بهجت عتيبه، ص13، المعهد العالي للدراسات الإسلامية.

www.ibtesama.com

## ليست الإشكالية في غياب الشريعة وحدها ولكن في كيفية الوصول والتطبيق الأمثل

إن أكثر المطالبين بتطبيق الشريعة إلى الآن ليس عندهم تصور لكيفية تطبيقها أو عندهم برنامج حقيقي لهذا التطبيق فمن هؤلاء من يريدها خلافة وآخرون يريدونها حكومة دينية وفصيل آخر يريدها مدنية وهناك خلاف كبير حول التصورات فضلًا عن الوسائل وأكثر من ذلك أن الغالبية العظمى تتكلم في قضايا عامة ولا تتحدث إلى الآن في التفاصيل يقول الأستاذ/ فهمي هويدي: «إننا نريد أن نصل إلى إقامة مجتمع إسلامي ثابت الدعائم والأركان تضرب جذوره في أعماق الناس لا مجتمع وهمي».

وينقل في المصدر نفسه عن الشيخ شلتوت قوله: «العقيدة في الإسلام هي الأصل الذي تبنى عليه الشريعة والشريعة أثر تتبعه العقيدة ومن ثم فلا وجود للشريعة في الإسلام إلا بوجود العقيدة كما أنه لا ازدهار للشريعة إلا في ظل العقيدة»[1].

والمعنى الشائع دائمًا للشريعة ينصرف للقوانين التي تحكم المعاملات وحدها وهذا خطأ فالشريعة هي مجموعة النظم التي شرعها الله وأنزلها ليلتزم بها الإنسان في أكثر من ميدان مثل علاقة الإنسان بربه ويدخل فيها ما شرعه الله من الواجبات الدينية مثل الصلوات والصوم - وعلاقة المسلم بالمسلم كالأخوة والتراحم والأحكام الخاصة بالأسرة والميراث - وعلاقة المسلم بالمجتمع مثل المعاملات الاقتصادية والقوانين المدنية والجنائية - وعلاقة المسلم بالكون كالبحث والتفكير - وعلاقة المسلم بالحياة وكيف يستمتع بها دون إسراف أو تقتير وعلى هذا فإن الإسلام نظام وليس قوانين فقط وطرح الشريعة كمعركة يؤدي بنا إلى قضية تكوين وإعداد المسلم فالعقيدة وتأهيل المجتمع قضيتان كبيرتان وهذا كله سوف يغير إحساسنا بالذنب تجاه الشريعة ويغير تصوراتنا ويجعلنا نشق الطريق وسط الزحام ساعين لتقديم قراءة رشيدة لكيفية الوصول إلى التطبيق الأمثل للشريعة أولًا.

* * *

(1) القرآن والسلطان، فهمي هويدي، دار الشروق.

## المعركة الحقيقية أن نراعي مصالح الناس

فمعركة الشريعة الحقيقية هي توفير الحياة الكريمة التي يرضاها المولى سبحانه وتحقيق العدالة الاجتماعية، والمجتمع الذي يصل إلى ذلك يكون قد نجح تمامًا في فهم مقاصد الشريعة.

أما المجتمع الذي لايرى ذلك فإنه لا يرى إلا الوجه العقابي للشريعة وهذا من أكبر الأخطاء ونقلًا عن المصدر السابق «فمثلًا حد السرقة يرى العلماء أنه لا يطبق إلا إذا توفر الحد المعقول أو الأدنى من الحياة للسارق كما حدد ابن حزم وقال أن يكون له بيت ومنزل يؤويه وطعام وشراب ملائم وكساء وخادم يساعده إن لم يكن قادرًا ودابة يركبها فإذا توفرت هذه الشروط يطبق عليه الحد»[1].

ومن هنا ندرك أن تحقيق العدالة ومصلحة الناس هي من أهم مقاصد الشريعة التي نحتاج أن نضعها في إطارها الصحيح دون تطرف أو تضييق كما نحتاج إلى غرس العقيدة والعدالة داخل المجتمع أولًا قبل أن نحكمه بالشريعة فمن منا يستطيع أن يؤكد أن الناس في أيامنا هذه يوجد عند أغلبهم تلك العدالة التي تمنعهم من أن يجمعوا أربعة شهود ليقيموا حد الزنى على أحد الناس مثلًا فواقع المجتمع يؤكد على انتشار الفساد واستفحال الخطر ويؤكد أننا في حاجة إلى تربية المجتمع تربية صحيحة وتحقيق التنمية التي تجعل حياة المسلم حياة كريمة تمنعه من الفساد والانحلال.

وهناك بعض الدول التي طبقت حدود الشريعة كالسودان بصورة غير مثلى لم تراعِ مصالح الناس ولم تر إلا الوجه العقابي للشريعة فجعلت الناس يفقدون الثقة بالشريعة التي طبقت وخرجوا بتظاهرات يطالبون بإقصائها.

فمن أهم مقاصد الشريعة حفظ مصالح الناس وهذا له أوجه قد يدركها العقل وقد لا يدركها وإذا أدركها فقد يدركها بالنسبة إلى حال دون حال فالأدلة نصبت في الشريعة لتتلقاها عقول المكلفين حتى يعملوا بمقتضاها ولو تعارضت الأدلة مع العقول والمصالح لا يمكن العمل بها كما يقول الشاطبي وذلك أن المعلوم من الشريعة أنها شرعت لمصالح

---

(1) القرآن والسلطان، فهمي هويدي، دار الشروق.

www.ibtesama.com

العباد فالتكيف كله إما لدرء مفسدة وإما لجلب مصلحة أو لهما معًا.

وإذا عملنا بذلك فإن هذا سيدفع الناس للتمسك بالشريعة والعمل بمقتضى الدين والشرع لأنه حيث ما كانت المصلحة كان شرع الله يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ الآية[1].

قال ابن كثير يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب للإحسان كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[2] وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شريعة العدل والندب إلى الفضل[4].

* * *

## الأولوية للمعركة الفكرية وتغيير الأنفس وتصحيح التصور

فهذا هو أساس كل إصلاح أو تغيير أو بناء اجتماعي وهذه هي المعركة الحقيقية التي يجب أن نصرف لها كل همة ونجهز لها كل عزيمة وهي مهمة الأنبياء التي دعا لها المولى سبحانه قائلًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[5] وهذا هو ما يسمى التغيير بالإيمان الذي يغرس العقيدة الصحيحة في قلب المسلم ويصحح له نظرته إلى العالم وإلى الإنسان وإلى الحياة وإلى رب العالمين يقول العلامة القرضاوي: «إن أهم ما ينبغي أن نشغل به اليوم إذا أردنا إصلاح حالنا أن نبدأ البداية الصحيحة وذلك ببناء الإنسان بناءً حقيقيًا لا صوريًا نبني عقله وروحه وجسمه وخلقه بناءً متوازنًا لا نقصان فيه ولا إخسار في الميزان نبنيه عقليًا بالثقافة وروحيًا بالعبادة وجسميًا بالرياضة وخلقيًا بالفضيلة وعسكريًا بالخشونة واجتماعيًا بالمشاركة وسياسيًا بالتوعية ونعده للدين والدنيا معًا»[6].

---

(1) سورة النحل، الآية: 90.

(2) سورة النحل، الآية: 126.

(3) سورة الشورى، الآية: 40.

(4) **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، سورة النحل، الآية 90 ص 582 مكتبة التراث.

(5) سورة الرعد، الآية: 11.

(6) **فقه الأولويات دراسة جديدة**، القرضاوي، ص181 مكتبة وهبة.

www.ibtesama.com

وتغيير الأنفس مقدم على الجهاد لأن الجهاد في الإسلام ليس أي جهاد ولكنه جهاد ديني خالص لغاية خاصة إنه في سبيل الله قال النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1].

ولأن سنة الله أنه لا يتحقق التمكين إلا بعد أن يميز الله الخبيث من الطيب وهذا لون من التربية قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾[2].

وأما تصحيح التصور والمعركة الفكرية فهما اللذان يعنيان بتصحيح الأفكار المعوجة وتقويم السلوك الخاطئ وهذه المعركة لها حق التقدم على معارك الأسلحة والبنادق وهذا ما ذكره النبي ﷺ بقوله: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[3].

ولهذه المعركة مجالات متعددة أول هذه المجالات هو مع أنفسنا كما قلنا لتربيتها على العمل الصالح والعقيدة الراسخة والإيمان القويم وثاني هذه المجالات هو داخل الساحة الإسلامية لتصحيح الاتجاه في فصائل العمل الإسلامي وترشيد مسيرته وتصويب حركته حتى تسير في الطريق الصحيح للهدف الصحيح وهذا هو الهدف الأهم في هذه الأيام وبالأخص إذا كانت أعمال البعض أصبحت تشوه الدين بالكلية وبدلًا من أن تستهدف الأعداء أصبحت تستهدف صدور أتباع الإسلام وتطحن جماجمهم وهؤلاء بحاجة ماسة إلى من يرشدهم ويوجههم ويعلمهم دروس التجربة ويقف بهم مع دروس التاريخ ويقول لهم كيف يتعاملون مع الآخر وكيف يسيرون في طريقهم إلى الإسلام وهم لا يقدمون انتماءاتهم على مصلحة وكيف ينشرون الفكر الإسلامي الصحيح وهم يحرصون أن تكون وسائلهم منضبطة بالشرع الحنيف.

وإذا كان مجال المعركة الفكرية داخليًا فهو كذلك في الخارج مع الملاحدة والمنصرين والمستشرقين بالحجة والبيان والدعوة التي تبين عظمة الإسلام عقيدة وشريعة وتراثًا وحضارة.

ولكنّ إشكالياتنا أننا اختزلنا المعارك في معركة الخروج على الحكام وهي من أكبر المفاسد التي تؤدي إلى إزهاق الأرواح وسفك الدماء وعلى مدار التاريخ كان العلماء ينأون

(1) رواه الجماعة أحمد وأصحاب الكتب السنة عن أبي موسى صحيح الجامع الصغير 6417.

(2) سورة يوسف، الآية: 56.

(3) رواه أحمد وأبو داود النسائي عن أنس ورواه الحاكم وصححه على شرط مسلم.

www.ibtesama.com

بأنفسهم عن الزج بها في معارك مع السلاطين يقول الدكتور محمد عمارة: «وقد اتفق كثير من الباحثين والساسة والمفكرين والعلماء على حظر ما يسمى بالعمليات المسلحة والخروج على الحكام وقد أثبت التاريخ ما حلّ بالأمة من محن ونكبات أفرادًا وجماعات بسبب عمليات الخروج» ويكمل قائلًا: «لابد من الحذر من الخلط بين الثورة التي تتوفر لها الإمكانيات التي تجعل انتصارها أمرًا غالبًا وهو ما يسمى في تراثنا الإسلامي السياسي بشروط التمكن وبين التمرد وهبات الرفض التي قد تصل إلى العنف الفردي والتي يدعي أصحابها أنهم هم الأمة أي الجماعة المسلمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر»(1).

ولابد من التمييز بين حكام يمكنون بلادنا للاستعمار وحكام وطنيين لا يطبقون شرع الله كاملًا والخلط بين فتوى ابن تيمية في قتال التتار الذين يحكمون ماردين خلط عجيب وفي المصدر السابق «وأما بالنسبة إلى التتار فقد نطقوا الشهادتين وانتسبوا إلى الإسلام بعد أن كانوا وثنيين ولكنهم على مذاهب يرفضها ابن تيمية مثل الشيعة والرافضة وأغلبهم يعظمون جنكيز خان أكثر من تعظيمهم للنبي ويسودون بين الإسلام وغيره من الأديان - ورغم ذلك اعتبر ابن تيمية ماردين دارًا مختلطة». وإذا نظرنا إلى فتاوى ابن تيمية في الطائفة المنصورة لوجدناه يعتبر أن المماليك في مصر في هذا الوقت هم الوعي وهو ما يعني الإدراك والإحاطة وهو أخطر الإشكاليات التي كانت عائقًا أمام المراجعات ولقد كشفت صور ومشاهد الأزمات التي مرت بالحركة الإسلامية عن إشكالية حقيقية تؤكد غياب الذين يحسنون الوعي والفهم ويقرأون القراءة الصحيحة لما حولهم.

اختلطت الأمور حين ظن بعض الشباب أن بإمكاناتهم المحدودة سوف يهزمون العالم أجمع وخدعتهم الهالات الإعلامية الضخمة التي سلطت عليهم وتآمرت عليهم حساباتهم الغريبة في زمن العولمة والصواريخ العابرة للقارات.

نحن في عصر يؤسس كل شيء على العلم والإدراك ولم يعد يقبل الارتجال والغوغائية في أي أمر من أمور الحياة، والدين يتوافق مع ذلك تمامًا فليس هو توظيفًا للفقه فقط مجردًا عن الوعي بل له علاقة بالبعد الواقعي والسياسي والسياق التاريخي ومن ثم فإن تأخر المراجعات كان لأنها لا بد أن تنبثق من وعي تام وحقيقي وكانت إفرازات يراها القائمون عليها وذلك مرتبط بنضج الوعي الذي بمقداره سوف تتحدد القدرة على المراجعة.

(1) الفريضة الغائبة عرض وحوار وتقييم، د/محمد عماره، ص43 دار ثابت.

www.ibtesama.com

## الوعي السياسي صورة مفقودة

إن الأمية السياسية هي أبرز القضايا التي عانتها مسيرة العمل الإسلامي وهي التي أدت إلى أهم العقبات التي تعترض طريق العودة إلى الصواب فالحركة التي لا تعرف ما يجري حولها ولا تحسن تصنيف الناس من حولها حركة فاشلة مكتوب عليها الإخفاق ومعرضة للتصفية والسحق من قبل أعدائها.

الحماسة للدين شيء والغياب عما يجري من تقلبات العالم وتحديات التاريخ والجغرافيا شيء آخر.

إنها أزمة عنيفة سوف تواجه أي أناس يستغرقون جهدهم في العمل السياسي وهم لا يفقهون في علم السياسة شيئًا وقد تمر عليهم الشهور وهم لا يقرأون جريدة ولا يتابعون إذاعة لماذا؟ لأن بعضنا اعتبره علمًا للخاصة ولأن الآخرين نظروا إليه بتوجس وعدم اهتمام واعتبروا أن هذا العلم هو رمز للمكر وللمؤامرات والعجيب أن البعض قد انتقل بالخلافات الفقهية إلى السياسة فاختلطت الأحكام الفقهية بالسياسية وهذا ما أدى بالطبع إلى فراغ كبير وإلى التمادي في الخطأ.

والنظرة الصحيحة تقول إن هناك خطوطًا معقدة في خريطة العلاقات السياسية ومصطلح الدول وموازين القوى وهو ما يدفع العاملين للإسلام أن يعطوا الوعي حقه من البحث والتعمق ولو ضربنا مثلًا على عمق المأساة التي أدى إليها فقدان الوعي السياسي لوجدناه واضحًا في حركة طالبان التي كانت مرشحة بجدارة للسقوط لأنها كانت تسير عكس منطق الأشياء وهذا بلا شك هو الانتحار السياسي فالحركة التي لا تلم بأبسط قواعد الوعي السياسي وهي تخوض لجة العمل الإسلامي سوف يكون مآلها إلى السقوط وانظر إليها رغم أنها كانت تسيطر على أكثر من 90% من أفغانستان كيف سقطت بالضربة القاضية ومن الجولة الأولى والذين يفسرون سقوط طالبان أنه بسبب الضربة الأمريكية تفسيرهم خاطئ لأن الأيام كانت تخفي تآكل طالبان التي غرست نفسها في بذور فنائها وكان يقودها رجال لا يفقهون شيئًا في العمل السياسي فارتكبت من الخطايا ما لم يرتكبه أي نظام يسعى للبقاء وهذا أثبت بما لا يدع مجالًا للشك جهالة الحركة بالمنطق وعدم إلمامها بقواعد الاجتماع وقوانين التاريخ وأبجديات الجغرافيا وبديهيات السياسة.

www.ibtesama.com

**أولًا/** تبنت الحركة بتزمت شديد أيدلوجية جامدة في وقت بدأت تتراجع فيه الأيدلوجيات وتتقدم فيه المصالح العملية على العقائد السياسية وهو الخطأ الفادح لرجال كانت أكبر ثقافة لهم هي زياراتهم لمدينة بيشاور الباكستانية وأكبر مقومات تعليمهم هي كتاتيب لا تملك مقومات المدارس.

**ثانيًا/** وقع اختيار طالبان على حليف ضار هو رعايتها لتنظيم القاعدة وهذا قد تسببت به العقلية الجامدة الضيقة التي تعجز عن فرز من يصلح ومن لا يصلح العقلية التي أعلنت انسحاب أفغانستان من العالم وأغلقت الأبواب ووضعت المتاريس حولها مما جعلها تجلب على نفسها عداء قوى داخلية وخارجية كثيرة ومن ثم سقطت لسوء تقديرها لموازين القوى بعد أن توهمت أن بمقدورها التوسع على حساب دول الجوار تمامًا كما فعل إسلاميو الشيشان.

**ثالثًا/** أصبحت الحركة منبوذًا إقليميًا عاش ومات دون أن ينتمي إلى تجمع إقليمي واحد وعلى عكس البديهية السياسية التي تقول بعدم خوض حربين في وقت واحد فإن طالبان دخلت حروبًا كثيرة ولم يعترف بها سوى ثلاث دول وقد سحبت اعترافها لما رأت أنها ستجرها إلى الهاوية.

**رابعًا/** أخفقت طالبان في التحول من حركة إلى دولة وجهلها بالجغرافيا السياسية دفعها لمزيد من الأخطاء فالدولة الحبيه جغرافيًا تكون في أمس الحاجة إلى تبني سياسة خارجية متعددة الاتجاهات تضمن لها رئات بديلة تتنفس منها أما هي فقد تجاهلت برعونة ما فرضه الموقع ودخلت في مناوشات مع دول الجوار لأن قادتها كان عندهم قصور في فهم النظام الإقليمي.

وبعد إطلالة على حركة من حركات الإسلام السياسي والمدى الذي كانت فيه جاهلة بالوعي السياسي، نقول إن العاملين للإسلام في حاجة ماسة إلى الوعي.

يقول الدكتور محيي الدين عبدالحليم في حديثه عن هذه النقطة «إن هؤلاء الرجال في حاجة إلى التزود بالدراسات العلمية اللازمة لهم وإلى فهم طبيعة العلاقات الاقتصادية العالمية والدولية»[1] ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي «ويرافق الصحوة وتابعيها الوعي

(1) محيي الدين عبدالعليم، مجلة الوعي الإسلامي، عدد 60.

www.ibtesama.com

المدني وفهم القضايا المعاصرة والحركات والتيارات العاملة النشيطة وموقفها من الإسلام»[1].

أما نحن فأغلبنا كان لا يرى داعيًا للوعي السياسي وكنا نقدم الوعي الفقهي عليه ولا نشغل أنفسنا بمعرفة القضايا التي تشكل وعي المجتمع وكان أهم شيء أن بيننا لجنة سياسية مكونة من عدد لايتجاوز العشرة أفراد تسمى باللجنة السياسية يقرأون التقرير الاستراتيجي العربي وبعض الكتب الأخرى واعتبرنا أن هذه اللجنة ستكفي الجميع بالوعي!!

ولننظر إلى التاريخ الإسلامي لنرى كيف كان النبي ﷺ يحيط علمًا بالصراع الدولي الذي كان يجري في العالم ويهتم به ونزل في ذلك قرآن: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾[2] فالإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة وجامع لكل العلوم.

* * *

## تنظيم القاعدة وعبقرية الإخفاق

والوعي السياسي هو الإحاطة بالعلوم السياسية + فهم الواقع وتحديد الأهداف والذين يتصورون أن بإمكانهم أن يقودوا العالم ويحركوا الأحداث دون ذلك بمجرد أنهم قرأوا كتابًا أو اطلعوا على جريدة نقول لهم أنتم واهمون فالوعي السياسي ليس عملية سهلة بل هو عملية تكتسب بالتجربة والعلم وهو يختلف عن الثقافة السياسية التي يجب على الجميع أن يلم بها والتي عرفها كمال المنوفي قائلًا «والثقافة السياسية هي تلك القيم السائدة في المجتمع وتتصل بعلاقة أفرادها بالنظام السياسي ووجوده مباشرة وغير مباشرة»[3].

لقد كشفت الأحداث التي حدثت في الثمانينات والتسعينات من القرن المنصرم عن عبقرية في الإخفاق لدى تنظيم الجماعة الإسلامية والجهاد اللذين قادا أغلب أحداث

(1) أبو الحسن النووي، **ترشيد الصحوة**، ص16، دار السلام.
(2) سورة الروم، الآيات: 1 - 3.
(3) **الثقافة السياسية**، كمال المنوفي، ص15، دار ابن خلدون.

www.ibtesama.com

العنف في مصر حيث كانت تلك الأحداث السبب في مصائب جمة لم تتعلق فقط بالدماء والأموال ولكنها تعلقت بدعوة الإسلام ذاتها وسنرى طوال هذه الأعوام أن السبب في ذلك كله كان جهالة الوعي السياسي لدينا نحن عموم المنتسبين إلى التنظيمين معًا دون بعض الأفراد والقلة وهذا هو الذي كان السبب في الحسابات الخاطئة.

فكيف يتصدر إنسان مسيرة العمل السياسي وهو لا يعرف عواصم الدول ولا يعرف عدد وزارات الدولة ولا محافظاتها؟ وكيف ينفى هذا ويحكم على هذا وهو لا يحيط علمًا بالاتجاهات الفكرية في العالم والمذاهب الاقتصادية؟ وكيف يهتم بأمر المسلمين وهو لا يعرف شيئًا عن الأقليات المسلمة ولا يعرف شيئًا عن تاريخ أهم قضية للمسلمين وهي فلسطين؟!

وإذا قلنا إن الوعي السياسي والثقافة واجبان على العاملين للإسلام فإن ذلك يدفعهم أن يولوها أكبر همهم ولكن لا يستخدمونها في تعبئة الناس ضد شرعية الحكومات وأخطاء النظام الدولي أو من يجعل أكبر همه العمل السياسي واستغراق الجهود في تجنيد الأفراد وتعبئتهم الفكرية والشعورية والتنظيمية وكان عليه أن يشغل نفسه بألوان كثيرة من العمل النافع والضروري والممكن مثل العمل الفكري والتربوي والعمل الاجتماعي والثقافة السياسية التي تدفعنا لمراجعة الأخطاء لا التمادي في الخطايا.

* * *

## الوعي بالواقع

والوعي بالظروف المحيطة والإدراك الحيوي للمتغيرات أو الواقع ليس أمرًا هينًا لأنه يحتاج إلى خبرة تنقص شبابًا كثيرين بالإضافة إلى أنه أمر صعب لأن الواقع متغير بطبيعته سواء كان زمنيًا أو مكانيًا فواقع اليوم ليس كواقع الأمس وعهد اليوم ليس كالعهد الأول للدعوة الإسلامية وبعض الروايات تروي عن النبي ﷺ أنه قال: «يأتي زمان على الناس لو فعلوا عشر ما أنتم عليه لنجوا ولو تركتم عشر ما أمرتكم به لهلكتم».

والذين يتعجلون في الفتوى والحكم في كثير من القضايا كانوا سببًا في تأخر المراجعات والذين يعممونها فينقلون فتاوى علماء الخليج إلى مصر مثلًا لم يحيطوا علمًا بواقعهم الذي هو من ضرورات صحة الفتوى والذين يعتقدون بأن الدين هو أدلة وشرع غير مرتبط بالواقع فهم مخطئون فالشرع لم ينزل إلى عالم سماوي بل ترك ليعالج أخطاء

www.ibtesama.com

البشر فوق الأرض ولابد أن يكتمل فقه الشرع وفقه الواقع حتى يمكن الوصول إلى الموازنة العلمية السليمة البعيدة عن الغلو والتفريط.

ويظل الوعي بالواقع هو الضرورة الحتمية لفرز ما يصلح وما لا يصلح ولتحديد نقطة البدء في معالجة القصور وهناك ضرورات تحتاج إلى فقه الواقع.

**أولًا**: الدعوة فإن أخطر ما يقع فيه الداعية اليوم هو غياب الفقه بواقع من يدعوه فيظل يدفع عقيدته للتحذير من المذاهب الأرضية والاتجاهات العلمانية ويظل يحشد لقضيته ما استطاع من الأدلة وكل ما يمكنه من الشواهد والبراهين واثقًا أنه بهذا الجهد المضني وهذا الإعداد الدقيق قد بلغ من نفوس من يدعوهم أبلغ مدى واحتل فيها أعمق مكان وما أشد حسرته ولوعته عندما يرى أهوال هؤلاء الذين اجتهد لهم ولم يترك شاردة ولا واردة مما يخص الموضوع إلا حشدها من أجلهم ثم يراهم عاكفين على ما هم عليه «فنحن في حاجة ماسة إلى ثقافة واسعة لمن يتحمل تبعة العمل ومسؤوليته وما زال كثير من الذين يقومون بعملية الوعظ والإرشاد ينقصهم الكثير من الدراية بواقع من يدعونه والاستعداد ليؤدوا رسالتهم على الوجه الأكمل»(1).

ولن يستطيع الدعاة أن يؤدوا رسالتهم على الوجه الأكمل بغير الوعي بالآفاق الرحبة لفقه الدعوة وتجارب العمل الإسلامي والواقع المعيش الذي يحيط بدعوة الإسلام «لأننا نعيش حياة الانفتاح من جهة ونواجه حضارة مغايرة تتدسس بهدوء ولباقة أو تجاهر بالغزو من جهة أخرى فكان لا بد للداعية المسلم أن يسعى نحو الثقافة الشمولية»(2).

**ثانيًا**: ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى نستطيع أن نعرف الظروف الملابسة للمنكرات وأسبابها وكيفية علاجها كما نستطيع أن نطرق أسباب العلاج فنقوم بتغيير أكبر يشمل الأفكار والمفاهيم ويشمل القيم والموازين ولن يكون هذا بغير الوعي بالواقع.

**ثالثًا**: الجهاد في سبيل الله وهو أهم الضرورات فهناك فصائل في الحركات الإسلامية اعتبرت أن قتال كل الكفار واجب سواء أكانوا مسالمين أو غير مسالمين ولم يميزوا بين مفهوم الجهاد الواسع الذي يعني بذل الجهد والمشقة وبين معنى القتل والقتال وكل ذلك يحتاج إلى معالجة دقيقة وبالطبع هذا مسار اختلاف في وجهات النظر التي يظل

---

(1) المسؤولية في الإسلام، عبدالحفيظ فرغلي، ص113، قضايا إسلامية، إصدار وزارة الأوقاف، عدد 217.

(2) التقويم الدعوي، د: عادل الشويخ، ص7، رسائل العين، دار البشير للثقافة والعلوم.

www.ibtesama.com

بعضها حبيسًا في تصور خاطئ للواقع الذي سوف يكون الوعي به هو الذي يعطينا نتيجة إيجابية تجعلنا نوفق بين فرضية الجهاد وبين موضوع الإذن بالقتال اليوم فإذا كانت الأحكام النهائية للقتال في الإسلام هي أنه ماض إلى يوم القيامة وهذا حق فهل يبقى مجال لذكر الإذن بالقتال اليوم فهذه هي الأزمة «ومهمة قيادة الحركة أن تحسن تقدير هذه الظروف والملاحظة التي لا بد من إيضاحها في هذا الصدد كذلك هي أن الإذن بالقتال شيء ومباشرة القتال وطريقته شيء آخر»[1].

إن المفهوم الخاطئ للظروف وعدم وجود الإدراك الحيوي للواقع المتغير هو الذي دفع كثيرًا من الشباب أن يعتبر أن الجهاد غاية لا وسيلة وأن القتال هدف وطريق وحيد وهذه هي بلية أصابت الأمة الإسلامية حتى بعد أن دخلنا القرن الواحد والعشرين يقول الدكتور علي جمعة: «وينبغي أن يتقيد بالشروط التي أحل الله فيها الجهاد وأن يجعل ذلك لوجه الله تعالى ومعنى هذا أنه سوف يلتزم بأوامر الله ويستعد لإنهاء الحرب فورًا إذا ما فقدت الحرب شرطًا من شروط حلها أو سببًا من أسباب استمرارها»[2].

إن الإسلام لم يكن إلا حركة إبداعية خلاقة استهدفت إنشاء حياة إنسانية متجددة وغير معهودة في النظم الأخرى التي سبقته أو لحقته وهذه الحركة تنشأ عن تصور معين للحياة بكل قيمها وكل ارتباطاتها تصور جاء به الإسلام ابتداءً ليكون مرشدًا وهاديًا وهي حركة تبدأ في أعماق الضمير ثم تحقق نفسها في عالم الواقع.

***

## الوعي بالضرورات الطارئة في المجتمع

وهذا له أهمية بمكان فالذين قاموا مثلًا بعملية الدار البيضاء وتفجيرات الرياض لو عرفوا التغيرات السريعة التي تمر بالمجتمعات وتأثير هذه العمليات فيها ما فكروا في ذلك وكم من الناس من يستند إلى قول فقيه من الفقهاء لتبرير بعض الأعمال أو يقيس الحكم في واقعه المعيش على فتوى صادرة منذ مئات السنين أو من يحيلك على كتاب فقهي من القرون الأولى ليدلل على صحة ما صنع وكل ذلك إنما يعبر عن خلل في التعامل وعدم فهم للتطورات التي طرأت على المجتمع.

---

(1) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، ص، 115، دار الوفاء.

(2) شبهات وإجابات حول الجهاد في الإسلام. أ. د علي جمعة، سلسلة قضايا إسلامية، عدد 83 ص11.

www.ibtesama.com

إننا في عصر العولمة والانترنت والمركبات الفضائية التي وصلت إلى المريخ والعالم الذي أصبح كقرية واحدة وخلق مشكلات اقتصادية واجتماعية جديدة كالزواج العرفي والمسيار والمشكلات السياسية المعقدة وهذا ما يفرض علينا ألا نقف في أماكن لا نبارحها ونفكر بعقلية الأمس البعيدة وكأننا نقود سيارة ننظر إلى إطارها الخلفي تاركين الإطار الأمامي يصطدم بجدار الواقع المرير والمستقبل الغامض.

إن الذين يفعلون ذلك وقعوا بين التهويل والتهوين وأسرى لفكر تقليدي لا ينظر إلى العصر وتياراته ومشكلاته ويقف ساكنًا أمام التطورات التي تحدث في المجتمع سواء كان سببها الفساد أو غيره.

وإذا رجعنا إلى التاريخ الإسلامي لوجدنا كيف فرض عمر المكوس وحدد فترة غياب الجند عن زوجاتهم وأوقف سهم المؤلفة قلوبهم وأوقف حد السرقة عام الرمادة.. إنه كان يراقب التطورات التي كانت تلحق بالمجتمع الإسلامي والضرورات التي تفرض نفسها عليه وكان عمر رضي الله عنه يتأسى بالنبي ﷺ الذي كان يهتم بكل المجتمع حوله ويعرف كل أسراره وعاداته ويراقب تطوراته يقول الدكتور حسين مؤنس: «مكث الرسول في قباء أربعة أيام وهذه في نظر الكثيرين فترة طويلة ولكن الحقيقة أنه استوعب خلال هذه الأيام معلومات كثيرة من الأحوال في المدينة ومن خصائص محمد ﷺ أنه كان يحب الإنصات وكان يعي ممن يحدثه كل شيء ولهذا لم يكن هناك أعلم منه بالعرب والدنيا من حولهم وإن الإنسان ليعجب من دقيق ملاحظاته واتساع معلوماته عن العرب خاصة كان يعرفهم قبيلة قبيلة أين تعيش ومن رؤسائها وما موقفهم من الإسلام»(1).

والعلماء ساروا على الهدي نفسه ولذا أجازوا تغيير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأعراف والأحوال.

إن النظر إلى المجتمع وتطوارته من زوايا متعددة وبمناظير لا يشوبها غبش من دلائل الاعتدال والتوازن.. زوايا تعتبر المجتمع مسلمًا خالصًا لا مجتمعًا جاهليًا طالما أن شعائر الإسلام تقام وأحكام الاسلام ما زالت تراعى والجماهير لا تزال مؤمنة وكلمة الإسلام هي المحركة «واستنكاف العاملين على الاختلاط بالناس بحجة بعدهم عن الاسلام وسوء أخلاقهم وكثرة انحرافاتهم من شأنه أن يزيد المشكلة تعقيدًا ويوسع الهوة بين هؤلاء وبين الإسلام»(2).

(1) دستور أمة الإسلام. د/حسين مؤنس، ص 163، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
(2) الاستيعاب في حياة الدعوة، فتحي يكن ص 111، مؤسسة الرسالة.

www.ibtesama.com

إن المطلوب هو الوعي بالضرورات الطارئة والتغيرات السريعة التي تحدث في المجتمع فهذه هي النظرة الصحيحة التي تجعلنا نسير في الطريق الصحيح لا نرفض المجتمع ولا نستعلي عليه وفي الوقت ذاته لا تدفعنا أن نذوب في أخطائه.

* * *

## الوعي بالتاريخ

والمسألة المهمة التي لا بد أن تلاحظ أنه بمقدار النجاح في قراءة التاريخ تتحدد القدرة على المراجعة فالتاريخ يعيننا على تشخيص الواقع ويساعد على معالجة الأمراض ويبين أولويات العلاج وإلا سوف نتوغل في دروب ومنعطفات تصيبنا بالعجز والشلل وعدم الوصول إلى مراجعات سريعة لأخطائنا الفادحة «إن التاريخ كثيرًا ما يعين على فهم الواقع المعاش ولاسيما إذا تماثلت الظروف وتشابهت الدوافع»[1] فالتاريخ يشكل مصدرًا عظيمًا للمعلومات ويضعها في قوالب ونماذج يمكن أن ترشد لفهم الحاضر وتساعد على التنبؤ بما يمكن أن يكون في المستقبل والتاريخ يعطي مثلًا واضحًا للشباب بتجارب ناجحة فيكررونها أو فاشلة فيتجنبونها ولا يقعون فيها مرة أخرى.

والمصيبة فيمن لم يجد من يفيده بالتجربة أو يذكره بدروس التاريخ حتى بدت كل محنه وكأنها وقعت مضمونًا وشكلًا في المكان رغم أنها طارئة في الزمان ولأول مرة في تاريخ الفكر البشري يكشف الغطاء أمام العقل البشري عن حقيقة منهجية على درجة كبيرة من الخطورة أن التاريخ البشري لا يتحرك عشوائيًا وعلى غير هدف وإنما تحكمه سنن ونواميس كتلك التي تحكم الكون والعالم والحياة والأشياء سواء بسواء.

كان على الحركة الإسلامية واجب مهم أن تتوغل في التاريخ وتتعلم الدروس فاستعادة الزمان ليست بالعودة إليه وإنما بإصلاح أخطائه.

فإلى أي مدى درست الحركة الإسلامية مسيرة التاريخ الاجتماعية والسياسية لكي تستخلص العبر وتستفيد من تجارب النجاح وتتوقى جوانب الفشل والانهيار والتراجع وإلى أي مدى استطاعت أن تدرس تجاربها مع ذاتها وتراجع وتصدر تقييمات حقيقية لمسيرتها بكل ما فيها من جوانب النجاح ونواحي الإخفاق.. إن تأخر المراجعات كان بسبب ذلك.

---

(1) ثقافة الدعاية، القرضاوي ص 89، مكتبة وهبة.

www.ibtesama.com

## الوعي بالممكن والمتاح

إن الوعي بفقه الممكن والمتاح هو عملية التكيف والمواءمة مع الظروف الحياتية المختلفة اجتماعيًا وثقافيًا وحضاريًا وحصاد الإخفاق في هذه العملية هو ما يدفع للتطرف سواء الفكري منه أو الشعوري والسلوكي وهو جوهر الأزمة الحقيقية للتنظيمات الإسلامية بكل مستوياتها المختلفة وبيئاتها الاجتماعية والثقافية والحضارية وهذا هو اللوم الأكبر الذي وقع على بعض فصائلها التي جمعت الشباب وحشرت لهم الأدلة على صحة موقفها في سبيل الرغبة الجامحة في الوصول إلى السلطة أو إحداث نكاية بأعدائها دون وعي بالممكن والمتاح الذي أتاحته لهم الظروف المحيطة والواقع المعيش والأسباب المادية «والحتمية الوحيدة في التفسير الإسلامي هي حتمية قدر الله ومشيئته ولكن هذه الحتمية لا تلغي إيجابية الإنسان وفاعليته إنما هي حتمية النتائج حين توجد الأسباب»[1].

لقد حاول بعض الإسلاميين القفز فوق الأسباب وفوق الظروف المحيطة وتصوروا أن المتاح لهم هو فعل أي شيء يمليه عليهم ضميرهم وكان كثير منهم يرى أن يزرع اليوم ويحصد غدًا بل ربما أراد أن يحصد اليوم على خلاف سنة الله في الزرع والحصاد وهذا ماعجل بالصدام بين الجماعات الإسلامية والدولة.

والوعي بالممكن والمتاح بصيرة يهبها الله لبعض خلقه الذين يستطيعون أن يقتربوا من واقعهم ويتوغلوا فيه بإخلاص ومعرفة.

(الاقتراب من الواقع يعتمد على الصدق والوضوح مع النفس في التقدير والتقويم والتحليل)[2].

وليست البصيرة وحدها التي تعلمنا هذا الفقه ولكن هناك شيء مهم هو كفاءة وإمكانات الوصول إلى نقطة اتزان تمثل صور الوسطية المعتدلة كسلوكيات فاعلة على أرض الواقع تحتكم إلى إدراك استراتيجي لأهمية فقه الواقع المطلوب مع فقه الدور المطلوب وفقه الأولويات والتدرج.

* * *

(1) حول التفسير الإسلامي للتاريخ، محمد قطب، ص44، مؤسسة بدران.

(2) شاكر عبدالقادر، مجلة الوعي، عدد 476 عام 1426هـ.

www.ibtesama.com

## الوعي بالتعامل مع مؤسسات الدولة

وبداية فمؤسسات الدولة هي تلك الهيئات التي تقدم خدمات معينة لمجموع المواطنين من خلال موظفين يعملون بها وفقًا لأسس وقواعد مقررة سلفًا وينفق على هذه المؤسسات من ميزانية الدولة وملكية هذه المؤسسات لا تعود إلى شخص أو بعض حكام وإنما تعود إلى الشعب بأسره، والنظرة غير الموضوعية إلى هذه المؤسسات باعتبارها تخدم السلطان أو تخدم الدولة الكافرة هي التي كرست مزيدًا من الأخطاء وكرست ظاهرة التخندق والانتماءات إلى التنظيمات وجعلت الناس تفقد ولاءها لوطنها وكرس العداء لشركاء الدم والوطن حتى أن البعض قد استباح لنفسه ضرب البنية التحتية لمؤسسات الدولة وضرب البنية الاقتصادية والبنية الأساسية كالطاقة والكهرباء وعلى سبيل المثال لا الحصر ما فعلته الجماعة الإسلامية قبل مراجعاتها حتى وصل هذا الخلق إلى بعض الأفراد ودفعهم للعبث في المواصلات أو تخريب المؤسسات الأمنية باعتبارها مؤسسات تصد عن سبيل الله حتى وصلت الجرأة إلى اعتبار المؤسسة الدينية مؤسسة السلطان لماذا؟! لأننا كنا نتصور أن كل ما في مجتمعنا الحالي مخالف للإسلام وأن كل الأنظمة والقوانين والمؤسسات ستهدم وتبنى من جديد وليس هذا بتصور سليم فالبنية التحتية ومؤسسات الدولة هي رصيد للجماهير المسلمة والوعي السليم بالدين والنصرة للدعوة والمشروع الحضاري الإسلامي الكبير هذا المشروع الذي يرتقي بالأمة والذي يجب أن تشارك فيه كل فئات المجتمع ومنها الحركة الإسلامية هو الذي يدفعنا أن نحافظ على هذه المؤسسات وألا نفقد ولاءنا لبلادنا التي نحن منها ونعتبر أن انتصارها لنا وأن إخفاقها علينا.

* * *

## الوعي بالسنن الكونية

فالله سبحانه له سنن يسيّر بها واقع المجتمعات وهذه السنن لا تتغير ولا تتبدل قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[1] وحركة السنن تجري بقوانين ثابتة وبحركة

(1) سورة الأحزاب، الآية: 62.

www.ibtesama.com

سيرها وتبدلها تجري الحياة وعلينا نحن أن نستنبطها لنهتدي بمعالمها ونوظفها فالكون لا يمكن تسخيره إلا وفق السنن ومن اهتدى بالسنن فتح لله عليه ومن اعترضها خسر كثيرًا وعلى سبيل المثال إن القوي يغلب الضعيف وإن الكثرة تغلب القلة وانظر إلى بعض القادة حينما زجوا بالشباب في مواجهات فاشلة مع السلاطين كيف أتت بخسائر فادحة.

من أراد أن يكسب عليه أن يلتفت إلى السنن وعلل الأشياء بطريقة واقعية فلن يستطيع أي إنسان مهما بلغ من علم وذكاء ولن تستطيع حركة مهما بلغت من قوة أن تستمر مهما بلغت حنكة قادتها طالما أنهم لم يلتفتوا إلى السنن التي تحكم مسيرة الحياة بالقدر الذي التفتت به وتوجهت صوب آيات الأحكام والحكام والوعي بها.

*** 

## الانتماء مشكلة الجماعات والتنظيمات

توسعت الجماعات الإسلامية في مفهوم الانتماء وقدمته وجعلت له الأولوية مما جعل مشاعر الاستعلاء والتعصب والإحساس باقتناص الحق المطلق تتضخم وتحول العمل الإسلامي إلى مباريات ومشاكل تصاعدت لتؤدي إلى انقسامات وأحزاب وجماعات بعض منها يضع أوصافًا فكرية وعملية وخلقية يحدد بها حزب الحق وينزلها على جماعته فيصبح هو صاحب الحق محتكر الحقيقة، ومن يحتكر الحقيقة كيف يراجع نفسه ويعترف بخطئه؟ وهذا هو مأزق أصحاب البصائر الذين رأوا أن الحركة بمعناها الواسع قد اختفت فيها النظرية النقدية وتضخمت بعدها المصالح الحزبية وقصر النقد الذاتي بل غاب في أحيان كثيرة.. هذا بالطبع لأن الانتماء إلى جماعة أصبح قيمة محورية لدى الإسلاميين وواجبة وأساسية في واقعهم الحالي والمعاصر «تحولت التنظيمات إلى هدف بحد ذاته وصارت دعاوى المحافظة عليه مشجيًا لتبرير الحرفية والجمود والالتفاف عن دعوات التجديد والتطوير»[1].

ولهذا أصبحت قليلة تلك المراجعات وشحيحة تلك التقويمات التي انبعثت من الأوعية الحركية والتنظيمات التي ينتابها الهاجس من كل رؤية نقدية تصدر من الداخل أو الخارج وليس غريبًا أن تصدر بعض الرؤى النقدية والمراجعات القليلة وتنبثق من الأوعية

(1) علاء النادي، مجلة المنار الجديد، عدد 25، عام 2004 ص64.

www.ibtesama.com

الحركية القيادية ولكنها كما يقول علاء النادي في المصدر ذاته (لم تكن إفرازات لتأسيسات أخلاقية في مجال النسق لمعرفة داخل الحركة وهذا نابع من قداسة القياده عند القاعدة من الأفراد وتلك الهالة والنظرة المثالية التي جعلت القادة في مصاف الملائكة وأعطتهم كل الحق ليكونوا هم أصحاب القرار الوحيد مما عرض بعض الجماعات للهلكة في بعض الأحيان وعرض العمل لسوء التقديرات والحسابات وقلل من المراجعات).

هذا هو ما جرى بالفعل والأدهى من ذلك أن الأفكار التي تبنتها بعض الجماعات لم تكف لصياغة رؤية إسلامية للعالم وللإجابة عن الأسئلة الأساسية المتعلقة بالإسلام والعصر بل أصيبت بتكرار المقولات وعدم ارتقائها إلى مستوى القدسية التي أحيطت بها حتى أصبح ميراث التعالي فيما بين الفصائل هائلًا ومليئًا بالخوف والمحاذير ويحتاج إلى نقاش وتجديد للبرامج والرؤى وفاعلية الدور والحاجة إلى رؤى شافية للعصر والإجابة عن هذا السؤال لماذا كل هذه الجماعات والتنظيمات؟ لماذا هذا التمزق والتشرذم ما دام الكل يعمل للإسلام؟!

إن تلك الجماعات على اختلاف توجهاتها لم تستطع أن تعطينا إجابات واضحة عن أمور كثيرة نواجهها في واقعنا المعاصر ولن يحدث ذلك في الواقع القريب طالما أن إفرازات التعصب واضحة والمنتمي إلى جماعة يحسبها على الحق الأوحد فالانتماء إلى جماعة تدعي أنها تمثل الإسلام دون غيرها يجعلها تستبد بالمرجعية ومستعصية على التجديد في القول والعمل طالما استطاعت حشد الجماهير وهذه هي إشكالية كبيرة.

* * *

## الانتساب إلى جماعة ليس نهاية المطاف

ليس الانتماء هو نهاية المطاف أو المحور الأساسي الذي تقوم عليه الدعوة الإسلامية حتى أننا نضخم الفروق ونوسع الهوة ونهمل الشخصيات القوية العاملة بمفردها في الميدان رغم أننا نحسب أن فيهم الصادقين المخلصين من أجل الهدف الأسمى وهو الحفاظ على الكيان للجماعة التي ننتمي إليها.

إن الواجب أن تكون هذه التجمعات هي وسائل لغاية واحة هي العمل للإسلام لا أن تكون عائقًا أمام الآخرين الذين يعملون بمفردهم من أجل الإسلام أيضًا كما قال

www.ibtesama.com

صلاح الصاوي «إن هذه التجمعات لا تعتبر نهاية المطاف ولا يمثل أحدها على انفراد جماعة المسلمين وإنما هي خطوات مرحلية في الطريق إليها لأن التزامه بالجماعة بمفهومها العام والشامل أسبق من التزامه بهذه التجمعات الحركية لأن الولاء واجب بأصل الشرع فهو الذي دلت عليه النصوص واتفق عليه الإجماع أما الثاني فمستند وجوبه هو المصلحة الراجحة[1] فلا ينبغي إذن أن تنقلب الأمور ويصبح الولاء لهذا التجمع أو ذاك ذريعة لقطع الولاء لبقية الآخرين.

*** 

## لا بد أن تكون عضوًا في بنية جسد المجتمع

وإذا كانت الجماعات والأحزاب ستجد تأصيلًا شرعيًا لنفسها يبيح لها الوجود فإن ذلك لا يدفعها أن تكون نسيجًا آخر يختلف عن المجتمع يحاول أن يتميز عنه ويتسامى عليه بل إن المهمة الأولى لمن نصب نفسه داعية إلى الإسلام هي تقريب المسافة بينه وبين الناس وعدم قطع الصلة بالمجتمع الإسلامي والأسمى من ذلك أن يكون عضوًا بناءً في جسد هذا المجتمع وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[2] وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3].

إن الإسلام بقيمه وشرائعه هو القيمة العليا التي يجب أن ينتمي إليها الإنسان ومن المهانة والضياع أن نقدم انتماءنا لجماعة على الدين ونقدم مصلحة الحزب على مصلحة الإسلام العليا ومصلحة الوطن الكبرى فالإسلام ليس جسمًا ولكنه روح يسري في الأبدان وقوة الإسلام في قوة الولاء له لا لغيره أما حب الوطن فهو الحفاظ عليه والوقوف أمام الأحقاد التي طمعت فيه وتحاول أن توجه الضربات لكيانه.

*** 

(1) جماعة المسلمين مفهومها وكيفية لزومها، صلاح الصاوي، ص72، دار الصفوة.
(2) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى.
(3) رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.

www.ibtesama.com

## الدعوة إلى الله مقدمة على التشكيلات والتنظيمات

الدعوة إلى الإسلام هي الهدف الأسمى الذي لا بد أن يقدم على الانتماءات الحزبية والمتأمل يرى أن التشكيلات أصبحت غاية وهدفًا شغل العاملين للإسلام عن هذا الأمر المهم.

إن الدعوة إلى الله مقدمة على التشكيلات والترتيبات ولم تكن التشكيلات والترتيبات إلا من أجل الدعوة إلى الله وأحيانًا قد تكون التشكيلات والترتيبات حجابًا عن الله وعن دينه فلابد وأن ننتبه إلى ذلك بأن تقديم الانتماءات قد عطل الدعوة سنوات كثيرة وشوه صورة الإسلام في أحيان أخرى بسبب حركات العنف والمواجهات الدعوية أو بسبب انقسام القوى الإسلامية إلى عصبيات انبثقت من الرؤى الإسلامية المختلفة.

* * *

## الانتما إلى جماعة لا يجعلنا نصل إلى مرحلة فناء الآخرين

ومهما بلغت حدة انتمائنا فلابد ألا تجعلنا نصل إلى درجة استئصال الآخر لأن الإسلام كفل حرية الاختيار وحرية العمل فلا بأس أن يتبنى الإنسان رأيًا معينًا وأن يختار ما يراه مناسبًا ولكن أن يعتبر ذلك هو حكم الإسلام الأوحد وأن ما عداه هو الباطل والضلال فهذا هو الخطأ بعينه «وأما جماعة ذات فكر معين تختلف عن جماعة أخرى يجمعها كلها الإسلام فلا يجوز أن ندعي أنها هي الجماعة الناجية وكل من عداها في النار فقد أدى ذلك إلى ظهور الغلاة والخوارج من قبل وتفرقت منها فرق يكفر بعضها بعضًا»[1].

وإن كان الاختلاف خطرًا فإن التعصب للمذاهب والانتماءات ونفي الآخر هو أكبر خطر يقول الشيخ سلمان العودة: «إن الخلاف المبني على مقام الديانة والعلم أعني اختلاف أهل الاجتهاد المعتبر في الأمة إذا تحولت الآراء المتعددة فيه إلى ولاءات

(1) بيان للناس من الأزهر الشريف ص254، طبعة دار المصحف الشريف.

www.ibtesama.com

خاصة ومفهومات للحزبية والطائفية فإنه يخرج بذلك عن كونه رحمة ومتابعة لحكم الله ورسوله لكونه تمزيقًا لأهل الإسلام ورجوعًا لأمور الجاهلية»[1].

ويقول فضيلة الشيخ ابن عثيمين: (فهؤلاء الذين يدعون إلى الحزبية لاشك أنهم يجنون على أنفسهم وعلى إخوانهم وأنهم سيجرون البلاد إلى نزاع طويل ومشكلات متعددة)[2].

ونقصد بالحزبية هنا التعصب للانتماء ونفي الآخر وفي كتب التراث سنرى أن الأئمة وفهمهم للدين فهمًا صحيحًا نصًا وروحًا أخرجهم عن التعصب والولاءات الخاصة وهناك قول أثر عن أكثر من واحد منهم هو رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب وسنرى أن الإمام مالك لم يرض أن يجعل الخليفة يحمل الناس على كتابه الموطأ.

إن حصر العمل للإسلام في جماعة واحدة يراها البعض ضرورة يحتمها الواقع وأنها وحدها هي التي تمثل الحق الخالص وما سواها هو الباطل وبعبارة أخرى وصف هذه الفئة بأنها جماعة المسلمين وكل ما جاء من أحاديث عن الجماعة ولزومها ينطبق عليها وأن الآخرين هم الفرقة الضالة المذمومة فهذا هو الضلال بعينه قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[4].

إن هؤلاء لا يرون إلا أنفسهم ولا يسمعون إلا ذواتهم ويعلون من شأن جماعاتهم ويضعون أعينهم على أخطاء غيرهم وهؤلاء إنما ينسون أنفسهم وينتقصون من حق غيرهم فقط.

* * *

(1) **مقولات في فقه الموقف**، سليمان بن فهد العودة، ص 15، مكتبة السنة.

(2) **لقاءات الباب المفتوح**، ابن عثيمين، ص321، دار البصيرة.

(3) سورة الروم، الآية: 32.

(4) سورة الأنعام، الآية: 159.

www.ibtesama.com

## الاختلاف بين الجماعات اجتهادات بشرية

والمسألة المهمة التي لا بد أن تلاحظ أنه باختلاف المفاهيم والتوجهات حدثت الاختلافات وبرز أكثر من تيار إسلامي جاء ليعبر عن انقسامات حادة في الرؤى والمفاهيم التي التقطت بعض الخيوط والمسائل الفقهية والفكرية الفرعية لتكون سلاحها للتميز والتفرد عن غيرها «وإن كثيرًا من طلاب العلم وأبناء الصحوة الإسلامية لا ينتبهون لوجود هذا النوع من الاختلاف ويظنون أن كل مسائل الاختلاف بين العلماء مما يعادى فيه ولأجله ويبغض المخالف وهذا قد يوجد من أسباب الفساد والضغائن والتعادي ما لا يعلمه إلا الله»[1].

إن هذا المسلك هو الذي أهلك الأمة من قبل حين بلغت العصبية المذهبية وتفرقت الجموع حول مسائل فرعية في الدين في وقت كانت تحتاج فيه إلى الوحدة والتكاتف وهذا ما تكلم عنه الشيخ ناصر بن سليمان العمر قائلًا: «ولا يشترط أن يكون الاختلاف فيها اختلاف تضاد بل قد تكون اختلاف تنوع وهو الذي ينبغي أن يكون بين العاملين للإسلام فيتمم بعضهم بعضًا للقيام بواجبات التكليف المناط بمجموع الأمة ومن ثم فإن التباين في تلك الثوابت النسبية لا يوجب عداوة وشقاق بل هو تباين يرجع في حقيقة إلى نوع ائتلاف»[2].

فكيف نصل إلى هذه الحكمة ونوجه الإرادة إليها فلا تضع الآراء الاجتهادية للعلماء إلى مرتبة الفرضية التي تدفعنا بعد ذلك للتعصب «والرأي الاجتهادي لا يجوز التعصب له أو اعتقاد أنه وحده الصواب ولا صواب غيره ومن هنا يستحسن الاطلاع على آراء الآخرين فقد يكون فيها الصواب ولا يجوز أبدًا إغلاق الفكر على معلومات معينة من مصدر واحد مهما كان قدر هذا المصدر فقد سبق قول الأئمة في ذلك فإذا جاء بعض الغلاة ورفضوا كل نقاش فيما يعتقدون مما تلقوه عن أميرهم فقط ومن أميرهم هذا؟ وما منزلته بين العلماء الذين هم ورثة الأنبياء؟ كان هؤلاء مخالفين لأدب البحث والعلم»[3].

---

(1) فقه الخلاف بين المسلمين، ياسر برهاني، ص38 دار العقيدة.

(2) ثوابت الأمة في ظل المتغيرات، ناصر بن سليمان العمر، مؤتمر الآفاق المستقبلية بالكويت عام 1423 ص23.

(3) بيان للناس، مجموعة من علماء الأزهر الشريف، طبعة دار المصحف.

www.ibtesama.com

إن التفرق منهي عنه إذا كان على أساس فكري معين أو عقيدة من العقائد التي يتوقف عليها الإيمان والكفر وهو كذلك منهي عنه إذا كان في مجال الفروع ويدفعنا إلى الاختلاف ولا مانع أن نختلف ولكن أن يكون اختلافنا هو الذي يجعل الأمة متفرقة ومتنازعة ويكرس فرقة المسلمين وتشرذمهم ويقطع أوصالهم فهذا هو الخطأ الفادح وللأسف فسنرى أن الخلافات بين الجماعات الإسلامية ما زالت محصورة في إطار الاجتهادات في الفروع وفي الوسائل التي تميز واحدة عن الأخرى ولا بأس أن يتبنى تيارًا معينًا ما كان مناسبًا ولكن عليه أن يعرف أن ذلك اجتهاد بشري.

* * *

## الانتماءات لا تدفعنا للعداوة

إن الحالة التناحرية السائدة بين كثير من الجماعات والأنظمة وبين الجماعات الإسلامية وبعضها البعض تعكس مظاهر التأزم في بنية الفكر وبنية التنظيمات على مستوى الأفكار والأشخاص كما يقول معتز الخطيب «إن المتأمل للواقع يجد ثمة خلاف داخل الجماعات ذات الأولوية الواحدة سلفية كانت أم صوفية أو غير ذلك إضافة إلى علاقة التناحر التي تعود إلى أسباب منها هو شخصي ومنها ما هو منهجي»[1].

إن هذه الأسباب الشخصية والمنهجية والتعصب لها هو الذي دفع إلى هذه الحالة من التناحر وليست المنافسة والسباق لخدمة الإسلام بل وصل في أحيان كثيرة إلى القتال والعداوة والنزاع على السلطة والمواقع وأفغانستان والجزائر خير مثل على ذلك.

وتنتشر العلاقات التناحرية وتصبح ظاهرة عامة من أجل تنازع مواطن النفوذ هذا ما شاهدناه من اقتسام الخطابة في المساجد وحق الجماعات في كسب المزيد من الأفراد وهذا كله يشوش مفهوم الدعوة إلى الله سبحانه بالإضافة إلى محاولة انتزاع النفوذ من الدولة وعلمائها ودعاتها باعتبارها فريقًا آخر مغايرًا للجماعة الإسلامية والمفترض أن تكون البنية التنظيمية على قاعدة الإخوة وتعكس جانبًا عزل الخطأ عن المؤثرات الفكرية وتعكس الشفافية ولكن شخصنة الدعوة في شخص واحد هو رئيس الجماعة جسد حالة الفرد وعلاقاته وهنا يفهم الولاء والبراء على أساس ذلك الاجتماع.

---

(1) معتز الخطيب، العمل: الدعوة بين وصاية الشيخ ونصرة الدين، فصلية المنار ص19، عدد 24، 2003.

www.ibtesama.com

إن الانتماء الحقيقي حينما يكون إلى الإسلام وأحكامه سوف يصوغ علاقات جيدة وجديدة بين أنفسنا نحن المسلمين وبين العالم وبين الجماعات والأنظمة.. علاقات لا تقوم على العداوة بل على منهج آخر وهو المنهج الذي يدفعنا أن نمد جسور التقارب مع الناس جميعًا.

* * *

## مشكلة الآخر

إن عدم التثبت من صحة بعض النصوص أو الالتباس في فهمها ووضعها في إطار غير إطارها أو تأويلها وتحميلها فوق ما تحتمل أدى إلى فقه نصوصي غير محكوم بمقاصد الشريعة وهو الذي جعل بعض العاملين يضعون أحكامًا نهائية للعلاقة بين الأمة وسائر الأمم قائمة على المواجهة وآية السيف التي يقول عنها الشيخ سيد قطب إنها نسخت 124 آية وطلب الله فيها من المسلمين القتال ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(1).

لقد خضع تأويل النصوص لتصورات الحقبة التاريخية الماضية عندما كانت أمة الإسلام هي الغالبة وكانت العلاقات الدولية قائمة على أساس فكرة الغالب والمغلوب وشكل الفقه وخضع لذلك الظرف التاريخي.

كما كانت وطأة العنف على الأمة وفقدان القدرة على استعادة الإمبراطورية والخلافة سببًا آخر حيث توالت مظاهر الاحتلال الذي جدد الإحساس بالهزيمة والغزو الفكري والمذهب المناهض للإسلام وهو الذي أدى إلى تعميق هذه الطريقة في التفكير «والاحتلال كان مقرونًا دائمًا بالغزو المذهبي الخارجي المناهض للإسلام والذي يطرح نفسه بديلًا عنه أي إنه لم يتسبب فقط في الاستعمار المباشر على أراضٍ إسلامية وإنما في تفجير أزمة الهوية والشرعية داخل المجتمعات الإسلامية»(2).

فالشعور بالتهديد والإحساس بالأسى مما يحدث في بلاد الإسلام وخصوصًا في القدس الشريف هو ما يشكل عاملًا مهمًا في نشأة الجماعات الإسلامية التي ذكرت

(1) سورة التوبة، الآية: 5.

(2) شيوخ بلا خناجر، عبدالعاطي محمد، ص35، دار مصر المحروسة.

www.ibtesama.com

بالإمبراطورية وشكلت مشاريع مقاومة الاستعمار وأخذت تنشد التغيير الاجتماعي والسياسي ومن عمقها خرجت تيارات سلفية متشددة تفسر العلاقة بالآخر على أنها علاقة قائمة على المواجهة وأن وطن المسلم هو دار الإسلام وكل أرض تجري فيها أحكامه ودار الكفر هي كل أرض تجري فيها أحكام الكفر وهي دار الحرب.

* * *

## حضارة الآخر مراجعة واستفادة

لم يقف الإسلام من حضارة الآخر موقف العداء ولم يقر مبدأ الاعتراض على الجهد البشري النافع غير المتصادم مع الثوابت ونحن لا بد أن نمتلك الشجاعة في التعامل مع الآخر حضارته وثقافته طالما أنها لا تصطدم مع ثوابت العقيدة فالانغلاق على ثقافة واحدة والرعب من ثقافة الغير واعتبارها غزوًا فكريًا يجب محاربته هو خطأ فادح ولكن العوامل السالفة ومراحل الشدة والخطر أدت إلى ظاهرة الانغلاق وتراجع الفكر العقلاني والانفتاح على الآخرين وأصبحت إقامة الحواجز هي الحصن ضد الخطر كما قال الدكتور محمد عمارة: (ولكن الذي يفهم الإسلام فهمًا سليمًا عليه أن يدرك متى يغلق أي نافذة ويفتح الأخرى لأن إغلاق النوافذ كلها يؤدي للموت والإنسان المغلق فكريًا مثل الإنسان المضرب عن الطعام يأكل ذاته فيموت وكذلك الانفتاح بلا ضوابط يؤدي إلى الذوبان وفقدان الذات والهوية) نعتقد أن كلًا من المحاسن والمساوئ التي جلبتها المدينة الحديثة ينبغي أن يوضع موضع الدرس وأن نعمل النظر فيهما مليًا وأن نحكم لهما أو عليهما بالقسط والعدل دون تحيز أو هوى.

والمجتمع المسلم لا ينعزل عن غيره من المجتمعات بل يستطيع أن يقتبس منها وينتفع بما لديها من معارف وخيارات ومهارات لا تضر بكيانه المادي والمعنوي لأن العلم وما يتفرع منه من مكتشفات وأجهزة وأدوات ومخترعات لا جنسية له.

والمدنية ليست عارية من المحاسن وليست خالية من المساوئ وليست كلها شرًا محضًا وليست كلها خيرًا محضًا يقول الأستاذ خالد محمد خالد: «إذا كان تمردكم وانقلابكم هذا ضد المدينة عازمين على تحطيم مظهرها وطمس جوهرها فمن الخير لكم قبل غيركم أن تعلموا أن المدنيات تنهض وتموت وأما المدينة ذاتها لا تموت» ويقول في موضع آخر: اقرأ قول ربنا في سورة يونس ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ

أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] إذًا فالقيامة ستقوم والمدينة في قمة صعودها وتألقها ثم لماذا الحضارة لا تكون إلا في شارع الهرم وأين إذن المدارس والجامعات والمشافي والمصانع والثقافة والفنون والرياضة؟![2]

إن مفهوم الآخر الخاطئ كان من نتائجه أن هناك بعضًا يرفضون حضارة الآخرين ويعلنون الحرب عليها قبل أن يدققوا النظر في مفهوم الحضارة كي يستفيدوا من حسناتها ويقوموا سلوكها واعوجاجها ويسيروا على نبراسها وعلومها ويتركوا مفاسدها وباطلها.

* * *

## حقوق الآخر غير الإسلامي

إن الإسلام نادى بالمساواة نظريًا وطبقها عمليًا وأقام عليها مجتمعًا حطم الفوارق التي تقيم الحواجز بين الناس من عنصرية ولون وطبقية وإذا كانت الحضارة الحديثة أعلنت المساواة نظريًا فإنها عجزت عمليًا عن تحقيقها بسبب روح التميز والاستعلاء الموجودة لديها وكان على الذين يعلنون الحرب على الآخرين أن يعلموا أن الإسلام ضرب المثل الأعلى في المساواة والعدل وإعطاء حقوق الآخر بحيث تجعل حياته كريمة بل تحفظ له الحياه فإن اختلاف الأديان لا يسقط عن المخالفين إنسانيتهم ولا يخلعهم منها.

باختصار شديد سننظر إلى أهم هذه الحقوق المطلوبة علينا للآخر وأين كانت تقف الجماعة الإسلامية التي لا ننكر أنها كانت تفعل الكثير من أجل تطبيق هذه الخطوات ولكنها قواعد مطلوبة لكل الأجيال الآتية:

### 1 - حق الهداية

وهذا حق كفله دين الإسلام العظيم أن تكون الهداية لكل الناس وأن تبلغ النذارة للعالمين فالرسول أرسل إلى الناس كافة قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ

(1) سورة يونس، الآية: 24.

(2) قصتي مع الحياة، خالد محمد خالد، ص474، مؤسسة الأخبار.

www.ibtesama.com

بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[2] وعلماؤنا في الماضي كانوا يقولون إذا كان القول في نفسه كفرًا يقال كفر ولكن بثبوت شروط وانتفاء موانع أي أن تكون قد بلغته الدعوة والهداية وزالت عنه الشبهة وقامت عليه الحجة وإذا قرأت القرآن وجدت صنوفًا كبيرة من العذاب للكافرين وعرفت أن الله هو العزيز الرحيم ولذا ستعلم أنه سبحانه لا يضع هذا العذاب إلا لمن عرف الحق ثم جحده وإذا علمنا بهذه الحقيقة دفعنا ذلك ألا نشغل أنفسنا بغيرها وأن نعرف أننا مقصرون في الدعوة والهداية لنا وللآخر.

ومن وجب له حق الهداية والبلاغ والنذارة كفل له حق الاقتناع وحرية الاختيار وهذا حق أصيل اقتناعه بالفكرة واختياره للعقيدة قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[4] ومبدأ الترهيب والإكراه لم يقره الإسلام قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[5].

## 2 - حق المواطنة

فتفاضل الإيمان والتقوى لا يؤثر في مبدأ المساواة والعدل في الشريعة والمواطنة في الحقوق والواجبات قال النبي ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب» وأما التقوى التي تشير إليها النصوص والتي يتفاضل بها الناس فلا تأثير لها في تطبيق مبدأ المساواة ذلك بأن محل التفاضل بالتقوى في الآخرة لا في الدنيا فهو أمام الله لا أمام الناس وإذا نظرنا إلى الدولة الإسلامية الأولى رأينا كيف فعل عمر مع واليه عمرو بن العاص وكيف ضربه على صلعته لأن ذميمًا اشتكى منه يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾[6].

فإن الآخرين الذين لم يقاتلونا ولم يؤذونا ولم يخرجونا من أوطاننا لاينهانا الله عن

(1) سورة سبأ، الآية: 28.
(2) سورة الغاشية، الآية: 21.
(3) سورة الكهف، الآية: 29.
(4) سورة الكهف، الآية: 29.
(5) سورة البقرة، الآية: 256.
(6) سورة الممتحنة، الآية: 8.

www.ibtesama.com

البر بهم والإقساط إليهم وبذل المودة لهم في الحديث «ومن آذى ذميًا فقد آذى الله» ولذا فإنا نؤكد على أن أهل الذمة لا انتقاص من وضعهم كمواطنين بل نؤكد على أنهم في شريعة الإسلام في ذمة الله وفي ذمة رسوله رغم بقائهم على دينهم.

ومن أهم الأدلة التي تؤكد على سمو الإسلام هم الأئمة مالك والليث بن سعد والإمام أبو حنيفة وأصحابه الذين ذهبوا إلى أن المسلم إذا قتل ذميًا فإنه يقتل به واستدلوا بفعل سيدنا علي حيث أمر بقتل رجل مسلم قتل رجلًا من أهل الذمة قائلًا من كانت له ذمتنا فدمه كدمائنا أما حديث الرسول ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر» فذهب هؤلاء العلماء على أنه الكافر المحارب لذا فإن قتل المدنيين بحجة أنهم غير مسلمين أو أنهم محاربون أو تحت رعاية دولة كافرة فإن ذلك كله يحتاج إلى مراجعة.

## 3 - حق الحماية

وهذا الحق يتضمن حماية الآخر دمه ونفسه وبدنه كما يتضمن حماية عرضه وكما حمى الإسلام نفسه حماه من الضرب والتعذيب لبدنه.

(ولقد بلغ من رعاية الإسلام لحرمة أموال الآخرين وممتلكاتهم أنه يحترم ما يرونه مالًا وإن لم يكن كذلك في نظر المسلمين فالخمر والخنزير لا يعتبران عند المسلمين مالًا متقومًا ولا يجوز للمسلم أن يمتلكهما أما إذا امتلكهما الآخر ففي الفقه الإسلامي يعتبران مالًا يجب حمايته)[1] قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[2] وهذه الآية لا تدعو فقط إلى التزام المسلم بأن يهب إلى نجدة المشرك وحمايته وإنما تطالبه بأن يقف إلى جواره حتى يخرجه من محنته وفي هذا دعوة إلى الإسلام وإلى سماع كلام الله.

## 4 - حق حرية عبادته

وهي من أهم الحقوق التي كفلها الإسلام للآخرين وما فعله النبي ﷺ حين رد صحائف التوراة لليهود هو خير مثال على ذلك في تاريخ الإسلام وفي المصدر السابق للقرضاوي «فإذا كان النصراني يعتقد بوجوب الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد فلا يجوز

(1) الأمكيات الدينية والحل الإسلامي للقرضاوي، ص34، مكتبة وهبة.
(2) سورة التوبة، الآية: 6.

www.ibtesama.com

أن يمنع من ذلك في هذا اليوم والدرجة التي تعلو هذه في التسامح ألا تضيق على المخالفين فيما يعتقدون حله في دينهم وعبادتهم أو مذهبهم وإن كنت تعتقد أنه حرام في دينك ومذهبك.

إن الإسلام الذي وضع قانونًا سماويًا هو من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لهو من أعظم الأديان كمالًا ورحمة بالآخرين وقوانينه من أفضل الشرائع التي سبقت القوانين الأرضية الأخرى في العدالة والمساواة.

## 5 - حق الأمان والسلام

وهذا حق أصيل ألا نبادر الآخرين بالحرب إلا إذا بدأوا هم لأن استخدام القوة والقتال ليس هو غاية في حد ذاته وليس مطلوبًا بنفسه وإنما هو استثناء أوجبته الظروف أما من استدل بقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾[1] فقد قال الدكتور عبدالمنعم النمر: «فاللفظ عام أريد به خاص لأنه توجد آيات أخرى تحدد صراحة معاملة أخرى لغير المسلمين وتفرق بين المسالمين منهم وبين المعتدين مما سبق أن ذكرناه» يقصد ما ذكره عن المعاملة الحسنة لغير المسلمين من قبل وليس هناك دليل على نسخها فيبقى الحكم بها قائمًا ولم يسلم لأصحاب هذا الرأي دليل على أدلتهم التي اعتمدوا عليها هذا أولًا.

وأما ثانيًا فلأن هذا الرأي لا يتفق وطبيعة العلاقات السليمة التي يحرص عليها الإسلام ويراها أصلًا في العلاقات بين الأمم[2] وعلى هذا فإن ضرب المستأمنين من السياح ومن الأجانب غير جائز لأنه نافى حقًا أصيلًا من حقوق الآخرين وهو الأمان والذين يستدلون بعدم وجود أمان لهم بحجة أن الحاكم المستبدل هو الذي أعطى لهم هذا الحق فسنجد أن طريقة دخول السياح تندرج غالبًا في مفهوم التأمين بمعناه الشرعي فتأشيرة الدخول اليوم تقوم مقام الأمان والأمان هو عهد بالسلامة من الأذى بأن تؤمن غيرك أو يؤمنك غيرك والنقطة الأهم بأن العبرة في انعقاد الأمان بما يتوهمه من يطلبه.

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 65.

(2) شبابنا وقضايا دينهم، د/عبدالمنعم النمر، ص 41، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

www.ibtesama.com

## 6 - حق المشاركة وعدم المقاطعة

وكل النقاط السابقة لتسلمنا بيسر وسهولة إلى هذه النقطة وهي بأن من حق الآخر ألا يقاطع بل من حقه المشاركة والنبي ﷺ أمضى عشرات السنوات في اتصال دائم مع الآخرين من حوله رغم مشاعر العداء والغزوات والحروب وممارسات الظلم وكيد قريش رغم ذلك فقد أيدها في صلح الحديبية وقال ﷺ لا تدعوني قريش إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم وفي قول آخر تعظيم قربات الله إلا أعطيتها إياها ولعل هذه المشاركة وعدم المقاطعة يكمن فيها تعظيم حرمات الله ويكون فيها مصلحة للدين والحوار الهادئ الرزين والمشاركة الطيبة والمعاملة الحسنة لتؤدي إلى نتائج إيجابية ومصالح مهمة يمكن أن تفيد الإسلام عقيدة وشريعة وسياسة وحكمًا وهو ما يحتاج إلى بحث مستقل.

* * *

## الحوار مع الآخرين

إن الذي يتصف بأنه داعية للإسلام ويكرس وقته كله لخدمة دينه عليه أن يدع الانغلاق على الذات وأن يخرج من القوقعة ويعتبر أن الحوار وسيلة للتعايش فيخوض مع كل الأطراف المخالفة لجة الحوار العلمي الهادف الذي يجعل المتردد يقنع والخائف يطمئن والمتوتر يهدأ فالإسلام لم يتجاهل الآخرين ولم يضع الحواجز بين الناس طالما أن الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة.

والآن لم يعد في وسع مجموعة من الناس أن تعيش بعقيدتها ومبادئها معزولة عن العالم من حولها فإن ثورة الاتصالات الهائلة قربّت ما بين أطراف هذه الكرة الأرضية التي نعيش عليها حتى غدت كأنها قرية كبرى.

وافتح صفحات القرآن الكريم ستجده يستفز الآخر المشرك لكي يعبر عن رأيه فيقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] [2] وأما الآخرون هم الذين ينفون الناس ويمنعونهم من التعبير عن رأيهم ويمارسون ضدهم العنف وهم الكفار الذين قال

(1) سورة البقرة، الآية: 111.

(2) شبابنا وقضايا دينهم، د/عبدالمنعم النمر، ص41، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

www.ibtesama.com

عنهم الله تعالى ليوضح فعلًا من أفعالهم وهم ينفون الآخرين ويقولون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[1].

وإن من الخطأ الشائع أن نصنف الناس ونجعلهم أقسامًا: قسم منهم علمانيون لا ينفع معهم الحوار بل لا يجدي غير المناظرة وكلمة مناظرة دائمًا توحي بالتحدي وإرادة الغلبه أو محاولة كل طرف أن يصيب الآخر في مقتل، والقسم الثاني هم الحكام مع أنهم أولى الناس بالحوار وأوجبهم لبذل النصيحة وإسداء المشورة.. حوار بالحسنى وليس حوارًا بالرصاصات والقتل والقسم الأخطر والأهم أتباع الديانات الأخرى ومنهم الغرب المسيحي ورغم ما بيننا من خلافات نحن والغرب في الدين حيث أنه في جملته نصراني ونحن مسلمون ومن خلاف في النزعة فهو مادي ونحن روحيون وهو واقعي ونحن مثاليون ورغم ذلك فنحن في حاجة إلى الحوار معه أو ما يسمى بحوار الحضارات أو حوار الأديان والذين يعترضون على الحوار مع الغرب والحوار مع الأديان عليهم أن يعلموا أن له نتائج إيجابية ومنها: أننا يمكن أن نتفق معًا في الوقوف في وجه تيارات الإلحاد والمادية التي تعادي كل الرسالات السماوية.

لتأكيد نقاط الاتفاق بين الأديان قال تعالى: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[2].

تنقية العلاقات من رواسب الروح العدائية التي خلقتها الحروب الصليبية.

الدعوة إلى كف اتباع الديانات الآخرى عن المسلمين.

وهذه الأمور بالتأكيد نتائج مهمة لو توصلنا إليها.

إن الإسلام دين انفتاحي يتمتع بقوة ولا يتوجس خيفة من عقيدة وشريعة أخرى وحضارة أخرى ومن المعاني الدقيقة للإسلام أنه لم يجعل الكفر لذاته على تناقضه مع الدين مصدرًا للصراع ومبيحًا لاستخدام القوة وإشعال الحروب إنما من أهم المعاني الدقيقة أنه يدعو إلى الحوار مع كل الطوائف والأديان والمذاهب ويعتبر أن هذا الاختلاف قدري وكوني قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[3].

(1) سورة فصلت، الآية: 26.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 46.

(3) سورة يونس، الآية: 99.

www.ibtesama.com

وقد تعامل الإسلام مع هذا الاختلاف بواقعية تغرس مبدأ التعايش والتفاهم بدلًا من التصادم وجعل حق كل من تعامل مع المسلمين بسلام أن يبادلوه السلام ومن تعامل بالحسنى فحقه الحوار والمحاورة.

* * *

## ثقافة المعارضة

وفي تراث الإسلام سنجد أحاديث كثيرة تربي المجتمع على المعارضة وعلى قول الحق بشجاعة قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وفي التاريخ عندما تولى أبو بكر الخلافة قال في خطبة: «أيها الناس من رأى منكم في اعوجاجًا فليقومه» ولكن هناك فرق بين المعارضة السياسية والمعارضة المسلحة التي توقف العلماء فيها كثيرًا وأنكرها الصحابة على الحسين بن علي حين خروجه إلى كربلاء وكذلك سكتوا على هبة الرفض التي قام بها ابن الزبير فلم يندفعوا معه وأنكرها العلماء على ابن الأشعث الذي خرج بجيش به أكثر من مائة ألف ومع ذلك فقد قتل بل هناك جمهرة كبيرة من العلماء قد نهت عن الخروج على الحاكم الفاسق وسنجد برغم ما ورد من آثار عن تفشي بعض مظاهر الظلم والانحلال في الدولة العباسية فلم نسمع أحدًا من كبار العلماء قد خرج على الولاة ومنهم الإمام الشافعي والإمام أحمد الذي تعرض للسجن والتعذيب.

هذه هي الأمور الواضحة البينة التي قررتها حقيقة التاريخ أن الخروج على الحكومات يؤدي إلى مفاسد عظيمة وتجربة الجماعة الإسلامية في مصر والطليعة المقاتلة في سوريا والخروج على الحكومة العسكرية في الجزائر بعد الانتخابات تشهد بذلك والعقل يقرر والقياس الصحيح بين المصالح والمفاسد يؤكد أن المعارضة المسلحة لم تأت بنتائج لدعوة الإسلام بل قد تؤدي إلى ضياع شعائر كثيرة ومصالح ضرورية وفي الحكمة إذا لم تعرف مساوئ تاريخك فسوف تعيش فيها مرة أخرى.

إن شريعة الإسلام منزهة عن إراقة الدماء وجلب الهزائم على الأمة والتاريخ الإسلامي مليئ بالمعارضين الذين ضربوا أروع الأمثلة في المعارضة السلمية ولكننا يجب أن نعلم أنه إذا كان الإسلام والدين قد أقرها فإن المسلم لا بد إذا كان سيعمل بالسياسة أن ينظر إلى مدى تحقيقه لرسالته الحقيقية ألا وهي عبودية الله حتى لا يتحول إلى نسخة

www.ibtesama.com

ونموذج تقليدي للسياسي بكل ما يتصف بالانتهازية وعليه كذلك أن يكون بعيدًا عن الميكافيلية والغاية تبرر الوسيلة وأن يكون كذلك ضد البراجماتية والانتهازية والتخلي عن الثوابت مقابل عرض زائل أو مقابل تحقيق المشاركة السياسية فليس النجاح هو قدرتك على الوجود أو قدرتك على تحقيق المشاركة في السلطة وتحقيق امتيازات في الدولة وإنما مدى تحقيق الرسالة التي تحملها.

فالسياسة هي هدف تحقيق الممكن في إطار العدالة وعلى هذا فلابد من تغليب المصلحة الوطنية على الطموحات السياسية وعلى هذا أيضًا فنحن نحتاج إلى ثقافة المعارضة حتى لا نسير وفق هوانا أو وفق فهمنا القاصر لبعض النصوص.

لقد غرقت الحركة الإسلامية في المثالية والمدينة الفاضلة وفي إرجاع الخلافة الراشدة التي ستكون على نهج النبوة وغرقت في واحة العدل التي ستحل فيها كل المشاكل التي تواجه المجتمع وبهذا ذهبت الحركة بعيدًا عن الواقع البشري وتركت الواقعية التي تعلم الإنسان كيف يتعامل مع الواقع ويجعل المثال قابلًا للتطبيق العملي.

والإسلام لا يدعو للانصراف عن المثالية أو يحصر الواقعية في السبب والنتيجة دون النظر إلى العواطف الإنسانية ولكن الإسلام دين متوازن منهجه النظر العقلي والتفكير السليم وإعمال العقل دون إغفال العاطفة والشعور بالمسؤولية وفي الدين الكامل لوحيد الدين خان «يقول مفكر معاصر إنه إذا أمكن للدين أن يلقى قبولًا لدى الإنسان الجديد فلابد أن يكون عالميًا في توجهه عقليًا في مضمونه وأنا أزيد ما قاله الباحث وأضيف إلى كلامه أن الصنفين لا يمكن أن نتصور وجودهما إلا في الإسلام فهو وحده الذي يتلائم مع معايير العصر»[1].

إن تركنا للمادية واعتبارها فسقًا أو كفرًا وتركنا للعقلانية باعتبارها مخالفة للنص والنقل والعيش في عالم مثالي والنظرة بهذه الرؤية الحالمة وتحديد الأهداف بخيال مجنح يدلل على نقص الخبرة والعجز عن الإحاطة والتصور السليم وهذا الذي كان عيبًا للحركة الإسلامية وكان عائقًا أمام مراجعاتها.

والافتقار إلى رؤية تقرب بين المثالية والواقعية هو الذي أدى إلى ذلك بل تعدى إلى تشويش شعائر الدين والمفهوم الصحيح للدين الشامل مما دفع الحركة الإسلامية أن تقدم

(1) الدين الكامل، وحيد الدين خان، ص362، الرسالة للإعلام الدولي.

www.ibtesama.com

على معارك لذاتها لا ترتبط بالغاية النبيلة التي ينبغي الوصول إليها ولا تتقيد بالقدرة عليها ولا تعرف المستجدات لأنها كانت غارقة في المثالية وغافلة عن الواقعية مما تجاوز إلى إحداث التباس واضطراب في معرفة الأحكام الشرعية الصحيحة ومعرفة الطريق إلى تصويب الأخطاء.

* * *

## الهدف الواقعي والهدف المثالي

تصورت فصائل وتشكيلات الجماعات الإسلامية أن بإمكانها إرجاع الخلافة والمجتمع الإسلامي الأول بسهولة واستدعاءه إلى العصر الحالي في أبهى صوره كصورة التاريخ في أيام أبي بكر وعمر فأعلنت الجماعات الإسلامية أن أهم أهدافها هي إقامة هذا المجتمع ومن ثم كانت النظرة العكسية إلى مجتمعنا الحالي بأنه مليئ بالخطايا والظلم والعلمانية والمذاهب الكفرية وإن كنا لا ننفي عن المجتمع الحالي وجود خطايا فادحة فإننا ننكر فقط على الحركة الإسلامية أهدافها المثالية التي لا تواكب الواقعية.

إن الهدف الذي يتخذ شرعًا هو الهدف الواقعي، وإقامة الخلافة هدف مشروع ولكن لا يمكن السعي إليه وتحقيقه بسهولة ومن ثم لا بد وأن ننظر بنظرة كلية وليست جزئية إلى أمتنا التي هي اليوم في حالة دفاع عن وجودها وأصولها الراسخة وبأنها مستهدفة في صميم عقيدتها وخطابها الديني ولذا فنحن مطالبون بالحفاظ على البقية الباقية من شعائر الدين هذا هو الهدف الواقعي الأسمى «وهناك العشرات من الكتب والمئات من الاجتهادات والنظريات ومع ذلك فلا زالت الكثير من الأهداف الإسلامية مضيعة أو بعيدة عن التحقق»[1] هكذا يقول الشيخ سعيد حوى أحد منظري جماعة الإخوان ولو أجبناه عن ذلك لوجدنا أن من أهم الأسباب هي ترك الواقعية والغرق في المثالية الخيالية والأحلام.

وعند الإجابة عن سؤال حول إقامة الخلافة الإسلامية والحفاظ على الهوية والمصالح العليا سيتضح لنا بأن السعي وراء أهداف مثالية سيكون منافيًا لمصلحة الدين والعقيدة قبل كل شيء، وهناك القرار الأنسب والقرار الأمثل والأول هو الذي يتناسب

(1) جند الله تنظيمًا، سعيد حوى، ص39، دار السلام.

www.ibtesama.com

مع الهدف الواقعي وفي الحديث «لولا أن قومك حديثو عهد بإسلام لأمرت بهدم الكعبة» وجدنا كيف أن النبي ﷺ وقف مع الواقع وقفة حقيقية تدرك معنى هدم الكعبة وبنائها من جديد عند حديثي العهد بالإسلام الذين يمكن أن يتركوا الدين بالكلية ويرتدوا.

يقول الشيخ محمد قطب: «ومن هنا لا يتعارض في حس المسلم إيمانه بالسبب والنتيجة حسب السنة الربانية الجارية وإيمانه بالمعجزة التي تختلف فيها النتيجة عن السبب الظاهر وتعمل فيها سنة أخرى من سنن الله الخارقة فيؤمن بالوحي والمعجزات والخوارق التي جاءت على يد الأنبياء والرسل وبأن الله سبحانه قادر على تغيير نظام الكون كله متى شاء ولكنه في الوقت ذاته يعمل على أساس أن السنة الجارية هي الأقرب احتمالًا فيعد العدة ويتخذ الأسباب ثم يتوكل على الله»[1] وقول الشيخ محمد قطب يؤكد أن النظر إلى الواقع والعمل بالأسباب يتضافر مع الإيمان بالمعجزات وقدر الله والتوكل عليه وهذا هو التوازن الذي يفسح في المجال للواقعية ويوفق بينها وين المثالية.

* * *

## الإسلام وسطية وواقعية

إن الإسلام دين وسط يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2] والوسطية هي التوازن وقد كان من حكمة الله سبحانه أن اختارها شعارًا للأمة وجعلها مركزًا للقوة يقول الدكتور عبد الله شحاته «الإسلام وسط بين الروحانية والمادية حيث يشتمل الإسلام على الحدود والقصاص والأحكام والتشريعات والأوامر والنواهي والفرائض والواجبات من ناحية ومن ناحية أخرى يهتم بإيقاظ الضمير ونظافة القلب وتشجيع الخير والبر والمعروف والتعاون والمروءة»[3].

ولن تبلغ مرتبة الشهادة إلا بهذه الأخلاق وهذه الوسطية والاعتدال والتوازن الذي قال عنه أحد العلماء «والوسطية بصفة عامة تعني التوازن والتوسط أو التعادل بين طرفين

(1) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص 368، دار الشروق.

(2) سورة البقرة، الآية: 143.

(3) كتاب النور الجديد د/ عبدالله شحاته، ص139، دار أخبار اليوم.

www.ibtesama.com

متقابلين بحيث لا يستقل طرف منها بالتأثير أو بأخذ أكثر من صفة ويتجاوز حدوده ويطغى على الطرف المقابل»[1].

ومشكلة الحركة الإسلامية وبعض فصائلها أنها حكمت على نفسها بالفناء من حيث ظنت أنها تحافظ على نفسها فلا بد من المرونة والوسطية والتوازن وتطوير الذات وتشكيل معرفة الأفراد بما يفرضه الواقع وحتى تستطيع الحركة التقريب بين عالم المثال وعالم الواقع، ولكن مصدر الأزمة والقضية عدم وجود الفقيه العصري وهذه هي مشكلة الأمة كذلك يقول الدكتور محمد فريد حجاب في حديثه عن النهوض بالفكر التربوي الإسلامي ولكن ما نقصده أن تظهر إلى الوجود مجامع فقهية عصرية تضم علماء الدين والفلسفة والطبيعة والرياضة والفلك والطب بحيث تدرس في هذه المجامع القضايا التي تثير الجدل والتي يؤدي حسمها إلى استمرار الفصل بين مثل الدين ومقتضيات الواقع وتتلخص مهمة هذه المجامع في تقريب الهوة الفاصلة بين المثال والواقع أو التقاء الدين بالدنيا الذي هو روح الإسلام الحقيقي.

* * *

## التراث نقطة الاختناق الكبرى

ولا يخفى على المتأمل أن كثيرًا من القضايا الكبرى التي مثلت نقاط تماس واختناق في واقع العمل الإسلامي المعاصر وأدت إلى قصور المراجعات وإلى الاختلافات وكثير من التهارج والتدافع كانت بسبب نقولات كثيرة من كتب التراث وتفسيرها وفق ما تراه فصائل الجماعات الإسلامية المتعددة وبالذات السلفية منها.

ولم يكن التدافع مرده إلى تنازع فقط حول تحقيق المناط وإثبات بعض الأمور العلمية التي أدى خفاؤها وتراكم الغبش حولها إلى الاختلاف في التوصيف إنما كان السبب الأهم هو الأصول العلمية الضابطة لهذه القضايا التي كان التراث هو وحده فقط الأصل الثابت الذي وصل إلى حد التقديس واعتباره هو الصواب فقط وغيره الخطأ.

إن التراث هو النتاج الفكري والوجداني السابق الذي خلفته لنا الأجيال المتعاقبة منذ عهد الدولة الإسلامية الأولى إلى عصور الإسلام الزاهية من أقوال ومرويات ومراجع

(1) العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان، د/محمود حمدي زقزوق، كتاب مجلة الأزهر.

www.ibtesama.com

وكتب وهو الذي أنتجه العقل المسلم لشرح الإسلام والدفاع عنه في عصوره الأولى وهو في حقيقة الأمر لا يعدو كونه نقولات ونصوصًا للسلوك الإدراكي للسلف الذي خضع لتفاعل مستمر في علاقة ثابتة مع الواقع الذي يخلق دائمًا نماذج متعددة من التصورات ولكن التراث لدى الجماعات الإسلامية كانت له علاقة مطلقة ثابتة مما أنتج ظاهرة سلفية كبيرة حتى أن تيارًا عريضًا منها يلقب بالمدارس السلفية وينبع هذا الاهتمام من كون التراث يمثل مرحلة تاريخية مهمة كانت أمة الإسلام فيها هي الغالبة بالإضافة إلى أن التراث يعمق علاقة الانتماء الديني أو بعبارة أخرى يوسع مفهوم الولاء الذي ينبع من أننا سنجد الحلول لكل مشاكلنا في التراث لأنه لن يصلح آخر الآمة إلى بما صلح أولها وأخيرًا لأنه يصلح لأن يكون أساسًا لخلق بناءٍ فكريّ وإطارٍ للتعامل مع مجموعة المتغيرات بصورة جديدة هي في حد ذاتها صورة زاهية وواضحة لأنها ملتزمة بأقوال السلف الصالح الذين بلا شك لديهم قبول جماهيري.

وقد كان من نتاج هذه الظاهرة:

* الاهتمام بالعلم والدراسة وبالأخص في الفقه والحديث وبين أهل الفقه وأهل الحديث خرجت أفكار نصوصية لا تعنى باكتشاف خبرات السلف ودلالتها بل تفرض تقييم هذه الدلالة بل عنيت بجمع الأدلة ومذاكرتها فقط.

* اعتبار أن شرعية وجود الحركة هي مفهوم الاتصال بالناس ونشر الدعوة وأن شرعية السلطة الحاكمة كذلك ستستمد من نشرها للإسلام وممارستها لذلك وإلا اعتبرت سلطة غير شرعية مقصرة في حق الدين.

* النظرة إلى الحياة الدنيوية بأنها معاناة وأن الإنسان سيدخل في امتحان عسير لإثبات قدرته على أنه مؤمن وعلى هذا النوع فإن ممارسة الحكم نوع من الاختبار ومحنة والخضوع للحاكم الظالم محنة كذلك وبما أن السلطة ضرورة وحقوق ورغم أنها تنبع من مفهوم الطاعة إلا أنه لا طاعة لما هو مخالف للتقاليد الدينية وهذا ما يفسر حالة الاختناق التي حدثت بين الجماعات والأنظمة.

* التيارات السلفية لا تقبل إلا أن تكون مؤسسة على سيادة مبدأ الأخلاق وقيم ومبادئ السلف حتى في النموذج السياسي للدولة فتنظر إليه الحركة إلى أن ما ينطبق على المواطن ينطبق على الحاكم وإن اختلفنا في هذه النظرة سنختلف فقط في الإفراط الذي أدى إلى استدعاء تاريخ الثورات والخروج على الحكام منذ عهد ابن الزبير وسعيد بن

www.ibtesama.com

جبير إلى العصر الحالي واعتباره منهجًا أخلاقيًا سلفيًا وأن القوة هي أداة لممارسة الحركة لدورها في الإقناع والاقتناع.

* غرس مفهوم الاستعلاء الديني بين الجماعات وبعضها البعض وبين الجماعات وغيرها من الناس باعتبار أن مقدار الاتصال بالتراث هو المقدار الذي يحدد أقرب الجماعات إلى الحق.

وعلى هذا فقد درجت التقاليد على أن تنظر إلى التراث بأنه مجموعة من النصوص المتداولة التي تركها السلف ولكن هذا التراث كان يجب أن يفهم على أنه مرادف للتصور ونموذج من نماذج الوجود والتطور الإنساني يقول الدكتور حامد عبدالله ربيع: «التراث حقيقة أكثر تعقيدًا من أن نتصور أنه يبدأ وينتهي عند مجموعة من أمهات الفكر وكذلك فإن إحياء التراث لا يعني مجرد بعض أمهات الفلسفة والفقه»[1].

فإذا كانت الحركة جعلت إحياء التراث الإسلامي شيئًا هامًا وركزت عليه من خلال الفقه السياسي أو الوظيفة السياسية للتراث فإنها بذلك قد ألغت عنصر الزمان وكان من المفترض أن تسعى لإدارة التراث في إطار أكثر اتساعًا أو بمعنى إطار الحركة الجماعية الإنسانية حيث يعبر النص عن التقاء بين ماض وحاضر ومستقبل ومن هنا كانت تلك الظاهرة السلفية تمثل عائقًا كبيرًا أمام المراجعات.

* * *

## التراث والسلفيون في مواجهة المراجعات

لقد كانت التشكيلات الإسلامية على اختلاف مشاربها تتبنى مذاهب وأفكارًا تتخذ من النصوص دليلًا وملاذًا وهذا ما عبر عنه علماؤنا أن تعتقد ثم تستدل مع أن المنهج السليم أن تستدل ثم تعتقد.

ولم يكن أي نص هو الكفيل بأن يثبت صواب الفكرة بل التراث وحده ونقولات المرويات القيمة التي تكون دائمًا مقنعة لشباب العمل الإسلامي وهذه هي السنة التي سارت عليها أغلب الجماعات وعلى هذا اعتبر بعض المتشددين الإسلاميين أن التجديد والمجددين مارقون من الدين وأن أئمة التراث وحدهم هم المعصومون، وكم أهين كثير

(1) تعليق الدكتور/ حامد عبدالله ربيع على كتاب سلوك المالك في تدبير الممالك ص19، دار الشعب.

www.ibtesama.com

من العلماء المعاصرين وضرب بكلامهم عرض الحائط واعتبرت كتاباتهم نقضًا لعرى الدين رغم أنها كانت السد المنيع الذي يدافع عن الإسلام يقول الدكتور بكر زكي: «كما أن مدح فلان من الأئمة يجعل قليلي المعرفة يعتقدون أنه معصوم من الخطأ فإذا قيل قال فلان قبل كلامه وكأنه كلام الله - حاشا لله - وإذا وجه النقد إليه قيل للناقد ومن أنت حتى تنتقد»[1].

وقد قامت التشكيلات السلفية بطرح بعض القضايا التي عفى عليها الزمن وعلى سبيل المثال لا الحصر قضايا الخلافات بين الفرق المختلفة كالمعتزلة والقدرية والأشاعرة.. إلخ وافتعال المعارك في مسائل وسع الخلاف فيها الأمة كمسألة النقاب واللجنة وعمل المرأة والموسيقى.. إلخ بل تعدى الطرح إلى فرض هذه القضايا بالإكراه.

ووصل التقديس للتراث إلى حد الرجوع إليه من كل المستجدات العصرية والحقائق العلمية واعتباره وحده الصواب كالذين أنكروا المجموعة الشمسية أو أنكروا صعود الإنسان إلى القمر.

ولهذه الأسباب أصبح التراث هو العائق الذي وقف أمام عملية التصحيح وهو المنبع الذي برر أعمالًا كثيرة مثل الأعمال القتالية فكم رأينا من يقيس الحكم في واقعه المعيش على فتوى صادرة من فقيه منذ مئات السنين وكم رأينا من يحيلك على كتاب فقهي من القرون الأولى ليدلل على صحة ما صنع وهذا بلاشك يعبر عن خلل في التعامل مع التراث لأن أقوال الفقهاء تعبر عن فهمهم لنصوص الشريعة وهناك فارق بين قدسية النص واحتمالية خطا فهم الفقية للنص وهو ما يرتب نتيجة هامة وهي أن أقوال الفقهاء مع عظيم مكانتهم يمكن أن تجتمل الخطأ في بعضها وفهم النصوص ومقاصد الشريعة لا يصح تنزيلها على الواقع إلا ممن يملك أهلية الفتوى الشرعية والعجيب أن الحركة الإسلامية بها قلة ممن وصلت إلى هذه المرتبة التي تستطيع النظر في مدى توفر شروط وأسباب وانتفاء موانع هذا الحكم في الواقع وما يترتب عليه من مصالح ومفاسد بالإضافة إلى أن أكثر المسائل اليوم تحتاج إلى اجتهاد معاصر ولا يسعف فيها الرجوع إلى التراث الفقهي في القرون الأولى.

* * *

(1) التراث بين التقدير والتقديس، بكر زكي عوض، سلسلة قضايا إسلامية، عدد سنه 125.

www.ibtesama.com

## أزمة التراث أم أزمة الجماعات الإسلامية

وإشكالية التراث أنه أصبح كلأً مباحًا لكل من هب ودب وخصوصًا الذين يتعاملون معه على أنه كليات ثابتة يجب ألا يتغير بتغير الأزمان والغريب أن أغلب الجماعات الإسلامية تستقي أفكارها من كتب التراث حتى جماعات التكفير.

والتراث له منا كل التقدير ولكن لا يعني ذلك التقديس وعدم قبول نصوصه للتدقيق والمراجعة فالتراث الإسلامي لا يعرف الوقوف عند حد ولا يقتصر قبوله للنقد على زمن معين وهذا معناه أننا لا نطالب بقطع الصلة بالتراث وما أنتجته الحضارة الإسلامية ولكننا نطالب بعلاقة واقعية نقيمها ونزاولها في نطاق أدوات شريعتنا الدينة فنحن لا نستطيع الإقلاع الكلي عن التراث الذي لابد أن نتواصل معه شئنا أم أبينا ولكننا مطالبون بعدم القبول المطلق لكل شيء إلا بعد التدقيق والتصحيح والتنقيح.

والتراث يحتاج إلى رؤية ذات إخلاص وصواب ودراية يتحقق فيها طرف المعادلة تصحيح التصور وتخليص العقل من الشوائب والأخطاء يقول الدكتور عماد الدين خليل «كيف قدر العقل المسلم على حمل الأمانه وتنفيذ المهمة وأداء الدور وكيف لم يحدث في الأعم الأغلب ما كان يمكن أن يحدث من انفصال وتباعد وسوء تفاهم بين المطالب الجديدة وبين الشد التاريخي والتقاليد السائدة والقدرات المحدودة لقد حدث شيء من سوء الفهم وهذا من عدم التعقل والتفاعل والالتحام ما في هذا شك»[1].

* * *

## في طريق تجديد التراث

إن التجديد يعني عدم التعامل مع النصوص بطريقة جامدة بل إنه انتقال بالفكر والتصور إلى عالم آخر ولو استطاعت الحركات الإسلامية أن تلقى ذاتها القديمة التي تنبع من تصورات مرت عليها القرون لاستطاعت أن تعيش حقيقة التراث وتمسك بدلالته.

(1) حول إعادة تشكيل العقل المسلم، د/عماد الدين خليل ص29، كتاب الأمة.

www.ibtesama.com

والتراث ونصوصه ليس عصيًا على التجديد بل هو قابل له لأنه يعترف بالثوابت ولكنه في الوقت ذاته يؤمن بالمتغيرات كما أنه يمتاز بالعمق الزمني فهو ضارب في بدايات الدولة وعصور الإسلام الأولى حتى العصور المتأخرة التي تدهورت فيها أحوال المسلمين ولو نظرنا إلى القرآن لوجدناه يدفع الناس إلى التفكير ويتحدث عن الأنبياء فهو لا يتوقف عند زمن معين وهذه الاستمرارية هي منهج الإسلام الذي يؤكد أن التراث قابل للنقد والضبط.

إن كثيرًا ممن كتبوا التراث كانت مهمتهم قاصرة على تسجيل العلم فقط وأنواع الفنون حتى الفنون المحركة كالسحر مثلًا ولذا فكل ذلك يحتاج إلى ضبط وخصوصًا في مرويات التاريخ والأحاديث النبوية التي لا مانع من إعادة تحقيقها وضبطها حتى لو وجدنا في ذلك مصاعب يقول الغزالي عن عمليات مشابهة لذلك في كتابه السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث هناك من يتطاولون على أئمة الفقه باسم الدفاع عن الحديث النبوي مع أن الفقهاء ما حادوا عن السنة وكل ما فعلوه أنهم اكتشفوا عللًا في بعض المرويات فردوها وفق المنهج العلمي المدروس(1).

إن هذا التجديد بلاشك سيواجه بمشاكل وعقبات كالتي واجهها الفقهاء باعتباره مؤامرة على الدين مع أن لذلك أولوية كان على التيار السلفي أن يصرف لها جهدها في السنوات الماضية بديلًا عن المعارك الأخرى.

* * *

## حتى نتبين ملامح الطريق

إن العناية بتقويم الفكر وتصحيح الاعتقاد هي أول نقطة في برنامج كل إصلاح وهي في حاجة إلى مدة طويلة ومتابعة مستمرة لتحويل الفكر إلى مساره الصحيح.

فبالرغم من السير البطيء ناحية المراجعات والفشل الذريع الذي تولى مشاريع كثيرة للإسلاميين في مصر وأفغانستان والجزائر.. الخ وبالرغم من القصور الواضح في كل ما يخص التنظيمات الإسلامية التي تدلل على الحاجة إلى المراجعة فإن ثمة ما يبعث على الأمل بعد إطلاق مبادرة وقف العنف عام 97 من قبل القادة التاريخيين للجماعة

(1) السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث، الغزالي، ص21، دار الشروق.

www.ibtesama.com

الإسلامية وما تبعها من ندوات ومراجعات وكتب اعترفوا فيها بأخطائهم ثم الإفراج عن كرم زهدي رئيس مجلس شورى الجماعة ليؤكد ذلك على أن الجهات الأمنية قد أعلنت أن موقف هذه الجماعة لا يقبل الشك وأن السلطات المصرية قد طوت صفحة الماضي وأن هذه الجماعة قد طلقت العنف.

قوبل كل ذلك بارتياح واسع منا ونحن في السجون ومن قبل أطراف متعددة شهدت على هذا التحول الذي جاء بفعل التقاء عوامل فكرية وأمنية وسياسية مما انعكس بالفعل على الواقع فتم تسجيل غياب أي أحداث للعنف.

لم يترك تنظيم القاعدة الفرصة لشعاع النور المضيء أن يتسلل إلى باقي الحركات الإسلامية بل أعلن عن مواجهات دامية مع الغرب في كل مكان ومع الأنظمة الحاكمة في الدول الإسلامية فوقعت أحداث كثيرة في تركيا وأندونيسيا واليمن والدار البيضاء.. الخ وهذا ما يؤكد أن الحركات الإسلامية في حاجة إلى النهوض والقيام بعمليات مراجعة كبيرة لا تشمل فصيلًا واحدًا ولكن كل الفصائل بما فيها الإخوان المسلمون الذين يعانون جميع أمراض الشيخوخة.

لابد أن تكون هذه المراجعات تكافىء ما طرأ من مستجدات اعتبرت أن الإسلام كدين هو إرهاب وأن على العالم الإسلامي أن يعيد ترتيب أوراقه من جديد بعد هذه التحديات الجديدة التي تمثل أحدها في تنظيم سحبه في مواجهة غير متكافئة مع العالم الغربي.

إننا أمام مرحلة فارقة شكلت عقبات جديدة طرأت بعد مراجعات الجماعة الإسلامية وهي تحاول أن تشكل إحباطًا لنموذج المراجعات الفريدة التي حدثت بشكل فريد لفكر جماعة كانت من أكبر جماعات العنف في العالم الإسلامي.

وإننا نؤكد أن هذا التعصب في بناء هذا النموذج لن يشكل خطرًا على الإسلاميين وحدهم ولكن على الإسلام كدين وعقيدة.

إن المراجعة مطلوبة في كل حين والجميع مطالبون بها وبالتجديد الفكري وتحديد المرحلة التي يعيشونها وإدراك نهايتها واستيعاب متطلبات زمانها ومكانها.

لقد كانت المراجعات تطورًا اعتباريًا بالحسابات التقليدية وكانت بمثابة قفزات في منظوري الزمان والمكان ولكن لكي نجعل المراجعة فاعلة متألقة متوهجة قديرة على الاستمرار كان لا بد من تجاوز صيغ المعادلات القديمة وتخطي الإشكاليات لقد بعث

www.ibtesama.com

الإسلام أجيالًا عرفت كيف تجتاز المواقع والمتاريس وتقطع المسافات الطوال وتختزل الزمان والمكان في استمرارها حتى النهاية.

إن قضية المراجعة كما قلنا لا تمثل الحركة الإسلامية وحدها وإنما تمثل أمة كلنا جزء منها والعناية بتقويم الفكر مرهون بالمسارعة بالوقوف مع الذات وهذه العناية هي أول نقطة في برنامج كل إصلاح جاء به نبي من الأنبياء أو قام به زعيم من الزعماء برنامج في حاجة إلى مدة طويلة ومتابعة مستمرة بالوسائل المتعددة لتحويل الفكر إلى مساره الصحيح وهذا كله لا بد أن تسبقه خطوات كما قال علماء التربية إن كل عمل لا بد أن تسبقه خطوات العلم به ثم الاقتناع ثم توجه الإرادة لتنفيذه فالسلوك بغير دافع من غير رأي أو عقيدة تخبط وهو عمل المجانين والسفهاء الذين لا يعون ما يعقلون وأولى هذه الخطوات:

*** الإخلاص وحسن القصد في التوجه ناحية المراجعة والاعتقاد الجازم أنها مطلوبة في كل حين وفي جميع المستويات وأنها في صميم الدين والإخلاص لله.**

* التخطيط للمراجعة والدقة في المتابعة وفي حدود المتاح والمتأمل لسيرة النبي - ﷺ - بأنه كان يفكر ويخطط في حدود ما حباه الله من نصوص وما آتاه من أدوات والحقيقة أن فكرة الدين في جوهرها قائمة على أساس التخطيط للمستقبل وأن يأخذ المرء المتدين من يومه لغده.

*** الاعتقاد**

**أ - بأن الحوار هو خير وسيلة للإصلاح والمراجعة وأن يكون الشعار مرحبًا بالحوار مع الآخرين في وسائلهم أو في مواقفهم أو في أطروحاتهم.**

**ب - المعركة الفكرية هي خير للدين من المعارك التي لا تحسم إلا بالدماء وإزهاق الأرواح.**

**ج - الاعتقاد بأن الصلح خير وأننا إذا تتبعنا سيرة النبي - ﷺ - وجدنا أن صلح الحديبية معاهدة جعلت النبي ﷺ يغمد سيفه وهي أول حادثة في التاريخ تحوّل ساحة الصراع من ساحة المعركة إلى ساحة الفكر.**

**د - بأن الجمود على ظواهر النصوص والتقليد الأعمى مذموم ويدخل الذم الجمود على ما قاله السابقون دون مراعاة لتغير زماننا على زمان السابقين وتغير حاجتنا عن حاجتهم ومعارفنا من معارفهم.**

www.ibtesama.com

**هـ - أن البشر خطاءون حتى لو كانوا من الكبار والقادة والأفراد.**

ومن الناحية الأخرى فإن صناعة المراجعة لا تتم إلا عبر أدوات إن ساهمت الحركة فيها بجزء كبير تساهم فيها السلطة الحاكمة بقسط وافر.

**وهذا عن طريق الآتي:**

* ضرورة الاهتمام الحكومي بتطوير الحياة في المناطق العشوائية وبالأخص محافظات الصعيد ورفع مستوى المعيشة للطبقة العاملة في مصر.

فالمناطق العشوائية هي التي شكلت مع عوامل سياسية ورمزية محاور لإنتاج وتوزيع العنف ذي الوجوه الدينية والطائفية.

* تطوير أنماط الخطابات الدينية والوعظية والإرشادية بما يعكس واقع المشكلات الاجتماعية والسياسية التي يواجهها المجتمع وإعطاء قدرة للمؤسسات الدينية على تطوير رسالتها وتحرير الوعي الديني من التفسيرات القديمة والضعيفة

* المرونة مطلوبة للإسلاميين للتعبير عن أنفسهم وذواتهم وفي إعطائهم فرصة للمراجعة وفي الأحكام السلطانية للماوردي ص 58 أن أسلوب الحوار هو ما جرى عليه سيدنا علي مع الخوارج حين أرسل إليهم عبدالله بن عباس وفي البيان الذي أصدره الأزهر «إن شدة الضغط لا تقلل من عدد المنحرفين بل قد تزيده ولا تعدل الأفكار تمامًا بل قد تقويها وإن عدلت ظاهرًا فإلى حين وستعود أقوى عندما تسنح الفرصة».

* تطوير لهجة الخطاب السياسي للدولة بما يعني المكاشفة والمصارحة في حل المعضلات والمشكلات وإعطاء صورة واضحة عن بعض الحلول والمعارك الدولية والإقليمية والداخلية حتى تتضح الأمور للناس ويتبين لهم وطنية السلطة ودينها وموقعها لدى الفترة الزمنية والتاريخية.

## لماذا لايدمج الإسلاميون في التطور الديمقراطي؟

وبالتجربة التي قضيتها مع هذه الجماعات أرى أن الحركة تمتلك عيوبًا هيكلية وإدارية تحول دون انفتاحها على الآخرين كما أن طبيعة النص العقائدي الذي تنطلق منه الجماعات تختلف تمامًا عن طبيعة السياق الواقعي والسياسي المحيط بها ولذا فعليها التكيف والمرونة فلم تكن أي حركة مجرد نص مختلف عن السياق وإلا فهي في عالم منغلق.

www.ibtesama.com

لقد عجزت الجماعة ونحن معها عن الفصل بين السياسي والديني وهذا تندرج تحته جماعة الإخوان كما عجزت كذلك عن إعطاء تصور وبرنامج اقتصادي ناجح.

## الواقع والواقعية السياسية

فإلى أي مدى يمكن للجماعة والحركة الإسلامية بصفة عامة اتخاذ دوافع المصلحة والمرونة والتكيف مع الواقع المتغير وإلى أي مدى يمكن اتخاذ دوافع براغماتية وموقف وسط بين الأيدلوجية والسياسة؟

إن هناك في الغرب مؤسسات سياسية وأكاديمية غربية تؤيد الاتجاه الشعبي للإسلام وتعتبر أن بعض الحركات الإسلامية ظهرت بسبب القمع والتهميش السياسي وهي البيئة الحاضنة للتطرف والإفراط والإرهاب ولكن. . .

هل يمكن أن تقدم الحركة بمفهومها الواسع إسلامًا معتدلًا في مواجهة الإسلام الراديكالي مثال الديمقراطية والإسلام.

هل نستطيع أن نقدم مجتمعًا إسلاميًا معاصرًا يجمع بين الإسلام والحداثة. . إسلام متصالح مع الغرب ومع الآخر ومع الثقافات الأخرى.

وهذا يدفعنا لمعرفة المدخل السياسي في عملية التغيير والإصلاح الذي نمارسه وفق النظام الذي تؤمن الحركة به وتعمل في هامشه الضيق وهذا يتيح لها التعرف عن قرب بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بكل تحدياته.

**وأخيرًا**

- إن الحركة الإسلامية في حاجة إلى النهوض بعملية إصلاحية كبرى تكافئ ما طرأ من مستجدات وما بزغ من تحديات وكل ذلك مرتبط بنضج الوعي الحركي والتطور الإيجابي حيال الإشكاليات التي تحدثنا عنها واستيعاب حلولها.

- افتقار الحركة إلى هيكلية صحيحة ومنضبطة وقيادة يمتازون بالنضج كان سببًا للوقوع في الخطايا ومستقبل المراجعة سيظل مرهونًا بهذه الأمور طالما حدث اشتباك بين الإسلاميين وبين الواقع المعاصر وتحدياته.

- المراجعات ليست توظيفًا مجردًا عن الواقع وهي لن تكون ناجحة طالما أنها محصورة في إطار فقهي ونظري وجزئي مرتبط بمرحلة تاريخية معينة ولكنها ستكون باهرة

www.ibtesama.com

في نجاحها طالما توصلت إلى أخطائها واعترفت أنها أخطاء من البداية وليست أخطاء بسبب الظروف المحيطة.

- لن تستطيع أي حركة أن تتوجه ناحية المراجعة طالما هي غير قادرة على الوصول إلى أوجه القصور في ذاتها وغير قادرة على الفصل التام بين ما هو سياسي ومدني وبين ما هو ديني.

- ستظل الحركة عاجزة تمامًا عن المراجعة طالما تنظر إلى عيوب الآخرين ولا تنظر إلى عيوب نفسها وطالما لا توجد لديها آلية لمحاسبة المخطئين وتنتشر فيها التنافسات الإدارية التي تحول دون انفتاحها على الآخرين.

- لا بد أن تمتلك الحركة فهمًا لطبيعة النص العقائدي والنظر إلى مقصده الذي ينطلق إليه للتطبيق فوق الواقع فلم تكن أي حركة مجرد نص غير مندمج في السياق وإلا ستكون عالمًا منغلقًا.

* * *

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

# الحركات الإسلامية وثورة 25 يناير
# مواقف متناقضة ومستقبل قلق

ظلت سياسة النظام المصري قبل الثورة على نظام مبارك تعتمد على عدد من السياسات مع الحركة الإسلامية متمثلة في الإقصاء للجماعات الجهادية العنيفة، أو الشرعية غير القانونية لجماعة الإخوان والجماعات السلفية، وحالة الوسط بين هذا وذاك للجماعة الإسلامية، ومثلت الحركات الإسلامية التحدي المركزي للدولة المصرية مما حدا بالدولة لتغيير إستراتيجياتها وتبديلها وفق السياق الداخلي والدولي والإقليمي، مما أثر بشكل كامل في تعاطي هذه الحركات الإسلامية مع الواقع السياسي وتغييرها أيضًا لسياساتها مع نظام متمرس في المواجهة بشكل كبير جدًا[1]، وحينما نلقي نظرة على مواقف الحركات الإسلامية قبل وبعد الاحتجاجات الضخمة التي حدثت داخل مصر سنرى المواقف متباينة تمامًا، وقد يدفعنا ذلك إلى رؤية البعد المستقبلي لهذه الحركات، في الوقت القريب.

## 1 - الإخوان المسلمون من الحصار إلى الشرعية القانونية

يقول كمال حبيب: «بعد أن كانت الدولة قد وظفت الحركات الإسلامية سياسيًا لمحاصرة الاتجاهات اليسارية، استخدمت الدولة إستراتيجية «الاستئصال العنيف» ضد الحركات التي تستخدم القوة مثل الجهاد والجماعة الإسلامية، عادت إلى إستراتيجية «التطويق والحصار والعقاب المنظم» لجماعة الإخوان المسلمين[2].

ومن جهة الحركات الإسلامية فقد تباينت المواقف تمامًا بين الإخوان المسلمين الذين ظلوا هم أكبر القوى في الساحة السياسية المصرية بشكل عام، وظلوا يتخذون

(1) التقرير الإستراتيجي العربي، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، 1993.

(2) كمال حبيب، مستقبل الحركات الإسلامية بعد الثورة، موقع الجماعة الإسلامية مصر.

www.ibtesama.com

سياسة معتدلة متوسطة تمثلت، في الحرص على اللعب بمنطق السياسة والحصول على عدد من مقاعد المجالس النيابية، وخطاب إعلامي متوازن، مع الحفاظ على ثوابت الجماعة وعدم توريطها في مواجهات مع الدولة، وكما قال كمال تمام في حديثه عن الحركة الإسلامية بعد 11 سبتمبر «أحداث العام 1981 التي وضعت التيار الجهادي في قلب الأحداث جعلت منه القوة التي تمثل التحدي الجديد للدولة، وهو ما جعل الدولة تستخدم إستراتيجية جديدة يمكن أن نطلق عليها «إستراتيجية تعميق التناقض داخل الحركة الإسلامية» عبر السماح للقوى الإسلامية التي تستخدم الوسائل السلمية وتبتعد عن العنف مثل جماعة الإخوان في التواجد والتعبير عن نفسها بشكل حر لمحاصرة الاتجاهات التي تستخدم العنف، وبمبادرة الجماعة الإسلامية لوقف العنف وإنهاء العمليات العسكرية بشكل كامل، بل والتراجع عن الأفكار التي أسست للعنف، وهو ما يعني أن هناك بزوغًا لفكر جديد ترعاه الدولة وتشجعه وتتبناه، وهو فكر لا يمثل تهديدًا للغرب أو النظم الداخلية»[1].

وظل الإخوان على ما سبق حتى خرجت الاحتجاجات الشعبية في التحرير وشارك الإخوان بشكل غير رسمي، وعندما أدركوا أن التظاهرات تحولت إلى ثورة شعبية، نزلوا إلى الشوارع والميادين بقوتهم الكاملة، ولكن ذلك لم يلغ التناقضات، والخلافات داخل التنظيم، فعندما دعاهم عمر سليمان إلى الحوار حدث خلاف شديد داخل مكتب الإرشاد، انتهى بقبولهم الدعوة، ورأينا قياداتهم إلى جانب عمر سليمان ورفعت السعيد، وتحت صورة ضخمة لحسني مبارك، وأخطأت قيادة الإخوان المسلمين (وبشكل أدق من اتخذوا قرار الذهاب) في عدة نواحٍ، كما قال ياسين عز الدين:

«1 - أخطأوا في تقديرهم بأن النظام ما زال قويًا، وعدم إدراكهم أن عصر ما بعد 25/ 1 هو غير ما قبله، وأن النظام لهجته القوية والواثقة لا تعكس قوته الحقيقية على الأرض، ومشكلة تنظيم الإخوان المسلمين خصوصًا والتنظيمات المركزية عمومًا هي بطء الاستجابة للتغيرات على أرض الواقع، وفي تطورات متسارعة يظهر هذا النوع من التنظيمات عجزًا عن مواكبة الأحداث كما يجب.

2 - الذهاب بدون التنسيق مع قوى المعارضة الحقيقية المتواجدة في ميدان التحرير، وفي اعتقادي أنه لو قيل لهذه الحركات أننا نريد إرسال وفدًا باسمنا جميعًا من

---

(1) كمال حبيب، المصدر السابق.

www.ibtesama.com

أجل جس نبض النظام ومن أجل إحراج النظام إعلاميًا بأننا جئنا للقائك وأنت لم تقدم شيئًا حقيقيًا، لكان أفضل للجميع وأفضل للثورة، مع أنه يبدو أنه كان هنالك نوع من التواصل لأني سمعت أحد الناطقين باسم حركة 6 أبريل في يوم الحوار على فضائية الجزيرة وكان من طبيعة كلامه مطلعًا على قرار الإخوان بالذهاب، وعندما سئل عن رأيه قال لننتظر ونرى.

3 - الخطاب الإعلامي المتفائل، وأخص بالذكر الدكتور عصام العريان الذي حاول تبرير الذهاب بأن النظام قدم تنازلات، وهذا تبرير مرفوض جملة وتفصيلًا، فالنظام وإن كان قدم تنازلات لكنها تنازلات لا تعكس حسن نوايا النظام ولا حتى تعكس موازين القوة على الأرض، فالنظام وعمر سليمان ما زالوا يفكرون بأن النظام المصري في أوج قوته؛ مثل ما نرى في وعد عمر سليمان بعدم معاقبة المتظاهرين، وهل تستطيع معاقبتهم يا عمر سليمان؟ هذا تنازل لا يعكس ميزان القوى لأنك غير قادر على معاقبتهم أصلًا»[1].

ولكن ذلك المشهد لم يمر مرور الكرام لدى شباب الجماعة المشارك في معارك ضارية في الميادين ضد الأمن والبلطجية مما اضطر قيادة الإخوان إلى وقف الحوار، وإلى تصوير اللقاء الفاضح على أنه كان مجرد لقاء لجمع المعلومات، وأنه فشل من اللحظة الأولى، وكان التذبذب الدائم بين المعارضة والمهادنة، وبين التصعيد والتهدئة، هو نتيجة لطبيعة الإخوان، والسياسة التي استخدمها الإخوان طوال عصر مبارك.

وأما بعد الثورة فقد أصبح هناك تحالف غير معلن بين قيادة الجيش والإخوان، فصوت الإخوان للتعديلات الدستورية، ووقفوا مع الجيش في تفريق ميدان التحرير من الشباب المعتصمين، ودافعوا باستماتة عن موقف الجيش، بل رددوا أكاذيبه نفسها حول عدم استخدام النار الحية، وضغطوا بقوة على المجلس لتسريع تقديم رموز النظام وعلى رأسهم مبارك للمحاكمة، وأصدروا بيانًا بأن الجيش «خط أحمر»، وأن الجيش يحمي الثورة، وأن التحرك ضد المجلس الحاكم بمثابة خيانة للثورة، وفي بيان للإخوان على موقعهم الإلكتروني نجد المقاطع التالية: «الجيش يحاول الحفاظ على درجة الانضباط بين صفوفه وهذا حقه، ونحن معه ألف في المائة؛ لأن الجيش إذا لم يحافظ على الانضباط بين صفوفه فإنه لن يستطيع حماية الشعب، فالجيش الآن هو القوة الوحيدة

(1) ياسين عز الدين، قراءة في موقف الإخوان من الحوار مع عمر سليمان، مركز الجزيرة للدراسات.

www.ibtesama.com

المنظمة في مصر وليس من مصلحتنا إضعافها، ومن المستحيل أن نسمح لأحد بإضعافها، وقد عرفنا مَن قاموا بهذا العمل، وما هي أهدافهم ومقاصدهم»[1].

وكما يقول الباحث حسام تمام: «وفي ما يشبه التحالف مع المجلس الأعلى العسكري، قام الإخوان بدور بارز في «ترويض» الثورة، أولًا اختص المجلس العسكري الأعلى الجماعة بعضوية مميزة في لجنة التعديلات الدستورية، وكان واضحًا أن ممثل الإخوان كان الوحيد من خارج الهيئة القضائية وما كان للرجل مبرر للمشاركة سوى عضويته في الإخوان، في حين استبعدت القوى السياسية الأخرى من التمثيل، ثم بدا أن الإخوان أخذوا الإشارة ليمارسوا دور الحريص على الاستقرار الذي يحتاجه المجلس؛ الاستقرار الذي يعني وقف ديناميات الثورة ومساراتها في مجمل الحياة في مصر، على أن لا تزيد الثورة عن مهمة تحريك الملعب السياسي بحيث لا يستمر سقوط بقية قطع الدومينو، فحين حدث اقتحام مقار جهاز أمن الدولة الجمعة 11 آذار (مارس)، والذي كان آخر أهم الفاعليات الثورية، كان الإخوان يحتفلون بالثورة في استاد الإسكندرية الرياضي قبل أن تسرع أعداد منهم للحصول على «نصيبها» من الوثائق السرية للجهاز، وكان ذلك يعني أن الإخوان خرجوا الآن فعليًا من أي عمل احتجاجي، وفي الحديث عن التعديلات الدستورية قام ممثل الإخوان بكل ما يمكن للترويج للتعديلات وللدفاع عن المجلس الذي دعا إليها وللتبشير بها والتخويف من رفضها إلى درجة بث الرعب من رفضها بذريعة الفوضى مرة، والتلويح ببقاء الجيش وتحول الحكم إلى عسكري مرات عديدة»[2].

هذا والأخطر أنه أصبح في مرحلة ما بعد الثورة المصرية شعار الإخوان، هو احتواء كل التنظيمات الإسلامية تحت غطاء الجماعة والتقارب بجميع الخطوط مع الجماعات التي خرجت في يوم ما من تحت غطاء الإخوان لتعود إلى حضن الجماعة، وتضاف إلى القاعدة العريضة لها في الشارع المصري، وصدر أمر إلى قواعد جماعة الإخوان بإطلاق لحاهم حتى لا يعرف رجل الشارع العادي الفرق بين عضو الإخوان والعضو السلفي، وإحداث نوع من التقارب الظاهري بين كل الجماعات، حيث شاركت الإخوان في عدة مؤتمرات بأسيوط والقاهرة والمنيا احتفالًا بعودة الجماعة الإسلامية.

---

(1) بيان رسمي لجماعة الإخوان، موقع الإخوان المسلمين بمصر.

(2) حسام تمام، الإخوان المسلمون في مصر هروب إلى الأيدلوجيا وتحالف مع السلفيين، جريدة الشرق الأوسط وموقع الإسلاميون.

www.ibtesama.com

وأرسلت الإخوان أكثر من رسالة وبيان تطمين إلى أقباط مصر والليبراليين فيها، بل وإلى الجيش بأنها لن تنافس إلا على 30% من مقاعد مجلس الشعب، ولن تدخل بمرشح للانتخابات الرئاسية، وشهدت مناطق عديدة بالقاهرة والإسكندرية عدة مؤتمرات شارك فيها إخوان مع الأقباط للتأكيد على الوحدة الوطنية، وبينما كانت الإخوان مشغولة تمامًا بلم الشمل تحت غطائها لم تفكر بلم شمل أعضائها الذين خرجوا من قلبها ورحمها كحزب الوسط، أو جيل الإخوان المختلف حول بعض الآليات واللوائح كنائب المرشد السابق محمد حبيب، وعبدالمنعم أبو الفتوح الذي أعلن ترشيح نفسه للرئاسة، وهدده الإخوان بالفصل من الجماعة إن أكمل برنامجه، وهذا ما يدل على سياسات الإخوان التي شغلت الجميع لأهداف خاصة بينما هي تجري الاستعدادات على قدم وساق للانتخابات البرلمانية الأهم في طريق مصر، وفي إنشاء حزبها الذي تعدى 8000 مؤسس بينهم 93 قبطيًا.

واتضحت الصورة الأخيرة للإخوان بعد الثورة، وتمثلت في سرية التنظيم الإخواني وعدم خروجه للعلن رغم سقوط الديكتاتورية، وعدم وجود أي حلول قريبة لمشكلات الصراع الداخلي للأجيال داخل الجماعة، واستمرارية الإخوان في رفض أي نقاش حول إدماج المرأة من حيث حق الترشيح أو حتى التصويت للمناصب والمواقع التنظيمية رغم أن فكرة الأمن والخوف على نساء الحركة قد ذهبت للأبد، اختيار الجماعة لنموذج هو الأسوأ في العمل السياسي وهو احتفاظ الجماعة ببنية شمولية، بينما هي تؤسس حزبًا ليكون ذراعًا سياسية غير مستقلة عنها، مع التأكد من معلومات حقيقية برفض تنظيم الإخوان لدخول أعضاء مؤسسين للحزب إلا من شعب الإخوان وترشيحات القيادة الإخوانية على مستوى الجمهورية المصرية، وعدم عرض العضوية المؤسسة إلا على من تختاره الجماعة، بما يعني أنه حزب الجماعة وليس حزب الشعب، وأخيرًا التحالف مع التيارات السلفية واستثمارها لإعادة بناء شرعية وقاعدة ضخمة جديدة لها في الشارع، وكما يقول حسام تمام: «ما بدا غير مفهوم هو دخول الإخوان على الخط السلفي في مشهد ما بعد الثورة واستثمارهم في موسم التخويف من رفض التعديلات الدستورية ومادته الثانية، لقد قبلوا بالتحالف مع السلفيين وغضوا الطرف عنهم، بل ورفعوا بعض شعاراتهم فقالوا بأن التصويت بنعم واجب شرعي وعلقوا لافتات بذلك في الإسكندرية، وتكلمت مساجدهم بذلك، قبل أن يعودوا، ربما تحت رد الفعل الصاخب للنخب

www.ibtesama.com

السياسية والثقافية المصدومة، للتنصل من هذا السلوك والتأكيد على اختلافهم عن السلفيين!»[1].

وهذا ما يدخلنا للحديث عن الفصيل السلفي الضخم قبل الثورة المصرية وبعدها.

## 2 - السلفيون يدخلون فضاء العمل السياسي

بالتأكيد هناك قطاع سلفي داخل الإخوان ونعم هناك أرضية فكرية متشابهة، ولكن هذا لا يجب أن يجعلنا نتجاهل خصوصية الظاهرة السلفية ودورها، فقد سمح نظام مبارك منذ 2006 بإنشاء محطات فضائية سلفية، وكان السلفيون بعيدين عن السياسة تمامًا، ولذلك كانوا يرون في تظاهرات 25 يناير مصالح محدودة، ومفاسد أهمها، الشعارات الباطلة، ووجود المنكرات، وارتفاع احتمال سفك الدماء، وهذا ما ظهر في بيانهم الذي وزعوه في اليوم نفسه.

سنجد مواقف ملتبسة للسلفيين من «ثورة 25 يناير»، أهمها من الداعية الشهير محمد حسان الذي عارضها ولما نجحت عاد وأيدها، ومثله، الشيخ أبو إسحق الحويني الذي ظل في صمت إلى الآن، ثم كانت المواقف المتتابعة للدعوة السلفية بالإسكندرية التي تمثل أكبر تكتل سلفي في مصر والتي جاء رفضها عبر فتوى للدكتور ياسر برهامي أحد أهم رموز هذه المدرسة حول حكم المشاركة في «ثورة 25 يناير» الموجودة على «اليوتيوب» حيث قال: «نرى عدم المشاركة في تظاهرات الخامس والعشرين من يناير...إلخ». كما نرى أبرز المعارضين «للثورة» الشيخ محمود المصري الذي حاول مخاطبة جموع الثوار في ميدان التحرير ومحاولًا حثهم على العودة إلى ديارهم وترك الاعتصام لكنه طرد من الساحة، وكذلك الشيخ مصطفى العدوي الذي تحدث بدوره في مداخلة للتليفزيون المصري رافضًا ما يحدث مشددًا على حرمة الدماء والتقاتل بين المسلمين، وكذلك الشيخ محمد حسين يعقوب الذي رفض «الثورة» ووصفها بالفتن المتلاطمة.

وكان البيان الثاني الذي أصدره السلفيون يوم 29 يناير يقول: «لا يخفى على أحد ما حدث بعد تظاهرات الأمس مِن تخريبٍ للمُمْتلكات العامَّة والخاصَّة، وعملياتِ سَلْبٍ

(1) ماهر فرغلي، الزمن السلفي، مجلة المجلة اللندنية.

www.ibtesama.com

ونَهْبٍ تُعَرِّضُ المجتمعَ كُلَّه لأعظم المخاطر، وأَيُّ مكاسبَ تحصل للأُمَّة مِن تدمير وحَرق المباني العامَّة والوثائق والمستندات. . .إلخ».

ثم أصدرت الدعوة السلفية بيانًا حول انسحاب جهاز الشرطة (30 يناير)، وجاء البيان الثالث للدعوة السلفية حول معالجة الموقف الراهن يوم 31 يناير الذي ناشد جموع المسلمين في مصر بقوله «أيها المسلمون، نناشدكم الله تعالى أن تحفظوا مصرَ قَلْبَ العالم الإسلامي، وأن تحموها ممن يريدون تخريبَها وترويعَها. . .إلخ». وقد تضمن البيان عددًا من النقاط تتعلق بحرمة الدماء والأعراض».

ثم جاء بيان يوم 1 فبراير ليعبر عن رؤية الدعوة السلفية الرافضة للثورة بقوله «. . . .إن تغيير الوضع السابق على الأحداث ضرورة حتمية، فلا يمكن الاستمرارُ في دَفع البلاد إلى مَزيدٍ مِن الفوضى». (موقع صوت السلف).

وبالطبع كان موقف جماعة أنصار السنة والجمعية الشرعية، وكذلك التيار المدخلي حيث حرما التظاهرات والمسيرات والخروج على الحاكم، على لسان الشيخ أسامة القوصي الذي دعا إلى الوقوف بقوة أمام المتظاهرين والسمع والطاعة للسلطة الحاكمة، في خطبة الجمعة بمسجده بمنطقة عين شمس.

وفجأة يتغير موقف السلفيين بعد تغيير النظام، وظهر ذلك في البيان الذي أصدرته الدعوة السلفية بالإسكندرية «هل تريد أن تفقد مصر هويتها الإسلامية؟ كن إيجابيًا وشارك معنا» والذي وزع في مؤتمر حاشد بالإسكندرية (8 فبراير) حضره ما يقرب من 100 ألف شخص، كما تم عقد مؤتمر آخر بالقاهرة يوم الاثنين 14 فبراير، في الاتجاه نفسه، تحدث فيه الشيخ سعيد عبد العظيم.

ومن شهد المؤتمر الذي أقامه السلفيون في مسجد عمرو بن العاص يوم 1 إبريل، سيدرك ذلك، حيث دعا القادة والمشايخ محمد إسماعيل وعبد المنعم الشحات وسعيد عبد العظيم إلى العودة إلى الشريعة الإسلامية، وطالبوا المجلس العسكري بتفعيل حدود الشريعة، ولم يفوت عبد المنعم الشحات المتحدث الإعلامي باسم المدرسة السلفية بالإسكندرية الحوار الوطني فقال: «لا يمكن لهذا الحوار أن يُقر دستورًا، ولا حتى أن يقدم مشروع دستور للهيئة التأسيسية التي نصت عليها التعديلات الدستورية التي قال لها الشعب: «نعم». . فهل ندرك مصر. . قبل «فوات الأوان»؟!

وجنحت التيارات السلفية في مجملها إلى إعادة رسم خرائط سلوكياتها وسياستها بل

www.ibtesama.com

وتنظيراتها، على قاعدة العمل السياسي، ومن هنا تكمن الخطورة وهي عدم ممارستها الفعلية للسياسة من قبل، مع عدم وجود الوعي الكافي لها، وعدم وجود أطر تنظيمية داخلية لهذه الجماعات، مما يؤدي إلى مزيد من التصرفات الفردية الكثيرة من أتباعها، وهذا ما حدث أو ما نسب إليهم على الأقل.

«كانت مشكلة المشكلات للسلفيين أنهم أبعدوا أنفسهم عن السياسة فترات طويلة وعادوا إليها الآن، فوجدوا أنفسهم محتاجين لخبرة الإخوان المسلمين وقواهم السياسية المنظمة، ووجد الإخوان أنفسهم محتاجين للسلفيين ذوي الحركة الاجتماعية الواسعة النفوذ التي لا يمكن تجاهل ثقلها الشعبي، وكان واضحًا بشكل كبير وقوفهما معًا في أيام الاستفتاء على التعديلات الدستورية، واتضح أن أي معارضة وطنية مصرية تتعامل مع واقع مصر السياسي والاجتماعي بمهارة لن يسعها أن تتجاهل السلفيين كأحد أهم وأبرز معالم خريطة مصر السياسية والاجتماعية الآن»[1].

ودخلت مصر الزمن السلفي، وصار السلفيون الدينامية الفاعلة التي تمددت في فضاء ميدان التحرير، وكان نهاية هذا التمدد هو إنشاء أول حزب للسلفيين، أطلق عليه «حزب النور»، وأكد عادل عبد الغفار، وكيل المؤسسين، يوم 13 يونيو بعد موافقة لجنة الأحزاب على الأوراق الرسمية للحزب، الالتزام بالمرجعية العليا للشريعة الإسلامية، وتأمين الحرية الدينية للأقباط، وإثبات حقهم في الاحتكام إلى ديانتهم، ودعا إلى إقامة دولة عصرية على الأسس الحديثة، وأعلن رفضه نموذج الدولة الدينية.

ويقع برنامج الحزب في 43 صفحة، ويضم 7 فصول وهي: الهوية والبرنامج السياسي، البرنامج الاقتصادي، المجال الاجتماعي، السياسة الخارجية، المجال الأمني، التعليم والبحث العلمي، وفق ما جاء في جريدة المصري اليوم في التاريخ نفسه.

واعتبر الإخوان يوم 15 يونيو أن موافقة لجنة شؤون الأحزاب على إشهار حزب النور يعد خطوة مهمة في الحياة السياسية المصرية، في فترة ما بعد ثورة يناير، مؤكدين أن تكوين حزب سياسي يعبر عن طموحات الحركة السلفية دليل على ذروة التطور السياسي في الحركة الإسلامية.

(1) حوار مع الباحث السياسي حسام تمام، موقع الإسلاميون نقلًا عن جريدة الدستور المصرية.

www.ibtesama.com

## 3 - الجماعة الإسلامية والجهاديون من المراجعات إلى الهيكلة والعمل الحزبي

ولا يقل أهمية بالطبع فصيل الجماعة الإسلامية عن السلفيين أو الإخوان باعتبار أنه هو الفصيل الذي كان يتصدر مشهد العنف طوال عهد مبارك، هو وحليفه التقليدي تنظيم الجهاد، وبدا خطاب الجماعة الموجه إلى الناس فترة ما قبل الثورة، أشبه بحديث النفس وتخطيء الماضي، وكأنه موجه إلى فئة شباب الجماعة أو إلى النظام والمراقبين الآخرين من أجل إعطاء تطمينات تمكن الجماعة من مساحة أكبر للعمل، مع الاعتراف إلى حد كبير أن خلافات في وجهات النظر قد حدثت حول بعض الأمور التي هي ليست جوهرية في المقام الأول كحكم الإسلام في الغناء أو مبادرة السلام أو المقالات التي كانت عن الفترة الناصرية.. إلخ ولم يكن ذلك عبارة عن تنوع في الأفكار بقدر ما هو نقلة وأسلوب جديد في التعاطي مع التنوعات في الظروف المحيطة بها وأفكار من حولها، وهناك فرق بين التنوع والتعاطي.

وكان أهم ما يوجه قبل الثورة إلى الجماعة هو غياب البرنامج السياسي التفصيلي، رغم أن الجماعة ربما أدركت بقراءتها للواقع السياسي وقتئذ أنه لا يحمل أي أفق قريب عن السماح لها قانونيًا بالعمل العام، وكان هذا هو الخطر الحقيقي الذي أدى إلى انتكاسة عدد غير قليل، تصور أن تلك المراجعات والآراء إنما تعبر عن خيانة الزعيم أو عدم صدقه، ولم ينظر على أنها تطور بالحسابات التقليدية لفكر القائد ودليل على نضجه، كما أنها عكست الفشل الحالي بعد الثورة في الجاهزية في العمل والهيكلة، وهذا ما تبين أثره بعد ذلك في الصراع الذي دار بين قيادات الصف الأول، وإقالة صفوت عبد الغني ووقف عصام دربالة إلى حين التحقيق معه[1].

وقد كان من أدبيات الجماعة في حقبة ما قبل المراجعات دراسة حملت عنوان «الحركة الإسلامية والعمل الحزبي» تعرضت فيها لمشروعية الانخراط في العمل الحزبي، وأصلت لفكرة عزوفها عن المشاركة السياسية.. وربما كان انسداد الأفق

(1) ماهر فرغلي، الجماعة الإسلامية بين الهيكلة والانقسام، مركز الدين والسياسة للدراسات بالسعودية.

www.ibtesama.com

السياسي وسياسية القمع والتنكيل والإقصاء التي كان يمارسها النظام السابق الأثر الأكبر في خروج هذه الدراسة، ولعل هذا أيضًا ما حدا بالدكتور ناجح إبراهيم أن يصرح في أكثر من موقف أنّ الإسلاميين لن يصلوا إلى الحكم.. وإذا وصلوا فسيجبرون على تركه.

وقد دعا هو وغيره من أقطاب الحركة الإسلامية مثل د/عبد المنعم أبو الفتوح - المرشح للرئاسة - إلى ترك العمل السياسي والتركيز على العمل الدعوي والاجتماعي.. حتى لا يعطوا ذريعة للنظام للبطش بالإسلاميين وقمعهم وحبسهم والتنكيل بهم!! وأثناء الثورة بعد 25 يناير وتفجرها، ترددت الجماعة الإسلامية كهيئة ومؤسسة أن تؤيد الثورة وأن تقف إلي جوارها وموقع الجماعة الذي يعبر عن رأيها شاهد على ذلك، كما أن قيادات الجماعة لم تظهر إلا بعد الأسبوع الأول من الثورة في التحرير، وعبر أحد القادة للجماعة عن الموقف من الثورة في مقال بعنوان «ارحموا عزيز قوم ذل».

وأصبحت التحولات للجماعة خارجة عن منطق الفهم بعد خروج عبود الزمر، وهجمت الجماعة على مساجدها القديمة، وطفت القيادات إلى سطح الإعلام، وأقيمت المؤتمرات العارمة في كل مكان للتهنئة بنجاح الثورة، ثم فجأة أراد شباب الجماعة إعادة الهيكلة لها، وأراد الجيل الأوسط من الجماعة تغيير القيادات التي ارتبطت تاريخيًا بعملية المراجعات، وحاولوا اختيار القيادات وفق شورى حقيقية، وأن يعيدوا تأسيس الجماعة وانطلاقتها من جديد في ظل السياق الثوري الذي تعيشه البلاد على أسس جديدة، ومختلفة عن تلك التي تأسست عليها الجماعة الإسلامية المصرية في المرة الأولى، وبالفعل قامت الجماعة بإجراء انتخابات لم يحضرها كل الأفراد داخل الجماعة، ولكنها في النهاية أسفرت عن إقالة رئيس مجلس شورى الجماعة كرم زهدي صاحب الدور الرئيسي لمبادرة وقف العنف، لمصلحة شخصيات محسوبة على الجناح الأشد داخل الجماعة، الذي لا يزال يحتفظ ببعض ثوابته القديمة مثل تكفير الحاكم المستبدل مثل عاصم عبد الماجد وعبود الزمر وعصام دربالة الذي أصبح الرئيس العام للجماعة، كما أسفرت عن استقالة ناجح إبراهيم مهندس وقف العنف والمراجعات من كل مناصبه.

وتغير الأمر تمامًا بعد ثورة 25 يناير، فمعها تغير المناخ السياسي وإطلاق حرية تكوين الأحزاب، وفي ظل هذه الأجواء المنفتحة، أعلنت الجماعة الإسلامية أنها بصدد التشاور لاتخاذ قرار بخصوص إنشاء حزب سياسي مدني ذي مرجعية إسلامية يعبر عن آراء الجماعة السياسية وأطروحاتها.

وعبر أحد أبناء جيل الوسط في الجماعة عن ذلك في مقال قائلًا «فإن كان العمر

www.ibtesama.com

الحزبي لونًا من ألوان الإصلاح يفرضه الواقع ولا يعارضه الشرع ويهدف إلى إصلاح الراعي والرعية معًا، لإقامة حكم راشد يحقق العدالة والمساواة وينهض بالبلاد، ولذا فإن الحركة الإسلامية مطالبة اليوم بعدم إحداث حالة من الإرباك بإشاعة الخلافات الفقهية في مسألة المشاركة السياسية.. فعدم المشاركة بأي شكل من الأشكال يعد إجهاضًا لمشروعها بالكامل»[1].

وهذا الكلام السابق يؤدي بنا إلى نتيجة حتمية حول رؤى الجماعة وخطواتها في المرحلة المقبلة، وهو ما يعكس تغيير إستراتيجيتها بالكامل.

## 4 - مستقبل الحركات الإسلامية في مناخ الحرية

ولو نظرنا بالعين الجردة إلى ما بعد الثورة لوجدنا كيف اتفقت كل الحركات الإسلامية الآن على الاستفادة من مناخ الحرية بعد الثورة المصرية، سواء الجماعات التي انتهجت العنف والقتال مع النظام الحاكم السابق، أو الحركات المعتدلة التي انتهجت طريق اللاعنف، وخاضت تجارب الجهاد السلمي عبر صناديق انتخابات مزورة، فالحركات التي انتهجت سبيل جهاد الحكومات ثم راجعت ذاتها، باتت في حاجة إلى بذل مزيد من الجهد بعدما فاجأتها الثورة الشعبية وانهيار الدولة البوليسية، وأصبح الطريق مفتوحًا أمامها، وأصبحت أمامها تحديات أقوى تتعلق ليس بالعودة إلى العمل الدعوي والسياسي فحسب، وإنما بإعادة تخريج وضعها الجديد وكيفية التعامل مع الوضع الثوري، إما بقبول قواعد اللعبة السياسية التي تعني تخلي هذه الحركات عن العديد من ثوابتها الفكرية، وإما البعد عن العمل السياسي والاقتصار على العمل الدعوي.

### أ - الإخوان فاعل رئيسي

بالطبع ستظل الإخوان هي الفاعل الرئيسي في الفترة المقبلة، حيث أصبح الإخوان الآن أمام فرص كبيرة للعمل والتحرك تحت غطاء الحرية والعمل بدون قمع النظام التسلطي السابق، لكنهم أيضًا سيدفعون كلفة وضع ما بعد الثورة، لأنهم لن يكونوا الممثل الحصري الوحيد للحالة الإسلامية والسياسية كما كان الوضع سابقًا، حيث كان

(1) محمد سيد كامل، إضاءات كاشفة حول العمل الحزبي، موقع الجماعة الإسلامية.

www.ibtesama.com

يعطيهم قوة استثنائية، كما أن منافستهم لن تكون مع نظام سياسي مكروه ومرفوض، ولكن مع قوى مختلفة في الحركة الوطنية، وهنا ستكون المنافسة أكثر صدقًا، حيث انتهت ثنائية الإخوان والحزب الوطني.

والأهم أن كثيرًا من التحديات التي كان يؤجلها الإخوان ولا يجيبون عنها، سيكونون مضطرين للإجابة عنها، وأي إجابة مهما كانت وجاهتها ستخصم من رصيدهم، وستكون على حساب الكتلة الإخوانية، كان الإخوان يلوذون بالخطاب والإجابات العامة، وكان هذا يسمح بتماسكهم ويؤجل انقسامهم من الداخل، لكن انفتاح المشهد السياسي سيحتم عليهم التفصيل، والشيطان كما يقال يكمن في التفاصيل، فمثلًا على الإخوان الإجابة عن سؤال هل هم جماعة دعوية شمولية أم حزب سياسي؟ وهل حزبهم سيكون حزب للجماعة أم مستقلًا عنها؟ وما علاقتهم بالأحزاب التي ستنطلق على أرضية إسلامية؟ وما هو المرشد وسلطات مكتب الإرشاد على الحزب ورئاسته؟.... الخ[1].

وهناك مشكلات بالفعل حيث أشارت الشرق الأوسط أن مكتب الإرشاد ممثلًا في مرشده العام وأعضائه قد بدأوا سلسلة من الحوارات الموسعة مع شباب الإخوان منذ أكثر من شهر، ولا تزال فعاليات هذه اللقاءات مستمرة لمناقشة جميع الرؤى والأفكار المطروحة للمرحلة الراهنة، ويعقد شباب الإخوان مؤتمرهم تحت عنوان «رؤية من الداخل» بأحد فنادق القاهرة وتبدأ فعالياته من الساعة التاسعة صباحًا حتى الخامسة مساء. واستجاب عدد من شباب الجماعة وقيادتها للدعوة، وقال محمد القصاص عضو ائتلاف شباب ثورة 25 يناير (كانون الثاني) إنه سوف يلبي الدعوة، مشيرًا إلى أن المؤتمر سيناقش العمل السياسي لجماعة الإخوان ودور الحزب وشكله.

وصراع الأجيال سيحتد بعد الثورة وسيؤثر بالطبع في الإخوان، ويتوقع د. عبد المنعم أبو الفتوح أن الإخوان لن يحصلوا في انتخابات برلمانية نزيهة على أكثر من 20% من المقاعد[2].

(1) جريدة الشرق الأوسط، مؤتمر رؤية من الداخل، 26 مارس.
(2) حوار مع د. عبد المنعم أبو الفتوح، جريدة الشروق المصرية، 25/ 3/ 2011.

www.ibtesama.com

## ب - السلفيون والجهاديون بين الأحزاب والعمل الدعوي

وتصب كل التوقعات في مصلحة سلفية مصرية، تسارعت ديناميتها حتى توشك أن تكون اللحظة القادمة هي لحظة السلفية كما يرى جل المراقبين؟ وإلا كيف نفسر تمدد الخطاب السلفي، حتى نشرت صورة لأحدهم في يوم الاحتفال بنجاح الانتفاضة الشعبية ورحيل مبارك في ميدان التحرير، وهو يمسك بلافتة مكتوب عليها «لا تنسوا الشريعة الإسلامية»، ووقف الشيخ محمد حسين يعقوب أحد أبرز السلفيين حضورًا على الفضائيات بعد التصويتات على 6 مواد من الدستور المصري واصفًا إياها بغزوة الصناديق قائلًا: «كان السلف يقولون بيننا وبينكم الجنائز، واليوم يقولون لنا بيننا وبينكم الصناديق، وقالت الصناديق للدين (نعم)»، داعيًا الحضور إلى ترديد تكبيرات العيد احتفالًا بموافقة 77 في المائة من الناخبين على التعديلات.

وهكذا يبرز أمامنا بعض السيناريوهات للمستقبل أو الإصلاح في مصر، ومنها تحول قطاع كبير من السلفيين إلى إنشاء حزب سياسي خاص، أو الانضمام إلى حزب سياسي إسلامي بتوجه سلفي وهو الحزب الذي أعلن قيامه عبود الزمر أحد مخططي اغتيال الرئيس السادات الذي أفرج عنه أخيرًا على اعتبار أن الجماعة تعتبر أقرب للتيار السلفي منها للإخوان، وقد يقف جزء كبير منهم وراء الإخوان في أية انتخابات قادمة، وقسم أخير يظل كما هو بعيدًا عن أي ممارسة سياسية.

وأما المستقلون من السلفيين فإن الغموض يكتنف توجهاتهم، من ناحية جنوح بعضهم إلى استخدام العنف، ومواقفهم، خصوصًا من التعددية السياسية، والحقوق المدنية والسياسية، وحقوق المرأة، والأقليات الدينية، وذلك بسبب عدم الوعي الكافي لدى جل السلفيين للممارسة السياسية وتمازج الطبيعة السياسية والدينية، لدى غالب الأحزاب الدينية المرشحة للظهور، بالإضافة إلى أن تغيرات السلفية ناحية السياسة في مجملها تغيرات غير واعية وغير مخطط لها مسبقًا بل فرضها منطق الصيرورة الاجتماعية وأحداث «الثورة» المتسارعة.

قد تسفر الأيام عن بقاء السلفيين كما هم دعاة دينيين ولا ينخرطون في أحزاب، أو قد لا تستطيع الفصائل السلفية الحركية خصوصًا الكبيرة بالقاهرة والإسكندرية الاقتصار على الحركة الدعوية وتكتشف أن لها رغبة في المشاركة السياسية، فنشهد في المرحلة القادمة تكوين جمعيات وأحزاب سلفية، ومشاركات طلابية، كما شهدنا يوم 12 إبريل

www.ibtesama.com

نجاح قائمة السلفيين في انتخابات الطلاب بجامعة الأزهر بالقاهرة.. بداية قد يكون لها ما بعدها.

وبالنسبة إلى الجماعة الإسلامية فإن أمامها الكثير لتعود كما كانت في ظل محاولاتها الحثيثة للهيكلة وترتيب الصفوف والأولويات، وفي ظل الحالة الاقتصادية والاجتماعية لقواعدها الخارجة من السجون منذ سنوات قليلة، وصراع الأجيال الذي بدأ ينشأ فيها بسبب تحولات الثورة، والخوف أن تتحول وظيفة الجماعة في المرحلة القادمة لتصير أداة من أدوات جماعة الإخوان، وأن ينحصر دورها في التحرك وراء الإخوان فقط، وبهذا ستكون قد قضت على وجودها الحقيقي، كما أن الخوف الحقيقي من عدم بناء مقاربة للجماعة في الرؤية السياسية للمرحلة القادمة بما تتضمنه من منهج وأدوات ومفاهيم حاكمة للعمل السياسي، حيث يتطلب الأمر من قياداتها التفريق بين مرحلة العمل المسلح وما استتبعه من مراجعات فكرية وبين العمل السياسي، أو تبني أدوات جديدة في إدارة الصراع السياسي.

وكما يقول رفعت سيد أحمد، عمرو الشوبكي، «إن مستقبل الحركات الإسلامية سوف يظل مرتبطًا بعدة عوامل داخلية تتعلق بمدى انفتاحها ومرونتها وقدرتها على التغلب على التكلس أو التحجر الفكري المتعلق بإيديولوجيتها، والتي لا تكاد تخلو منها أي حركة أو منظمة سياسية طال عليها الزمن، ومدى قدرتها على قبول الآخر والانفتاح عليه وقراءة الواقع ومقاربة هموم الشارع وطموحاته»[1].

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

(1) رفعت سيد أحمد وعمرو الشوبكي، **مستقبل الحركات الإسلامية بعد 11 أيلول/ سبتمبر**، دار الفكر، دمشق، ط 1[*].

(*) دراسة للكاتب بعد الثورة المصرية نشرها «مركز الدين والسياسة للدراسات».

www.ibtesama.com

# الجماعة الإسلامية بين الانقسام والهيكلة

لا يختلف أحد أن الجماعة الإسلامية بعد ثورة 25 يناير تواجه تحديات أهمها الانقسام والهيكلة وتحديات العمل في بيئة جديدة تختلف تمامًا عن بيئة الضغط والحصار، وتحديات مرحلة فرضت جيلًا جديدًا على الأرض، ورفعت أصواتًا كانت غائبة من بعيد، وأعطت حرية لشخصيات كانت غير منتظرة في هذا الوقت، تحديات المتطلبات الجديدة في أطر التعامل والتحالفات، وفي الخطاب المختلف عن الخطابات التعبوية العنيفة في الماضي، وخطابات ما بعد المبادرة التي اختزلت في تخطيء الماضي دون رؤية واضحة للمستقبل، وفي الدوران في سياق الظروف التاريخية ومراجعاتها، والقضايا التصحيحية لأفراد الجماعة.

ولو نظرنا إلى الصورة الأخيرة التي بدت عليها الجماعة في الأيام الأخيرة قبل ثورة 25 يناير سنجد أنها ما زالت محجوبة خلف موقعها على الإنترنت، ورغم ذلك نجحت إلى حد بعيد في تجاوز ثقافتها السائدة وطرحت خطابًا جديدًا ليس فيه الحرب على السلطة، لكن أعضاءها قد نشأوا على التفاعل مع المجتمع، وكان دورهم في المساجد والزوايا، فلم يتدرب الكادر داخلها إجمالًا على أن يكون في المنفى ووراء جهاز كمبيوتر، وبالتالي فإن الحوار في منتداها على النت أو موقعها لا يعبر بالضرورة عن شيء واضح سوى ردود على آراء خاصة لبعض القيادات التاريخية للجماعة، التي عادة ما تتميز بالبعد عن الدخول في التفاصيل، وكان الأمل المأمول هو العودة إلى المساجد وهذا ما حدث على عجل بعد نجاح الثورة، دون نظر ووعي أن معادلة الدعوة قد تغيرت، وأن المساجد لم تعد هي العامل الأول للسيطرة بل هناك وسائل أخرى.

وبدا الخطاب الموجه للناس فترة ما قبل الثورة، أشبه بحديث النفس وتخطيء الماضي، وكأنه موجه إلى فئة شباب الجماعة أو إلى النظام والمراقبين الآخرين من أجل إعطاء تطمينات يمكن أن تمكن الجماعة من مساحة أكبر للعمل، مع الاعتراف إلى حد كبير أن خلافات في وجهات النظر قد حدثت حول بعض الأمور التي هي ليست جوهرية في المقام الأول كحكم الإسلام في الغناء أو مبادرة السلام أو المقالات التي كانت عن

www.ibtesama.com

الفترة الناصرية. . إلخ ولم يكن ذلك عبارة عن تنوع في الأفكار بقدر ما هو نقلة وأسلوب جديد في التعاطي مع التنوعات في الظروف المحيطة بها وأفكار من حولها، وهناك فرق بين التنوع والتعاطي.

وكان أهم ما يوجه قبل الثورة إلى الجماعة هو غياب البرنامج السياسي التفصيلي، رغم أن الجماعة ربما أدركت بقراءتها للواقع السياسي وقتئذ أنه لا يحمل أي أفق قريب عن السماح لها قانونيًا بالعمل العام، وكان هذا هو الخطر الحقيقي الذي أدى إلى انتكاسة عدد غير قليل، تصور أن تلك المراجعات والآراء إنما تعبر عن خيانة الزعيم أو عدم صدقه، ولم ينظر على أنها تطور بالحسابات التقليدية لفكر القائد ودليل على نضجه، كما أنها عكست الفشل الحالي بعد الثورة في الجاهزية في العمل والهيكلة، وهذا ما تبين أثره بعد ذلك في الصراع الذي دار بين قيادات الصف الأول، وإقالة صفوت عبد الغني ووقف عصام دربالة إلى حين التحقيق معه.

وسوف نرى أن موقع الجماعة على الشبكة العنكبوتية قد سار على نهج وسياسة ظهور الجماعة بمظهر من يدعم ويحفز مواطن الخير والتدين في المجتمع، وأنها دائمة الحرص على أن لا ينظر إليها مجتمعها نظرته إلى دخيل غريب، وتقديمها لنفسها كامتداد لجهد المصلحين، وأنها تقوم بتغليب فلسفة الاكتساب على منهج المغالبة ما أمكن ذلك، بحيث ينظر إليها المجتمع على أنها حركة مترفقة تؤمن بالإصلاح المطرد المتدرج، وتبحث عن موطئ قدم في المعادلة المجتمعية الصعبة، ولكن ذلك فهم بطريقة أخرى، ولكن نظر البعض على أنه موقع ناجح إبراهيم وحده، وأنه لا يمثل الجماعة، وأدى ما سبق إلى اتهامات متبادلة بعد ذلك، وهذا ما كان من شأنه أن يؤدي إلى الانقسام، أو على الأقل يجعل الجماعة في مرحلة ارتياب داخلية طويلة.

وحينما حدثت التحولات الفكرية للجماعة وتصحيح المفاهيم كان لا بد أن يصبح هناك تطور دائب في أوضاع التنظيم وأشكاله وعلاقاته، وأن ترسم لنا قيادة الجماعة صورة مثالية لنموذج تنظيمي جديد حسب مقتضيات الشرع والواقع، فيبدو أشد بساطة نموذجًا جاذبًا، لا نموذجًا طاردًا، أو نموذجًا خياليًا مأمولًا، وأن يكون لهذا التنظيم كيان معنوي وشخصية اعتبارية متميزة عن غيرها من الأفراد والقوى الاجتماعية، مما يؤدي إلى تماسك فعال وقدر كبير من الإجماع الداخلي حول أمور جوهرية ثلاثة هي: طبيعة التنظيم ورسالته، ومبرر وجوده، وبنيته وإجراءاته الداخلية ذات الصلة بتغيير قادته واتخاذ قراراته، بالإضافة إلى مرونة عملية تتمثل في تعاطي التنظيم مع التحديات

www.ibtesama.com

المتغيرة، فإذا غاب كل ذلك أصبح كل ما كانت تفعله الجماعة عبارة استهلاك وقتي، وهذا ما حصل بالفعل، من عدم جاهزية الجماعة لأي شيء بعد الثورة، وحتى أثناء الثورة تباينت مواقفها تمامًا، وأضحى أمامها تحديات هي أكبر من حجمها في المواقف والآليات.

وبإطلالة على بنية الجماعة الداخلية القديمة وأجيالها الثلاثة جيل 81 والأجيال التي تليه وتأثير سنوات العنف والمراجعة فيه، سنرى غيابًا واضحًا لأعداد كبيرة عن المشهد وعن الصفحة الرئيسية لموقع الجماعة، وهذا كله يدفعنا للتساؤل هل نجحت الجماعة في بناء بنية داخلية دعوية؟ وما هي خصائص هذه البنية الدعوية الجديدة؟ وهل هي قائمة على مرونة وحوار وفهم للمرحلة؟ وهل الحوارات التي تجري تسير في هذا السياق؟ ولابد أن نجيب على أنفسنا عن إدماج الجماعة في المجتمع وتأثيره في الحوار الداخلي، وغياب هؤلاء القادة عن موقع الجماعة، وتأثير في روح العمل، وشكل علاقة القاعدة بالقيادة وشفافيتها، وضعف العلاقات والروابط بين الأعضاء وإصابة بناء الجماعة بالخلل والشعور بسيطرة واحد أو اثنين على الجماعة دون الآخرين.

ومنذ أن دخل كرم زهدي وناجح إبراهيم ووراءهما قيادات الجماعة من باب مستشفى سجن الوادي الجديد، إلى فناء السجن وبرفقتهم ضباط كبار من أمن الدولة المصرية، كان يتضح تمامًا حرص قيادات الجماعة على إظهار وحدتهم وأنهم صف واحد ولا يوجد بينهم أي اختلاف في هذا القرار المصيري، والحقيقة أن الخلافات قد ظهرت في كواليس مستشفى السجن الذي يقيمون فيه من القائد علي الشريف وبين عصام دربالة، وبعض قيادات الصف الثاني بالجماعة، وفي نهاية ندوات تصحيح المفاهيم صدرت بعض القرارات ومنها عزل «محمد يحيى» وهو الذي كان فترة التسعينات مساعدًا لعلاء محيي الدين المتحدث الرسمي للجماعة، كما صدر قرار بإبعاد «علاء صديق» أحد قادة الجماعة بسوهاج عن إمارة الجماعة بسجن الوادي الجديد، ثم تسكين «د. أحمد عبده سليم» أمير الجماعة بأسيوط المعقل الكبير والمركز الرئيسي للجماعة بمستشفى السجن دون تكليف واضح إلى الآن، وبدا أن ما فوق السطح يختلف عما يجري بداخله وأن هناك صراعًا قائمًا حول تفصيلات المبادرة وإن كان الجميع أقر بوقف العنف وأن صراعًا على هذه التطبيقات يجري، قاده فريق كبير بقيادة عبود وطارق الزمر ومعهما صلاح هاشم المؤسس الرئيسي للجماعة، والفريق الآخر الذي يقوده جناح كرم وناجح وأسامة حافظ وفؤاد الدواليبي، وتأكد مجموع المعتقلين من ذلك بعد إبعاد عصام دربالة

www.ibtesama.com

وعاصم عبد الماجد عن ندوات تصحيح المفاهيم، وعدم دورانهم في رحلات تلك الحوارات، بالإضافة إلى عزل عبود وطارق الزمر تمامًا عن هذه الندوات، حتى بدأ يتكون جناح موال لهم على اعتبار أن هذه المبادرة بها بعض التطبيقات الخاطئة ومنها التنازل عن كل شيء دون تحقيق أي مكاسب، وبخروج جميع المعتقلين من السجون وإطلاق موقع الجماعة الإلكتروني بدا الغياب الواضح لقيادات كثيرة منها صفوت عبد الغني وضياء فاروق وأحمد عبده سليم وغيرهم، وظل الوضع ثابتًا كما هو عليه على اعتبار أن الموقع لا يمثل مجموع الجماعة، وأنه موقع كرم وناجح فقط حتى الثورة المصرية التي أكسبت الجميع الشجاعة ليعبروا عن آرائهم وبالأخص بعد الإفراج عن عبود وطارق الزمر اللذين أضافا رقمًا صعبًا جديدًا إلى تلك المعادلة.

* * *

لعل ما سبق كان إطلالة على بعض صورة الجماعة قبل الثورة، ولعل هذه الصورة كانت مقدمة لتحديات هي أكبر في الحجم بعد الثورة، وأول هذه التحديات تحدي المرحلة العمرية لكون عصب الجماعة الرئيسي من الشباب، وقد كبرت أعمارهم داخل السجون ومشايخهم قد دخلوا العقد السادس، وهي مراحل عمرية لها خصائصها ولها متطلباتها، في وقت تحتاج الجماعة إلى مزيد من الشباب والفتوة من أجل إعادة البناء بعد مرور أعوام طوال من عدم الهيكلة والركود، مع وجود حاجات كبيرة لهؤلاء الأفراد بسبب العوز المادي لكثير منهم، بحيث كان من الأولى بناؤه فترة ما قبل الثورة، حتى لا يؤثر سلبًا في الفرد في التفاعل مع قضايا دينه وبلده وحركته بعد الثورة، وإن كان هذا التحدي يمكن تداركه والقضاء عليه للنفوس العالية السامية، ولكن العمل الحالي السياسي لا ينكر أحد أنه يحتاج إلى مزيد من الشباب والفتوة والجهد والدعم المادي الكبير.

وسنرى أن الانفجار الذي أحدثه السن والتفكير الذي تطور نوعًا ما دفع مجموعة ليست بالقليلة إلى الخروج عن تفكير الشخص الواحد، وهذا تحد، ظهرت نتائجه؛ في خروج أكثر من مجموعة من داخل الجماعة تبحث عن الطريق البديل سواء من داخل الجماعة عن طريق حزب أو جمعية تعمل داخل إطار القيادة مع نوع من الانفصال، أو من خلال هيكلة جديدة تحمل فيها خيط اتصال وولاء للجماعة أو ما يسمى بتعبير أدق باحترام لها دون التزام تنظيمي حقيقي بها، وذلك مثل مجموعة إمبابة، أو مجموعة أحمد صبح.

www.ibtesama.com

ويمكن اعتبار الشورى والديمقراطية من أهم التحديات التي تواجه الجماعات الإسلامية والأمة الإسلامية عمومًا، وهذا التحدي هو الذي كان أول الفشل والخلل في تجربة الجماعة الإسلامية منذ نشأتها إلى فترة ما بعد الثورة المصرية حيث اعتمدت على مجلس شورى عدده قليل جدًا نسبيًا بالإضافة إلى أن اختياره يتم وفق قواعد شخصية وليس وفق قواعد منظمة للعمل كله من القاعدة إلى القمة، ولذا فإن القرارات المصيرية للجماعة في مواجهة الحكومة أو في وقف العنف والمواجهة لم يتخذها سوى عدد لا يزيد على عشرين فردًا كان أغلبهم خارج مصر، وعناصرهم القوية تقضي أحكامًا في السجون، وهكذا فإن اتجاه القبول بالنموذج الديمقراطي يحتاج إلى جهد كبير ومنظم باعتباره لم يترسخ بالقدر الكافي في ثقافة الجماعة الإسلامية نظرية وممارسة، وهذا تحد كبير جدًا.

وعاشت الجماعة طوال حقبتها التاريخية تبني وتمحور عملها حول شخص القائد، وقدسية الزعيم، وكانت تتمحور الأفكار والآراء حول هذا القائد، والتعامل مع الذات والآخرين من منظار ورؤية شخص هذا القائد سواء من القيادة الأولى أو الوسطى، والسير في غمارهما دون الخروج عن هذا الخط، وما ترتب على ذلك من تقزيم حيز العمل فترات الجماعة الماضية، عدا شيء واحد فقط هو نجاح هذه القدسية في عدم تخطئة مبادرة وقف العنف، ولكن ماذا لو استهلكت هذه القيادات في خطابات المبادرة وخطابات الموقع الإلكتروني وحوارات المناوي والفضائيات الوطنية، فإن هذا بلا شك هو ما سيدفعها لتحد جديد قد يؤدي إلى صراع حول مواقع القيادة وإعادة الهيكلة وتقسيم الأدوار وقد يؤدي إلى استقالة آخرين.

ولابد أن نعلم أن الأشكال أحيانًا تتحول في أذهان الناس إلى غايات ومقاصد، خصوصًا إذا أثبت الشكل نجاحًا في خدمة المبدأ لفترة زمنية معتبرة، فالعلاقة بين الشكل والمقصد علاقة تكاملية، ولا بد من الانتباه دائمًا إلى أن الشكل وسيلة للمقصد، لا العكس، ولكن الكثيرين لا يرون ذلك، ولا يدركون سوى الشكل، ويؤدي ذلك إلى ضعف الانتماء وفقد بعض الأعضاء ثقتهم بالجماعة لنقص إما في الثقة بالقيادة، وإما لمجرد الإحساس بالغبن، أو سوء توجيه الجهد، وذلك مؤشر سلبي يدل على أن التنظيم بدأ يفقد رسالته، وأنه يعيش على هامش المجتمع، ويتحول إلى قيد على الطاقات، وعلى الأفكار والتنوعات.

والتحدي الكبير، هل تستطيع قيادة الجماعة المنتخبة أن تصنع هيكلة واضحة بحيث

www.ibtesama.com

تتكامل الأهداف مع النظام والشكل والكيان، وبما يفي بأغراض المفاهيم في العهد الجديد، وبما يستوعب الأنشطة والعمل في العديد من المجالات، والتخصصات والمهارات التي تحتاج إليها الجماعة، وبما يؤدي إلى استمرار الجماعة وخلق جيل جديد يواكب الظروف المحيطة به أم لا؟.

لقد كانت الجماعة منذ بداية نشأتها إلى ما بعد الثورة لا تعاني أي انقسام، وظل هذا الوضع من إكبار القادة التاريخيين إلى السنين الأخيرة التي وجد فيها مجموع كبير حجم ما لاقوه داخل المجتمع، وعدم تأقلمهم مع الظروف المحيطة، وخيبة القيادة إضافة إلى أخطائهم الفادحة التي أودت بهم إلى سنين طوال من العنف مع الدولة، وكل ذلك جعل هناك انقلابات تجري تحت السطح قادها أحد القيادات التاريخية وهو أحد المنظرين الفكريين لها عصام دربالة الذي أوقف للتحقيق معه من قبل مجلس شورى الجماعة كما تم فصل أحد أتباعه وهو صفوت عبد الغني عن الجماعة بقرار رسمي أعلنته الجماعة على موقعها، ورفضه عبود الزمر وأفراد كثيرون داخل الجماعة، ثم عادوا بعد ذلك تحت ما يسمى بعقد جمعية عمومية لاختيار قادة جدد، رغم أن جمعية عمومية معناها أن أفرادًا مسجلين بطريقة رسمية بعدد معين وفق القانون الأساسي للجماعة، وهذا لم يحصل لأن الجماعة لم يكن لها مشروعية قانونية في يوم من الأيام، ولم يكن لها قانون أساسي، وليس لديها أعضاء مسجلون بطريقة فعلية، ولذا فإن ما سيتم لا يعدو كونه انقلابًا على كرم زهدي وناجح إبراهيم، بطريقة جديدة فهماها معًا، ولذا قدما استقالتهما من جميع المناصب الإدارية في الجماعة، وقالا إننا سنتفرغ للدعوة!!

ولعل أسباب ما سبق، هو عامل السن لدى الأفراد الذين دخلوا السجون وأعمارهم لا تتجاوز العشرين فوجدوا أنفسهم يزيدون عن 35 عامًا، وأرادوا أن يعبروا عن أنفسهم ويختاروا قيادتهم وبالأخص بعد الثورة المصرية وبعد نجاحها وبعد فشل ناجح إبراهيم في بياناته التي ألقاها داعيًا إلى احترام حسني مبارك وإلى عدم المشاركة في الثورة «ارحموا عزيز قوم». والثقافة التي اختلفت تمامًا، وتلك الظروف المحيطة التي أكسبت الأفراد مسألة التغيير والرغبة في العملية الديمقراطية داخل الجماعة التي ظلت منذ نشأتها تعاني الديكتاتورية في قراراتها، وعدم أخذ رأي الأفراد مطلقًا حتى في قرار العنف مع الحكومة أو السلم معها، والخلافات والانشقاقات الواضحة داخل السجون بسبب مشاكل الأسر الطويل والمشاكل الشخصية التي حدثت وتطورت إلى مشكلات فكرية كالتي حصلت بين عصام دربالة وناجح إبراهيم كما قال عبود في تصريح أن سبب الأزمة

www.ibtesama.com

هو هذه المشكلات، وهيكلة الجماعة الهرمية الرتيبة والكئيبة التي لا يوجد بها سوى قيادات وبعض اللجان التي تساعدهم وثبات الهيكلة على هذا الشكل، ونجاح الإخوان والسلفيين على الأرض والخيبة الكبيرة لقاعدة الجماعة في المجتمع إلا من بعض أفراد دفعت للبحث عن التغيير.

وقد اتضحت الانقسامات كالتالي: مجموعة القاهرة بقيادة سامح الشحات ومحمد إبراهيم والشيخ عدلي ومحمد بكري تسعى لتكوين جمعية إسلامية خاصة وتقف على خط وسط بين جميع الاتجاهات معلنة دعمها الكامل للإخوان المسلمين، وترى على لسان أحد قادتها وهو الشيخ عدلي أنها أقرب إلى تصورات عصام دربالة وعاصم عبد الماجد ولكنها لم تنضم رسميًا إلى جمعيتهما العمومية.

ومجموعة الإسكندرية والمنصورة ودمياط والمنيا التي تقف بوضوح مع الشيخ كرم وناجح. ومجموعة أحمد صبيح وهو من الجيل الرابع للجماعة الذي أعلن قيام حزب منفصل عن قيادة الجماعة سيضم من خلاله أي فرد فيها. ومجموعة سوهاج وأسيوط بقيادة عبد الآخر حماد وصلاح هاشم التي تقف موقفًا وسطًا بين الجميع وتحاول إصلاح البين ولكن إلى الآن دون جدوى. وعبود الزمر وأتباعه الذين يعتبر أغلبيتهم من الجهاد ومن أفراد الجماعة الذين لم يعترفوا بخطأ قتل السادات وتطبيقات المبادرة وهم يتركزون في القاهرة ويرون تشكيل حزب سياسي يضم فصيل الجهاد والجماعة. وقد رأى ناجح إبراهيم أن الحل يكمن في وقف إنشاء حزب للجماعة في هذه الفترة مع إنشاء جمعية للدعوة والتربية والسماح لعبود بتأسيس حزب سياسي لمن يريد أن يعمل في السياسة من الجماعة، وأن يقود الجانب السياسي في مقابل الجانب الدعوي الذي يستمر زهدي وكرم في قيادته.

وكما سمعنا فإن مجهودات ضخمة تجري على الساحة من قبل قادة شباب كانوا في الصف الثاني للجماعة مثل علي الديناري وصفوت عبد الغني، من أجل لم الشمل والعقد المنفرط، وإعادة الهيكلة، فهل عملوا حساب، جماعات سبقتهم في الفترة الماضية وتخطت أعمالهم خطوات الجماعة عشرات السنين، مثل جماعة الإخوان، والسلفيين بجميع تقسيماتهم، وحزب الوسط، وآخرين، إن تحديًا كهذا يمكن ألا يكون شباب الجماعة قد عملوا حسابهم وأرجأوه إلى جوانب عقائدية، ولكن هذا هو التحدي الكبير بوجود جماعة كالإخوان، ووجهات النظر التي تدعو الجماعة للانضواء إليها حيث ذابت كل الفوارق، وماذا سوف تفعل الجماعة مع وجود جماعة كبيرة مثلها، وكيف ستتصرف

www.ibtesama.com

مع وجود حزب إسلامي قانوني كحزب الوسط، ولعل هذا تحدٍ يضاف إلى ما سبق، في مجتمع لديه حساسية من ممارسات الجماعة السابقة وبالذات في المدن التي مورس فيها العنف بشراسة مثل ملوي وديروط وغالبية مدن الصعيد، حيث قتل فيها عدد ليس بالقليل من الأمن ومخبري الحكومة، وعائلاتهم التي تحمل الضغينة والحقد للجماعة وقادتها، مع خلفية ضخمة من ممارسات الجماعة السابقة التي لم تنس إلى الآن.

وإذا اطلعنا على واقع ما بعد الثورة، وإقبال الجماهير على العمل السياسي، وظهور جيل شبابي جديد، وعشرات الأحزاب المرشحة للظهور، لعرفنا حجم التحدي الذي سوف يواجه جماعة منهكة من محنة شديدة، تسابق الزمن لتلحق بجماعات إسلامية أخرى كانت منذ زمن بعيد تعلم أفرادها أنهم ربما يكونون مبتدعين، أو خانعين للنظام.

وفي النهاية سنرى أن الجماعة في صورتها قبل الثورة ما زالت كما هي لم تختلف كثيرًا بعد الثورة سوى مجموعة المساجد التي حصلت عليها بعد الغياب الأمني، وسنرى أن الجماعة كانت في حاجة فعلية إلى إعداد برنامج للإصلاح الداخلي ثم بناء الجانب الاقتصادي لأفرادها في وقت تكون هي قد تحالفت وسارت في ركاب الإسلاميين الآخرين حتى تستطيع العودة بقوة بعد أن تعد لبرنامج جديد وقانون أساسي وانتخابات حقيقية لقادتها.

ولعل الأيام المقبلة ستشهد عودة الجماعة من جديدة، لكي تضاف إلى أخواتها من الجماعات الإسلامية، وسننظر إلى القواسم المشتركة نظرة أخرى فسنرى أن المستقبل وكذا التحديات المشتركة والعمل على إقرار استقلال إرادة وقرار الجماعة، والتهديد الاقتصادي الذي يواجه الأفراد وتأثيره في علاقة الأفراد بالجماعة، وتلك الظروف المحيطة بالجماعة هي أقوى بلا شك، ولكنها في النهاية يمكن أن تنتهي لو نجحت الجماعة في تحقيق خطوات جادة كما قلنا في بنائها القادم(*).

(*) دراسة مرفقة للكاتب تفضل بنشرها موقع (الإسلاميون) للباحث حسام تمام.

www.ibtesama.com

# الملاحق




مجلة الجماعة للطفل.

www.ibtesama.com

- ١٨٢ -

(... منضبطة حركتها بالشرع الحنيف)

و (الجماعة) العاملة لدين الله تعالى - يجب أن تكون ملتزمة
كل أمورها بالشرع .. في غايتها وأهدافها .. في عقيدتها وفهمها ...
حركتها وسعيها ولكننا هنا نخص بالذكر وجوب التزام الجماعة في
كتها بالشرع وانضباطها به تأكيدا على أهمية هذا الأمر .. إذ أن
ة التي انتشرت هذه الأيام وأدت إلى تعويق مسيرة الكثير من
معات الإسلامية بل والتي أودت ببعضها وأهلكته وانحرفت به عن
ادة وعن الصراط المستقيم وألقت بالبعض في أحضان الندامة والركون
ت هي التخفف من ضوابط الشرع وتعدي حدوده .

والحق أن العمل الإسلامي يحتاج دوما لأن يقبض الشرع على زمامه
وده إن الكثير من الجماعات التي أرادت أن تعمل للإسلام نسيت أن
ها لابد أن يكون بالإسلام لابغيره !! إن الكثير من هذه الجماعات
تحرر من ضوابط الشرع وتخطى حدوده في حركته وظن أن رفعه
ية الإسلام والتكلم باسمه يسوغ له أن يعمل كما يهوى ويريد .. وتدخلت
راء والأهواء والسياسات والأمزجة في تسيير المسيرة بمعزل عن الشرع
رى محرمات ظاهرة ترتكب وواجبات معلومة تترك باسم مصلحة
مل والحركة ، وكأن الشرع عاجز وقاصر وغير قادر على الوفاء بمتطلبات
مل والحركة .. لذا خرجت الأخيرة عن طوعه وتعدت حدوده وقدمت بين
ي الله ورسوله ورفعت صوتها فوق صوت النبي - صلى الله عليه وسلم -
ى بذلك تعطي الدليل على أنها تجهل تماما دينها أو تتجاهله وتعرض عنه .

إن شرعنا بأحكامها وأوامرها ونواهيها بكلياتها وجزئياتها قادرة
ى أن تدفع عجلة العمل الإسلامي نحو الأمام وبسرعة فائقة لايتصورها نفس

صفحة من بحث العمل الجماعي.

www.ibtesama.com

اخوتي واحبتي . . بديروط

إن الله لم يمنعكم عن بعض متاع الدنيا الا ليغنيكم بالإفتقار اليه ويجبركم بالإنكسار بين يديه وليذيقكم بمرارة المنع حلاوة الخضوع له ويلبسكم خلعة العبودية . . فاعلموا وتيقنوا أن منعه سبحانه هو في حقيقته عطاء وأن عقوبته هي تأديب واصلاح وتهذيب للنفوس والقلوب وان امتحانه واختباره هو في حقيقته عطية ومنحة ومحبة . . وأن تسليط أعدائكم عليكم إنما هو في حقيقته سائق يسوقكم إليه سبحانه فلا تفوتنكم هذه الأمور من الطاعة والإنكسار والخشوع والخضوع والذل لله سبحانه وتعالى فقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه يداول هذه الحياة الدنيا بين الناس وأنها عرض حاضر يقسمها دولا بين أوليائه وأعدائه " وتلك الايام نداولها بين الناس " وذلك بخلاف الآخرة فإن عزها ونصرها خالص للمؤمنين .

فالنفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر المستمر والغنى الذي لايتحول طغياناً وركوناً الى العاجلة وذلك مرض خطير يعوقها عن جدها في السير إلى الله والدار الآخرة . . إن الله لو نصرنا دائما وأظفرنا بعدونا في كل موطن وجعل لنا التمكين

١٢

بيان للجماعة الإسلامية بديروط .

○ مع انطلاق مشايخ أمن الدولة من الشمال البعيد إلى الجنوب القصي ، ومن الشرق النائي إلى الغرب المتباعد ؛ يلفقون الشبهات ويفترون الأضاليل والأباطيل كمزامير مزعجة متنافرة الأصوات في المجالس ، أو كشجر مُرّ الثمر مزروع على قوارع الطرق ، أو كأطلال مزدولة بكهوف المقابر المظلمة أو الخبيثة ، وإن كانوا - على ذلك كله - أطلالاً ذات تحسيس أو ذات جعجعة ، نقول - نحن الجماعة الإسلامية - من أجل ذلك قالت قائلة "صوت الأزهر" وستظل بعون الله لتقذف هذا السيل البغيض إلى التربة الصحيحة فمن شاء أن يلوم بعد ذلك فليلم ما أحب اللوم ، فإنا ماضون وعينا على النهج الذي لا نرى بما فيه مداهنة أو تلويح والكلاب ممن حولنا تصرخ وتعوي وقد ألزمنا أنفسنا مقالة الحق بلا جمجمة أو دهان وألزمنا طريق الأمانة بلا رهبة في ثناء أحد ولا رهبة من مذمة تجيء من خلق ، ولا خشية إلا من ربه حق منه يراد .

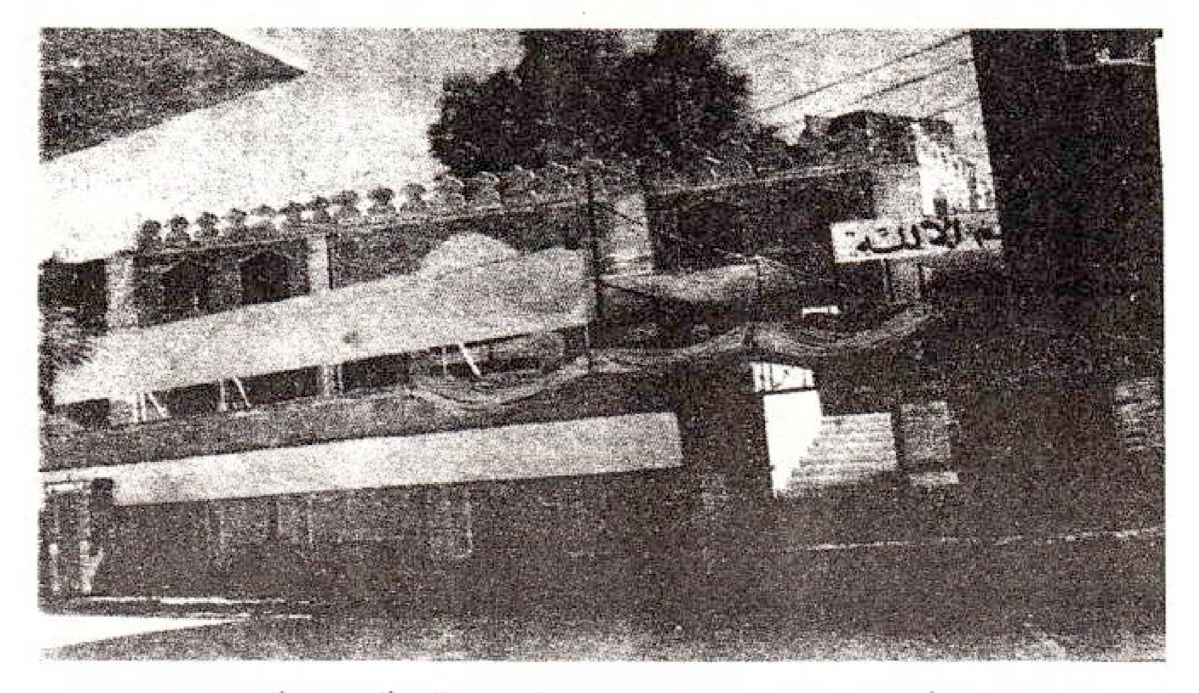
وبعد فيا مشايخ الأزهر : إن بقي لكم شيء لم تتلقفه عليكم شيعة أو شيخ فأنتم بلا ريب - بمشيئة الله - نازحون عما أنتم فيه ، وعائدون إلى الخشوع الشريف من خلال خطاكم وبعثر تقويسكم وتركتكم في ظلماء ليلها كنهارها .

أما أنتم يا شباب الأزهر فاعلموا أنه من الواجب الأكيد عليكم إظهار الحق حتى ولو لم يكن لإظهاره تأثير فعلى تدرسه ، فسكوتكم يعرضكم لسخط الواحد القهار ، ويدفع الناس إلى إساءة الظن بكم واتهامكم بموالاة جهاز مباحث أمن الدولة ، والعمل بجهاز مشايخ أمن الدولة .

اتقوا يا شباب الأزهر وعبيد الجبار فيا وعبيد الوزير ، ولكنكم عبيد غلبة تدرسكم ، واعلموا أن شر المرء حقه إلى أهله .

"وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" .

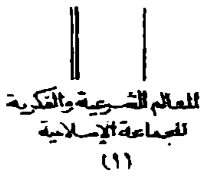
بيان حول ندوات الأزهر والأوقاف .

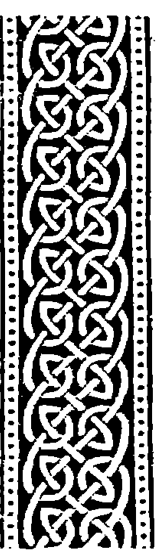


مسجد الرحمة بأسيوط وهو من مساجد الجماعة الرئيسية التي أقيم فيها أكثر من معسكر .

www.ibtesama.com





# ميثاق العمل الإسلامي

إعداد
الدكتور ناجح إبراهيم
عاصم عبد الماجد
عصام الدين دربالة

بإشراف
فضيلة الدكتور عمر عبد الرحمن

هذا الكتاب

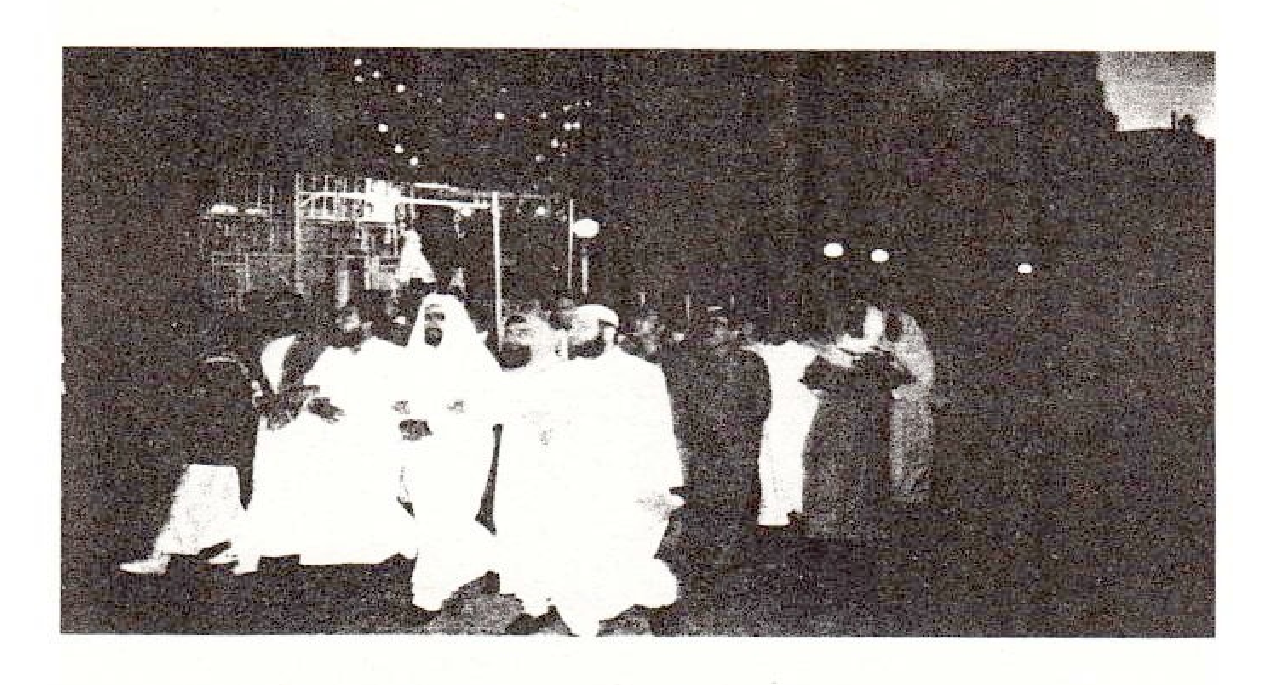
[illegible]

الجماعة الإسلامية

الميثاق المنسوخ بخط اليد بنفس طبعته التي كان يوزع بها في أواخر الثمانينات.



الطابور العسكري الذي يخرج من المسجد ويطوف المدينة.



يظهرون الكيان بالمشي في الشوارع.. ومنهم من مات في أحداث العنف ومنهم من أعلن موافقته على المبادرة.

www.ibtesama.com

## صفحة من كتاب جواز تغيير المنكر باليد للجماعة الإسلامية

قال الإمام النووي - في شرح مسلم -: (قال العلماء ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات بل ذلك جائز لآحاد المسلمين، قال إمام الحرمين: والدليل عليه إجماع المسلمين، فإن غير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولايةوهذا كلام عام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل درجاته لم يخصص إمام الحرمين نوعاً منها. قال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾[1]: «أجمع المسلمون فيما ذكره ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه، وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدي إلى الأذي فإن ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره فإن لم يقدر فبلسانه فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك».

فهذا الإجماع الصحيح يدل على وجوب تغيير المنكر على كل من قدر عليه سواء كان حاكماً أو محكوماً.

رابعاً فعل الصحابة رضي الله عنهم

1) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحي إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس - والناس جلوس على صفوفهم - فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف. قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتي خرجت مع مروان - وهو أمير المدينة - في أضحي أو فطر، فلما أتينا المصلي إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي فجبذتُ بثوبه فجبذني فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له: غيرتم والله، قال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة)[2].

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 21.

(2) عبد الآخر حماد - جواز تغيير المنكر باليد لآحاد الرعية - ص 39- غير مطبوع - إصدار الجماعة الإسلامية مصر. طرح عبد الآخر حماد في كتابه الذي عاونه فيه أسامه حافظ كثيراً من الأدلة على جواز تغيير المنكر باليد ولكنه لم يطرح لنا تطبيق هذه الأدلة في واقع مضطرب وظروف محيطه.

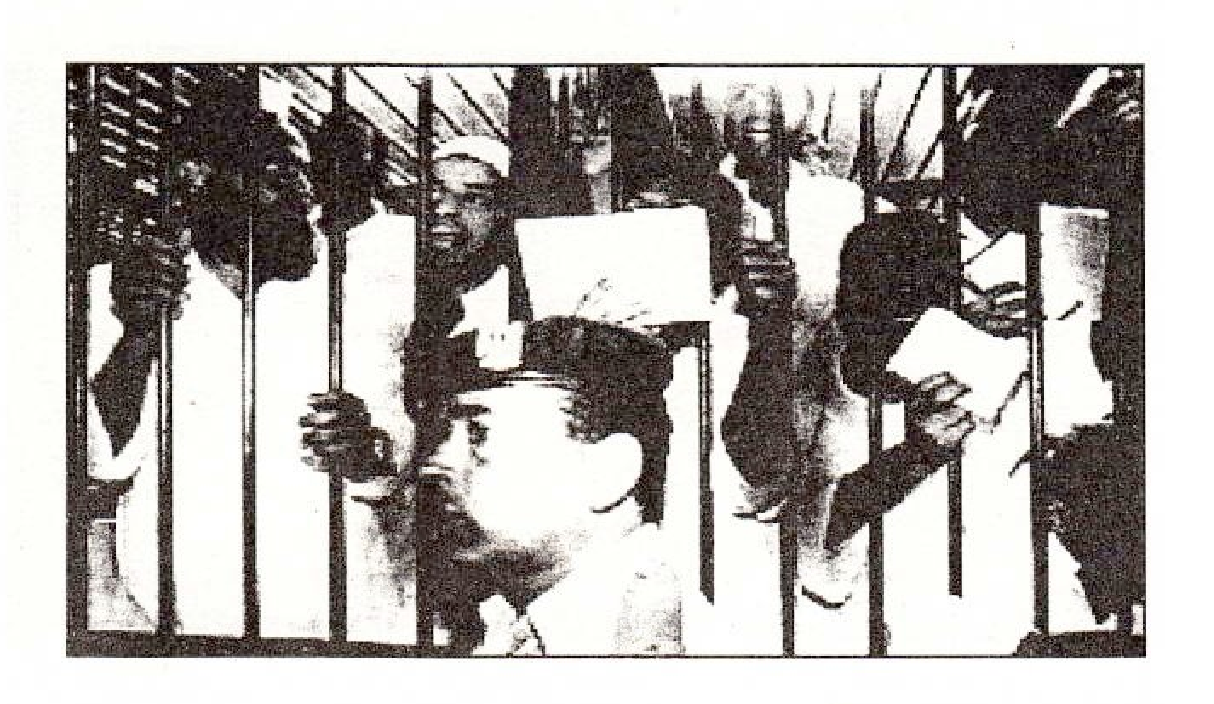
www.ibtesama.com



الدكتور عمر عبد الرحمن
في أحد اللقاءات من شريط فيديو

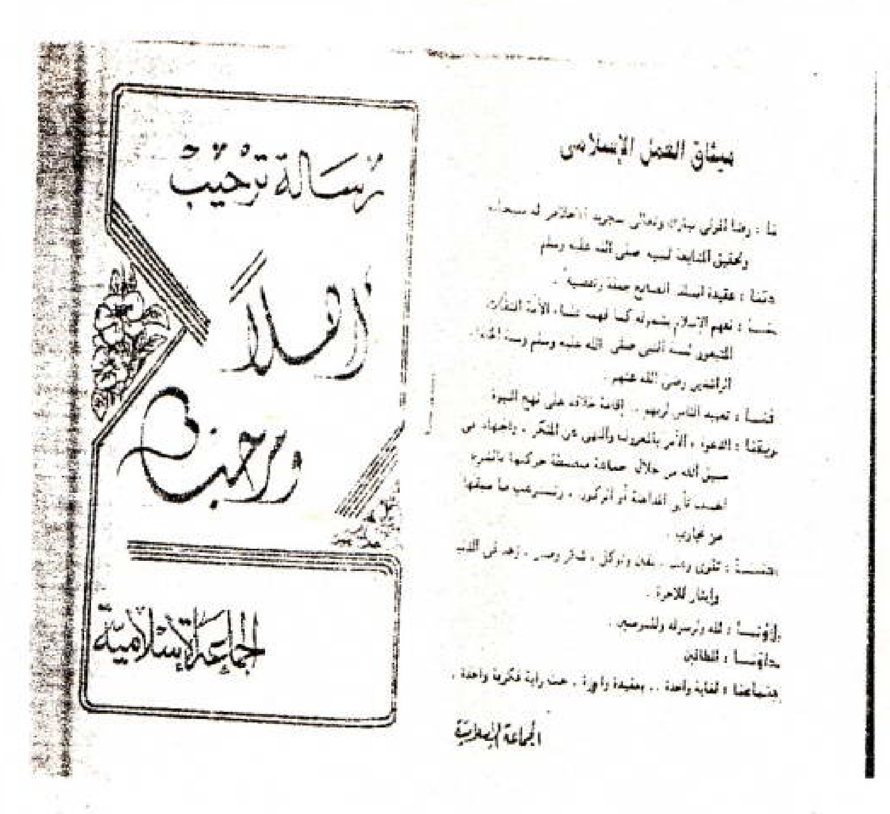


أم خالد الإسلامبولي



في المحكمة كنا نهتف ونحن نرفع المصاحف.

www.ibtesama.com



رسالة ترحيب

أهلاً ومرحباً

الجماعة الإسلامية

ميثاق العمل الإسلامي

غايتنا: رضا المولى تبارك وتعالى بتجريد الإخلاص له سبحانه وتحقيق المتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم.

عقيدتنا: عقيدة السلف الصالح جملة وتفصيلاً.

فهمنا: نفهم الإسلام بشموله كما فهمه علماء الأمة الثقات المتبعون لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

هدفنا: تعبيد الناس لربهم.. إقامة خلافة على نهج النبوة.

طريقنا: الدعوة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله من خلال جماعة منضبطة حركتها بالشرع الحنيف تأبى المداهنة أو الركون، وتستوعب ما سبقها من تجارب.

زادنا: تقوى وعلم.. يقين وتوكل.. شكر وصبر.. زهد في الدنيا وإيثار للآخرة.

ولاؤنا: لله ولرسوله وللمؤمنين.

عداؤنا: للظالمين.

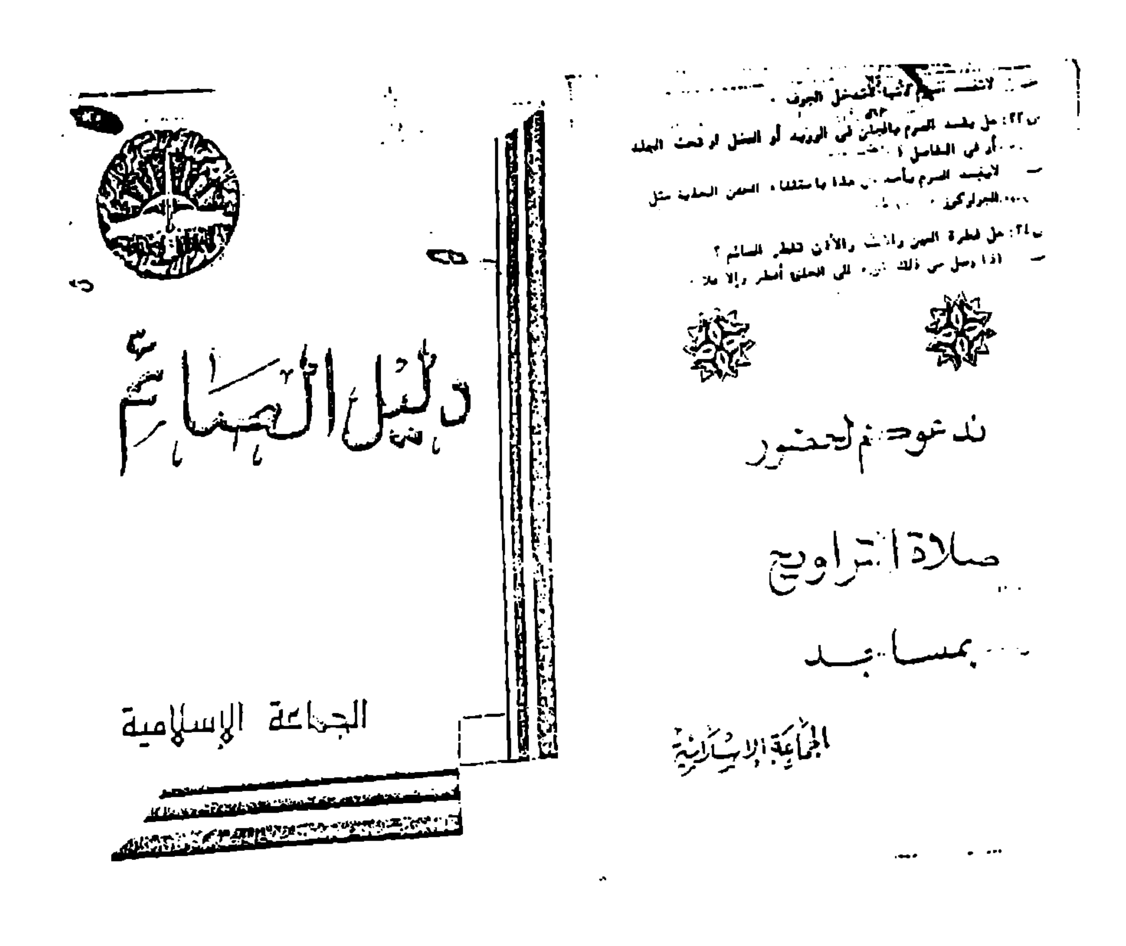
اجتماعنا: للغاية واحدة.. بعقيدة واحدة.. تحت راية فكرية واحدة.

الجماعة الإسلامية

غلاف رسالة الترحيب التي توزع على المصلين الجدد في مساجد الجماعة.



مجلة صوت الأزهر، العدد الثاني.




دليل الصائم من إصدار اللجنة العلمية.



أبو صهيب عدلي يوسف
قائد معسكر الجماعة بأفغانستان.




العدد الأول من مجلة المرابطون.




الحاج حافظ سلامة أمام مسجد الشهداء بالسويس.

لا إله إلا الله
محمد رسول الله

الجماعة الإسلامية

# دماء النذير تتدفق في فلسطين

إن صرخات النساء الثكالى .. وعويل الأطفال اليتامى .. وأنين الشيوخ [illegible] ..
وجهاد مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فالأرض فلسطين ليست قضية شعب أو مشكلة أرض
وإنما هي قضية أمة وخلافة عقيدة . إن علاقة اليهود بالمسلمين "لتجدن أشد الناس
عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا".

إن ما يجري اليوم في فلسطين ليس هو ما جرى بالأمس في لبنان وليس هو ما يجري الغد في مصر أو غيرها
إن هو والله ليس ما يجري الغد القريب .. ما دام المسلمون في غفلتهم ساهون إنها دماء
النذير لمن "كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد".

دماء النذير .. لهؤلاء الحكام العملاء الذين باعوا العرض قبل الأرض، ورفعوا
راية الخزي والاستسلام وأسموها "الأرض والسلام" ونكسوا راية العزة والجهاد
وأسموها "الخراب والدمار"، وجعلوا أدبارهم لحكم الله ورسوله ووالوا اليهود أعداء الله
ورسوله وعادوا الشباب المسلم ونكلوا به [illegible] !!

دماء النذير .. التي [illegible] أن حل مشكلة فلسطين هو "معاهدة السلام" "كبرت
كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا".

دماء النذير .. لكل مخادع مخدوع يدعو إلى الأخوة والمحبة لحمائم السلام وجماعات اليهود
"ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم".

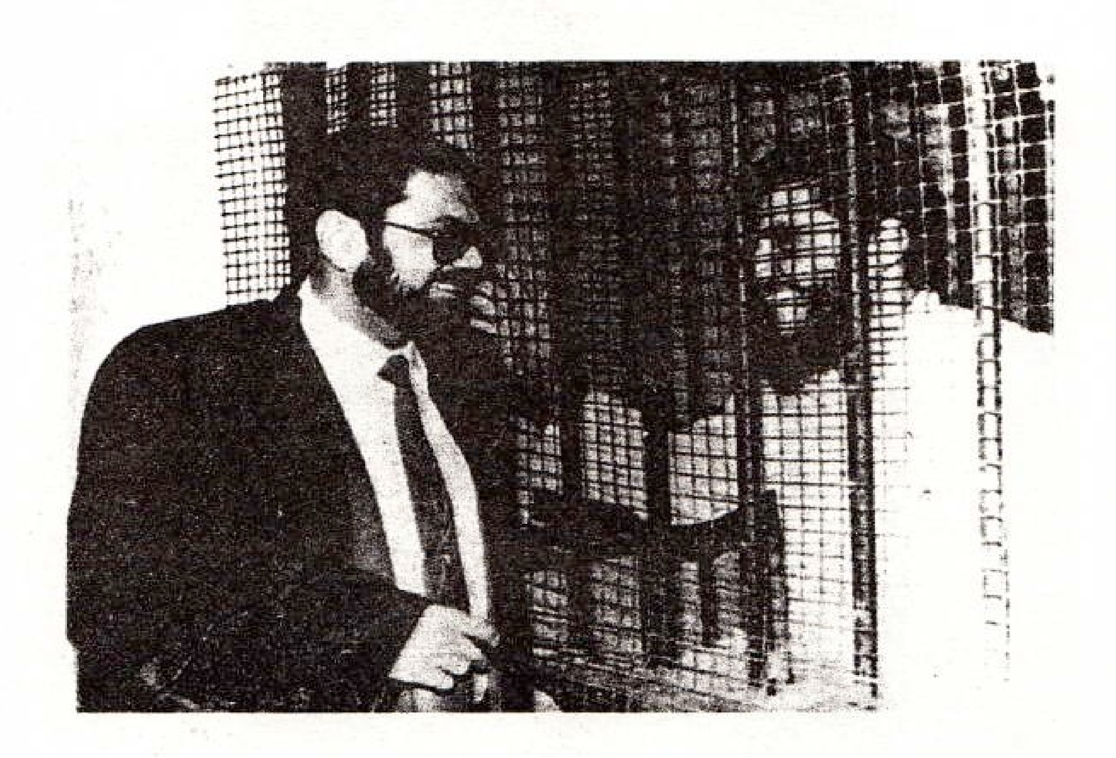
دماء النذير .. لكل شعب يؤثر أن يطأطئ رأسه لأجل لقمة عيش أو وظيفة دنيئة أو
شهوة حقيرة .. ويأبى أن يرفع رأسه لرفعة دين الله في الأرض "أرضيتم بالحياة الدنيا
من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل".

دماء النذير .. التي ترفع راية الخلاص واضحة جلية "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم".
وأخيراً دماء النذير .. التي تحيي وتميت : تحيي من أراد الحياة الحقيقية فسلك سبيلها "ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون". وتميت "الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف
حذر الموت فقال لهم الله موتوا".

أهل فلسطين الحبيبة : قال النبي صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبئ اليهودي
وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله". فلتعلم [illegible] ولتحكم
شريعة الإسلام ولترفع راية القتال أو راية الخلاص .. وإلا فالذل قادم .. والهوان آت
[illegible] "وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير" [illegible]

الجماعة الإسلامية

البيان الذي أصدرته الجماعة في يوم 1/ 1/ 1988.



صفوت عبد الغني مع مختار نوح المحامي الإسلامي المعروف.

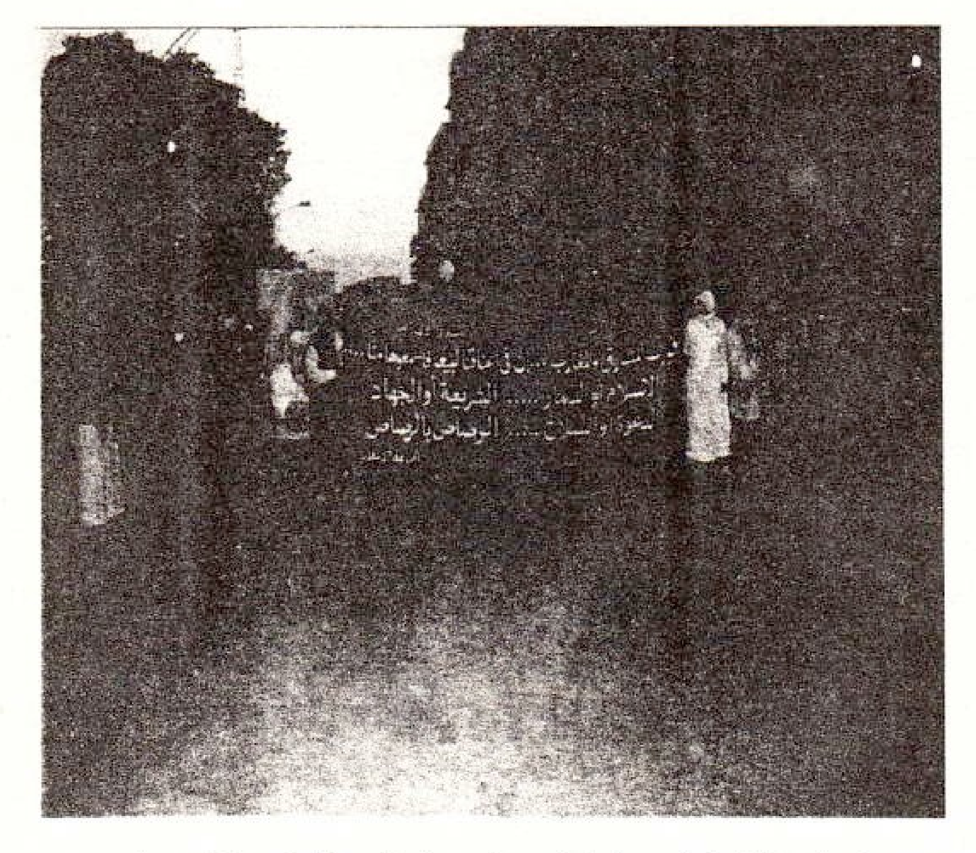


رفاعي طه
الرجل القوي في الجماعة الذي كان يدير الجماعة من أفغانستان.

www.ibtesama.com

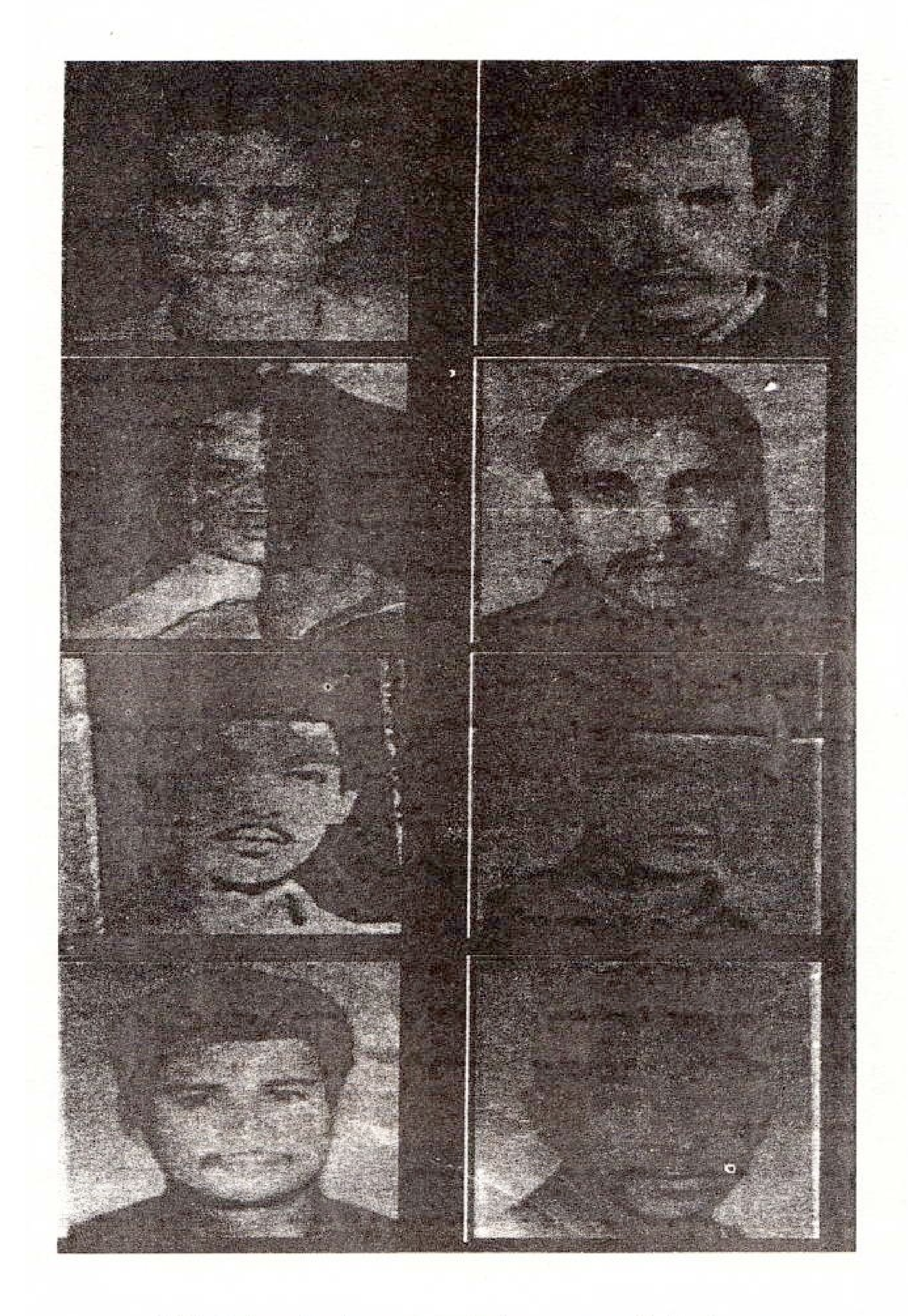


البنادق الآلية وعربات الجيب تطوف مدينة ملوي.



بعض إخواننا يطوفون بالبنادق ويرفعون شارات القتال والاستشهاد.

www.ibtesama.com



صور بعض المطلوبين من ديروط منهم محمود سيد سليم ورفعت زيدان.

www.ibtesama.com

لا إله إلا الله
محمد رسول الله

الجماعة الإسلامية
بمصر

## ومازالت الدمــاء تسيل !!

ومازالت الدماء تسيل .. دماؤك الطاهرة يا ابن ياسين .. فقد كنت تتنفس إسلاماً أرادوا أن يقتلوه .. ظنوا أن الإسلام بالرصاص يموت، وما عرفوا أنه بالرصاص يحيى. فلقد أمر الله عز وجل بألا نقول للشهداء أموات « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » فإن كان القدر ساعدكم - أيها المجرمون - في قتل طلعت ياسين فإننا نتحداكم أن تفلحوا في القضاء على مسيرة الجهاد المباركة التي بدأت ولن تتوقف إلى يوم القيامة.

فاعلموا - أيها المجرمون - إن دماء ابن ياسين ستكون ناراً ونوراً .. ناراً ولعنة على الظالمين ونوراً يضئ طريق المجاهدين.

و مازالت الدماء تسيل .. في السجون و المعتقلات و سراديب مباحث أمن الدولة و التي كان آخرها دماء الشهيد المحامي عبد الحارث مدني الذي لقي مصرعه في جنبات مباحث أمن الدولة بالقاهرة بعد ثلاثة أيام من التعذيب البشع على أيدي ضباط وزارة الداخلية وكان جرمه الوحيد أنه يدافع عن أولئك الذين يتعرضون لأبشع عمليات التعذيب الهمجي - في عهد مبارك السعيد - والتي تراوحت ما بين الصعق بالكهرباء في مناطق حساسة من الجسم والضرب بالكابلات الكهربائيه ونزع الأظافر .. والتعليق كالذبائح .. والتجريد من الملابس ومنع الطعام والدواء عن المعتقلين .. فضلاً عن احتجاز الأمهات والزوجات كرهائن !! وآخرها زوجة الشهيد طلعت ياسين والتي ماتزال حتى كتابة هذه السطور رهينة بمباحث أمن الدولة بلاظوغلي .. مما يدل على أن سياسة التصفية الجسدية لم تكن شعاراً للتخويف وإنما صارت حقيقة واقعه وإن اتخذت في الآونة الأخيرة شعاراً جديداً وهو أدر ظهرك وارفع يديك ثم يطلقون الرصاص على الرأس مثلما حدث في الزاوية الحمراء والسيدة زينب وأسيوط وأخيراً في مدينة طهطا بسوهاج والتي بلغ ضحاياها أكثر من عشرين شاباً من أبناء الجماعة الإسلامية بعد أن قبض عليهم وهم أحياء.

و مازالت الدماء تسيل .. على أرض الأقصى السليب والذي وقع حكامنا العملاء - بالأمس القريب - وثيقة بيعه إلى الأبد فيما يسمى إتفاق غزة أريحا والذي يهدف لتصفية الصراع العربي مع العدو الصهيوني وانهاء مرحلة كاملة عاشتها المنطقه منذ بداية الأزمة للقضاء على الحركة الاسلامية على يد مبارك وعرفات.

أيها شباب الإسلام ..

لقد طفح الكيل وبلغ السيل الزبى ولم يعد أحد يشعر بالنار التي تلفح الشباب المسلم والجبروت الذي يصب فوق رؤسه فيا أنتم الأمل المرجو لهذه الأمة والدرع والساعد الحامي لهذا الدين فماذا تنتظرون ؟! وحتى متى تتأخرون ؟! فإن لم تكونوا للحق أنتم فمن يكون ؟!! واعلموا أن بينكم وبين النصر شعرة ألا وهي الصدق مع الله فكونوا مع الصادقين.

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين »

الجماعة الإسلامية بمصر
١١ ذي الحجة لسنة ١٤١٤ هـ

بيان الجماعة الإسلامية بمصر بعد مقتل قائد الجناح العسكري طلعت ياسين.

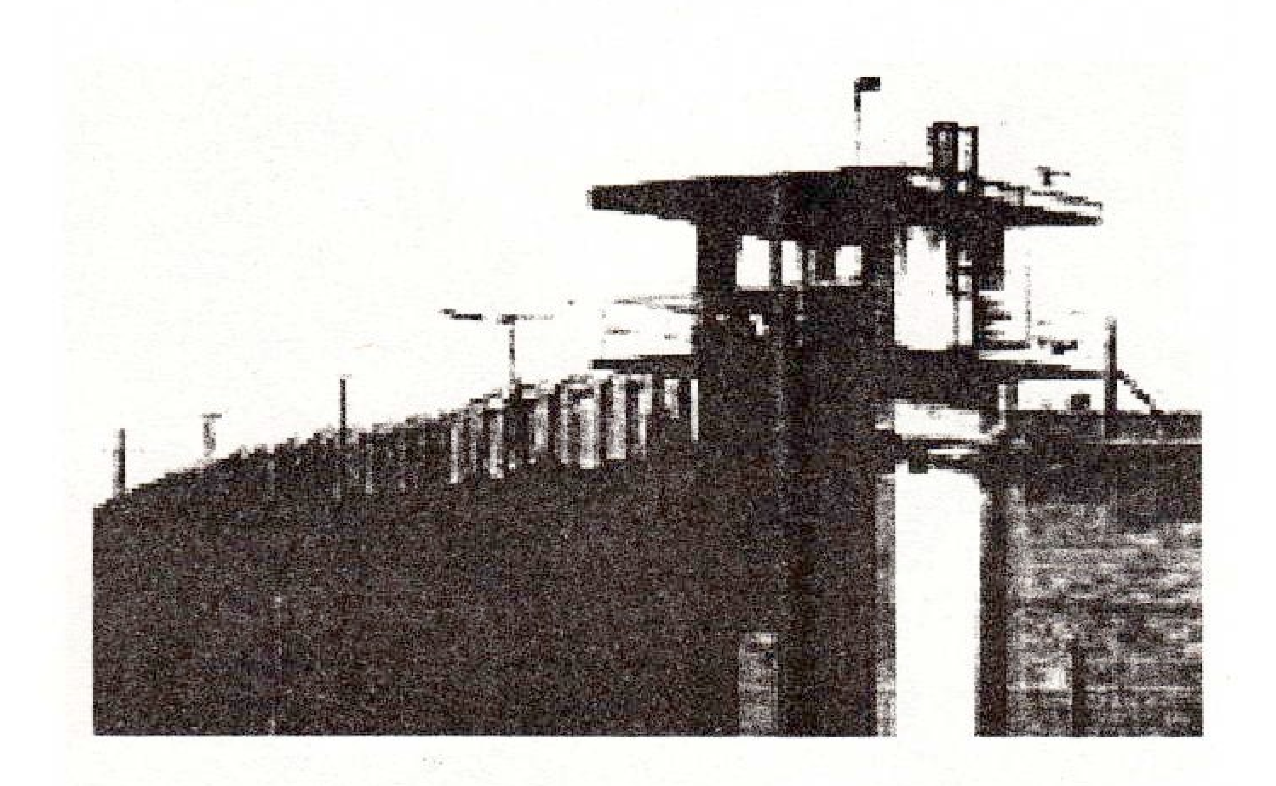
www.ibtesama.com



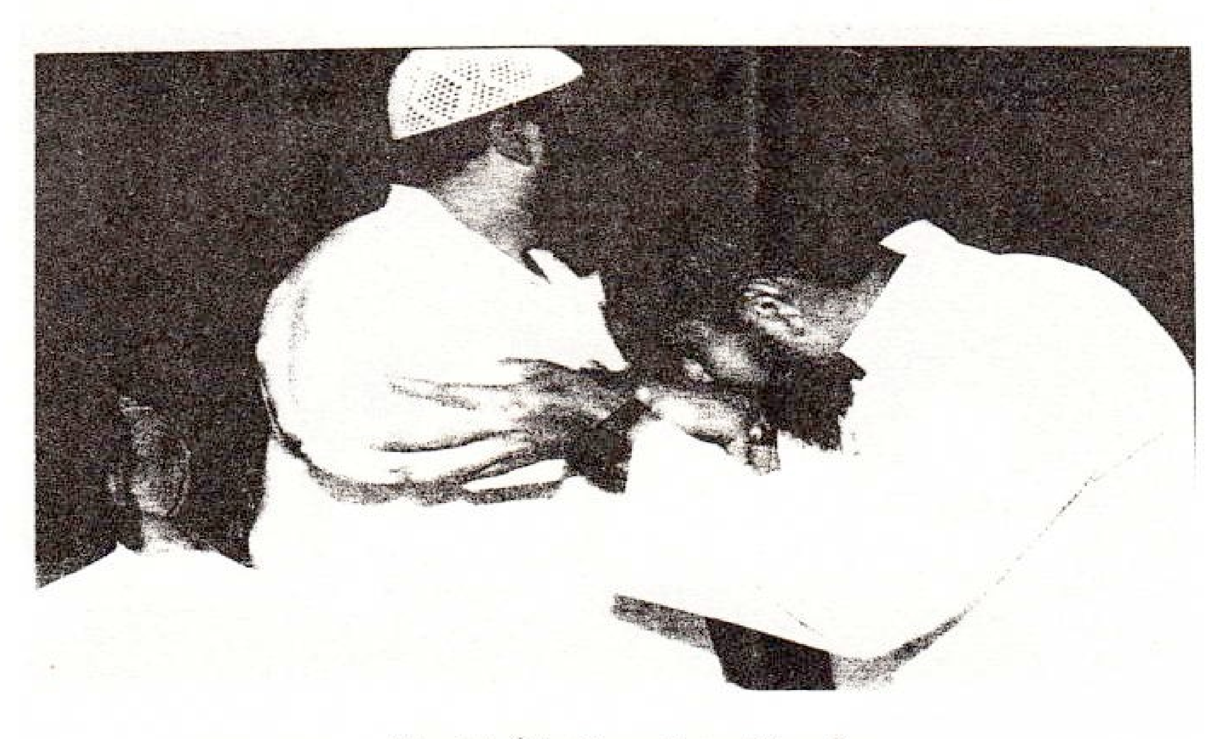

مجموعة من الصور النادر لمسيرة العيد.




www.ibtesama.com

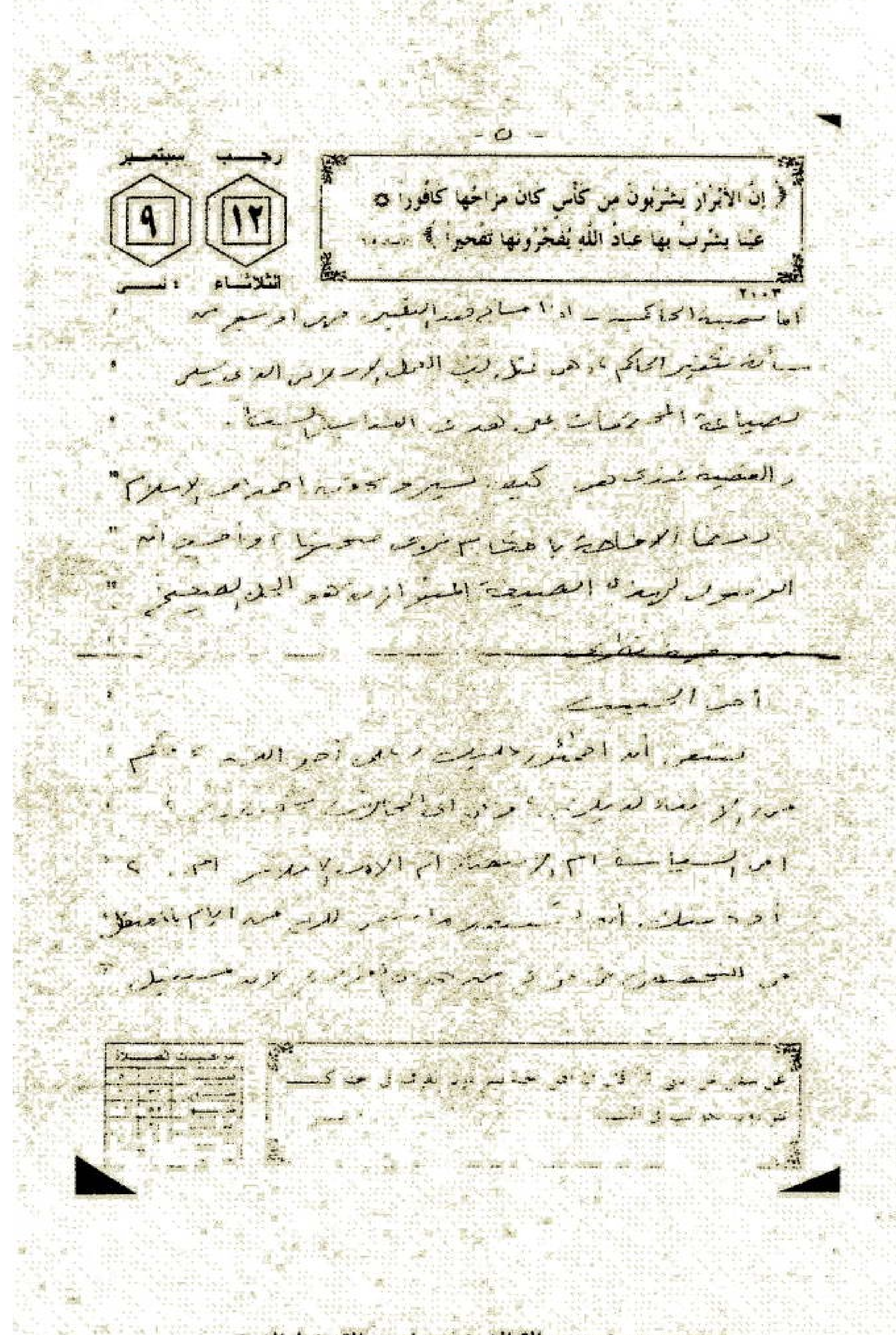


سجن الوادي الجديد



أحد الإخوة يقبل يد الشيخ أسامة حافظ
هذا التقديس للمشايخ كان أحد العوامل التي جعلتنا نقبل المبادرة.

www.ibtesama.com



- ٥ -

﴿ إنَّ الأبرارَ يشربونَ من كأسٍ كانَ مزاجُها كافوراً ۝ عيناً يشربُ بها عبادُ اللهِ يُفجِّرونها تفجيراً ﴾

| رجب | سبتمبر |
| --- | --- |
| ١٢ | ٩ |
| الثلاثاء | ٢٠٠٣ |

جزء من نص رسالة الشيخ عصام دربالة بخط الشيخ.

www.ibtesama.com

المعارضة ومثل ذلك جاء في مواضع كثيرة مخالفاً للنهي الذي أورده والذي
تلقاه الخلف بالتسليم [illegible] فقد قال الله تعالى (يا أيها
الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وقال عز وجل (يا أيها
الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي)

ولسوف أوضح لكم ما أراه مخالفاً لهذا الذي [illegible] في بعض الكلم
بالعادة ولكنني أقول لكم الآن بوضوح شديد أنه كان من الواجب عليكم
قبل أن تتبنوا حكماً ولو قليلاً من هذه الأحكام التي أوردتموها في رسالتكم
والتي جاءت [illegible] ومخالفاً مصادرة صريحة لنصوص الشرع الواضحة
أقول كان الواجب أن تبذلوا جهداً كبيراً في التعرف على حكم الله ورسوله في
هذا الأمر وأن تعرفوا ذلك عن طريق اقتفاء أثر السلف الصالح من أهل
العلم والصالحين الذين عرفوا مراد الله تعالى وأفاضوا في بيانه وتفصيله [illegible]
ولكن ما [illegible] فيه ليس من المسائل الخفية التي [illegible] عمل الذهن
بل هو من الواضحات البينات وليس أيضاً [illegible] من المسائل
الجزئية الفرعية بل أكثرها من كليات الدين

وأنا أدعوكم أن تراجعوا تفصيلها بالمشاورة التي تعرض لها في مواجهتها
للآخرين .. بل تفصيل مشاورة كثيرة فهل ما تبنيتم من أقوال
عن المعارضة لا يجوز ولو ورد بها كما وصفتم وما تبنيتم عن قوم [illegible]
في المعارضة التي أوردتم وما تبنيتم من الإعداد الشرعي للدراسة المتخصصة
التي تتبنون وأن تطبيقها هو [illegible] هل ذلك كله تم استقصاؤه من كلام
الله وكلام رسوله ومن مذهب السلف الصالح .. تحديداً هل وقفتم أمام
آية أو حديث تام معارضة بالأصل فهم تحتمل مخالفة [illegible] أو
التوجيه النبوي ما أطلقتم تعارضاً وتحكم بالمعارضة وتحريم [illegible]
خالفه التوقيفي في مخالفة أمر الله ورسوله مثلاً أم أنه موضوعي للمعارضة
ولو ورد بها على غير الإطلاق عقلي محض مستند على رؤية ذاتية للمعاني
التي ترى أنه يعني تخصيصاً والضابط عليه والقاعدة التي ترى أنه [illegible]
إليه نزاعاً والإشارة.

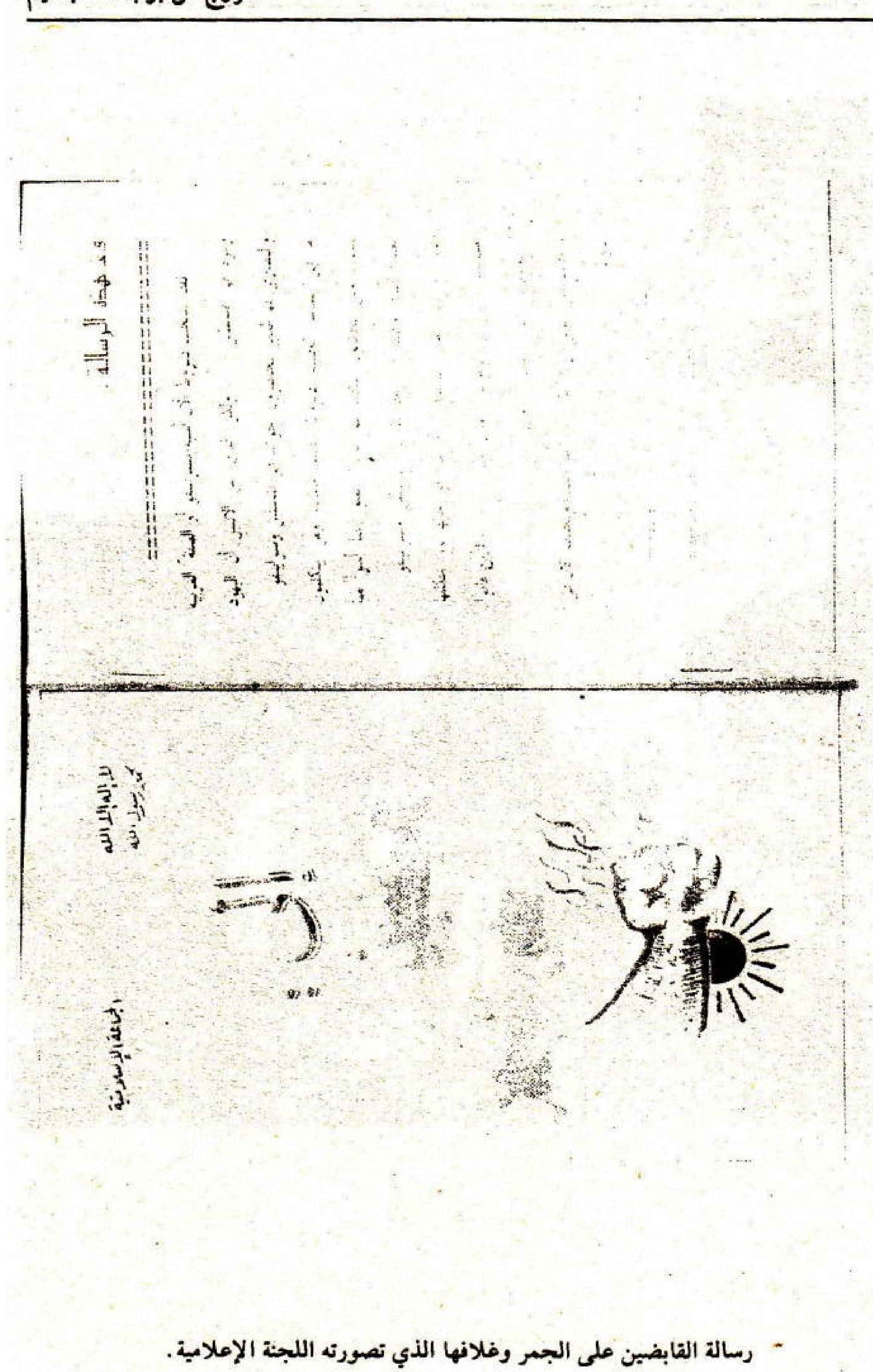
وأيضاً .. [illegible] على [illegible] كل [illegible]
[illegible] من الآراء [illegible] الاطلاقات [illegible]
[illegible] الظالمين عن [illegible]
[illegible] .. [illegible] النظر عن [illegible]
[illegible] التي [illegible] الصحيح أو [illegible]

جزء من رسالة الشيخ عاصم حول تحريم التلفزيون.

www.ibtesama.com



www.ibtesama.com




- رسالة القابضين على الجمر وغلافها الذي تصورته اللجنة الإعلامية.

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com

مجلة الابتسامة




خلف القضبان البائسة وسنين العمر تتساقط في زنازين العزلة تاركة معها ربيع العمر، كانت المفاجئة التي أذهلت البعض وأثارت الكثير من الظنون والتساؤلات لدى آخرين في ظل ما عرف بالمراجعات وهي حالة جديدة انسحبت أيضا إلى بلدان أخرى فيما بعد حيث حذت حذو الجماعة الإسلامية في الجديدة قراءاتها للواقع ومراجعاتها لأصولها وقواعدها ومنطلقاتها الفقهية في التغيير، وهو ما أهلها للخروج إلى فضاء الحرية بعد تلك السنين الطويلة وإن بقى التضييق والمنع.

من داخل أحدى تلك الزنازين كانت السطور الأولى لهذا الكتاب الذي عمل مؤلفه على إيضاح خريطة الجماعة وبنيتها من الداخل محاولا الجمع بين أسلوبين وهما الجانب الروائي والتوثيقي والأكاديمي متناولا بدايات الانتماء لهذه الجماعة ومرورا بنشاطه فيها طيلة ٢٠ عاما أمضى معظمها في السجون وانتهاءً بتلك العوامل التي جعلتهم يمارسون العنف، ثم وأخيرا تاريخ الجماعة من عين أحد قواعدها وأحد الذين عاصروا مبادرة وقف العنف، وكان شاهداً على التحولات بكاملها.

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة


ISBN 978-614-404-280-9
9 786144 042809

www.ibtesama.com



www.ibtesama.com